

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه أولئك
الذين هدام الله
رأوايتك هم أولو
الآلآب)

المجلد

١٣١٠

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كثيرا ، وما
يذكر إلا أولو
الآلآب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ - برج الثور سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٥

فاتحة المجلد السادس والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله تعالى أن جعلنا مسلمين ، من أمة محمد خاتم النبيين ، الذي أكمل
به الدين ، وأتم نعمته على العالمين ، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين
(أما بعد) فقد جرت عادتنا بافتتاح كل مجلد من مجلدات المنار بخطبة نلم
فيها ببعض المهمات في العالم الاسلامي من غي وفساد ، وصلاح ورشاد ،
وأرى أن أم ماطرأ في هذا العام ، اقدم الترك على نشر ترجمة للقرآن ، وتصدى
حكومتهم الجمهورية لنشرها ، لاجل أن تحمل محل القرآن العربي الذي هو كلام
الله تعالى - فرأيت أن افتتح المجلد السادس والعشرين بتحقيق الحق في هذه
المسألة في نفسها ، وبيان الباعث عليها ، ثم أوالى البحث في أجزائه بسائر ما يتعلق
بها ، كما فعلت في تحقيق الحق في مسألة الخلافة من جميع وجوهها ، (في المجلدين
٢٣ و ٢٤) واكتفى في هذه الفاتحة الوجيزة بأن أذكر قراء المنار بما اطلبهم به
في كل مجلد من ابلاغنا ما يرونه منتقدا فيه ، ونسأله تعالى أن يوفقنا للصواب
ويؤتي لنا الحكمة وفصل الخطاب (محمد رشيد رضا)

﴿ فتنة الاستغناء عن كلام الله العربي المنزل ﴾

بترجمة أعجمية من كلام البشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ، تلك آياتُ الكتابِ المبينِ * إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون *
(سورة يوسف ١٢ : ١ و ٢)

وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
أو يُجِدُّوا لهم ذكرا * (سورة طه ٢٠ : ١١٣)

ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة ، وهذا كتابٌ مصدق لساننا
عربيًا لينذرَ الذين ظلموا وبشرى للمحسنين * (الاحقاف ٢٩ : ١٢)
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون *
قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون * (سورة الزمر ٣٩ : ٢٦ و ٢٧)
حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا
لقوم يعلمون * (سورة فصلت ٤١ : ١ — ٣)

حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون * وإنه
في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم * (لزخرف ٤٣ : ١ — ٤)

وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر
يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق في الجنة وفريق في السعير (سورة الشورى ٤٢ : ٧)
وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك
لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الاولين * أولم يكن
لهم آية أن ظلمه علماء إسرائيل * ولو أنزلناه على بعض الاعجمين *

فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين * (سورة الشعراء ٢٦ : ١٩٢ - ١٩٩)
 قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى
 وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلّمه بشر ، لسان الذي
 يُأخّذون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * (سورة النحل ١٦ : ١٠٢ و ١٠٣)
 ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ؟
 قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو
 عليهم عى ، أولئك يُنادون من مكان بعيد * (سورة فصلت ٤١ : ٤٤)
 وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، وإن اتبعت أهواءهم ببد ما جاءك من
 لهم مالك من الله من ولي ولا واق * (سورة الرعد ١٣ : ٣٧)
 (أما بعد) فهذه آيات محكمات هن أم الكتاب في هذا الباب ،
 تجاوزن جمع القلة الى جمع الكثرة وعِدون اشارات الایجاز وحدود
 المساواة الى باحة الاطناب ، ينطقن بنصوص صريحة لا تحتل التأويل ،
 ولا تقبل التبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل
 هذا الكتاب الذي جعله آخر كتبه ، على خاتم أنبيائه ورسله ، قرآنا
 عربيا ، وأنه هو الذي جعله قرآنا عربيا ، وأنه هو الذي أوحاه قرآنا عربيا ،
 وأنه هو الذي فصل آياته قرآنا عربيا ، وأن الروح الامين نزل به على
 قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، وأنه ضرب فيه للناس من كل
 مثل ، والمراد بالناس امة الدعوة من جميع الملل والنحل ، حل كونه
 قرآنا عربيا غير ذي عوج ، وأنه أمر خاتم رسله أن ينذر به (أم القرى) ،
 ومن حولها من جميع الورى ، وأنه على انزاله إياه قرآنا عربيا للانذار
 والذكرى ، والوعيد والبشرى ، لعلمهم يعقلون ولعلمهم يتقون أو يحدث لهم

ذكرا، أنزله حكما عرييا، وأمر من أنزله عليه أن يحكم بين جميع الناس بما أراه الله فيه من الحق والعدل، الذي جعله فيه حقا مشاعا لا هوادة فيه ولا محاباة لقراية ولا قوة ولا فضل، فقال (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) اقرأ الآيات (من سورة النساء ٤ : ١٠٤ - ١١٤) بطولها، وراجع سبب نزولها، فعلم من هذه الآيات المحكمة أن القرآن هداية دينية عربية، وأنه حكومة دينية مدنية عربية، عربية اللسان، عامة لجميع شعوب نوع الانسان، وصلوات الله ونحياته المباركة الطيبة على محمد النبي العربي الامين، الذي جعله سيد ولد آدم وفضله على جميع النبيين والمرسلين، باكمال دينه بلسانه وعلى لسانه وارساله لجميع العالمين، وجعل هداية رسالته باقية الى يوم الدين، بقوله عمت رحمته (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * ٢١ : ١٠٦ وقوله تبارك اسمه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * ٢٥ : ١ - وقوله تعالى جده (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ٣٤ : ٣٨ وقوله جل جلاله) ما كان محمد أباه أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ٣٣ : ٤٠ وقوله عم نواله فيما أنزله عليه في حجة لوداع يوم الحج الاكبر (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً - ٥ : ٤ وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه دعوة ربه كما أمر، فبدأ بأمر القرى ثم بما حولها من جزيرة العرب وشعوب البجم، باللسان العربي الذي قضى الله ان يوحد به السنة جميع الأمم، فيجعلهم أمة واحدة بالقائد والعبادات والآداب والشرع واللغة، ليكونوا بنعمته إخوانا لا مشاربينهم للعداوات

التي تفرق بين الناس بعصبيات الأنساب والاقوام والاطنان والالسنه، فكتب (ص) كتبه الى قيصر الروم وكسرى الفرس وعقروفس مصر بلغة الاسلام العربية ككتبه الى ملوك العرب وأمرائهم ، وبلغ أصحابه ما أمر الله به أمته من تميم الدعوة ، وبشرهم بأن نورها سينتشر ما بين المشرق والمغرب ، فصعد الصحابة والتابعون لهمداهم ، وجميع دول الاسلام من بعدهم ، بما أصروا به من نشر هذا الدين بلغته ، في كلا قسمي شريعته ، عبادته وحكومته ، فكان الاسلام ينتشر في شعوب الاعاجم من قارات الارض الثلاث (آسية وافريقية وأوربة) بلغته العربية ، فيقبل الداخلون فيه على تعلم هذه اللغة يباحث العقيدة ، وضرورة اقامة الفريضة ، ولا سيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأعظم أركانه بعد التصريح بالشهادتين اللتين هما عنوان الدخول فيه ، على انها من أعمال الصلاة أيضا ، فكان تعلم العربية من ضروريات الاسلام ، عند جميع تلك الشعوب والاقوام ، بالاجماع العلمي العملي ، النعدي والسياسي الاما كان من تقصير دولة الترك العثمانيين ، بعدم جعل العربية لغة رسمية للدواوين ، كسلفهم من السلجوقيين والبويهيين ، حتى بعد تنحلهم للخلافة الاسلامية ، ورفع ألويتهم على مهد الاسلام من البلاد الحجازية ، قال ذلك الى التعارض والتعادي بين العصبية التركية اللغوية ورابطة الاسلام ، فالتفرق والتقابل بين اترك والعرب فإلغاء الخلافة العثمانية فاسقاط دولة آل عثمان ، وتأليف جمهورية تركية العصبية والتربية والتمايم ، أوربية العادات والتقنين والتشريع ، وإبطال ما كان في الدولة من المصالح لاسلامية ، كمشيخة الاسلام والاقواف والمدارس الدينية والمحاكم الشرعية ، وصرحوا بأن حكومتهم هذه مدنية لا دينية ، وانهم فصلوا بين الدين والدولة فصلا باتانكا فعات الشعوب الافرنجية ،

على أنهم لما وضعوا قانون هذه الجمهورية قبل التجرؤ على كل ما ذكر، وضعوا في مواده أن الدين الرسمي للدولة هو الاسلام مراعاة للشعب التركي المسلم، كما وضعوا فيه مواد أخرى تنافي الاسلام من استقلال المجلس الوطني المنتخب بالتشريع بلا قيد ولا شرط، ومن اباحة الردة واستحلال ما حرم الشرع، وظهر أثر ذلك بالقول والفعل، كالطعن الصريح في الدين والاستهزاء به حتى في الصحف العامة، وكاباحة الزنا والسكر للمسلمين والمسلمات، وبرز النساء التركيات في معاهد الفسق ومحافل الرقص كاسيات عاريات، مائلات مميلات، — الى غير ذلك من منافيات الدين،

ولكن هذا كله لم يروغليل العصبية اللغوية التورانية، ولم يذهب بمقدها على الرابطة الاسلامية وآدابها الدينية العربية، بل كان من كيدها لها السني لازالة كل ما هو عربي من نفس الشعب التركي ولسانه وعقله ووجدانه، ليسهل عليهم سله من الاسلام بمعونة التربية الجديدة والتعليم العام، بل عمدوا الى هذه الشجرة الطيبة الثابت أصلها، الراسخ في أرض الحق والعدل والفضل عرقها، الممتد في أعالي السماء فرعها، التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، عمدوا اليها لاجتثاث أصلها، واقتلاع جذورها، بعد ما كان من التحام عودها، وامتلاخ أملودها، وخضد شوكتها، وعضد خصلتها، بعد أن نعموا بضمة قرون ثمرتها، وانما تلك الشجرة الطيبة هي القرآن الكريم الحكيم المجيد المرقي المبين، هي الزيتون المباركة الموصوفة بأنها لا شرقية ولا غربية يكادزيتها بضياء ولو لم تمسه نار فاذا مسته نار الإيمان بمرارتها اشتعل نوراً على نور (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الال. مثال للناس والله بكل شيء عليم) وانما أعني بقطع هذه الشجرة المباركة من أرض الشعب التركي محاولة

حرمانه منه ، ذلك بأنهم ترجموا القرآن بالتركية لا يفهمه الترك ، فان تفاسيره بلغتهم كثيرة ، وكان من مقاصد إبطال المدارس الدينية إبطال دراستها ، وحظر مدارس كتب السنة وكتب الفقه ونحوها ، لأنها مشعوبة بآيات القرآن العربية ، وبالأحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف الصالح العربية ، وبالحكم والأمثال وشواهد اللغة العربية ، وهم يريدون محو كل ما هو عربي من اللغة التركية ، ومن أنفس الأمة التركية ، حتى أنهم ألغوا جمعية خاصة لما عبروا عنه « بتطهير اللغة التركية » من اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية ، وإذا طأ أمد نفوذ الملاحدة في هذا الشعب الإسلامي الكريم فانهم سينفذون هذا الاقتراح قطما كما نفذوا غيره حتى استبدال قرآن تركي بالقرآن الذي نزل به الروح الأمين ، على قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، المتعبد بألفاظه العربية باجماع المسلمين ، والمعجز ببلاغته العربية لجميع العالمين ، وكونه حجة الله تعالى عليهم الى يوم الدين .



أرأيت أيها القاريء هذا الخطب العظيم ؟ أرأيت هذا البلاء المبين ؟
أرأيت هذه الجرأة على رب العالمين ؟ أرأيت هذه الصدمة لدين الله
القويم ؟ أرأيت هذا الشنآن والاحتقار لاجماع المسلمين ؟ ورفض ما
جروا عليه مدة ثلاثة عشر قرنا ونصف ؟ ثم أرأيت بعد هذا كله ما كان من
تأثير ذلك في مصر اعرق بلاد الاسلام في الفنون العربية ، والعلوم
الاسلامية ؟

لقد كان من تأثير ذلك ما هو اقوى البراهين ، على فوضى العلم والدين ،
واختلال المنطق وفساد التعليم ، والجهل الفاضع بضروريات الاسلام

وشؤون المسلمين، لقد كان اثر ذلك الجدال والمراء، وتعارض الآراء والاهواء
وتسويد الصحائف المنشورة، يمثل ما شو هوها به في مسألة الخلافة، وقد
كان يجب ان تكون مسألة القرآن ابعده عن اهواء الخلاف، للنصوص
الكثيرة الصريحة فيها، وإجماع السلف والخلف بالعلم والعمل عليها، وعدم
شدوذ أصحاب المذاهب والفرق حتى المبتدعة عنها، فقد كثرت الخلاف
والتفرق في الدين، وتعددت الاحزاب والشيخ في المسلمين، على ماورد
في النهي عن ذلك والوعيد عليه في الآيات الصريحة، والاحاديث
الصحيحة، وارتد بعض الفرق عن الدين، مع ادعائه بضروب من فاسد
التأويل، وسخافات من أباطيل التحريف، كما فعل زنادقة الباطنية
وغيرهم، قبل أن يقولوا ويصرحوا بكفرهم، ولم تقم فرقة تنتمي إلى الاسلام
بترجمة القرآن، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان، لاجل
الاستغناء عنها في التعبد لله، من اللفظ المنزل من عند الله، وإنما قصارى ما وقع من
الخلاف فيما حول ذلك من فروع المسألة، ومن تصوير الفقهاء للوقائع النادرة، أنه
إذا أسلم أعجمي مثلاً وأردنا تعليمه الصلاة فلم يستطع لسانه أن ينطق بألفاظ
الفاتحة فهل يصلي بما نهيهم من لغته، أم يستبدل بها بعض الاذكار العربية المأثورة
موقتاً ريثما يتعلم القرآن كما ورد في بعض الأحاديث، أم يصلي بترجمة الفاتحة بلغته؟
نقل الثاني عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ونقل عنه أنه رجع عنه
إلى الاجماع، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه عمل به (على أنه لا حجة في عمل
أحد ولا في قوله غير المعصوم) فكان هذا الاجماع العام المطابق مما يؤيد حفظ
الله تعالى للقرآن أراد ملاحظة الترك ان يطلوه في هذا الزمان (يريدون
ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •
(سورة الصف ٦١ : ٩ و ١٠)

نشرت الصحف مقالات كثيرة في مسألة ترجمة القرآن رأيت
أقلها وذكر لي ملخص بعض دون بعض فعلمت مما قرأت وسمعت ان
اكثر ما كتب - ان لم يكن كله - كان اصحابه بمنزل عن شر البدع التي
طرات في هذه الايام ، ولم يتجراً عليها مبتدع آخر منذ ظهر الاسلام ،
وهو الاتيان بقرآن أعجمي مترجم يستغني به اهل تلك اللغة عن القرآن
العربي المنزل من عند الله تعالى بحيث لا كسب الرسول المنزل عليه فيه ،
ولم يكلف إلا تبليغه كما أنزل اليه بحروفه لا مجرد معانيه ، حتى انه صلوات
الله وسلامه عليه كان يخاف أن يفوته شيء عند تلقيه من الروح الأمين ،
فآمنه الله تعالى من ذلك بمثل قوله من سورة الاعلى ٨٧ (سنقرئك
فلا تنسى) • وقوله من سورة القيامة ٨٥ : ١٦ - ١٩ (لا تحرك به لسانك
لتسجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه) •
نعم قد ترك هؤلاء الكاتبون كلهم مكافئة شر بدعة ابتدعت في الاسلام ،
وأرهقوا أسنة أقلامهم للجدال في أصل مسألة الترجمة التي حدثت منذ أجيال ،
فقد ترجم القرآن لغير المسلمين بعض الذين تعلموا اللغة العربية
منهم كالمستشرقين من الأفرنج لغرضين (أحدهما) للعلماء وهو العلم
بما فيه لذاته ، كدأبهم في البحث عن كل علم ودين في العالم ، (وثانيهما)
لدعاة الدين (المبشرين) وهو الاستعانة بها على الطعن فيه . وهم متفاوتون
في تراجمهم فمنهم من ضل عن كثير من المعاني حتى الواضحة ضلالاً قريباً
في بعض وضلالاً بعيداً في بعض آخر ، كمن ترجم قوله تعالى (والعصران

الإنسان انمي خسر) بأن جميع البشر يكونون بعد الزوال أو قبل غروب الشمس بزهاء ثلاث ساعات في حال رديئة وخسران! أو منهم من سدد وقارب في ترجمته إذ وضع بعض الآيات بتعليق يترقب به باستحالة الترجمة الحرفية بأقته وأما المسلمون من المعجم الذين خائفوا سنة أمثالهم من السلف فيما كانوا يتقنون من دراسة اللغة العربية لأجل فهم الكتاب والسنة، وتمصبوا بلغاتهم واعتمدوا في فهم النصوص على الترجمة، فكانوا يقرءون التفاسير العربية حتى الدقيقة التعبير منها كتفسير البيضاوي ويترجمونها بلغاتهم لطلبة العلوم، وما زالوا كذلك، ومنهم من كتب تفسير الفاتحة وتفسير بعض سور الجزئين الأخيرين بالفارسية، لكثرة تلاوتها في الصلوات، فأحبوا أن يفهمها التالون لها، فعل ذلك الشيخ محمد بن محمود الحافظي البخاري المتوفى سنة ٧٣٢ ويسمى كتابه هذا (تفسير خواجه محمد پارسا) ومنهم من فسر القرآن كله تفسيراً مختصراً كالشيخ حسن بن علي الكاشفي الواظ المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ كتبه بالفارسية وترجمه بالتركية أبو الفضل محمد بن إدريس البديسي المتوفى سنة ٩٨٢ وهناك تفاسير أخرى وحواش على بعض التفاسير المشهورة باللغتين وعبرها

وقد طبعت في هذا العصر مصاحف في الهند طبع بين سطورها العربية، ترجمة حرفية للآلفاظ باللغة الأوردية، للاستعانة بها على الفهم الإجمالي، ولم يترجمه مسلمو الهند بلغتهم ترجمة مستقلة تطبع وتقرأ تعبدابداً من القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى كقول الترك في هذه الأيام نعم ترجمه بعض مسيحيي مسلمي الهند من مبتدعة القاديانية في هذه السنين الأخيرة باللغة الإنكليزية ترجمة يقولون إنها أصح من جميع التراجم

الانكازية - وطبعوها مع القرآن العربي المنزل - لكنهم أدخلوا بدعتهم فيها كما نقل الينا المطلاعون عليها من المسلمين، ولذلك لم يأذن شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بنشرها في القطر المصري كما بسطنا ذلك في مقال آخر من المنار، وكان هذا المنع هو السبب في إثارة الجدل والقييل والقال عندنا، فان القاديانية في الهند والذين انتحلوا ضلالهم بمصر - وهم قليلون - أنكروا ذلك على شيخ الازهر فشايعهم بعض الكاتبين ورد عليهم آخرون، ورأينا أن اكثر الكاتبين لا يعلمون أن الترجمة الانكازية الجديدة هي لمسيحية الهند القاديانية الذين يزعمون أن زعيمهم (غلام أحمد القادياني) هو المسيح الذي ورد في الاحاديث نبأ نزوله قبيل قيام الساعة - وانه كان يوحى اليه من سخافات النثر والشعر ما يعدونه مدجزة له وما هو الاسخرية لمن يعقل من أهل اللغة العربية، وأن سرورة الفاتحة تدل على مسيحيتها وعلى عدم انقطاع الوحي بيمثة خاتم النبيين، وأنه نسخ فريضة الجهاد وما يتعلق بها من الاحكام خدسة للانكاز، بل يزعمون أن الوحي لا يزال ينزل على خلفائه من بعده، الخ

كما رأينا هؤلاء الكاتبين لا يعلمون شيئاً يستند به من أمر ملاحدة الترك وعداوتهم للغة العربية وأهلها، بغضا في الاسلام - وأنهم يريدون تحويل الشعب التركي العريق فيه عنه - وأنهم ما ترجموا القرآن الا ليتوسلوا به الى ذلك فكل ما جاء به لجوزون للترجمة من غير الضالين ببدعة القاديانية المرتدين قد أيدم وأيد ملاحدة الترك من حيث لا يدرون، ولودروا لكانوا من أشد الناس انكاراً عليهم، فوقرهم في فتنة تأييد المرتدين عن الاسلام يؤيد قول من عدم معرفة الناس من الامور التي تعتبر في المقتني قاله الامام احمد وغيره

وقال المحقق ابن القيم في بيانه : ان معرفة الناس أصل عظيم يحتاج اليه المفتي والحاكم فان لم يكن فقيها فيه فقها في الامر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر والا كان ما يفسد أكثر مما يصلح . اهـ وهؤلاء الذين تصدوا للافتاء في هذه المسألة قد هدد أكثرهم الفقهاء وأقلهم أحدهما

وأما النظريات التي استدلووا بها على جواز الترجمة بل على وجوبها كما مرح به بعضهم فأكثرها سخف وجبل قاصع ، والذي يستحق أن يبحث فيه منها هو مسألة الدعوة الى الاسلام ، وما يتعلق بها من أحكام ، وسندكر من ذلك ما لعله لم يخطر لاحد من هؤلاء المفتين ببال

وإنا لنعلم ان الترجمة الانكليزية التي أشرنا اليها لم يقصد بها ما يقصده ملاحدة الترك من ترجمتهم التركية فان القاديانية على بدعتهم التي أخرجتهم من جماعة المسامين لا يبيعون التعبد بغير اللغة العربية بل قصدوا بها الدعوة الى الاسلام كما يفهمونه ، وقد نشر الخوجة كمال الدين الهندي مدير المجلة الاسلامية التي تصدر باللغة الانكليزية في لندن (اسلاميك ريبو) لاجل الدعوة الى الاسلام خطابا يخبر فيه العالم الاسلامي بأنهم ترجموا القرآن بلسان الانكليز ويريدون طبعه ونشره مع الاصل (أى القرآن العربي كلام الله) ويطلب منهم المساعدة المالية على ذلك وعلى نشر المجلة ، وقد نشر نداء دعوته في الجزء العاشر من المجلد السابع عشر (شوال سنة ١٣٣٢) للمذار (ص ٧٩٣ - ٧٩٥) وعلقنا عليها تعليقة وجيزة نصحنها له فيها بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوه بها إلا بعد عرضها على جماعة من كبراء العلماء في مصر أو الهند وإجازتهم لها ، وعلنا ذلك بقولنا : فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى أن تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها ، على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة

تؤدي من التأثير والمعاني ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال ، وحسب من يترجم القرآن للاجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو ، وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد اهـ

وكان من غرضنا عرض الترجمة على جماعة من كبار العلماء لفتح باب تحرير هذه المسألة ، ثم علمنا ان خوجه كمال الدين ليس هو المترجم ، ثم بلغنا انه ترك المسيحية القاديانية الى الاسلام الخالص ، وقد صرح في عصر البراءة منهم قولا وكتابة ولكنه لا يزال يعتمد على هذه الترجمة في الدعوة الى الاسلام كالقاديانية ، وقد سبق لنا كتابة أخرى في تعذر ترجمة القرآن على جميع البشر ومباحث أخرى فيها وقد كثرت مطالبة الناس لنا بالكتابة في الموضوع من العلماء والفضلاء الذين اعتادوا من المنار القول الفصل ، والحز في الفصل ، على ما يعلم بعضهم من سبقنا الى ذلك في مواضع من مجلدات المنار السابقة ، ومن اطلاع بعض من كتبوا في هذه الايام على ما كنا كتبناه من قبل ، وسمع بعضهم منا في ليالي رمضان ما رآه من خطأ وصواب في المسألة ، وانما ينبغي هؤلاء تفصيلا يدحض الشبهات ، ويجلي الحق بالحجج الناهضة من جميع الجهات ، كما فعلنا في مسألة الخلافة العظمى ، وان ننشر ذلك في بعض الصحف المنشورة لتذيع في الناس فوعدنا ، على اننا قد كنا ألمنا بذكر هذه المسألة في الجزء الاخير من المجلد الخامس والعشرين ، ووعدنا فيه بالعود الى الكتابة فيها بالتفصيل ، وقد كتبنا هذه العجالة قبل مراجعة ما كنا كتبنا ومراجعة ما حفظنا لدينا من قصاصات الصحف فيما كتبه أشهر الذين كتبوا في المسألة (ولعلنا نجد فيها من الحق ما لم يوجد فيما وقفنا عليها من غيرها) فرائنا أن نجعل مقدمة لاسنكتبه بعد من التفصيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فتاوى المنار

﴿ أسئلة في مسألة الخلافة وأحكامها والخلفاء ﴾

(ص ١ - ١٧) من صاحب الامضاء في دعلي - الهند - بنعه وغلطه الاخوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) نحمده ونعالي على رسوله الكريم

﴿ استفتاء ﴾

ما تقول أيها العلماء الكرام والحاملون لواء الاسلام في سؤال مسطورات تحت
(١) هل حديث « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » صحيح
أم لا ؟

(٢) هل يعمل به في زماننا أم لا ؟

(٣) ان قلتم لا فما دليل الميع من الكتاب والسنة ؟

(٤) ان كان الحديث صحيح فهل يعمل به في هذا الزمان وهل يكون
نصب الامام واجبا في الملة المحمدية أم لا ؟

- (٥) هل يشترط في الامام القرشية مطلقا أو ما أقاموا الدين ؟
 (٦) ان لم توجد اقامة الدين في قريش (كما في بلادنا الهند) فهل يجوز ان يكون الامام من قوم آخرين أم لا ؟
 (٧) ان تغافل أو تجهل قريش أو عوام الناس ولم يعلموا بهذه السنة فأية طريقة تختار لأحياء هذه السنة والا فكيف ؟
 (٨) جماعة بغير إمام أو خليفة هل لهم حكم الجماعة أم لا ؟
 (٩) هل يكون الامام صاحب السياسة والقدرة أم بدونهما ؟

في الاستفتاء الثانية

- (١٠) هل كانت الزكاة تجمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟
 ان كانت تجمع فقيم كانت تصرف ؟
 (١١) هل كانت تجمع على عهد الخلفاء الراشدين مثل ما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم — وكما يأخذ الخلفاء الراشدون الخوائج حياتهم من هذا يعني (الزكاة) وكيف كان استحقاقهم شرعا ؟ وكيف كانوا ينفقون إسراراً أم اقتصاداً وهل كان المسلمون يحاسبون الخلفاء في ذلك الزمن أولا (أي في بيت المال أم من الزكاة)
 (١٢) كيف يفعل صاحب الزكاة في زمتنا هل يؤديها الى الامام الشرعي أو يقسمها بنفسه على الفقراء والمساكين كما قال الله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ
 (١٣) في أي شيء يجب على الامام أن يصرف الزكاة وهل يصرف مستقلا بنفسه حيث يشاء أو بالشورى ؟
 (١٤) كم يأخذ الامام الشرعي لنفسه وعياله وهل يأخذ مستقلا أو بالشورى ؟
 (١٥) اذا اتهم الناس الامام الجور في صرف الصدقة أو ثبت لهم أن الامام لا يصرف الزكاة حيث أمر الله بل يجمع فهل لهم أن يجبروه على وضع الحساب عندهم أولا ؟
 (١٦) وان طلبوا منه المحاسبة فامتنع وعاظمهم ذلك وأبى فما يفعلون ؟
 (١٧) واذا كان الامام مخالفا لسيرة الخلفاء الراشدين المهديين في تصرفه وأيضا في القول والفعل فهل يصح ان يبقى اماما أولا ؟

(الحقيقة) ان واحد العالم المولوي في بلادنا (الهند - الدعلي) ادعى انه
 انه امام وخليفة الله وخلافته كخلافة الخلفاء الراشدين ومن لم يبايعه ومات بدون
 بيعته مات ميتة جاهلية ويحذر الناس ويخوف المسلمون بوعيد هذا الحديث « من
 مات وليس في عنقه بيعة الخ ويقول انه من لم يؤد الزكاة الي فلن يقبل الله زكاته
 واذا اعترض الناس عليه انه ليس بقرشي ولا صاحب السياسة والقدرة وانه لا يقدر
 أن يجري حدود الله لانه محكوم ككافة المسلمين في الهند وأن الامام لا يصير
 الا بانتخاب المسلمين وكثرة رأيهم - أجاب ان السياسة القرشية ليست بضروري
 فصار تنازعا ونحاصما واختلافا كثيرا بين المسلمين في هذه المسألة الامامة
 فعليكم أيها العلماء الاسلام أن تدينوا بالدلائل الواضحة والبراهين القاطعة
 بالكتاب والسنة والكتب السير المعتمدة . يبنوا بالدليل تؤجروا عند الجليل
 (المحقق الهندي)

(المنار) نجيب عن هذه الاسئلة بالاجمال الموجز استفتاء عن التفصيل في أكثرها
 بكتاب (الخلافة أو الامامة العظمى) الذي نشرنا فصوله في المنار ولان سببها إبطال
 ادعاء احد صحابك الدجالين للخلافة في الهند وهو لا يحتاج الى كل هذه الاسئلة ولا
 الى التفصيل في أحكامها بل لولا عموم الجهل لم تحتج هذه الدعوى السخيفة الى سؤال ما
 إذ من المعروف ان الخلافة الصحيحة انما تنعقد بمبايعة أهل الحل والعقد من
 المسلمين لرجل مستجمع للشروط التي بينها العلماء في كتب العقائد وكتب الفقه ،
 وان خلافة التغلب تحصل بمبايعة أهل القوة والعصية لآخر رجل يؤبدونه وينفذون
 أحكامه ، - وكل من الامرين محال وقوعه في الهند وهي مقهورة تحت سلطان دولة
 أجنبية - وهذا المعتوه الذي ادعى الخلافة في الهند يظن بجهله أوعته أنه دعوى
 الخلافة من مجنون مثله كافية لوجوب اتباعه ودفع أموال الزكاة وغيره له يتمتع بها .
 ولعل الذي أغراه بهذه الدعوى مارآه من ادعاء الدجال غلام احمد القادياني
 للنبوة والرسالة والوحي والمعجزات وانه مسيح الملة المحمدية فوجد من المارقين
 والجاهلين الذين وصفوا بأنهم « اتباع كل ناعى » من صدقه وصار له ولهم دين
 جديد كسيحية النصارى بالنسبة الى شريعة التوراة ...

أما الجواب عن الاسئلة الاربعة الاولى فهي ان الحديث صحيح رواه مسلم عن ابن عمر مرفوعا - ويجب العمل به في كل زمان فنصب الامام واجب في الملة في هذا الزمان كغيره وجميع المسلمين آمنون بعدم نصب امام تجتمع كلمتهم عليه بقدر طاقتهم ومعاقبون عليه في الدنيا بما يعلمه اهل البصيرة منهم وسيعاقبون في الآخرة بما يعلمه الله تعالى وحده وأما الجواب عن الثلاثة بعدها فهي ان النسب القرشي شرط في الامام الحق مطلقا باجماع اهل السنة والشيعة بل سبق اجماع الصحابة على ذلك ولا يعتد بمن خالفهم من الخوارج وغيرهم . وانما ورد في الصحيح انه يجب ان يسمع لهم ويطاعوا ، اقاموا الدين ادلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والواجب على اهل الحل والعقد حمل من قصر منهم في اقامة الدين على ما يجب عليه من ذلك

وأما الجواب عن السؤال الثامن فهو ان الجماعة التي أمرنا باتباعها لا تسمى جماعة المسلمين الا اذا كان ابا امام بايعته باختيارها . ومما يدل على ذلك حديث حذيفة الذي رواه الجماعة كلهم وفي آخره أن النبي (ص) لما قال له « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قال: فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال (ص) « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك » فلم يأمره بالتزام طاعة أي فرقة من فرق المسلمين الذين ليس لهم جماعة ولا امام يقيم الحق والقسط

وأما الجواب عن التاسع فهو ان امام المسلمين هو رئيس حكومتهم السياسية ويجب عليهم أن يكونوا قوة وشوكة له بمقتضى مبايعتهم له . وليس معنى قوة الامام أن تكون له قوة وعصبية قبل مبايعته وان يبايع لاجلها كما توهم الكثيرون فان هذا اصل فاسد مفسد الدين والدنيا اذ مقتضاه ان الحق للقوة فكل قوي يتبع ويطاع اقوته وان كان ظالما عاصيا له تعالى ويقر على سلبه الحق من اهله الخ وقد وضعنا هذا في كتاب الخلافة

وأما الاسئلة المتعلقة بالزكاة فاجابها ان الزكاة كان لها اعمال في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين يجمعونها من الناس وكانت تصرف في مصارفها الثمانية المذكورة في قوله تعالى (انما لصدقات للفقراء والمساكين) الخ والامام ان يصرف بنفسه وأن يعهد بالصرف الى غيره كما هو شأن كل رئيس حكومة أو مصلحة أو شركة ،

ما الشورى قائما يحتاج اليها في الوقائع والمسائل المشككة التي ليس فيها نص راجح قطعي أو يتوقف تنفيذ النص فيها على الوجه المطلوب على بحث فني مثل ما ذكره من الخلفاء الراشدون يجمعون أهل العلم والرأي ويستشيرونهم ، وعلى البلاد التي ليس فيها حكومة إسلامية تنفذ احكام الشرع في الزكاة أن يدفعوا الصدقات استحقاقها بأيديهم وفي مثل نجد واليمن يؤدونها للامام

وأما معاملة الخلفاء في نفقاتهم ومعاملتهم فهي منوطة بأهل الحل والعقد من جماعة المسلمين وقد فرضوا للخليفة الاول ما يناسب حالة أمثاله في المعيشة من حيث هو رجل من أوساط المهاجرين لا أعلام ثروة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف ولا أدنانهم كهار بن ياسر ، ويجد السائل ما يحتاج اليه من تفصيل لاحكام الامامة وأهل الحل لعقدوا في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى)

الاختيال على الربا بورق النقد

(س ١٨) من صاحب الامضاء

الى حضرة الاستاذ الكبير صاحب المنار المنير ادام الله فضله

ورق النقدي يباع ويشترا في الاسواق بقيمة غير محدودة فهل يجوز للانسان ان يبيع قسما من الورق النقدي متقاعا المشتري في اسعار أكثر من اسعار السوق الحاضرة لمدة معينة أم لا ؟ نرجوكم أفئونا عنها ولكم من الله جزيل السلام كاتبه

ياسين السيد

(ج) سبق لنا تفصيل لاحكام الاوراق المالية (بنك رت) فنكتفي هنا بأن نقول ان هذه الصورة المذكورة في هذا السؤال ليست صورة بيع وشراء بل هي صورة دين مؤجل بزيادة معينة في مقابلة الاجل وهو عقد ربوي ظاهر صريح ليس من قبيل الحيل التي تختلف فيها الفقهاء ، وأما اضطراب اسعار ما يسمى الورق السوري فسيبه معروف وهو يشبه فيه نقد الفضة التركي كالريال المجيدي فاذا اختلف سعر الريال اذا صرف بغيره من نقد المعدن أو الورق فهل يبيع ذلك اعطاء مائة ريال لرجل على ان يرد لعطيه مائة وعشرة ريالاً بعد أشهر أو سنة مثلاً ؟ وهل يسمى هذا بيعاً ؟ لا . على ان يبيع الربويات المختلفة الجنس التي يجوز فيها التفاضل بشرط فيما التفاضل في المجلس والا كان من رما الفضل الذي حرم لانه ذريعة لربا النساء المجمع على تحريمه

إبطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

(لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه)

وأما قول القائل : التوحيد لسان له واللسنة كلها لسانه - فهذا أيضا من قول أهل الوحدة وهو مع كفره قول متناقض فإنه قد يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال المشركين الذين قالوا (لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) والذين قالوا (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والذين قالوا (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) إن تقول إلا اعتراك ببعض آلهتنا بسوء) والذين قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) ونحو هؤلاء لسان هذا هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول على أصلهم فإن الوجودان كان أحداً كان إثبات التعدد تناقضاً فإذا قل القائل : الوجود واحد وقال الآخرون : ليس بواحد بل يتعدد ، كان هذان قولين متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما هو الآخر . وإذا قل قائل اللسنة كلها لسانه فقد صرح بالتعدد في قوله : اللسنة كلها وذلك يقتضي أن لا يكون هذا اللسان هو هذا اللسان فثبت التعدد وبطلت الوحدة . وكل كلام لمؤلاء ولغيرهم فإنه ينقض قولهم فإنهم مضطرون إلى إثبات التعدد

فإن قالوا : الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركة في مسمى الواحد لا

يكون وجود هذا عين وجود هذا بل هذا اشتراك في الاسم العام السكلي كالاشتراك في الاسماء التي يسميها النحلة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون السكلي الى جنس ونوع وفصل وخامسة وعرض عام، فالاشتراك في هذه الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر وهذا مما به يعلم أن وجود الحق مبين للمخلوقات أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود فاذا كان وجود الفلك مبينا مخالفا لوجود الكرة وانبوضه فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال لا يعرف التوحيد الا الواحد وتصح العبارة عن التوحيد وذلك لا يعبر عنه الا بغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له — فان هذا الكلام مع كفره تناقض فان قوله: لا يعرف التوحيد الا واحد يقتضي أن هناك واحدا يعرفه وان غيره لا يعرفه هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، واثبت اثنتين أحدهما يعرفه والاخر لا يعرفه اثبات للمغايرة بين من يعرفه ومن لا يعرفه، فقوله بهذا من أثبت غيراً فلا توحيد له، يناقض هذا. وقوله انه لا تصح العبارة عن التوحيد، كفر باجماع المسلمين، فان الله قد عبر عن توحيد رسوله عبر عن توحيد والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل انما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد وقد قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دين الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) ولو لم يكن عنه عبارة لما نطق به أحد وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأفضل الذكر لا إله الا الله وأفضل الدعاء

الحمد لله « وقال من كان آخر كلامه لا آله الا الله جعل الجنة لكن التوحيد الذي يشير اليه هؤلاء الملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممنوع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج فان الوحدة الميزية الشخصية تتمتع في الشئين المتعدين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد كما أن اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل كل جسم وكل انسان وهذا الجسم ليس هو ذلك وهذا الانسان ليس هو ذلك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذلك

وقوله : لا يسمح التعبير عنه الا بغير يقال له - أولا - التميز عن التوحيد يكون بالكلام والله يعبر عن التوحيد بكلام الله فكلام الله وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند السلف والائمة القول بانه الله ولا يطلق عليه بانه غير الله لان لفظ الغير قد يراد به ما يبين غيره وصفة الله لا تباينه، ويراد به ما لم يكن اياه، وصفة الله ليست اياه ففي أحد الاصطلاحين يقال انه غير وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير فلهذا لا يطلق أحدهما الا مقرونا ببيان المراد فلا يقول المبتدع اذا كانت صفة الله غيره فكل ما كان غير الله فهو مخلوق فيترسل بذلك الى أن يجعل علم الله وقدرته وكلامه ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة في غيره فان هذا فيه من تعطيل صفات الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الالحاد وهو قول الجهمية الذين كفروا بالسلف والائمة تكفيرا مطلقا. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها (١)

« ١ » يعني ان السلف كفروا بالجهمية ببدعتهم في الالحاد بصفات الله وانكار كونها معاني وجودية قائمة بذاته وزعمهم أن كلامه أصواتا خلقها في سمع موسى وغيره

وأيضاً فيقال هؤلاء الملاحدة ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجوه لزم أن يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالاً فمن قال انه عين وجود الله كان أكفر وأضل فان الصفات والاعراض لا تكون عين الوجود القائم بنفسه واثمة هؤلاء الملاحدة كابن عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخالفين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاماً لله وأما هذا اللعيد (١) فزاد على هؤلاء فجعل كلامهم وعبادتهم نفس وجوده لم يجعل ذلك كلاماً له بل يقال أن يكون (٢) هنا كلام له لكلا يثبت غير آله وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية بإثبات غير الله تعالى وإن كل ما سواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الإنكار قال تعالى (قل أغفیر الله تأسروني أعید أيها الجاهلون) وقال تعالى (قل أغفیر الله اتخذ وليا) وقال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وقال تعالى (أغفیر الله أبغني حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً) وكذلك قول القائل وجدت المحبة غير المقصود لانها لا تكون الا من غير لغير وغير ماثم ، ووجدت التوحيد غير المقصود لان التوحيد ما يكون الا من عبد لرب لو أنصف

«١» كذا في الاصل فان لم يكن محرفاً فهو تصغير لاخذ ، وكيف يصغر

الشيخ الاكبر ؟ «٢» كذا في الاصل فيحذف لفظاً ومعنى

الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً - هو كلام فيه من الكفر والالحاد والتناقض ما لا يحتمل فان الكتاب والسنة واجماع المسلمين أثبتت بحبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبرهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب المتقين) يحب المحسنين * يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الله، ومن كان يكرهه أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » وقد أجمع سلف الامة وائمتها على اثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام. وأول من أظهر ذلك في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى بواسط وقال: أيها الناس ضعدوا يقبل الله ضعاياكم فاني ضضع بالجعد بن درهم، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه

وقوله : المحبة ما تكون الا من غير لغير وغير مائتم - كلام باطل من كل وجه فان قوله : لا يكون الا من غير ليس بصحيح فان الانسان يحب نفسه وليس غيراً لنفسه والله يحب نفسه ، وقوله مائتم غير - باطل فان المخلوق غير الخالق والمؤمنون غير الله وهم يحبونه فله دعوى باطلة فكل واحدة من مقدمتي المحبة باطلة قوله : لا تكون الا من غير لغير، وقوله : غير مائتم فان الغير موجود والمحبة تكون من المحبوب لنفسه يحب نفسه

ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا ويقول كما قال ابن الفارض (١)
وكذلك قوله : التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ولو انصف
الناس ما رأوا عابداً ولا معبوداً — كلا المقدمتين باطل فان التوحيد يكون
من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله انه لا اله
الا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه
كقوله (والله كم اله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد فاعلم انه لا اله الا الله) وامثال ذلك. وأما الثانية فقوله : ان
الناس لو انصفوا ما رأوا عابداً ولا معبوداً — مع انه غاية في الكفر والاتحاد
كلام متناقض فانه اذا لم يكن عابداً ولا معبوداً بل الكل واحد فمن
هم الذين لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله فيكون الله هو الذي لا ينصف وهو
الذي يأكل ويشرب ويكر كما يقول ذلك كثير منهم مثلما قال بعضهم لشيخه :
الفقير اذا صبح أكل بالله فقال له الآخر : الفقير اذا صبح أكل الله وقد مر
ابن عربي وغيره من شيوخهم بأنه هو الذي يجوع ويعطش ويعرض ويبول
وينكح وينكح وأنه موصوف بكل نقص وعيب لان ذلك هو الكمال
هندم كما قال في النصوص : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي
يستتضي به جميع الامور الوجودية النسب العدمية سواء كانت محودة
عرفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً وليس ذلك الا لمسمى الله
خاصة (وقال) ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه
وبصفات النقص والذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق فهي كلها من
أولها الى آخرها صفات للعبد كما ان صفات العبد من أولها الى صفات لله تعالى

هذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقض فيه فانه يقال له فانت الكامل في نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً يعاملك بموجب مذهبك فيضرب ويوجع ويهان ويصقع ويظلم فمن فعل به ذلك واشتكى أو صاح منه وبكى قيل له ما تم غير ولا عابد ولا معبود فلم يفعل بك هذا غيرك بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم والعابد هو المعبود فان قال تعالم من نفسه واشتكى من نفسه قيل له فقل أيضاً عبد نفسه ، فاذا أثبت ظالماً ومظلوماً وهما واحد فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد. ثم يقال له هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصبح وهذا الذي شبع وروى هو نفس هذا الذي جاع وعطش فان اعترف بانه غيره أثبت المغايرة واذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا فبين العابد والمعبود اولى واحرى وان قال هو هو عومل معاملة جنس السوفسطائية فان هذا اتقول من أوجح السفسة فيقال فاذا كان هو هو فحقن نضربك ونقتلك والشيء قتل نفسه وأهلك نفسه . والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) لكون نفسه أمرته بالسوء والنفس اشارة بالسوء لكن جهة أمرها ليست جهة فاعمال بل لا بد من نوع تعدد اما في الذات واما في الصفات وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار ان هذا الرجل الذي ظلم ذلك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه . واذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الانام ، ومشايخ الاسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق

وأفضل أهل الطريق، حتى يفضلونهم على الانبياء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين، لم يكن بنا حاجة الى بيان فساد هذه الاحوال، وإيضاح هذا الضلال، ولكن يعلم بذلك أن الضلال لا حد له، وأنه اذا تكررت العقول لم يبق لضلالها حدم مقبول، فسبحان من فرق في نوع الانسان فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو من شرار الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء، كتشبيه مسيلمة الكذاب، بسيد اولي الابواب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملعدين الذين يفسدون الدنيا والدين والمقصود هنا رد هذه الاقوال، وبيان الهدى من الضلال، وأما توهم قائلوا وموته على الاسلام، فهذا يرجع الى الملك العلام، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومن الممكنات انه قد تاب جل أصحاب هذه المقالات، والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، والذنب وإن عظم والكفر وإن غلظ وجسم فإن التوبة تحو ذلك كله، والله سبحانه لا يتعاضده ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين كما قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وهذه الآية عامة مطلقه لانها للتائبين وأما قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير التائبين لا يغفر لهم الشرك ومأخوذون الشرك معاق بمشيئة الله تعالى

والحكاية المذكورة عن الذي قال انه التقم العالم كله وأراد أن يقول أنا الحق واختها التي قبل فيها ان الالهية لا يدعها إلا أجهل خالق الله وأعرف خالق الله - هو من هذا الباب والعقير، الذي قال ما خالق الله أقل عقلا

من ادعى أنه اله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما هو الذي نطق بالصواب ،
وسدد الخطاب ؛ ولكن هؤلاء الملاحدة يعطون فرعون وأمثاله ويدعون
أنهم (١) من موسى وأمثاله حتى أنه حدثني بهاء الدين عبد السيد الذي كان
قاضي اليهود وأسلم وحسن إسلامه وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ
هؤلاء ودعاه إلى هذا القول وزينه له فحدثني بذلك فبينت له ضلال هؤلاء
وكفرهم وإن قولهم من جنس قول فرعون فقال لي أنه لما دعاه حسن
الشيرازي قال له : قولكم هذا يشبه قول فرعون ، فقال نعم ونحن على قول
فرعون ، وكان عبد السيد لم يسلم بعد ، فقال أنا لا أدع موسى وأذهب إلى
فرعون ، قال له ولم ؟ قال لأن موسى أغرق فرعون . فانقطع فاحتج عليه
بالنصر القدي الذي نصر الله موسى لا بكونه كان رسولا صادقا . قلت لعبد
السيد وافر لك أنه على قول فرعون ؟ قال نعم ، قلت فمن سمع إقرار الخصم لا
يحتاج إلى بينة . أنا كنت أريد أن أبين لك أن قولهم هو قول فرعون فإذا
كان قد أقرب هذا حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما به يمر
معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فإذا إنكار هذا المنكر الساري في كثير من
المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لاسيما
واقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ومن عرف معناه واعتقدها
كان من المنافقين الذين أسرار الله بجهاهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم) والنفاق إذا عظم كاز صاحبه شرا من كفر أهل الكتاب ،

(١) سقط من هنا كلمة اعرف أو أعلم أو أفضل
«المناج : ج ١» «٦» «المجلد السادس والعشرون»

وكان في الدرك الاسفل من النار

وليس لهذه المقالات وجه سائق ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فإن ما يحمل عليها إذا لم يعرف مقصود صاحبها (١) وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفه وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضا وقد علم مقصودهم بالضرورة ، فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلتفت إليه . ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل ، فإن ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم ، وأعظم من ضرر السراق والخنوة الذين لا يعرفون أنهم سارق وخنوة ، فإن هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سببا لرحمته في الآخرة ، وأما هؤلاء فيسقون لناس شراب الكفر والالحاد في آنية نبياء الله وأوليائه ، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاردين لله ورسوله ، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين ، فيقوالب ألفاظ أولياء الله المحققين ، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وليا لله فيصير منافقا عدوا لله . ولقد ضربت لهم صرة مثلا تقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من اتباعهم : لو كانوا يذهبون بنا الى قبرص لكانوا يجعلوننا نصارى وهؤلاء يجعلوننا شرا من النصارى . والامر كما قاله هذا القائل

« ١ » المنار : في الكلام تحريف وسقط والمعنى المفهوم من القرينة أنها - إنما يصح أن تحمل على معنى صحيح تحتمله اللغة إذا لم يعرف مقصود صاحبها

وقد رأيت وسمعت عن ظن هؤلاء من أولياء الله وان كلامهم كلام
العارفين المحققين من هو من اهل الخير والدين مالا احصيههم فمنهم من دخل
في اتحادهم وفهمه وصار منهم، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم، ويعظم مالا يفهم،
ويصدق بالمجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم بمنزلة من يعظم
اعداء الله ورسوله ولا يعلم انهم اعداء الله ورسوله، ويوالي المشركين واهل
الكتاب، ظاناً انهم من اهل الايمان وأولي الالباب، وقد دخل بسبب هؤلاء
الجهال المعظم عين لهم من الشر على المسلمين، مالا يحصيه إلا رب العالمين،
وهذا الجواب، لم يتسع لأكثر من هذا الخطاب، والله أعلم.

(انتهت الرسالة)

(المنار) ارسل اليها هذه الرسالة مع رسائل وفتاوى اخرى لشيخ الاسلام
وناصر السنة الامام احمد تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه اخونا في الله
الاستاذ الفاضل الشيخ محمد هبة الاثرى البغدادي بارشاد استاذة صفوة أصدقائنا
علامة العراق ورحلة اهل الآفاق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله تعالى،
وهي منقولة بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن
نسخة كثيرة الفاظها والتحريف والسقط قال انه اجتهد في تصحيحها ما استطاع.
وتقول اتنا اجتهدنا بعده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونبينا على
بعض ما تيسر في الحواشي ونحمد الله تعالى أن صار المراد منها كلة مفهوما،
فنسأله تعالى ان يثيب الجسيم - المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر
بفضله وكرمه ؟

المقالات الجمالية

٤

﴿ نبذة من مناظرة خيالية للسيد جمال الدين ﴾

﴿ قال جامع هذه الطائفة من المقالات الجمالية بعمد المقالة الثالثة ﴾

ثم انتقل (السيد) حفظ الله من لندن بعد نزوله بها بخمسة عشر يوما الى باريس عاصمة فرنسا و كان ذلك في شهر يناير سنة ١٨٨٣ عربية فتلقاه اهلها بالقبول والاقبال ولم يدعوهم بأحدراحتة حتى التمس اصحاب جرائدها العربية من حضرته ان يطرز جرائدهم بشيء من غرره

وقد وقفنا له على فصل من ذلك في جريدة (ابو نظارة زرقاء) وكانت تفرغ الجلد في قالب الهزل ولكنها لم تستوعب الفصل لضيق مجالها بل وعدت باستيفائه على التدرج في اعدادها التالية الا اننا لم نقف لها على غير ذلك العدد اعسر الحصول عليها بسبب منع دخولها في البلاد التي نحن فيها وعلى ذلك اثرنا عنها الشذرة التي تضمنها ذلك العدد من الفصل المذكور حرصا منا على انتقاط فوائده استاذنا . قال متعنا الله بطول حياته

*

فقال صاحب المقالة انكم قد ضللتكم عن ديدكم ، وتهمر في يدياء غوايتكم ، وما يقوم لكم دليل في تقاعسكم عن القود عن أوطانكم ، ولقد غلب عليكم الجبن ، واستولى عليكم الضعف ، وأضعف جنانكم الخوف والخشية ، ألا ترون ان كل أمر صعب عند الشروع فيه ؟ أفلا تشعرون أن صعوبة المسالك بمقدار عظم المقاصد ؟ وان الراحة محنوفة بالمشاق ، وأن أفضل الاعمال أحزمها ^(١) أفترضون بالعبودية الاجانب ،

(١) أحزم الاعمال أمتنها اه من القاموس زاد في شرحه وقيل أمضها وأشقها

الاستكانة للإبادة ، وإن موت المرء خير من بقاءه في هذه الدنيا مع قلة مدتها وسرعة
والها ، رقا لا يملك من الأمر شيئا . أنظرون أن هذا العمل يدفع عنكم غضب رب
الجنود ، لا وحقه انكم ان لم تدافعوا عن أوطانكم بنفوسكم وأموالكم لاتنالون منزلة
له ، ولا تجدون مخلصا من سخطه ، وتبقون في ذل العبودية مادامت الأرض
أقية * وكل عذابه دونه لحقير * فتشجعوا وثبتوا أقدامكم ، وسكنوا ووعكم ،
واعلموا أن الظفر مقرون بالصبر ، وأيقنوا أن الراحة والسعادة في أثر المشقة ، وإن
سنة الله قد جرت من الازل ، أن لا ينال الإنسان مرغوبه الا بعد التعب ، فلا
تقدموا هذه الحجج الداحضة ، ولا تظهروا الفشل في طلب حقوقكم ، ولا تتسربلوا
الجبن فإن كل جبان محروم ، فاسموا في اتفاق كلمتكم ، واجعلوا صدوركم مجنا لسهام
أعدائكم ، مجدين في خلاص بلادكم ، واعلموا أن الأمم الغابرة والحاضرة ما نكست
قابها ولا كسرت أطواق العبودية الا بتحمل المشاق والخوض في غمرات الموت اهـ

❦ كتاب له في الدفاع عن الدولة العثمانية ❦

5

وكتب حفظه الله الى صاحب جريدة البصير التي تطبع في باريس
باصمة الفرنسيين وهو يومئذ لم يزل تزيلها وذلك في فبراير عام ١٨٨٣
غريبا وربيع الاول سنة ١٣٠٠ هجرية قال جزاء الله عن الاسلام
المسلمين خيرا

سيدى الخليل بما فطر عليه من العقل الغريزي الذي دلت عليه عقائل
فكاره ، وأنبات دقائق أفكاره عن فسيح مجاله وسعة مخماره ، كان الواجب عليه
بل الخوض في أحوال الشرق والسلوك في بيدها سياسته ، وهتك الستر عن قبائح
عانه وشنائع ساسته ، أن ينظر ببصيرته الوقادة إلى مآلهم بالشرقيين من البلايا ،
بأحاط بهم من الرزايا ، فأنهم لتفريطهم في اصلاح شؤونهم من قبل قد أشرفوا
على الهلاك ، وصاروا بعجزهم عن صيانة حقوقهم غرضا لكل نابيل ، وطعمة لكل

آكل ، تستملك الابعاد بلادهم ، وتستعبد رجالهم ، وتستلب أموالهم ، ولا ريب ان لامة الخاضعة للاجانب لا يمكنها العروج الى مدارج الكمال التي لا تنال الا بهمة عالية تأبى العبودية ، ولا نجاة لهم من هذه المصيبة التي تقهر النفوس ، وتوجب الذل والخلول ، الا بالتفاقم تحت راية واحدة على الذود عن حقوقهم ، من دون ملاحظة الاختلاف في الجنسية ، لانهم تقارب أخلاقهم ، وتلائم عاداتهم ، وتوافق افكارهم ، صاروا كما هم جنس واحد ، وان اختلفت لغاتهم فخضوع بعضهم لبعض مع تناسب طابعهم لا يبعث على الذل والاستكانة ، ولا يزيل النخوة التي هي الداعية الى كل فضيلة وكمال ، واذا تفرقت كرامتهم ، وتشتت قوتهم ، لا يمكنهم الخلاص من مخالب الذين ينتهزون الفرصة لاسترقاقهم ، فيجب على كل شرقي دفع هذه النازلة ، وصيانة لامته عن ذل العبودية ، أن يسعى جمعا للكلمة في تشييد مباني الحكومات الباقية في الشرق ، فان الاجانب ما وضعوا أيديهم على بلد الا عاملوا أهله معاملة الآلة ، ولهذا يكتفي أن أقول ان سيدي الخليل في مقالاته التي حررها انهاضا لهم الامة العربية وان كانت ما أراد منها الاخير أبناء جنسه ، قد حاد عن صراط السياسة القويمة بتعرضه للدولة العثمانية ، وكان عليه أن يفقه ان هذه الدولة في هذه الايام ، بمنزلة نظام لاجناس مختلفة من الشرقيين يحفظها عن التفرق والضياع ، ويمكن كل جنس منها أن يسعى رويدا رويدا في إصلاح شؤونهم ، ويرتقى الى مدارج عزه ، على حسب كده وجد . واذا انقطع هذا النظام وتفرقت الكلمة ، وتشتت الجمع ، واستقلت كل طائفة بأمرها فانها لا تستطيع وقتئذ صون نفسها عن تناول الاجانب ، ولا تطيق مقاومة الابعاد الذين لا يريدون الاستعبادهم ، فيصيح كل هذه الاجناس عبيدا أذلاء لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ، فلا ينتظر لهم اذا كمال ، ولا يرجى لهم فلاح ابدا ، وربما اضمحلت جنسيتهم ؟ التي نيطت ببقاء لغتهم ، وهذا الموت الذي لا يبعث بعده ما دامت الارض دائرة . ولا أشك أن سيدي الخليل اولمح يهصره رأي محق في مقامي هذه ، ورجائي منه بعد الاغراض عما جرى به قلبي ان يتخذ لكبح شررة الاجانب اتفاق كلمة العثمانيين مسلكا لجريده الغراء ويبنى خدمته لعموم الشرق على

اساس سياسته، لازال هاديا لعباد الى سبيل الرشاد اه

قال جامع المقالات

وقد كانت هذه الرسالة سببا في عدول تلك الجريدة عن مشربها الاول اذ كانت شديدة الانحراف على الدولة العثمانية كما هو مذهب كثيرين من بعض الطوائف المستظلمين بظلمها لازال وارقاء، ثم استقامت واعتدلت بعد أن التمسّت لنفسها العذر مما كان من رأيها فيما أجابت به استاذنا، ثبتها الله على صراطها الاخير والحق أمه لهايها، واكثر في المسلمين من مثل سيدنا واستاذنا وأطال بقاء الدين والدنيا

الدين والسياسة

وملاحظة المتفرنجين من العرب وغيرهم

قد سبق لنا بحث كثير في موضوع هذا العنوان نشر بعناوين متعددة وفي أثناء التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، فقراء المناريون ان المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية انشئت لدعوة النصرانية و (عذانية) انشئت لمقاومة الاديان أو بعزل عنها - ومن رسمية للحكومات المتفرنجة كالتركية والمصرية - ومن أهلية أيضا - كلها قد أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة في أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها، يقل فيها من يعرف دينه معرفة صحيحة، ومن يحافظ على آدابه وفرائضه تقليد أو على بصيرة، ويقل في المتدينين منهم ومن يدري كيف يجعل ما استفاده من علوم العصر وفنون غداء معنويا لأمته، وقوة وعزة لملكه، لان أكثرهم لم يحصل من العلوم والفنون ما يؤهلهم لعمل ينهض بالامة نهوضا ماديا أو معنويا وانما تلقوا قليلا من المبادئ هم فيها مقلدون كما ان أكثرهم مقلدون في الطمن بدين أمتهم لبعض ملاحظة الافرنج مع الفرق العظم بيننا وبينهم في ذلك، ولا سيما فيما يسهونه الفصل بين الدين والسياسة، وفي برادة أوروبا من التعصب الديني وهي مشارة وأتون ناره - ولكن يكثرون فيهم المادون لبناء أمتهم وملكهم باحتة زعموا أنها التي كانت بها

أمة ذات ملة ممتازة كالدين والتشريع و لاخلاق واللغة، ومشخصاتها التي تعد مزيد
رسوخ في مقوماتها وتميزها كالتقاليد القومية والازياء الوطنية والمعدات الزخفية - وهم
في هدمهم لبنيان أمتهم يحسبون أنهم يبنون لها بنيانا جديدا خيرا مما بناه لها التاريخ
فكانت به أمة ممتازة في الوجود لها تاريخ عظيم فيه من دين بلغ الذروة العليا في
التهديب ، وشرع عادل رفعها فوق رؤوس الأمم قرونا كثيرة ، وفتوحات شهد لها
فلاسفة التاريخ من الافرنج بأن تاريخ البشر لم يعرف لها مثلا في جمها بين العدل
والرحمة الخ

ولو كان هؤلاء رسوخ قدم في العلم والحكمة وحظ عظيم من فنون العصر لا أحدثوا
لامتهم قوة وثروة يجددان مجدها ، مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها التي أشرنا إليها ،
بدلا من محاولة قتلها وإعادة خلقها

صدق على هؤلاء المهاديين وعلى المدارس التي تخرجوا فيها قول اللورد سالسبوري
الوزير البريطاني المشهور : ان هذه المدارس التبشيرية أول خطوة لاستعمار الشعوب
التي تنشأ فيها - فلها تخرج فيها طائفة نخاف سائر أمتها في عقائدها وأفكارها
وتقاليدها فتحدث فيها صدمة وشقا فتنقسم به على نفسها - علي تميرهم - فيقتلها
هذا الانقسام بأيديها (أو ما هذا معناه) ولم يذكر اللورد بالصراحة ان ما تحدثه
هذه المدارس من افساد العقائد يتبعه فساد الاخلاق وغلبة الافكار المادية وحب
الشرف والزينة والشهوات على المتخرجين فيها فيحول ذلك دون اتقانهم حتى فيما
يفتنون به من أمور التفريخ

وانا نرى من مصداق كلامنا و كلام اللورد من قبا ان متفرجة الترك قد هدموا
تلك السلطنة (الامبراطورية) الراسخة الاساس ، الواسعة لمقياس ، وانتهى
أمرهم الى إمارة صغيرة طردوا عنها الشعوب المسيحية ، وهم الآن يقاتلون فيها شعب
الكردي الذي يلي الشعب التركي في العدد والبأس والقوة ، و نرى الشقاق بالغا غاية بين
هؤلاء المتفرجين المرتدين وبين أهل الدين والمحافظة على التقاليد الاسلامية من
الشعب التركي نفسه . فحكومته تسفك ما بقي من دماء شبانهم وتفتني بقايا ثروتها القليلة
في مقاومة الفتن الداخلية والحروب الوطنية ، و نرى من مصداق ذلك ايضا ان اشقاق

بين أحزاب الشعب المصري الذي بلغ غابته في هذا العام ، ولا يعلم غير الله ما سيكون من سوء مقبته ان دام ،

من المعلوم عند كل من يعرف الاسلام انه دين وتشريع سياسي قضائي ونظام اجتماعي ، وانه حكم عربي كما نطق به كتابه المنزل ، فان كان من مثار العجب ان يحاربه ملاحدة الترك اثارا للعصبية القوية على عصبية بعد أن كان لهم به من العزة والسلطان ما كان ، ولم يكن لهم بلقتهم أدنى قيمة في الوجود - فأعجب من ذلك ان يقوم من متفرنجة العرب أنفسهم من يحارب الاسلام ، بعد ان كان لامتهم به من المجد والملك والسلطان والحضارة والعلوم والآداب ما كان وكانوا به أئمة لمئات الملايين من غير أبناء جلدتهم يقتبسون دينهم من القرآن العربي والسنة العربية ويتدارسون اللغة العربية في مشارق الارض ومغاربها ، ويحججون الى بيرة البلاد العربية يتقربون بذلك الى الله تعالى وكل من لم يفسد التفرنج عليهم أمر دينهم يفضلون الشعب العربي على شعوبهم حتى ان مسلمي الهند الصادقين في الاسلام يفضلون استقلال العرب على استقلالهم وسعادة بلاد العرب وسلامتها من عدوان الاستعمار على سلامة وطنهم مع هذا كله نجد بعض ملاحدة المتفرنجين من العرب يحاربون الدين الاسلامي نفسه ويطعنون به ويصدون عنه ، ويرون من تقليد الترك وغيرهم في العصبية الجنسية ان ينادوا جميع الشعوب الاسلامية حتى الشعب الهندي الذي يدافع عنهم ، وتبذل جمعياتهم السياسة من الجهاد بالمال والنفس في سبيله ما لم تبذل عشره جمعية عربية ، ويمدون إمامهم في عصبيتهم هذه الشريف حسين بن علي المكي وأولاده الذين كانوا بحركتهم العربية أكبر مصيبة على العرب وخدمة للاجانب كما فصلناه في المنار وفي غيره من الجرائد بالبراهين التي لم يستطع أحد من أنصارهم رد شيء منها

ومن سوء الحظ أن الجرائد العامة تنشر لهؤلاء الملاحدة آراءهم حتى للجاهلين منهم الذين لا يرجعون فيما يختصون الى شبهات علمية ولا سياسية تستحق الذكر ، أو تستأهل الرد ، ومن ذلك ما رأيناه مرارا في جريدة البيان العربية الغراء التي تصدر في نيويورك عدة مقالات في ذلك كان آخر ما نشر منها رد وطعن علينا في

خطتنا السياسية الاسلامية وفي فهمنا للدين وتفسيرنا للقرآن والكتاب لم يقرأ من تفسيرنا شيئاً ، ولم يطلع على المنار أيضاً ، ولو اطلع عليهما لا يفهم منهما شيئاً مما تقصده فهما صحيحا ، اضعفنه في اللغة العربية وجهله التام بنحوها وبيانها كما تدل عليه عبارته المملوءة بالغلط وذكره لبعض آيات القرآن محرفة ... ثم هو مع ذلك يسند اليانا من الاقوال الدينية والسياسية ما لم نقله بل ما قلنا ما يخالفه ، وينفي عنا من الاقوال والافعال ما هو ثابت لنا ومعروف عنا ومنشور في مجلتنا ، وكذلك شأنه فيما ينقله عن غيرنا وما يسنده الى التاريخ

لهذا لم يخطر في بالنا أن نرد على شيء مما كتبه ، وان وقتنا لا ضيق وأمن أن يصرف في مثل ذلك ، ولدينا من الأعمال ما هو خير منه وأنفع — ولكن بعض كبار الكتاب السياسيين حملته الغيرة على الحق والخوف على أغراق قراء تلك الجريدة الواسعة الانتشار فيقرؤها العوام والخواص أن يتروا ببعض ما يكتبه هذا الرجل — على كتابة رد طويل على نوع من مزاعمه الباطلة الضارة ، كما ان بعض الكتاب المدققين المطلعين على بعض أجزاء المنار والمارفين بسيرتنا في السياسة العربية والاسلامية كتب رداً آخر دافع به عنا ، — ونشر كل منهما في جريدة البيان نفسها ، فنشكر لكل منهما غيرته ، ونشر الرد الاول العام ، لانه مفيد للخواص والعوام ، وهذا نصه :

العالم العربي والعرب والاسلام

لا حيلة لك مع المكابر بالمحسوسات

قد كان الناس يتمثلون بقول القائل

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فخيالي فيه قليلة

ولكن نسوا أن هناك أيضاً من تقل معه الحيلة مثل الكذاب واكثر وهو المجادل المكابر في المحسوس الذي لا يجبن عن أن يقول للشمس الطالعة في راد الضحى : انها ظلام ، والذي يخلق أيضاً التواريخ لتأييد حجته وينكر الوقائع الثابتة

المشهود لتأييد حجته، ويتخيل ويخيل الأمور على ما يريد هو لا على ما هي عليه في الواقع، يهجم على المسائل التي يكاد يعرف منها شيئا كأنه قتلها علما، ولا يتوب بعد أن يكون ظهر خطؤه في قضية أن يتوخى الكثرة في قضية أخرى ومن الأول إلى الآخر قصارى كلامه « غيرة ولو طارت »

فمن العبث أن تقول له إن الناس لا تقدر أن تعيش بلا دين وإنه لم يهدأ اليوم أن شعبا عاش بدون دين . وإن أوروبا باقية على نصرانيتها، وإن التعليم المسيحي لا يزال يعلم في أرقى المدارس والكليات في أرقى الممالك من شمالي أوروبا مثل انكلترا والدانمرك وهولاندا والسويد وألمانيا، وأنهم يعلمون كون المسيح هو ابن الله إلى هذه الساعة، وإنهم لا يريدون أن يعرفوا أنفسهم إلا مسيحيين ومن العبث أن تقول له إنه حيث كان الدين لازما للشعوب فهو في نفسه قوة عظيمة لا تقدر بحكومات هذه الشعوب أن تعرض لها بمهانة أو بجهالة حتى لا يصيبها من أجل ذلك ضرر، وتحصل هزاهز وقتن، وأنه ليس من باب خلط الدين بالسياسة أن يلجأ رجال السياسة إلى الدين، إما في تهذيب الاخلاق أو في السعي لتوهين روح الاجرام والمعارضة، أو في النضال عن استقلال الأمة، أو في تقوية الروابط مع امم أخرى والاستفادة من تلك الروابط المؤثرة والعوامل الراضية التي ليس انكارها إلا محض حماقة

ومن العبث أن تقول له إن أوربة الراقية لم تهمل أيضا هذه الروابط ولا استخفت بها ولا وجهتها بدعة في السياسة، وإن ملك انكلترا الراقية العظيمة بل العظمى هو في وقت واحد ملك الانكليز ورئيس الكنيسة الانكليكانية، وإن امبراطور المانيا هو رئيس الكنيسة اللوثرية، وإن امبراطور النمسة كان على رأس مملكة راقية جدا وكان يخاطب بذي « الجلالة الرسولية » اشعار ابصفته الدينية، وإن المستر غلادستون رئيس نظام انكلترا وهامة حزب الاحرار كان قسيسا ومن أشد الخلق تدينا لا بل تعصبا، وإن دولة فرنسا التي قال إنها لا دينية تنعت نفسها « بحماية النصراني » في المشرق . وإن غمبتا ركن الجمهورية والسياسة اللادينية كان قال تلك الجملة التي ذهبت مثلا « عداوة رجال الدين ليست من

بضائع التصدير ، وإنه ان لم يكن الدين رابطة فأية رابطة بين فرنسا والموارنة وهم ليسوا بلاتين ولا باوربيين بل هم اراميون ساميون ابناء عم العرب وبالتالي فاقرب الى المسلمين مما هم الى الفرنسيين من جهة الدم . عبثا تقول له ذلك لانه يجاوبك بل كل هذا غير صحيح واوربا تركت الدين

وكذلك من العبث أن تقول له إن الاوربيين الذين تقول إنهم نبذوا الدعوة الدينية لا يزالون يذكرون الحروب الصليبية ويتكلمون في عداوة الاسلام أفلا تقرأ ما يرددونه كل يوم من توحيد الجبهة بإزاء المسلمين من الريف الى الهند؟ أفلم نسمع بمساعي شامبرلين الأخيرة في باريس ورومية؟ أفما قرأت ماذا كانوا يكتبونه عند سقوط القدس في يد الانكليز أثناء الحرب العامة من كون ذلك هو الصفحة الأخيرة من الحرب الصليبية؟ أفما اطلعت على اخبار الحفلات الدينية التي اقيمت في ذلك الوقت؟ أفما سمعت خطبة المارشال ألانبي نفسه على تنمة الحرب الصليبية على يده؟ أفما عرفت أن الجنرال غورو نفسه كان لاول وصوله الى بيروت وعند الاحتفال بقراءة أمر تعيينه ألقى خطبة أشار فيها الى الحرب الصليبية وقال إن بداية علاقات فرنسا بسورية هي من أيام الحرب الصليبية؟ أفما عرفت أن الذي عين غورو على سورية هو نفس كابنصو الذي هو عدو للدين المسيحي ولكنه ليس بعدو لسياسة التي قد ينفعها الدين المسيحي؟ أفما علمت أن سبب صرف (ويتان) وهو كاثوليكي أيضا وارسال سرايل (١) مكانه هو ليكون الوزارة الحاضرة علمت أن عدم نجاح فرنسا في سورية ناشئ عن أسباب عديدة من أهمها اعتقاد المسلمين أن فرنسا لا تزال تابعة هناك سياسة دينية لهم عليها دلائل كثيرة من مثل بناء الكنائس بامر السلطة المحتلة في بلدة درعا والاحتفال بتخصير من يتنصر من السنغاليين وتقديم اسم النصرى على اسم المسلمين من في الدفاتر الرسمية وكذلك تقديم بطريرك الموارنة على مقبي الاسلام في المحافل وتهديد المقبي بما يسوءه ان أبي الخضوع لهذه القاعدة فأراد المسيو هريو أن يسهل مأمورية فرنسا في سورية بإقضاء المندوبين الذين

(١) ويتان هو القائد الفرنسي الذي خلف غورو في سورية وسرايل هو القائد الذي خلف ويتان

ينفرون المسلمين بسياستهم الكاثوليكية وإرسال مندوب سام معروف بكرة الاكليروس
تزلنا الى الاسلام، ومع هذا لم يخل هذا الانتخاب من إثارة الاعتراضات من
جهة الاحزاب الوطنية بفرنسة حتى إن المسيو ميلران رئيس الجمهورية السابق
اعترض عليه في خطابه .

ومن العبث أن تقول للمكابر في المشهودات إن الشيء الذي أنت تبريء
أوربة منه وتتحمل له صنوف التأويلات اذا وقع لا تنصل اوربة منه ولا تجده إزاء
وإن بعض وزراء الانسكابز صرح أثناء حرب البلقان بكونه مغتبطا برجوع مدينة
سلانيك الى النصرانية لكونها من مهاد النصرانية . وإن الدول البلقانيات الأربع
عند ما أعلن الحرب على تركيا كان بلاغهن متضمنا ان حربهن لتركيا هو حرب
الصليب للهلل، ولو علمت تلك الدول أن بلاغا مفرغا في هذا القالب يسوء وقعه
في اوربة ما كانت حررت بهذه الصورة بل لك أن تقول انها ما حررت بهذا الشكل
إلا استمالة للرأي العام الاوربي . ولا تنس خطاب الفونسو الثالث عشر ملك اسبانية
الذي كان من جملة نقاط القدح الذي قدحه فيه الكاتب الروائي الاسبانيولي
ياسكو إيبيا نيز هو قول الملك « إن اسبانية اشتهرت من القديم بقتال المسلمين وهذه
النوبة هي مصممة على أن لا نترك قتال مسلمي الريف حتى تنصب الصليب هناك
محل الهلال » وغير ذلك من الالفاظ التي يقول الكاتب الاسبانيولي إنها زادت
هيجان المسلمين وكانت السبب في إتلاف الآلاف من مهج الاسبانيول وإن الملك
مسؤول عن ذلك بمهاقته — أي باعلانه ما كان يجب أن يعمل ولا يهأن — ومع
كون ايبانيز أصاب في انتقاده فهو اليوم تحت المحاكمة في فرنسة من أجل طعنه بالملك
بالملاك الفونسو هذا

ومن العبث أيضا أن يستشهد الانسان على عواطف اوربة الدينية بل على
سياستها الدينية بما تبذله الحكومات من الاموال الجزيلة في المستعمرات مساعدة
للبعثات الدينية الساعية في تنصير أهالي آسية وافريقية ولو كان المراد تنصيرهم هم
القيثيين أو الوثنيين لكان هذا نعم العمل لكن البعثات الدينية غير مكثفة
بتنصير الوثنيين بل تداب أيضا في تنصير المسلمين بجميع الوسائل وتسابق المسلمين

الى استمالة الوثنيين منادية بالويل والثبور وعظائم الامور فيما لو أسلم الوثنيون وإنك لتجد في أواسط أفريقية وغربها وجنوبها وماداغسكار وشرقي أفريقيا بمئات دينية بروتستانية وكاثوليكية لاتعد ولا تحصى كلها تنفق القنابل الموقرة من الذهب تمهيبها حكومات أوربة وأميركا باجتها وتؤيدها بالاموال والقوذة وبكل وسيلة . وقد تعرض للدعاية الاسلامية بقدر الامكان وتضيق عليها كما فعل ضباط الانكليز في الاوغاندة عندما راوا انتشار الاسلام بين أهالي تلك البلاد فوقفوا سداً حائلاً في وجهه . بل قاموا البعثات الكاثوليكية ليخلوا الجو للدعاية البروتستانية ، وكذلك الحكومة الفرنسية في ماداغسكار تقاوم دخول من يدخل من الماداغسكارين في الاسلام ولا تريد أن تعترف رسمياً بوجود مسلمين ماداغسكارين في تلك الجزيرة حتى لا يتحول جانب كبير من أهلها الى الاسلام فانت ترى من هذا وغيره والف مثال يضيق المكان عن استيفائها أن السياسة الاوربية ليست بمعزل عن الدين البتة ولو كابر المكابر وناكر المناكر .

وقد يقول إن هذه الحماية التي تبسطها حكومات أوربة لرسالات الدينية المنتشرة في كل افريقية وآسية وجزر الاوقيانوس إنما تقصد بها ما رُب استعمارية لا دينية محضة . وهذا لا يضر شيئاً في جوهر الموضوع بل يزيد موضوعنا تأييداً وهو أن رجال السياسة ولو كانوا في أنفسهم غير متمسكين بالدين يقدرون قدر نفوذه على الخلق ويحتشدون أن يستشروه لفائدة حكوماتهم

ومن الفضول أن نذكر للمكابر ما بذلته حكومة هولاندة من المساعي في تغيير عقائد مسلمي الجاوى وسومطرة بواسطة الرسالات التبشيرية وكونها وقعت لتتصير بضعة عشر الف مسلم ولكن لما رأى الهولنديون ان هذا العدد قليل بالقياس الى الخمسة والثلاثين أو الاربعين مليون مسلم القاطنين بتلك الجزائر خطر يال بعض نواب مجلس الامة في هولاندة أن يقترحوا على الحكومة عدم الاعتراف باسلام أكثر من خمسة ملايين منهم وهؤلاء هم الذين أسلموا منذ أربعة قرون، وأما الذين أسلموا منذ القرن الماضي أو الحالي فلا يعتبرون مسلمين . ولم يمنع الحكومة الهولندية أن تأخذ بهذا الرأي سوى قيام بعض العقلاء المخشكين عن خبروا أحوال تلك

البلاد وتحذيرهم من العمل بهذا الرأي الذي إن كان له أقل حظ من الاجراء ثارت هناك ثورة لانهاية لها . وقالوا لاولئك المقترحين : ان الخمسة والثلاثين مليون مسلم هناك القديم منهم في الاسلام والحديث هم في درجة واحدة من الاعتصام بدينهم فلا ننهي من هذا الرأي إلا الثورة . فبايت شعري اذا كانت هواندة لا فرق عندها بين المسيحي والمسلم ولا تنظر الى الدين فلماذا يهملها الى هذه الدرجة أن يخرج رعاياها المسلمين من الاسلام فيما لو أمكن ؟ ولماذا تخصص فرنسا في جزائر الغرب جوائز لا تعطى إلا للاوربي أو اليهودي أو المسلم الذي يرضى أن يقتصر ؟

وليقل لي المكابر أي علاقة من جهة القومية أو الوطنية بين الانكليزيين النمساوية في العراق حتى نظمت منهم جيشا وانخذتهم لها بطانة منذ أول احتلالها ؟ بل أية علاقة بين الانكليز والارمن ان لم تكن العلاقة الدينية ؟ فان قيل إن سبب انعطاف الانكليز وسائر الاوربيين نحو الارمن هو كونهم اصبوا ونكبوا وتلك المذابح التي جرت ، أجبناك أفلا توجد امم وأقوام اسلامية اصبيت ونكبت وذبحها المتغلبون عليها بعشرات الالوف فهل هز ذلك من اوربا أقل عاطفة ؟ أفلم ينكب الجركس وأهل الطاغستان سنة ١٨٦٦ وأجلى منهم الروس بقية السيوف وم نصف مليون نسمة الى الاناضول فمات أكثرهم بالجوع والحر ، فمن من امم اوربة هتزل لمصيبتهم ؟ أفلم يذبح الارمن هؤلاء عشرات الالف من مسلمي شرقي الاناضول ؟ وروى القائد العام الروسي الذي كان يحارب الاتراك في جهة ارضروم انه لولاه لم يدع الارمن مسلما واحدا بعد انهزام الاتراك عن ارضروم وطرابزون ووان وورد في تقاريره وتقارير غيره من قواد الروس الى حكومتهم — وهي تقارير قد طبعت بعد الحرب — تفاصيل فظائع أوقعها الارمن بالمسلمين لا يكاد الانسان يصدقها لولا ورودها في تقريرات رسمية من قواد الجيش الروسي أعداء الترك الى مراجعهم يخبرونهم بوقائع الحال ومن جعلتها أن الارمن كانوا يجمعون المئات والالوف من الاتراك والاكراد الى الجوامع رجالا ونساء وأطفالا ويشبون فيها النار فتحترق بكل من فيها . وأنهم كانوا يحفرون أخاديد وحفرا يدفنون فيها المسلمين أحياء بين رجال ونساء وأطفال (وفي مرة اخرى نذكر هذه الوقائع تفصيلا

نقلا عن تقريرات القواد الروس لانها ليست تحت يدي في هذه الساعة) وفي أحد المواضع التي ذهب عن بالي اسمها الا قد دفنوا ثمانمائة نسمة أحياء منهم كثير من النساء والأطفال .

هذه شهادات الروس عدا شهادات غيرهم من شهد بعينه من الافرنج وروى الحق فلندع جانبا شهادات الاتراك . وهذا لا يمنع قولنا ان الارمن أيضا ذاقوا من النكبات ما هو عبرة في التاريخ وخت منهم جميعا الاناضول ، ولسنا نحاول تخفيف أخبار مصائبهم ولكننا نقول أن أوربة تهتز كلها لمصيبتهم ولا تتحرك لها عاطفة تذكر مصيبة المسلمين فلماذا ؟ أنراء لكون الارمن اوريين ؟ كلا . ان هو الا لكونهم مسيحيين . وربما قيل إن أوربة ربما لم تكن تعلم بما وقع من المصائب على المسلمين ولو علمت ذلك في حينه لم تتأخر عن اغاثتهم ، وجواب هذا بل أوربة كانت محيطة علما بكل شيء . وأتذكر اني قرأت تلغرافا في جريدة الطان بتاريخ أحد أيام تموز سنة ١٩٢٠ واردا اليها من مراسلها في القوقاس يذكر المذابح التي قد أوقعا الارمن بالمسلمين في بلاد اريقان وانهم في يوم واحد ذبحوا منهم عشرة آلاف ، وان مئات الوف منهم جلوا الى ايران وآذربيجان وكرجستان الخ ومثل ذلك المذابح التي أوقعا الاروام بالترك في ولاية ازميز وبنفس ازميز ولا سيما بايدين ، وقد كانت بمراى من كثير من الاوريين ، وأقام بعضهم أشد النكير عليها ، وبعد ذلك طلبت حكومة الاستانة من أوربة التحقيق بواسطة لجنة دولية فذهبت وفحصت وثبت وقوع المذابح وعادت فالقت بنقريها الى مؤتمر باريس وجرى توبيخ الحكومة اليونانية على ما جرى . وهذا كل ما وقع . انما جمعية الصليب الاحمر في سويسرة التي لا ينكر أحد مالها من المساعدات في هذه الموقف عند ما أرسلت وفدا لاغاثة منكوبي الاروام لم يسعها الا أن تشرك معهم منكوبي الاتراك وبالاختصار لا يوجد عاقل يقدر إن يقول إن المسلمين هم والمسيحيين شرع في نظر أوربة . والشاهد (الاخير) انه لو كان أهل الريف مسيحيين لكان الريف قد امتلأ اليوم ببعثات الصليب الاحمر من أوربة واميركا وبالاطباء والصيادلة والمتطوعين والممرضين . أهل الريف مسلمون فلذلك لا يساعدهم من أوربة أحد حتى في

الامور العائدة الانسانية ومهما قتل الاسبانول منهم قاوربة نجد ذلك أمرا طبيعيا واذا ماتوا من الجوع تأسف بعض الاوربيين عليهم من بعيد (١)
إذا فمن النفخ في غير ضرم ان تقنع المكابر بأنه مادامت حالة أوروبة الروحية هي هذه فالعالم الاسلامي لا يمكنه ترك عواطفه الدينية ولا نبذ تلك الرابطة ظهريا (٢)

وكذب وبهتان واختلاق على الناس دعوى بعضهم ان الرابطة الاسلامية تدعو العربي أن يكون عبدا لتركى لان الاسلام سوى بين المسلمين ومن من المسلمين ظلم أخاه حق لهذا أن يدفع عنه ظلمه (ولمن اتهم بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل) وكل من يشير هذه الدعوى التي لم يقل بها أحد ملقيا على دعايته الا فرنجية ستار الحمية العربية قائما هو داعية الى السيطرة الاوربية على المسلمين يحاول ان يهونها عليهم ويـبـغـيها في حلوقهم ، فتجده بكرة وأصيلا يكرر الفاظ : تركيا وترك وانراك ومستتر كين . وهو ينسى ان هذه الجمعية لا تخفي شيئا من الحقائق وانه لم يقل أحد بجواز استعباد الاتراك للعرب ولا لغير العرب حتى ولا للروم ولا للارمن ولكن كنا نحب ان نرى حجة هؤلاء الادعاء في العربية الذين يلقون دروس العروبة على مثل الامام يحيى وابن سعد وبتهمومها بالشعوبية - كنا نحب أن نراها تظهر في مقاومة الانكليز وغيرهم من الامم المستعمرة الاوربية والحال أن ضمايرهم التي تنطوي على السرور بخضوع المسلمين « لائمة راقية مثل أميركا » قد يتم عليها مثل هذه الجملة وغيرها مما حاولوا الانكار فاذا كان يجوز خضوع المسلمين لائمة راقية كما ميركا فلماذا لا يجوز خضوعهم لامتراقية كانكثرة أولامتراقية كفرنسة مثلا ؟ فقد ظهر من هنا المرمي والمغزى من هذه الدعاية ولو تظاهروا المتظاهر بالعكس

« ١ » المنار : بل سمعنا نحن في مصر باسم جمعية الرابطة الشرقية وسمى غيرنا فيها وفي الهند لارسال بعثة طبية لمداواة جرحى الريفين فتعذر ذلك وتوصلنا هنا الى الوزير الفرنسي المفوض فتوسط لنا لدى دولته بكل همة وسرعة وكانت النتيجة أن فراسة لا تسمح لنا بارسالها من حدود المغرب الذي يخط تحت حمايتها
« ٢ » بل لا نترك ولا ننبد وان تغيرت حالتها ولكن نسألها اذا سالهنا

٥٨ الاستقلال لا لشعوب أحق من تولي أركانها على من دونه المنار : ج ١ م ٢٦

وأما الاسلام فلا يأمر بالطاعة الظالم سواء كان ذلك تركيا أو عربيا ولكنه لا يجيز اطاعة غير أهله . وهو في هذا مطابق الروح الاوربية التي معناها استقلال كل أمة بنفسها وعدم قبول سلطة أجنبية عليها ، ولو كانت تلك السلطة صادرة من أمة أرقى من تلك الامة . فان درجات الرقي لا تصح في أوربة فيحصل للمسئلة الاستقلال . وكل أمة تعتقد ان حكم أمة أخرى عليها ولو كانت أرقى منها يفضي الى بوارها فلذلك كان مبدأ الاستقلال مقدما في أوربة على مبدأ سلطة الاصلح . فما لا شك فيه ان ادارة ألمانية هي أصلح من ادارة بولونية وان ألمانية أقدر على إفاضة سيلازية من بولونية ولكن تفوق الالمان على البولونيين في الادارة والعلم لا يسلب البولونيين حق الاستيلاء على ما أهله بولونيون من سيلازية ، كذلك الانكليز أقدر من الايرانيين على ادارة ايرلندة ولكن أوربة ترى حقا ان يتولى الايرلنديون ادارة أنفسهم لانهم شعب مستقل بنفسه وهم جرا

والظاهر أن بعض الذين يدعون التمدح في العربية ولا نرى منهم هذا التمدح إلا فيما يتعلق بعداوة الاتراك ضائقة صدورهم بنفرة العرب من الانكليز وعدم انقيادهم لهذه « الامة الراقية » وأكثر سخطهم هو على أهل اليمن لانهم سمعوا أن اليمن بقي اثناء الحرب متمسكا بالدولة العثمانية لا بل حارب الانكليز ومحاربة اليمانيين للانكليز زلة لا تغتفر . ورفض الامام يحيى عقد أي معاهدة مع الانكليز شي . مؤسف عندهم ودليل على قوة النعرة الدينية في اليمن وعلى كونهم يميلون الى الاتراك بسبب الجامعة الاسلامية ، فهذا مما ينبغي أن لا يكون . وأرقى رجال العرب عند هذه الفئة هو الحسين لكونه عاهد الانكليز وحالفهم ولو كانت نتيجة هذه المحالفة ما كانت ... وكان الحسين الآن يهتم أنامله عضاً من الندم ، ويليهِ ابن سعود في الرقي لكونه عاهد الانكليز ولم يحاربهم ، فهذه شهادة لا بأس بها بحجة ، ولكنه لا يبلغ درجة الحسين الذي رضي أن يحالفهم ويحارب في صفوفهم وأما الامام يحيى فهو أشد امراء العرب تأخرا ، أقلم تدلم انه حارب الانكليز وانه يعتصم بالجامعة الاسلامية ؟

نعم إن أهل اليمن والامام يحيى مسلمون ويريدون أن يبقوا مسلمين كاهل نجد

وأهل الحجاز وغيرهم وكما يريد أن يبقى أهل اوربة مسيحيين وأهل إيرلندة كاثوليكاً وأهل الاولستر من إيرلندة بروتستانتاً، وليس أهل اليمن يبدع في هذا الامر بل حسبهم أن يقتدوا بالعالم انتمدن في المحافظة على دينهم . وأما نفور أهل اليمن من الانكليز فلكون الامام يحيى وكبار اليمن يعلمون انه لا يوجا في نظر الانكليز امة ينبغي لها سلب الاستقلال بل الاضمحلال مثل العرب فانه ما دامت الهند موجودة في الدنيا فاعدي أعداء الانكليز هم العرب وأكره شيء الى انكثرة هو قيام دولة عربية مستقلة تحول بين انكثرة وبين هندها . فالامام يحيى لم يخف عليه الذي خفي على غيره وعلم موطن الداء وتجنبه وحافظ على ولاء الاثراك لاحبا بالاثراك بل بوطنه وامته، لانه يعلم أن الانكليز هم أعداء العرب ولا يجهل اطباعهم في اليمن ويرى من الحكمة أن يد يد به الى الاثراك ليكونوا ويايه على الانكليز وعدو العدو صديق كما لا يخفى

وأما تعليم هؤلاء مثل الامام يحيى العربية والعروية فهو والله من أبدع النكتات التي سمعناها اذ إن لم يكن الامام يحيى عربياً وملجأ للعرب فن هو العربي ياترى ؟ يعيبون الامام يحيى عوالة الاثراك، ومن من العرب قادم الاثراك بمقاومة الامام يحيى ؟ ومن ذا الذي جرد عليه الاثراك المرة والمرتين والثلاث المائة تابورا والمائة والحسين تابورا وعجزوا عن تدوينه ؟ أقتل هؤلاء يميز الامام يحيى بنقص الحية العربية ؟ وهل الملك حسين كان قادرا على الوقوف في وجه الاثراك لولا وجوده في صف الانكليز ؟ فلو كان الامام يحيى انحاز الى الانكليز اثناء الحرب لكان « راقياً » ولو خدعه الانكليز كما خدعوا الحسين لكان معذورا كما معذور الحسين . . . اذ كان يكفيه من الشرف انه يكون هاهنا الانكليز أعداء المسلمين عموماً والعرب خصم صا وحارب في صفوفهم وأثبت عدم مبالاته بالرابطة الاسلامية وبرهن على رقي أفكاره . . . وبعد ذلك فليكن ما كان أوليس انه يكون قد حارب الاثراك وحالف الانكليز ؟

(مقال بقية)

إيقاظ الغرب للإسلام

تقتبس ما يأتي من هذا الكتاب الذي ألقاه (اللورد هدي) الذي أسلم ولقب « بسيف الرحمن رحمة الله فاروق » لما فيه من الفوائد والعبر للمتفرجين وغيرهم . قال في أوله ما ترجمته بقلم مترجم الكتاب مع تصحيح بعض الالفاظ:



قال المستر آرثر بلفور هذه الحكمة منذ عدة سنوات « هناك ناصح واحد فقط أردأ من الخوف وذلك الناصح هو اليأس »
تملكت فتاوي تلك الحكمة في ذلك الوقت وأني للإشارة الى الموضوع المحتوية عليه الصحائف المقبلة والتنبيه المحقق الذي سألقاه لشرحي اعتقاداتي بصراحة وجلاء تام عن الدين الاسلامي أقول « ان هناك رفيقا واحدا أردأ من الزندقة وذلك الرفيق هو الخوف »

كم من الناس جعلهم « خوف » العواقب يتمسكون بالاعتراف الصريح بدين واعتقادات لا يسمون بها ولا يصدقونها في الواقع يريد كل منا أن يختار لنفسه الاحسن — أحسن الاطعمة. أحسن المساكن. أحسن المراكز. أحسن الاخوان — ولكن كم منا من فكر في أن يختار أحسن الديانات ؟ إن معظمنا راض بالدين الذي وجد عليه آباءه ، واننا من حيث حب الذات والانانية محقون في ذلك طبعا لانه يوفر علينا كثيرا من التعب فتسير متبعين الطريق التي كان يسير فيها أسلافنا رافضين أن نبحث أو ان نلقي ولو نظرة واحدة على أي دين آخر — (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا لو كان آباؤهم لا يملكون شيئا ولا يمتدون) — قرآن كريم انه من المستحيل على أي إنسان أن يصل إلى أسمي غرض في الحياة — الحياة بمعناها الحقيقي — إذا قيد نفسه بسيور العبادات التقليدية وبقي كل خلاصه على

المعمودية ومختلف الاعمال الكهنوتية . ونظرا لاني نشأت بروتستانتيا وعشت سنين عديدة في مملكة رومان كاثوليك فقد سمحت لي الفرص بسمة فائقة ان ادرس صنفين من اصناف المسيحية متبعين بذهيلتين من أهم الفصائل في الكنيسة المسيحية، وقد عشت أيضا في الشرق وانه لشد مايسرني ان أعترف بأن ليس هناك بغض بين المسلمين بل هناك المحبة بأوسع معانيها وهي منتشرة بينهم أكثر مما هي منتشرة بين المسيحيين في الجزر البريطانية فالمسلمون مثلاً متسامحون جدا ومطبوعون على إيتاء الخير إزاء جميع المسيحيين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها بإزاء بعض اني لا أنجاسر على أن أقول انه اذا عيئت لجنة من الانكليز الاكفاء حقيقة ممن هم على شاكلة المأسوف عليه اللورد سالسبري والمأسوف عليه اللورد بيكونسفيلد والمستر بلفور واللورد هالدين والسير روفس امحقاق الخ لفحص الدين الذي يجب أن يتدين به العالم كله لاجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامي الذي يشهد له العقل والذي يجيب رغبة القواد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى

اني لا اعتذر من أجل وضعي للفصول القليلة التي ستظهر بين غلاف هذا الكتاب وليس لدي أقل خوف من الاتهام بالالحاد والجهود للدين سأرمي بهما لا بتمادي عن المسيحية واعتدائي بهدي الاسلام اني لا اعتقد وما سبق لي أن اعتقدت قط انه من "ضروري" لخلاص أن اصدق ألوهية المسيح أو اذاعتقد الثالث أو المعتقدات الاخرى التي تدعي الكنيسة انها ضرورية للخلاص . اني أو من برسالات الله السماوية المرسلات انا على لسان رسوله المصطفين .

مقدمه

لكي أقدم الصحائف المقبلة الى القراء لأجد خيراً من اعادة نشرها هنا لمقالة صغيرة من قلمي ظهرت في احدى جرائد لندرة الاسبوعية في نوفمبر سنة ١٩١٣ ظهرت في جرائد عديدة قطع تشرح معتقدي الديني وانه ليبرجني ان

أرى كل ما وجه الى من الانتقاد لغاية الآن لم يكن الا بلطف متناه — اذ لا ينتظر أن تخرج خطوة معلومة عن خط سير مألوف دون أن تستوقف النظر .

« ورد لي في أحد الايام خطاب من أحد المسيحيين المثاليين يخبرني فيه بأن الدين الاسلامي إنما هو دين لذة وان النبي كانت له زوجات عديدة وان ذلك قاعدة في الاسلام . فما أغرب هذه الفكرة عن الاسلام الا انها فكرة راسخة في عقول تسعة وتسعين المائة من البريطانيين الذين لم يعنوا يبحث الحقائق الواضحة لديانة ما ينيف على مائة مليون من رعاياهم ولو درسوا تلك الديانة لتبين لهم أن نبي بلاد العرب صلى الله عليه وسلم كان مشهورا في كبح النفس عن الهوى وردها عن الشهوات وكان مخلصا لزوجته الوحيدة السيدة خديجة التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسائله السماوية ، وبعد وفاتها تزوج بالسيدة عائشة وقد تزوج أيضا ببعض أيام متبعيه الذين استشهدوا في اعلاء كلمة الله وذلك لا بدافع الشهوة بل لكي يمولن ويمنعهم مساكن وينزلون منزلة ماكن ليحصلن عليها لولاه » نحن معشر البريطانيين نعجب بأننا نحب العدل والانصاف ، ولكن أي شيء أعظم جورا وحيفا من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الاسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو بمجمل بسيط من عقائده حتى إنهم لا يفقهون معنى لكلمة (الاسلام)

« انه من المحتمل أن يظن بعض من أصدقائي انني قد غلبت على أمري أو سيطر على المسلمون إلا ان ذلك ليس بحقيقى لان اعتقاد أي الحالية ماهي النتيجة بحث سنوات عديدة وان كانت مناقشي الحقيقية مع معلمى المسلمين في موضوع الديانة لم تبتيدي . الا منذ زمن قريب وانني لمحتاج الى القول بأنه قد غمرني الفرح عند ما وجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة للاسلام — ان أخي خواجا كمال الدين لم يحاول إثباتا أن يتسلط على فؤادي ولو قليلا فانه كان دائما مثال الامانة والصدق اذ قد شرح لي في ترجمة القرآن الكريم الذي استطعت أن أفهم معناه من الترجمة المشوهة المنتشرة بين المسيحيين فأثار من هذه الوجهة لمحة الواضحة التي تسير فيها جمعية التبشير الاسلامية قائما باحتالت ولا خدعت

أحدا قط فالهداية كجاء في القرآن الشريف يجب أن تكون بحسن الرغبة والاختيار ومن تلقاء النفس . لذا لم يرتكب خواجا كمال الدين أي صفة من صفات الاحتيال والخديعة وقد أراد عيسى نفس تلك الصفة عند ما قال لحوارييه « وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوه من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم »

« وقد علمت أمثلة كثيرة جداً من البروتستانت المتعصبين الذين ظنوا أن من واجباتهم أن يغشوا بيوت الرومان الكاثوليك فيحتالوا على من يقطنها لنقله إلى دينهم ومثل هذا العمل المثير إلى الذي لا يليق بكرامة جاره وطباعه كرهه جداً أدى إلى إثارة العواطف وإيجاد النزاع الذي جر عليهم الأذى والاحتقار. واتي لا تألم جد الألم عند ما يمرض لفكري أن أولئك المبشرين المسيحيين حاولوا ذلك مع المسلمين أيضاً وإن كان لا يوجد هناك باءث يدعوهم إلى هداية هؤلاء الذين هم « أصبح منهم مسيحية » وأفضل منهم أنفسهم في مسيحتهم وقد عجزت تماماً عن أن أعرف لم فعلوا ذلك . إني لم أقول « أصبح منهم مسيحية » جزافاً بل بعد إعمال العقل والروية لأن المحبة والالفة والتسامح في الدين الإسلامي أقرب جداً لما أتى به المسيح مما عليه رجال المسيحية في الكنائس المتنوعة

خذ مثلاً العقيدة الانسيانية التي تختص بالثالوث بحالة مشوشة لا يقبلها العقل ترائه من الواضح جلياً أن هذه العقيدة المهمة عندهم للغاية والتي تعتبر إحدى العقائد الرئيسية للكنيسة تمثل المذهب الكاثوليكي وانا اذا لم نعتقد بها نهلك هلاكاً أبدياً، وهكذا نؤمن بوجوب اعتقاد الثالوث ان أردنا الخلاص أو بطريقة أخرى نقول إن الله رحيم وقادر على كل شيء وفي الوقت نفسه تهمه بالظلم والقساوة الذين لا نستطيع ولا نرضى أن نقسبها إلى أنقطع سفاكي الدماء من الظلمة البشرية كأن الله الذي هو أمام الجميع وفوق الجميع يتغلب عليه اعتقاد مخلوق ضعيف فان في الثالوث

« هنا مثل آخر يدل على عدم وجود الحسني لديهم : وصاني خطاب لمناسبة اتجاها نحو الاسلام أخبرني فيه كاتبه بانني اذا لم أعتقد الوهية المسيح لا يمكنني

الخلاص - إن مسألة الوهية المسيح ما ظهرت لي قط أنها مهمة - هل أرسل المسيح رسلا من البشر برسالات الهية ؟ لو كان عندي الآن أي شك في تلك النقطة الأخيرة لا أتمنى ذلك جدا إلا أنني أشكر الله سبحانه وتعالى لعدم وجود هذا الشك أرجو أن يكون اعتقادي في المسيح وتعاليمه ثابتا جدا كاعتقاد أي مسلم أو مسيحي حقيقي آخر لأنني سبق لي أن قلت مرارا أن الديانة الإسلامية والديانة المسيحية كما علمت بالمسيح نفسه هما اختان ولم يفصلهما عن بعضهما إلا المذاهب ولا مصطلحات المسيحية فقط التي يمكن الاستغناء عنها بكل سهولة وارتياح يطلب منهم أن يعقدوا هذه المذاهب والمقائد التي لا تفهم وهناك بلا شك رغبة واشتياق إلى ديانة تقبلها العقول والميول . فمن سمع بمسلم ارتد إلى الكفر والالحاد ؟ ربما كانت هناك حالات من هذه إلا أنني أشك جدا فيها « انني اعتقد أن هناك آلاف من الرجال والنساء أيضا مسلمين قبا ولكن خوف الانتماء والرغبة في الاعتماد عن التعبد الناشيء على التغيير تآكرا على منعهم من اظهار معتقداتهم - انني خطوت هذه الخطوة وانني أعلم علم اليقين ان كثيرا من اخواني واقاربي ينظرون إلى الآن كروح ضالة ويصلون من أجل . إلا اني لست - في الحقيقة - في اعتقاداتي اليوم إلا كما كنت منذ عشرين سنة تماما ولكن مراحت في القول هي التي افقدتني حسن ظنهم بي الآن وقد شرحت بعضا من الاسباب التي جعلتني اتبع الدين الاسلامي وقلت انني اعتبر نفسي الآن اني أصبحت باسلامي مسيحيا أفضل مسيحية مما كنت عليه من قبل - فأمل أن يتبع الآخرون مثالي ويعتقدون أحقية الاسلام الذي أقر بكل شهادة وفخر أنه أصبح الأديان ، أنه متصل السعادة لأي ادري . ينظر انه هذه الخطوة كخطوة متقدمة لا كخطوة مضادة للمسيحية الحقبة بأي وجهه » (المنار) سبق لنا نشر هذه المقالة في المنار عقب شيوع اسلام الورد هدي

ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله

٣

ذكرنا في المقالة الثانية جملة مطالب الأزهريين التي نظرت فيها لجنة الحكومة وما قبلته وأقرته وصدر أمر الوزارة بتنفيذه . وكان طلبة الأزهر قد طبعوا مذكرة تفسيرية لمطالبهم الخاصة ورفعوها الى البلاط الملكي والوزارة ووزعوا منها نسخا على من يرجون عطفهم ومساعدتهم . من أصحاب الشأن فرأينا نشر تفسيرهم لمطالبهم استقصاء للمهم من تاريخ هذا الطور الجديد للأزهر وتمهيدا لما سنبينه من رأينا فيه وهذا نصها بعد تمهيد وجيز جملوه مقدمة لها :

« المطلب الاول » « حسبان الأزهر جامعة كبرى تتكون عناصرها من الأزهر والمعاهد الدينية الحالية ومدارس القضاء الشرعي ودار العلوم والمعلمين لا ولاية بشرط أن تكون هذه المدارس كلها تابعة للأزهر تبعية فعلية حتى يتوصل بذلك الى توحيد جهات التعليم الخاص بالشريعة واللغة العربية »

هذا هو المطلب الاساسي الذي لا يمكن أن ينال الأزهر غايته من الإصلاح والكرامة بدون ، على أنه في الواقع من أساليب الإصلاح الاولى القاضية بعدم التجزئة في المعاهد التي يتحد فيها نوع التعليم وجوهره وهذه المدارس في الحقيقة أجزاء للأزهر وأعضاء فصلت منه . ولا يمكننا أن نفهم انزالها عنه مع ما بينها وبينه من الصلة الظاهرة في اتحاد الغرض وتساوي برامج التعليم أو تقاريرها . بل وفي زعم الطلبة أيضا . ولم يشاهد الناس فيما شهدوا أن تقطع الصلة في المعاهد التي من هذا النوع ، ويفرق بينها هذا التفريق الكبير ، إلا في مصر

ان الحقيقة المرة نجر بها الآن وهي أن الغرض الواضح من وجود المدارس المشار اليها على نظامها المعروف هو أن يترك الأزهر وشأنه مهملًا منسيا يشقى طلابه

وخرى مجوه ولا يؤدي وظيفته في المجتمع إلا بالمقدار اليسير الذي نراه في الوقت الذي
تخص فيه هذه المدارس بالعناية والرعاية حتى يعد خريجوها لأقصى درجات
النفع والانتفاع

وهذه هي الفكرة الخطرة على الأزهر فقد كان لها أسوأ النتائج في عرقة سيره
ووقوفه دون الغاية التي أداها للإنسانية في أزمنة متطاولة . وإذا كان مثار التفكير
في إيجاد هذه المدارس ما كان يشاع من تعمس الإصلاح في الأزهر ، فلا عذر اليوم
وقد تطور الزمن وأصبح الأزهر نفسه ينادي بالإصلاح غير آنف من كل عمل
يكسبه صبغة عصرية صالحة مادامت لا تتناقى مع صفته الدينية قالوا يجب إذن أن
يقابل نداؤه بالترحاب . وأن يمدل عن عزل هذه المدارس التي اقتضت الضرورة
عزلها كما يقولون . ويكون من الجميع جامعة شرقية سامية تقدم للبلاد الإسلامية عامة
ومصر خاصة ما كانت يؤديه الأزهر في زمنه الخابر من ثمرات ناضجة في العلوم
والآداب . أما بقاء الحال على ما هو عليه اليوم فلا معنى له غير القضاء على الأزهر
وتقويض ما بقى من أثره في حين أن هذه المدارس تندسم وتنمو بما يسدى إليها
من ضروب الرعاية والعتاف وهذا لا ريب مناف للعدالة . موجب للتنافر والشقاق
بين أبناء الطائفة الواحدة ، وهو فوق ذلك تدير خطر بالنسبة إلى المصلحة العلمية
العامة ، فإن الأزهر قوة كبيرة إذا عني بها جنت الأمة منها أوفر الثمرات وانضجها
ولا سيما في الظروف المقبلة التي يتحتم فيها تعميم التعليم بين أفراد الشعب ، ولقد
بدت مخاطر العزلة التي يشقى بها الأزهر فعلا في أزمة المعلمين التي تعالجها البلاد في
العهد الأخير . فليس من الحزم أن يستفحل الداء والدواء قريب

لسنا نريد أن نلغي هذه المدارس كما يدعى بعض المقرضير (١) ولكن مطالبنا واضح
جلي . وهو كما قلناه إدماجها في الأزهر مع ادخال الإصلاح على برامجها متى كانت

(١) المنار يستعمل لفظ المقرض عند العوام وفي الجرائد بمعنى ذي الغرض
والهوى النفسي وهو المراد هنا ، وإنما بينا هذا لأن قراء المنار في الاقطار التي
لا تستعمل فيها هذه الكلمة بهذا المعنى لا يفهمونها وإذا راجعوها في مجامع اللغة
المعدولة لا يجدونها

الحالة تقضي بذلك . وهذا مطلب لا غبار عليه ولا يمكن أن ينازع فيه من يريد الإصلاح . وبودنا أن يفتن إلى ذلك كل مفكر ليعتقد أن الأزهر يريد الخير لمحض الخير ، ولهذا فليعمل العاملون

(المطلب الثاني) تعديل قانون التخصّص بجعل مدة الدراسة فيه سنتين فقط على أن تكون مدرستا القضاء الشرعي ودار العلوم فرعين من الأزهر ، الأولى لتخصّص في القضاء الشرعي ، والثانية لتخصّص في اللغة العربية ، وباقي أقسام التخصّص في الفنون الأخرى بالأزهر (مع إضافة قسم جديد لتخصّص في العلوم الرياضية) على أن يكون الانتساب مقبدا بالحصول على شهادة العالمية من الأزهر —

يتناول هذا المطالب أمرين أولهما يتعلق بقسم التخصّص وثانيهما بالنظام الذي يتبع بعد ضم مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي إلى الأزهر . أما فيما يرجع إلى التخصّص فنطلب أن تخفّض المدة الدراسية فيه إلى سنتين فحسب إذ كان الغرض الذي أنشئ من أجله هذا القسم هو التفوق في ناحية خاصة من العلوم التي تلقاها الطلبة . وهذا المبدأ وجيه لا اعتراض عليه ؛ ولكن المدة المقدرة له من الطول بحيث لا تتفق مع المصلحة فهي إذا أضيفت إلى مدة الدراسة العامة (اثني عشر عاما) كان المجموع ستة عشر يضاف إليها ما يمكن أن يمرض الطالب من الرسوب وهو أربعة أعوام فيكون المجموع عشرين عاما دراسية وهي مدة لا نظير لها في معهد من معاهد التعليم فالشأن في مدد الدراسة أن يراعى فيها القصر الممكن حتى توجد لمتعلمين فرصة من العمر صالحة للانتفاع بما حصلوا عليه من العلم

على أن مدة السنتين تعد كافية للاستزادة من علوم كررها الطالب مرارا ونال الشهادات الدالة على تضاعفه منها . وإذا غضضنا الطرف عن ذلك ونظرنا إلى نظام الدراسة قام الدليل واضحا على وجوب اختزال المدة فإن طلبة التخصّص بالأزهر لا يتلقون غير حصّة واحدة في اليوم فلا مانع مطلقا من مضاعفة الدراسة عوضا عن طول المدة التي يجب أن تستنفد في الصالح العام . وأما في تخصّص القضاء الشرعي ، فإن العلوم التي تدرس فيه من اللغة والسهولة بحيث يستطيع دواستها

باتقان في عامين مع مراعاة أن التخصص في الأقسام كلها إنما هو في العلم لا في الكتب كما هو في المتبع الآن

أما الأمر الثاني المتعلق بمهمة مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي بعد ضمها إلى الأزهر ، فينحصر طلبها في أن تعاون هاتان المدرستان الأزهر على خدماته الجليلة ، وتكونا قسمين من أقسام التخصص الذي أنشئ له في الأزهر سبعة أقسام في شتي العلوم فتقتصر دار العلوم على حاملي شهادة العالمية لأزهرية للتخصص في العلوم العربية وتلقي ما يجب تلقيه لقيام بمهمة التعليم . ولا ريب أن قصرها على هذه المهمة بعد أن يكتمل نضوج الطلبة في الأزهر بعيد عصر أمر دهرها بالادباء والقويين . ويثبت في البلاد روحا جديدة في هذه الناحية الفقيرة ناحية الأدب واللغة كما أنه ينشئ في بلاد نشأ يؤدي للتعليم أجل الخدمات

أما مدرسة القضاء فتخصص لتأني العلوم المؤهلة لتولي مناصب القضاء الشرعي التي لم تدرس بالأزهر . وهي وإن كانت الآن معدة لذلك فعلا إلا أنها ليست تابعة للأزهر تبعه فعلية . ومدة الدراسة فيها تزيد عن حاجة العلوم التي تدرس بها الآن ويجب التنبيه عليه أنه يلزم أن ينشأ في قسم التخصص بالأزهر فرع جديد للعلوم الرياضية بجانب ما فيه من العلوم الأخرى فإن هذه العلوم لا مندوحة عن التوسع فيها في هذا العصر ، كما أنها ضرورية لأداء المهمة العظمى التي تطلب من جامعة الأزهر . ولأنشاء هذا الفرع ميزة أخرى هي استغناء الأزهر بخريجيه في القيام بتدريس هذه المواد بالأزهر . وتولي الأعمال الإدارية والحسابية على أتم وجه ، وفيه أيضا فتح مجال الأعمال أمام خريجه بالقدرة على تعاطي الشئون الحيوية النافعة

(المطلب الثالث) المساواة الفعلية بين حاملي شهادات الأزهر ونظرائهم من حاملي شهادات وزارة المعارف فتساوى الشهادة الأولية بالابتدائية والثانوية بالكالوريا . والعالمية بالليسانس وشهادة التخصص بالدرجة وذلك فيما يختص بمميزات من المرتبات والترقيات واحتساب المعاشات مع حفظ الامتيازات الخاصة بهم مثل (كورونات) السكك الحديدية

من المؤلم أن تجتمع على الازهر عزلة عن الاشتراك بقسط وافر في الاعمال العامة ، والغبن الفاحش في المرتبات والحقوق التي ينالها من أسعده الحظ من خريجه فعلى الرغم من أن الشهادات التي يحصل عليها الازهريون معتبرة كمنظيراتها من الشهادات التي تعطى لتلامذة المدارس ، فإن البون شاسع جدا بين مرتبات هؤلاء ، وأولئك ومثل هذا يقال عن نظم الترقيات والمعاشات فالشهادة الابتدائية الازهرية سالب من حاملها حق التوظيف مطلقا وعلى ذلك لا يمكن مقارنة حقوقها بالابتدائية في المدارس ، والثانوية الازهرية اذا سمح لحاملها بالتوظيف في مثل الامامة والخطابة مثلا يفرض لها مرتب يتراوح بين جنيه وثلاثة جنيهات ولا ريب أنه لانسبة بين هذا المرتب الخفي وبين مرتب حامل (البكالوريا) إذ يتقاضى ثمانية جنيهات شهريا

وأما الشهادة العالمية التي هي شهادة عليا فإن نصيب حاملها اذا كان محدودا والنحق بوظيفة تدريس في المآهد الدينية أن يعطى له عشرة جنيهات في حين أن مثيلاتها من الشهادات العليا تنيل صاحبها الحق في تقاضي خمسة عشر جنيها شهريا ، وهذا الذي ذكرناه في مرتبات الازهريين إنما هو بالنسبة الى الوظائف التي تعد رئيسية . ومن ذلك يمكن ادراك المرتبات الضئيلة التي تفرض للوظائف الاخرى ففي وزارة الاوقاف يعطى حامل العالمية في وظيفتي الامامة والخطابة مرتبا يتراوح بين أربعة جنيهات واثني عشر جنيها ، مصر يا حسب التعديل الاخير في حين أن فقهاء المكاتب يتقاضون من ستة جنيهات الى ثمانية عشر ...

ومثل هذا الغبن في المرتبات واقع في الترقيات والمعاشات فالترقيات في الازهر تسير ببطء يبيد العزم ولا يشجع على العمل ، وهي في غيره تبعث الامل وتحبي الرجاء ، اما المعاشات فلا تخطيء اذا قلنا إنها في الازهر تكاد لا تكون شيئا . ونحن لا ندري سبب هذه التفرقة البينة الغبن مع أن المجهودات التي يصرفها طالب المدرسة تقل كثيرا عن مجهودات الازهري مع أنه يمتاز أيضا بشرف الانتساب الى الدين ، فينبغي ان نحفظ كرامته وتسان حقوقه حتى لا يخدم العامة وهو مطمئن على مستقبله ولا سيما اذا ذكرنا أنه فوق صفته الدينية قادر على سد

حاجات الامة في كثير من الشئون العامة التي تستلزم الدراية والكفايات المختلفة بما يتجمل به من شتى الفنون التي تدرس بالازهر
أما (الكوبونات) التي تعطي العلماء حق السفر بأجور مخفضة فان لها معنى
ساميا عرف أن العلماء خلية نون به من زمن بعيد فينبغي أن يبقى مادامت لهم
كرامة ومكانة خاصة

(المطلب الرابع) تنفيذ الحقوق التي كفلتها القوانين واللوائح لحملات الشهادات
الازهرية المعطل العمل بها الآن —

إنما تلتمس الشهادات لتتأججها المترتبة عليها للدوائها . ومن المسلم به أن كل
عمل لا فائدة له مبعوض مكروه . وبودنا أن يكثر الاقبال على التعليم الديني حتي
نعم تعاليمه الافراد والجماعات ولا يمكن ذلك إلا اذا كان للشهادات التي تعطي
لطالبي قيمة مادية تغني عوزهم وتسد حاجته على أن الواقع يخالف ذلك في الازهر
ويسوءنا أن نقول : ان الازهر له هذه الخاصة وحده دون معاهد العلم كلها
فقد سطرت ميزات الشهادات في الاوراق ولا شيء غير ذلك ، ففي القانون
نمرة ١٠ نص على أن حامل الشهادة العالمية الحق في وظائف القضاء الشرعي ،
والكتابة بالمحاكم الشرعية والاقواف والمجالس الحسينية والتدريس بالازهر والمعاهد
الدينية الخ وحامل الشهادة الثانوية الحق في وظائف الخط والاملاء والوظائف
الكتابية بالجامع الازهر والمعاهد الأخرى والمحاكم الشرعية والاقواف والمجالس
الحسينية والامامة والوعظ الى الخ أما الابتدائية (فيظهر أنه لا يصح أن يكون لها
ميزة حتى ولو على الورق فأنبت ميزتها . . .)

فاذا أراد الطالب أن يلتمس طريقا مما ضمنه القانون لاحدى هذه الشهادات
بعد حصوله عليها رغبة في حفظ اوده وجد الابواب موصدة دونه . ويسوءنا أن
كثيرا من حملة العالمية لا يجدون مرتوقا يقيمهم ذل الحاجة ، حتي وزارة الاوقاف
التي هم أشد الناس حلة بها لا تقبل أحدا منهم في وظائفها الكتابية وكانت نتيجة
هذه المعاملة الشديدة أن كثيرا من العلماء قدوا أنفسهم الى مجالس المديرية
للتدريس في مدارسها فرفضت ومرت هذه الهدوى الى المدارس الأهلية فاشتد

الداء ، وثقافات وطأته على هؤلاء الذين قضوا حياتهم في خدمة العلم . وذلك ما يسيل
النفوس أسفاً على كرامة العلم والدين

ليس في وسع العالم الديني أن يتناول عملاً دينياً حرصاً على شرفه كما أنه لم يلق
من عناية أولى الأمر به ما يجمله كغيره من الطوائف المتعلمة سعيداً أو على الأقل
مطمئناً على مستقبله ، فبقي أن نسأل ولادة الأمور عن مصيره ؟

الحق أن شيئاً كبيراً أن يترك هؤلاء "علماء" لمويلهم من ثقل البؤس في هذا
العصر مع أنهم في كل العصور كانوا موطن الاحترام والرعاية ، ولنا نطلب الا
مارضي به ولادة الأمر ووضعوه من تلقاء أنفسهم في (قانون) يجب أن يكون نافذاً
وأن لا يكون حبراً على ورق وإذا طلبنا ذلك بالنسبة لحاملي العالمية فطلبه أيضاً
بالنسبة الى حملة الثانوية والابتدائية فقد يحدث كثيراً أن يتخلف الطالب من
الدراسة بعد نياله إحدى هاتين فليس من العدل أن يحرم ثمرة عمله والقانون
صريح في حفظ حقه

(وبعد) فالطريق الطبيعي في التعليم أن يوجد للطالبة ضوء من الأمل يكون
مثيراً لهم مشجعاً لهم . وإلا انصرفوا عنه وعافوه وذلك مالا يصح أن يكون
وخصوصاً في المعاهد الدينية

(المطلب الخامس) إقرار مشروع التعليم الديني في المدارس وهو الذي
واقفت عليه عليه وزارة المعارف في إحدى الوزارات السابقة حيث إن تنفيذ
ضروري لصالح الأمة ، واسناد القيام به الى خير نجلي الأزهر خاصة —
كان الدين ولا يزال مبعث سعادة الأمة ومصدر مجدها فهو حافظ شخصيتها ،
ومظهر آدابها . وهو المحور الذي تجتمع عنده القلوب وتتحدد النزعات والآمال .
فأما أمة أقامت للدين وزنه ، وعرفت خطره ، كان لها ما نشاء من عزة وسلطان ،
وعلى العكس من ذلك أمة تنفذ أحكامه ظهرياً

وانه لمن المحزن أن تخلو مدارسنا المصرية من تعليم للدين ونشر آدابه السامية .
ولا ندري ما الذي وصل بمدارسنا الى هذا الخضم مع أنه يدرس (بين) جدرانها كثير
من العلوم قد لا يكون بعضها ضرورياً ، فالحق أنه يجب وضع حد لهذه الحالة المذمومة

اذ لو استمرت لاصبح الدين وقد تقلص ظله . وضمفت شوكته . وان الازهر الذي في عنقه أمانة الارشاد والمحافظة على الدين لا يمكن ان يجمد بازاء ذلك بل يطلب ويلج في الطلب بان يعنى بالدين العناية الكافية فتذاع آدابه وتعاليمه الجائلة في نفوس أبناء الامة . حتى لا يطغى على أفكارهم اللثة سيل الباطيل فيخرجوا على دينهم كما هو شأن المتعلمين اليوم ، فان كثيراً منهم قد استهواه التقليد الاعمى فبذ دينه ، وذلك ضرر لا يصح السكوت عليه بل يجب العمل على استئصال شأفته ، ولن يكون ذلك بغير الدين . ولا يضر وزارة المعارف ان يتلقى التلاميذ بجانب ما يتلقونه — مما ينفع ولا ينفع — هذا العنصر الضروري لحياة الافراد والامم . وإذا قال الازهر ذلك فهو يتكلم بلسان آباء التلاميذ وأولياء أمورهم الذين يسرهم أن يكون أبناءهم واشدين دينيين ، لا ملاحدة مارقين . ومما يمكن أن يعتبر دلالة على وجوب تنفيذ هذا المطالب انه كاد (يبلغ) تمامه في عهد احدى الوزارات السابقة بعد ان نهيها اليه أحد (١) علماء الازهر الاعلام ، على انه لا يمكن أن يؤدي الامر على وجهه الصالح الا اذا جعل تعليم الدين أساسيا وأسند تعليمه من الآن الى المتفصلين منه الواقفين على أمراره فهم وحدهم البصرون بطرق التفهم والاقناع النادرون على رياضة النشء الى أقوم الطرق بالقدوة والموعظة الحسنة ، وليس لطائفة أن تنازع الازهريين هذه المقدرة أو تطعم في هذه المنزلة دونهم . ولذلك نطالب إسناد التعليم الى علماء الازهر دون سواهم حتى يتوصل الى الغرض المروم

(لأمقال بقية)

(١) فضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبو العيون

باب الانتقاء على المنار

وهب بن منبه وكعب الاحبار

حضرة ملجأ الباحثين السيد محمد رشيد رضا المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد جرحتم الخبرين وهب بن
منبه وكعب الاحبار في تفسيركم بالمنار قوله تعالى (قالق موسى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين) بأنهما (١) روى أخبار غرائب بني اسرائيل ومنها موت خمسة وعشرين
الفا من قوم فرعون فزعا من ثعبان العصى (كذا) (٢) وكانا يدايان في الدين
يكذب الرواية (٣) ومن جمعيتين دبرتا قتل الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان رضي الله عنهما

ولكون الخبرين من رجال كتب الحديث الصحيحة التي صار التعويل عليها
في الدين الاسلامي بعد القرآن الكريم وكان هذا لتجريح غير منطبق على ما عرف
عنهما عند علماء الحديث وقد صرحتم بأنه بحسب الغالب على ظنكم. وكان يترتب
عليه الخط من اعتبار الحديث الشريف عند المطلعين عليه من قراء المجلة ممن
لا يعرف عنهما سوى ما قلتم لوجود اسميهما في كتبه (كذا) مع أن الامة محتاجة للتمسك
بالسنة لان سعادتها وانقاذها مما هي فيه متوقفان على العمل بها والرجوع اليها كما
كان سلفنا الصالح فيعود اليها ما كانوا فيه من عز ومجد

فبا في دفع ما يشين السنة المحمدية أحبت نشر مادونه المتقدمون في توثيق
الخبرين. بتدا بقاعدة من كتاب الجرح والتعديل للعلامة العاسمي حيث نقل بالصحيفة
الخامسة عن المحدث السيوطي عبارة الاصولي صاحب كتاب الاقتراح أن من
(الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي) تخرج أحد الشيخين له في الصحيح وان
تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت اليه . والخبران خرج لهما أحد الشيخين
البخاري في صحيحه (كذا) وكذا باقي أصحاب الكتب الصحيحة مسلم وأبوداود
والنسائي والترمذي كافي خلاصة تذهيب السكك الخزرجي (كذا)

وحينئذ لا يلتفت لتضعيف ابن الفلاس اسيدنا وهب خصوصا وأنه لم يبين

وجه التضعيف والمنقرر في فن المصطلح أن التجريح لا يقبل إلا مع البيان وأن جرح الواحد غير متفق عليه (كذا)

ومما يدل على ورع سيدنا وهب ما نقله البخاري في أول كتاب الجنائز ونسبه « وقيل لو هب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك » يريد أن يلتزم السائل العمل بالأحكام الشرعية ولا يرتكن على مجرد النطق بالشهادتين ومثله قوله (مثل الداعي بلا عمل مثل الرامي بلا وتر) كما نقله صاحب الفتح في هذا المكان (١) وصنع البخاري في باب مطال الغثي ظلم من كتاب الاستقراض يدل على عظم سيدنا وهب أيضاً حيث قال في سند الحديث هكذا (عن همام بن منبه أخيه وهب) وما كان همام مجهولاً فنسبه إلى وهب لتعريفه بل هو معروف وأخذ عنه أصحاب الكتب السنة الصحيحة . وما كان البخاري لينسب راوية همام وهو بمنزلة شاهده إلى فاسق أو متهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هي نسبة شريف أراد بها التأكيد في تزكية راويه

ومن الحكم المأثورة عن سيدنا وهب قوله : العلم خليل المؤمن والحلم وزجه والعقل دليله والصبر أمير جنوده والرفق أبوه واللين أخوه : فجعل للمؤمن دولة من نفسه . نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمته في كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال وكعب الاحبار فضلاً عن أخذ المحدثين عنه لم يطمئن عليه أحد منهم والمذكورة التي دارت بينه وبين أبي هريرة حال رحلته بالشام « في الساعة التي في يوم الجمعة » من الحجج الدينية الإسلامية التي يشير إليها قوله تعالى (أولم يكن آية أن يطلع علماء بني إسرائيل) كما هو موضح بوطأ الامام مالك . ويكفيه توثيقاً أخذ أبي هريرة عنه وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين نص على ذلك صاحب الخلاصة المذكورة عند ترجمته باسم (كعب بن مائع الحميري أبو اسحق الجبوري قال بالهامش

« ١ » المنار : ونقل في الفتح انتقاد الداودي لكلمة وهب وكونها مخالفة لمعنى الباب الذي رواه البخاري بعدها وهي على كل حال لا تدل على الورع ولا الورع يقتضي صحة الرواية مطلقاً وكذا نطقه ببعض الحكم

وهو المعروف بكعب الاحبار الخ)

أما عن نفي أوجه الجرح الثلاثة السالفة :

فالأول غير جارح أصلاً لان أخبار بني اسرائيل ليست مما تعبدنا الله بها ولم نلزم بالتحري في نقلها الزامنا بنقل الاحاديث الاسلامية للارواة امام الشافعي في رسالته الاصولية الشهيرة في أواخر (باب تثبيت خبر الحجة) بسنده أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » وحدثوا عني ولا تكذبوا علي » ورواه صاحب كتاب رميز الاحاديث في حرف الحاء بالنظ (حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فانكم لا تحدثون عنهم شيئاً إلا وقد كان فيهم أعجب منه) عن الشافعي وابن منيع وصححه البخاري فأى وزر على من بلغه هذا الحديث فحدث بأخبار بني اسرائيل على علانها كما سمعها مادام أنه لم يرد في ديننا ما ينم عن ذلك ولم تصادم أصلاً من أصوله ولا كانت منسوخة هذا وبمراجعة تفسير ابن جرير عند هذه الآية وجد أن في سند الخبر عتوت الخسة وعشرين الفا من هو مجهول فيحتمل أن هذا المجهول هو الواضح لهذا الخبر والاصرب حمله على الحديث السالف اذ لا ضرر علينا من ذلك ديناً ولم تكلف بشيء محسوس أخبار بني اسرائيل والبحث في أسانيدنا وتبعثها عليهم

(الثاني) لم نعلم أحد أقبل الا أن نسبهما للكذب والفس في الاحاديث الاسلامية . وكل ما نسب اليهما من بعض المتأخرين هو الاكثار من أخبار غرائب بني اسرائيل وقد علمت ما فيه ولم يصرح الامام أحمد بأن سيدنا وهب كان يختلف الى قومه بعد اسلامهم ليكذب أو يدس والا قرب حمله على التودد والارشاد وقد ترجم للخبرين ابن جرير الطبري في تاريخه بالجزء الثالث عشر في ضمن الدالين للأخبار من التابعين وهو بصفته . ورخ يحكي كل ما قيل فلم تصدر منه كلمة تشتم منها هذه الزائفة بل بعكس ذلك أفاد ما يدل على جلالتهما وحكي اسيدنا كعب حادثة تدل على شدة ذكائه وتدينه فانظره

(الثالث) أن نسبتهما إلى جهميتين دبرتا قتل الخليفين غير معقول من الوجهة التاريخية فان الخليفة الثاني قتل سنة ٧٣ هـ وسيدنا وهب قتل ظاهراً أيضاً

سنة ١١٠ هـ أو سنة ١١٤ هـ فيكون بينهما تسعين عاما (كذا) تقريبا فلا يبعد أن يكون لم يولد وقت قتله . وسيدنا كعب كان مقيما بالشام بعيدا عن الفرس . وجمعية السبتيين لم تؤلف بعد لان عبد الله بن سبأ رئيسها لم يظهر الا في خلافة سيدنا عثمان واكثر المؤرخين على أن قتل الخليفة الثاني فردي (كذا) وأن الذي قتله هو أبو لؤلؤة غلام سيدنا الخيرة بن شعبة الذي بعثه وهو عامل على الكوفة ليقوم بالصنائع التي تنفع المسلمين وكان ضاربا عليه مائة درهم في الشهر فتظلم منها الى الخليفة فلم يرها كثيرة فخنق عليه وقوله بعد أيام وحينئذ لم يكن مرسلا من جمعية مسرية والخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ هـ فبينه وبين سيدنا وهب نحو الثمانين عاما فان كان وجد فالأقرب انه كان حينئذ في سن الطفولية وإقامته كانت بصنعاء بعيدا عن مراكز الجمعيات التي حكي عنها تدبير قتل الخليفة أما سيدنا كعب فقد توفي سنة ٣٢ هـ أي قبل قتل الخليفة بثلاثة أعوام كما ذكره صاحب الخلاصة المذكورة على أن الحالة تشهد ببعدهما عن مثل هذه الاحوال لانه لو نسب اليهما ذلك اشاع واشتهر فلم يأخذ بهما أحدهما المحدثين وخصوصا البخاري الذي كان يتمتع عن الاخذ عن الراوي لادنى شبهة قيلت فيه وإضا الحكي عنهما ذلك أحد المترجمين لهم المذكورين ومع أن الحافظ الذهبي التزم في كتابه تذكرة الحفاظ أن يذكر فيه المحدثين الموثقين فقط وقد ذكرهما (كذا) بترجمتين مستفيضتين عن علمهما وورعهما وكفى بذلك توثيقا. هذا ما اطاعت عليه الآن مما دونه المتقدمون عن هذين الحبرين الجليلين أرجو نشره بالمجلة مشفوعا برأيكم واقبلوا فائق الاحترام

عبد الرحمن المحجوبي

(جواب المنار)

يظهر أن المتقدم قرأ عبارتنا في التفسير فاتقدا ما علق بذهنه منها من غير مراجعة لعبارتها ولورجم اليها في أي وقت لرأي جل ما كتبه غير وارد عليها ، وما أطل به من الثناء على وهب في غير محله اذ ليس من موضوع الكلام ، وكذا ما ذكره من نفي اشتراكه في الجمعيات السرية الفارسية وفي قتل الخليفة الثاني ، وما ذكره من براءة

كعب الاحبار من مثل ذلك فانا لم أروهما بهذا، وإنما قلت فيهما إنهما كانا كثيرا
الرواية القرائب التي لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول وإن قومهما كانوا يكيدون
للأمة الإسلامية العربية فقاتل الخليفة الثاني فارسي مرسل من جمعية سرية لقومه،
وقتلة الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبد الله بن سبأ اليهودي - وإلى
جمعية السبئيين وجمعيات الفرس ترجم جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواية في
الصدر الاول « اه بحرفه وسنوضحه بعد

وذكرت قبله « انني أرجح تضعيف عمرو بن الفلاس لوهب على توثيق الجمهور
له بل أنا أسوأ ظنا فيه على ما روى من كثرة عبادته وغباب على ظني أنه كان له
صلع مع قومه الفرس « الخ ولم أقل إنه اشترك في مقتل عمر فبرد علي بتاريخه أو
بغير ذلك ، والذي يميننا من هذا النقد ما هو المقصود بالذات وهو رواية لرجلين
ومازحه المتقد من توثيق الشيخين لهما ولا سيما البخاري وكون كل من روى عنه
أو روى عنه الاول ثقة لا يقبل فيه جرح ولا يصح أن تكون روايته محل بحث ،
وفي كلام المتقد اغلاط لغوية وفنية وتاريخية لاحاجة الى اضاءة الوقت في بيانها
فاكتفي في الرد على ما ذكرت انه المقصود بالذات فأقول :

أما كعب الاحبار فإن البخاري لم يرو عنه في صحيحه شيئا ولكن ذكره فيه
بما يعد جرحا له لا تعديلا : قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من تهذيب التهذيب
وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية
يحدث بهطا من قریش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال : ان كان لمن أصدق
هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك انبلو عليه الكذب (تأمل)
قال الحافظ بعد نقل هذه العبارة عن الأهل : (قلت) هذا جميع ما له في البخاري
وليست هذه رواية عنه فالمعجب من المؤلف كيف يرقم له رقم البخاري في يوم أنه
أخرج له الخ يمتنى أن ذكر صاحب التهذيب رقم البخاري وهو حرف (خ) عند
اسم كعب غلط . وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح
البخاري وغيره ، والمتقد يبدى ، ويسيد ذكر رواية البخاري عنه وتوثيقه له .
وأقول : إن قول معاوية ان كعبا كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب

وانهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب طعن صريح في عدالته وفي عدالة جمهور رواة الاسراييليات إذ ثبت كذب من يعدّ من أصدقهم ومن كان متقنا للكذب في ذلك يتمذر أو يتعسر العثور على كذبه في ذلك العصر اذ لم تكن كتب أهل الكتاب متشرة في زمانهم بين المسلمين كزماننا هذا - فان تورااة اليهود بين الايدي ونحن نرى فيما رواه كعب ووهب عنهما لا وجود له فيها البتة على كثرة ، وهي هي التورااة التي كانت عندهم في عصرهما ، فان ما وقع من التحريف والتقصان منها قد كان قبل الاسلام ، وأما بعده فجل ما وقع من التحريف هو المعنوي بحمل اللفظ على غير ما وضع له واختلاف الترجمة ، ولا يعقل أن تكون هذه القصص الطويلة التي نراها في التفسير والتاريخ مسروبة عن التورااة قد حذفت منها بعد موت كعب ووهب وغيرهما من رواةها ، فهي من الأكاذيب التي لم يكن يتيسر للصحابة والتابعين ولرجال الجرح والتعديل الاواين العثور عليها ، وكذا علماء القرون الوسطى من المحدثين وغيرهم إلا من عنى عناية خاصة بالاطلاع على كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند أهل الكتاب وعلى التواريخ المفصلة لاخبارهم وقايل ما هم . وقد كان مثل البخاري من جهاندة المعقول ومثل الفخر الرازي من جهاندة المعقول يظنان أن جميع تحريف أهل الكتاب معنوي لان تغيير أهل الملة لكتابها لديني غير معقول إذ لا بد من أن يكون بالتواطؤ واجماع الامة ، وسبب هذا أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يعلمون أن اليهود لم يكن عندهم من التورااة في الصدر الاول من تاريخهم إلا النسخة التي وضعها موسى عليه السلام في صندوق العهد (التابوت) وانها فقدت بعد ذلك ولم يكونوا يحفظونها ، وان ما عندهم الآن يرجع الى ما كتبه لهم (عزرا) بعد السبي ولذلك تكثر فيه الالفاظ الباطية ، وهم يزعمون انه ألم الصواب فيما كتب الهاما . . . مع أن ما فيها من الاغلاط المخالفة للواقع ومن ذكر الحوادث التي وقعت بعد موسى ومن ذكر موت موسى وعدم ظهور أحد بعده مثله ومن . . . ومن . . . ما ينقض دعوى الإلهام المذكورة — الى آخر ما فصلناه من قبل في موضعه

وأما مسلم فقد ذكره في بعض أسانيدوه ولكن ليس له رواية صريحة عنه لحديث

انفرد به فيكون جرحه موجبا لحرامنا من الاخذ به ، وقال الحافظ ابن كثير ان حديث أبي هريرة « خلق الله التربة يوم السبت » الذي خطاه المحققون بروايته له هو مما أخذه أبو هريرة عن كعب على أنه مرشح فيه بسماعه من النبي (ص) وقال في تهذيب التهذيب : وقد رقع ذكر الرواية عنه في مواضع من مسلم في أواخر كتاب الايمان : وفي حديث أبي معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « اذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران » قال في ثبوت به كعبا فقال كعب : ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد . اهـ

أقول انهم قبلوا هذه الزيادة في الحديث لغرورهم بكعب حتى قال النووي وهذا الذي قاله كعب يحتمل انه أخذه بتوقيف ويحتمل انه بالاجتهاد لان من رجحت حسناته وارقت كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا اهـ فانظر الى هذا التأويل المتناقض لهذه الزيادة المتعلقة بأصول العقيدة بحيث يطلب فيها القطع وهي أن البعد المذكور والمزهد وهو بضم الميم واسكان الزاي قليل المال لا حساب عليهما فهو يحمل الحساب على كبار الاغنياء الاحرار وخدم وهذا يخالف الامومات الكتاب والسنة القطعية ومعارض بنصه من خاصة

وأما ما ذكر من رواية له في آخر كتاب الايمان منه فهو ان أبا هريرة قال لكعب إن نبي الله (ص) قال « لكل نبي دعوة يدعوها فانا أريد أن أختي » دعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة فقال له كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) ؟ قال نعم . روى هذا عن كعب هرو بن سفيان الثقفي انفرد مسلم بروايته عنه وليس له غيره الا حديث واحد . ولمسلم عن كعب مثله في الاستفهام من أبي هريرة من حديث الامة التي فقدت من بني اسرائيل وكونها هي النار .

وجملة القول ان جرح كعب لا يقتضي خسران شيء يذكر من العلم الذي في صحيح مسلم ويوافق ما عند البخاري من إثبات معاوية لكذبه عنده وعند غيره ولذلك امتنع البخاري عن الرواية عنه على غرور الجمهور بعبادته ، ومع هذا كله يجعل المنتقد ما زعمه من رواية البخاري عنه الركن الأعظم لتمدله بالحرف على ضياع السنة من جرحه فكلامه حجة عليه

مجلات وجرائد جديدة

(الإخاء) مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة تصدر في أول كل شهر أفرنكي لصاحبها سليم قيعين ، قيمة الاشتراك فيها ٨٠ مصر والسودان ومئة قرش في سائر الإقطار ، وسليم أفندي كاتب متفنن مشهور وقد انفر د دون الكتاب في مصر بعمره اللغة الروسية فله منها مادة لا يشاركه فيها غيره وقد أمت مجلته السنة الأولى وهي أشق المراحل فصار الرجاء باستمرارها ونجاحها وطيبدا وهو ما نتمناه له ولها

(المجلة الشهرية) مجلة جديدة يصدرها بالقاهرة اسكندر أفندي مكار يوس وتتولى رئاسة تحريرها نجيب أفندي شاهين وقد قال في مقدمتها « هذه المجلة مرادة لقائمة أولا وللخاصة ثانيا وغايتها مزدوجة وهي ايجابية مع الاولين وسلبية مع الآخرين ، ويكفيينا من هؤلاء أن يرمقوها بنظرة عدم الانكار ، لان الخاصة في كل بلد متمتتون وارضاه التمنت صعب كما جاء في المثل ، وتمتتهم هذا ناشي عن رسوخهم في العلم وعلو كبرهم في الثمن ونحن انما نلم بهما إلاما هنا » وتقول هذه خفلة المجلة وهي عن اختيار لا عجز فان نجيبا كاتب بارع تولى التحرير في المقطع فعدة سنين وكان قبل اصدار هذه الجريدة أخذ بمجري جريدة السياسة وقيمة الاشتراك في هذه المجلة خمسون قرشا في مصر والسودان و ١٧ شلنا في الخارج

(صحيفة الاعلانات) صحيفة أسبوعية جديدة « تنشر الاعلانات مبوبة وتبحث في المسائل الاقتصادية والتجارية والاجتماعية » تصدر في كل يوم احد في ١٦ صفحة كبيرة منها أربعة باللغة الفر نسية وباقيها باللغة العربية صاحب امتيازها أحمد شفيق باشا العالم الاداري الشهير ورئيس تحريرها الشيخ بولس مسعد من الكتاب البارعين ، وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٢٥ قرشا في مصر و ٤٠ قرشا في الخارج ، والمنتظر منها أن تخدم النهضة الاقتصادية والضمانية والتجارية خدمة جليلة لم تسبق اليها

(أم القرى) جريدة عربية اسلامية أسبوعية تصدر في مكة المكرمة مكان جريدة (القبلة) التي كان يصدرها للاك حسين ، مديرها يوسف أفندي ياسين من افضل شبان النابتة العربية السورية وستنخصصها بمقال مطول في جزء آخر از شاء الله تعالى

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتى خيرا
كثيرا ، وما
يذكر الا أولو
الالباب)

المعراج
١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنة أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان ناسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ - ٢٩ رجب الجوزاء سنة ١٣٠٤ هـ ٢١ يونيو سنة ١٩٢٥

من أخبار الغيب الماضية والمستقلة ما ثبت ثبوتاً قطعياً ، ومنه ان الله تعالى سينصره
ويخذل أعداءه ويستخلف قوماً وأمة في الارض ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وقد وقع جميع ما أخبر به ، وما رشح به صلى الله عليه وسلم أخباره كفتح بلاد كسرى
وقبصر . ومنها مصر التي دعى بأهلها خيراً ، وأيده الله تعالى بآيات أخرى
ومن أهم ما أخبر به القرآن مما لم يكن يعلمه أحد من قوم الرسول (ص) ولا
في بلاده ان اليهود والنصارى (أوتوا نصيباً من الكتاب) وانهم نسوا حظاً مما
ذكروا به ، وانهم حرقوا وغيروا وبدلوا ، ودخل عليهم الشرك . ومن العجيب
ان المسلمين لم يعلموا مصداق ذلك بالتفصيل الا بعد اطلاعهم على مجموعة كتب
الفريقين وتاريخها . ثم ما كتبه أحرار علماء أوربة من الطامن فيها ، فمن أين عرف
ذلك رجل أمي نشأ بين قوم أميين لولا وحي الله تعالى له بذلك ؟
فهذه نبذة مجملة في بيان سبب استمساكي بعروة الاسلام واعتقادي أنه
الدين الحق بالاختصار الذي اقترحه النفس السائل
وأما سبب نفوري من دعوة المبشرين دعاة النصرانية فهي اعتقادي بطلان
دعوتهم في نفسها فان أساسها ان آدم عصى ربه فاستحق هو وذريته العذاب الابدي
بعدل الله ، وان غداهم بناني رحمة الله فلم يجد سبحانه وسيلة للجمه بين رحمة وعذله
الا أن يحمل في ناسوت أحد بني آدم ويتحمل العذاب والالم واللعنة لتخليصهم من
العذاب فخل في ناسوت المسيح لاحل ذلك !! ومع هذا لم يتم له ما أراد فانه اشترط
لخلاصهم أن يؤمنوا بذلك ولكن أكثرهم لم يؤمنوا به ورأيت حل تأثير هذه الدعوة
في الذين يجهلون حقيقة الاسلام تشكيكهم في أصل الدين ، وجعلهم من اللاحقين ،
وايقاع الشقاق بينهم وبين غيرهم . ومن أهم تلك الأسباب التي جعلتني أحقر
أكثرهم ما ثبت عندي من كونهم يتجرون بالدين اتجاراً فيكذبون ويحرفون ، ومنهم
الملحدون الذين لا ايمان لهم ، والمقلدون المنصبون الذين يعضون المسلمين بما تربوا
عليه بما لا يجهله النفس السائل ، ولا أنكر مع هذا انه يوجد فيهم المتدين المخلص في
دينه ، ولكن هذا بحسب اختباري قليل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الاسلام وأصول الحكم

(بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام)

بل دعوة جديدة الى نفس بناتها ، وتضليل ابناتها

(عميد) مازال أعداء الاسلام الطامعون في ثل عرشه والقضاء على ملكه وابطال تشريعه ، وامتنعوا عن الشعوب التي تدب في الله به ، يجاهدونه بالسيف والنار ، وبالكيد والدماء ، وبالأراء والافكار ، وبافساد العقائد والاخلاق ، وبالطمع في جميع مقومات هذه الامة ومشتخصاتها ، وتقطع جميع الروابط التي تربط بها شعوبها وأفرادها ، ليسهل جعلها طعمة للطامعين ، وفريسة لوحوش المستعمرين ، وقد كانت هذه الحرب السياسية العلمية للاسلام والمسلمين آخر وأنكى من الحروب الصليبية باسم الدين . فالحرب الصليبية كانت تجمع كلمة المسلمين للدفاع عن حقيقتهم والمدافعة عن سلطانهم ، وهذه الحرب المعنوية فرقت كلمتهم وشقت عصامهم ، وزقت شمل شعوبهم ، وأذاقت بعضهم بأس بعض ، فصاروا عونا لأعدائهم على انفسهم بخربون بيوتهم أيديهم وأيدي خصومهم (فاعتبروا يا أولي الابصار) قد كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين نحو اسم السلطنة العثمانية الاسلامية من لوح الوجود ، وإلغاء الترك لمنصب الخلافة من دولتهم الصغيرة ، التي أمكنهم استبقاؤها من تلك السلطنة العظيمة - وتأينهم حكومة جمهورية غير مقيدة بالشريعة الاسلامي في أصول احكامه ولا فروعها - وتصريحهم بالفصل التام بين الدولة والدين - قلنهم العالم الاسلامي زلزل بمعلم هذا زلزالا شديدا ، وطرب له الافرنج وروجو سياستهم من نصارى الشرق وملاحدة المتفرنجين المارقين من الاسلام ، ورفع هؤلاء عقائزهم في مصر ، هاتفين لعل الترك ، وكذلك فعل أمثالهم في سائر البلاد ، إلا ان هؤلاء نشطوا لجعل الحكومة المصرية حكومة لادينية كحكومة انقرة فهزى العالم الاسلامي بدعوتهم وسخر منهم وراجت في مقابلاتها الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي عام ، لاهياء منصب الخلافة بقدر ما استطيعه قوى الاسلام في هذا الزمان .

بيننا نحن معشر المسلمين على هذا اذا نحن بنبأ جديدة في شكلها ، تؤيد تلك النزعة الافرنجية النصرانية في موضوعها ، وتلك الفعلة الاحادية في مشروعها .

بيننا نحن كذلك اذا نحن بدعوة حديثة لم يقل بمثلها أحد انتهى الى الاسلام

صادقا ولا كاذبا ، بدعة شيطانية لم تخطر في بال سني ولا شيعي ولا خارجي ولا جهمي ولا معتزلي ، بل لم تخطر على بال أولئك الزنادقة الذين زعموا أن الاسلام باطنا غير ظاهره ، فظاهره للعوام الجاهلين ، وباطنه للخواص العارفين ، وأرادوا بهدم سلطان الاسلام بالاسلام لاعادة سلطان المجوسية الكسروية التي قضى عليها المسلمون القضاء الابدي ، وإنما سبق الناعق بها اليوم ناعق آخر من متفرنجة هذه البلاد ومن رجال القانون والقضاء الاهلي قيل إنه انضوى الى دين الباطية البهائية آخر فرق الباطنية. نعى بها هذا الرجل في مجمع عقده لما في الاسكندرية منذ بضع سنين بخطاب (محاضرة) ألقاه على كثير من رجال القانون ثم طبعه ووزعه بالمجان فرددنا عليه رداً أعجزه فلم يستطع أن يدافع عن نفسه ولا دافع عنه أحد من أعداء الاسلام ، لا من البهائية ولا من رجال قوانينهم الوضعية الذين يريدون أن ينسخوا بها الشريعة الاسلامية وأما الناعق بهذه البدعة اليوم فن العلماء المتخرجين في الأزهر ومن قضاء المحاكم الشرعية (ان هذا شيء عجيب) ومن بيت كريم في هذه البلاد عرف أهله بالأدب العالية والأخلاق وبالدين أيضا . خلاصة هذه البدعة :

انه ليس للاسلام خلافة ولا امامة ولا حكومة ولا تشريع سيامي ولا قضائي

وانه دين روحاني محض كدين النصاري بالمعنى الذي فهمته شيعة البروتستانت منهم دون من قبلهم . وأن ما ادعاه المسلمون من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى يومنا هذا من أمر الامامة والخلافة باطل من القول وضلال من العمل ، وفساد في الارض ، لما جعلوه للخليفة من السلطان الديني الالهي ، وإنما أضل جماعة المسلمين في ذلك الملوك لتوطيد سلطانهم فيهم ، وأن أبا بكر كان ملكا للعرب أراد أن يحقق وحدتهم . ويجعل السلطان لغريش وخدم فيهم ، وليس له ولا لماؤيديه حجة من الدين ، ولم يكن جميع الخارجين عليه والممانين اداء الزكاة له مرتدين عن الاسلام ، وأن قتالهم لم يكن دينيا بل سياسيا للدفاع عن دولة العرب ووحدتهم ، والدين نفسه لم يوجب ان تكون العرب ولا غيرهم من المسلمين دولة ولا وحدة . بل لكل فريق من المسلمين عربهم وعجمهم أن يقيموا لانفسهم حكومة يرضونها ،

١٠٣ انكار الخلافة وتكون الاسلام ذا حكومة . المنار : ج ٢ م ٢٦

ودين الاسلام لم يقيد في ذلك بقيد ما بل هو برىء من كل ما عزوه اليه من ذلك
 هذه خلاصة البدعة الجديدة التي قام بيثها اليوم في العالم الاسلامي الشيخ
 علي عبدالرازق من علماء الجامع الازهر وقصة المحاكم الشرعية « المصرية بكتاب
 الله فيها تجاوزت صفحاته المائة ، وهو يوزع في الاقطار الاسلامية — على ما بلغنا —
 بنير فمن ، وما كان لهعاة الاديان والمذاهب والاحزاب السياسية والاجتماعية أن
 يستغلوا دعايتهم ويتجروا بالمال فيها فحسب الدين من ثواب الله في الآخرة ،
 والذهوي عظمة الدنيا وجاهها والانتظام في سلك مؤسسي الانقلابات الكبرى فيها
 ولا ينبغي اننا أن نكتفي في بيان ملخص هذه البدعة بما فهمناه من الكتاب
 من غير نقل عبارته في النتيجة المرادة منه ، وان كان هذا الملخص مقدمة
 وتمهيدا لرد طويل مفصل يبطل به نصوصه المحتلبة ، ومقاصده المحتلبة ، قال في
 الصفحة الاخيرة منه (ص ١٠٣) مانعه :

« والحق أن الدين الاسلامي برىء من تلك الخلافة التي تتعارفها المسلمون
 وبرىء من كل ماهيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست
 في شيء من الخطط الدينية . كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز
 الدولة ، وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها
 ولم يشكرها ولا أمر بها ، ولا نعى عنها ، وانما تركها لنا لترجع فيها الى أحكام العقل
 وتجارب الامم وقواعد السياسة » ثم قال ايضا لهذا :

« لاشيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقة الامم الاخرى في علوم الاجتماع
 والسياسة كلها . وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه (١)
 وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أتت به العقول البشرية
 وأمن ما دلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم »

أقول : القضية الاولى من هذا الايضاح حق أريد به باطل وهو ما يمدد ، فنظام
 الخلافة الاسلامية أفضل نظام عرفه البشر وكان المسلمون أعز الامم عند ما أقاموه
 وما ذلوا واستكانوا لغير ربهم الا عند ما تركوه ، وما كان لامة عاقلة مستقلة أن
 تبنى قواعد ملكها ونظام حكومتها على أحدث تجارب غيرها من الامم فتكون

(١) الاستكانة
 الذل
 والخضوع
 يمدى باللام
 لا بالي قال تعالى
 (فما استكانوا
 لربهم)

كقدح الراكب لا تستقر على حال من القلق والاضطراب ، ومن ذا الذي يحكم لها بالخيرية بين الجمهورية والملكية ، وبين الاشتراكية والبشوية والرأسمالية مثلا ؟ واذا كان يقول هذا حكم الاسلام في المسألة عنده فماذا يقول فيما في القرآن والسنة من الاحكام السياسية كالمعاهدات والمهادين واحكام الحرب والاحكام القضائية الشخصية كالورث والزواج والطلاق والعدو والاحكام المدنية كتعريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، واحكام العقوبات من حدود وعزيرات — هل ينكرها من أصلها كما أنكر أحاديث الخلافة والاجماع على نصب الخليفة ؟ أم يقول ان طاعة الله ورسوله لا تنجب فيها ، وإنيها مستثناة من حكم قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ويستدل على ذلك ببعض الشعر الذي يحفظه من الاغاني والعقد الفريد ودواوين الشعراء كما فعل فيما سذكره من دلائله في بحث الخلافة ؟ أم يقول فيها كما قال سلفه والسابق له الى اقتراح هدم حكومة الاسلام من أساسها ونسف أصولها الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس احمد صفوت القندي الذي أشربا الى بدعته أنفانك البدعة التي كانت سيدا فيما يرى اندب الانكايز اياه لا صلاح القضاء في فلسطين !! وملخصها : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان حاكما للمسلمين وكانت طاعته واجبة كما تنجب طاعة كل حاكم في زمن حكمه ، وأن أحكامه لا يجب أن تتبع من بعده ، وأن لكل حاكم في كل زمن مثلما كان له من ذلك وله بمقتضاه أن يُلغى كل حكم كان قبله ، لا يفرق بين الرسول وغيره . وكذلك إجماع المتقدمين وأقبيستهم لا يجب أن يؤخذ بها من بعدهم ، فاجماعنا في هذا العصر خير لنا من إجماعهم ، وأقبيستنا خير لنا من أقبيستهم

وأما أحكام القرآن فقد صرح بأنها هي التي فرضها الله على المسلمين في كل زمان دون غيرها ثم جعل ماعدا المبادئ العامة منها (أي كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثلاثا أقسام : ما حرمه الله وما أوجبه وما جوزه — فحكم الاول عنده — وقد مثل له بتعريم الامهات والبنات — أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماء !! وحكم الثاني عنده — وقد مثل له بالعدة والاشهاد على عقد الزواج — أن يبقى منه ما تحقق به الحكمة المقصودة منه فيستغنى بها عن التزام الحكم نفسه —

١٠٤ انكار الخلافة وكون الاسلام ذا حكومة المأرج ٢٦م

حكومة أن تحرم بالقوانين الوضعية ما تشاء منه — ثم قال مانصه : « وبذلك ينقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للالفاظ القانونية الواردة في القرآن »
مختصرة رأيه أن كل ما ثبت بالسنة أو الاجماع أو القياس من الاحكام الشرعية لا يجب على أحد من المسلمين العمل به ، وأن أحكام القرآن نفسها لا يجب العمل بنصوصها ومدلول ألفاظها ، وإنما يبحث المسلمون ماداموا يدعون الاسلام عن مرمى المحرمات منها فيراعوه ، وعن حكمة الواجبات فيراعوها ، وأما الجائزات فلم أن يحرموا منها ما أحله الله أو يوجبوه بحسب ما يترأى لحكوماتهم في كل زمان ولكن ظاهر عبارة عالم الازهر وقاضي الشرع الذي جاء خلفا لهذا الساف القانوني في هدم التشريع الاسلامي أن أحكام القرآن كغيرها لا توجب على المسلمين التقيد في حكومتهم بها ولا تمنعهم أن يأخذوا بأحدث تجارب الامم فيها حتى اذا فرضنا ان أحدثها وهي الباشقية نجحت فلا حرج عليهم في الاخذ بها أول ما يقال في وصف هذا الكتاب لا في الرد عليه إنه هدم لحكم الاسلام وشرعه من أساسه ، وتفريق لجماعته ، وإباحة مطلقة لمعصيان الله ورسوله في جميع الاحكام الشرعية الدنيوية ، من شخصية وسياسية ومدنية وجنائية — وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين ، والائمة المجتهدين والمحدثين والمشككين ، وبالجملة هو اتباع لغير سبيل المؤمنين . فالاسلام بريء منه بحسب ما فهمه المسلمون من العصر الاول الى عصرنا هذا . واننا سنرد على جميع أبوابه وفصوله ردافصلا جريا على خطتنا في الدفاع عن ديننا وملتنا ، ولكننا لا نقول في شخص صاحبه شيئا لحسابه على الله تعالى وإنما نقول إنه لا يجوز لمشيخة الازهر أن تسكت عنه كما سكنت عن احد صفوت وأمثاله ، فان هذا المؤلف الجديد رجل منهم فيجب عليهم أن يعلنوا حكم الاسلام في كتابه لثلاثة اقل هو وأنصاره إن سكوتهم عنه إجازة له أو عجز عن الرد عليه ، فان كان ردنا عليه ودحضنا لشبهاته يرفع عنهم اثم الانكار عليه وتحذير الناس من ضلالتهم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات فان للائمة التي توجه اليهم بالسكوت عن مثل هذا لا ترتفع برؤنا وحدها ، بل يحيط من أقدارهم في نظر الامة كلها ، وحاشاكم الله من ذلك

مناظرة ابن تيمية العلنية

لرباجلة البطائحية الرفاعية

(وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه من إقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة، بعد ان اهل ذلك الحكم فاعلماء فقشت البدع وصار كثير منها بعد من شذائر الدين، أو خصائص الصالحين، فكان رحمه الله من أعظم المجددين) قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين؛ وأشهد أن لا إله الا الله رب السموات والارضين،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صلى الله تعالى عليه وعلى
آله وسلم تسليماً دائماً الى يوم الدين
(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة
والميدان بمحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقهاء العامة
وغيرهم في أرب البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الاولى سنة خمس لتشوف
الهمم الى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه، فان من كان غائباً
عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة ومن شهد ما فقد رأى وسمع
ما رأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويرى لا تشار
هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلامته العليا وقهر
الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من
أهل البدع المضلة، والاحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقوا منه المسلمين وما خالفوهم ليتبين ما دخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام، فان ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وانما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة الشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم، وذلك اني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع وهو انهم وان كانوا متسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التمسك والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد في وجد أعضائي بعضهم من التشرك وغيره من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس، و اظهار المخارق (١) الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ما يوجد

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة ينت فيها من خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وقاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت عبورة ما يظهر منه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات و اظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، واز عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا معاني ضتي

«١» أطلقوا اسم المخارق والمخاريق على الخوارق المفتعلة بالحيل والتلبيس والدموذة وهي في أصل اللغة ضرب من لعب الصبيان

لهم رجعوا ودخلوا على أن يستترهم فأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة يعمض البساتين لما عارضتهم يأتي أدخل معكم النار بعد أن تقتل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان منلوبا، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك

وحكى ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض امراء التتر بالشرق وكان له صنم يعبد، قال: فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الاكل في الطعام بينا يرى فيه، فأنكرت ذلك، فقال لي ان كان يأكل انت تموت؟ فقلت نعم، قال فأقت عندى الى نصف النهار ولم يظهر في الطعام أثر، فاستعظم ذلك التتري ذلك واقسم بايمان منلظة انه كل يوم يرى فيه أثر الاكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك. فقلت لهذا الشيخ انا اين لك سبب ذلك. ذلك التتري كافر مشرك ولعنمه شيطان يغويه بما يظهره من الاثر في الطعام وانت كاذم معك من نور الاسلام وتأيد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن ان يفعل ذلك بحضورك (١) وانت وامثالك بالنسبة الى اهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى امثالك، فالتتري وامثاله سود، وأهل الاسلام المحض بيض، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض، فأعجب هذا المثل من كان حاضرا

وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا تريد أن تظهر هذه الاشارات؟ قلت ان عماتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الاعراب والفلاحين أو الاتراك أو العامة أو جمهور المتفقه والمتفكرة والمتصوفة لم يحسب لكم

(١) لعل ذلك الشيطان من شياطين الانس كان يأكل من الطعام في غفلة من ذلك الامير الخرافي ويروى ان ائمتهم أكله لمصلحة له في التلبيس عليه

ذلك فمن معه ذهب فلبأت به الى سوق الصرّف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش من الصفر، لا يذهب الى عند أهل الجهل بذلك. فقالوا لي لا نعمل هذا إلا أن تكون همّتك معنا (١) فقلت همّتي ليست معكم بل أنا معارض لكم مانع لكم لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن كان لكم قدرة على اظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين بأغلال الحديد في أعناقهم (٢) وهو واتباعه معروفون بأمور وكان يحضر عندي مرات فاخطبته بالتي هي أحسن. فلما ذكر الناس ما يظهرونه من الشعار المبتدع الذي يتميزون به عن المسلمين، ويتخذونه عبادة ودينًا يوهمون به الناس إن هذا لله سر من أسرارهم، وإنه سيماه أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم، أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه. خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم (٣) ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به الى الله تعالى لان عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو أن النبي صلى الله تعالى

(١) أراد بهذا رشوة شيخ الاسلام بمشاركته في هذا الجاه الباطل على حد (ودوا لو تدهن فيدهنون)

(٢) رأيت مثل هؤلاء في الهند من متصوفة الشرك « ٣ » اي يقتدي بسيرتهم لموافقتها للكتاب والسنة كالجنيد

عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار » (١) وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الرؤيا قال في آخره « أحب القيد واكره الغل القيد ثبات في الدين » فإذا كان ، كروها في المنام فكيف في اليقظة (٢)

فقلت له في ذلك المجاس ما تقدم من الكلام أو نحواً منه ، مع زيادة وخوفته من عاقبة الاصرار على البدعة وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسيته أكثره لبعد عهدي به . وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التبع بها باتفاق المسلمين ، ولا التقرب بها الى الله ولا اتخاذها طريقا الى الله وسببا لان يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك ، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة اليه ، ولا أن يجعل شعارا للنائبين المرئيين وجه الله ، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم

فهذا أصل عظيم يجب معرفته والاعتناء به وهو ان المباحات انما تكون مباحة إذا جعلت مباحات فاما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله ، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها

« ١ » رواه النسائي وله تنمة

« ٢ » أصل الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم ويحده : فلا أدري هو هو في الحديث أم قاله ابن سيرين اه أي راويه عن أبي هريرة وفي رواية له اسناده الى أبي هريرة وليس في رواية البخاري له شيء من ذلك المذكور

بنزلة جبل ماليس من المحرمات بها ، فلا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا ما شرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به ، ومن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه (١) فاذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الامور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله ان يطيعه ، بل عليه كفارة يمين اذا لم يفعل عند أحد وغيره ، وعند آخرين لا شيء عليه ، فلا يصير بالنذر ماليس بطاعة ولا عبادة (٢)

ونحو ذلك اليهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعمود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل ان يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله الا ما كان ديناً وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك. ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة اذ كان المسلمون متفقين على انه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل انه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب الا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالدلالة النصوبية على ذلك ، وما علم باتفاق الامة انه ليس بواجب ولا

(١) بل جعله من الشرك أو الكفر المتعمدي الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تفسير (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وغيره راجع من ٣٩٨ - ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا من ١٢٣ و ١٤٧ و ١٦٤ و ١٨١ منه

(٢) لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين

مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقداً ويقال أنه قربة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذ ديناً ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جملة من الدين لا باعتقاد وقول ، ولا بإرادة وعمل ، وبإهمال هذا الأصل غلط خالق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه بل يقال أنه جائز (١) ولا يفرقون بين اتخاذ ديناً وطاعة وبراً وبين عمله كما تستعمل الباحات المحضة ، ومعلوم أن اتخاذ ديناً بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما وبالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم الحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاصي سيئات ،

﴿ فصل ﴾

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون عنهم الاصرار على الابتداع في الدين ، واظهار ما يخالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والالفة ، وانتظر الرجوع والقيئة ، واؤخر الخطاب إلى أن يحضر (ذلك الشيخ) لمسجد الجامع. وكان قد كتب إلي كتاباً بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب

« ١ » سقط جواب إذا من الناسخ ومعناه أنهم يرون جواز جملة قربة وعبادة . وهذا مثار كثير من البدع الحديثة . وذكر لي بعض علماء الأزهر في هذه الأيام أن بعض كبار علمائه كانوا يتكلمون فيما يتكره الوهابية من بدع القبور وغيرها ويستحسنون ذلك فقال بعضهم منكرها وليكنهم منعوا أن يستشفعوا بأصحابها الصالحين فقال له شيخ الأزهر (الاستاذ أبو الفضل الجيزاوي) هذا هو الشرع فقال المنكر مادليه ؟ فقال الشيخ إنما يطلب الدليل على الأذى به الأعلى المنع ، فدل هذا على أن الشيخ أيد الله به السنة أهلهم

وآثار وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل ا. ا. احاديث موضوعية، واسرائيليات غير مشروعة، وحقيقة الامر الصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل . فقلت لهم: الجواب؛ يكون بالخطاب . فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم الا بذلك، وحضر عتدنا منهم شخص فزعنا الغل من عنقه، وهؤلاء هم من أهل الاهواء الذين يتعبدون في كثير من الامور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ولهذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شبه قوي من النصاري الذين قال الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع أهل الأهواء،

فعلمهم هوام على ان تجمعوا تجمع الاحزاب، ودخلوا الى المسجد الجامع مستعدين للحراب، بالاحوال التي يمدونها للغلاب . فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت الى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم الى قصر الامارة وكانهم اتفقوا مع بعض الاكابر على . طلبهم ثم رجعوا الى مسجد الشاغو على ما ذكر لي وهم من الصياح والاضطراب، على أمر من أعجب العجائب، فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجّة والمعدرة، وطلباً للبيان والتبصرة، ورجاء المنفعة والتذكرة . فعمدوا الى القصر مرة ثانية، وذكر لي انهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والهجيج، والازباد والارعاد، واضطراب الرؤوس والاعضاء، والتقلب في نهر بردى،

المنار : ج ٢ م ٢٦ رفق ابن تيمية واخلاه في الامر والنهي ١١٣

واظهار انتوله الذي يخيّلوا (١) به على الردي، وابرأ ما يدعونه من الحال والحال،
الذي يسلمه اليهم من أضلو من الجهال

فأما رأى لا ير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقبل لهم مشتكون،
فقال أدخل بعضهم، فدخل شيخهم وأظهر من الشكوى عليّ ودعوى
الاعتداء مني عليهم كلاماً كثيراً لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضراً
ان الامير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم؟ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال
فأي شيء يقال له؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق يسلم اليها (٢) قال فذبح كلامه
فمن كان الحق معه نصرناه، قالوا نريد أن نشد منا، قال لا ولكن أشد من
الحق سواء كان معكم أو معه، قالوا ولا بد من حضوره؟ قال نعم، ففكرروا
ذلك فأمر باخراجهم، فأرسل اليّ بعض خواصه من أهل الصدق
والدين ممن يعرف ضلالهم، عرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء
فلما علمت ذلك ألقى في قلبي ان ذلك لا امر يريد الله من اظهار
الدين، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين، لا انتشارهم في أقطار الارضين،
وما أحبت النبي عليهم والعدوان، ولا ان أسلك معهم الا أبلغ ما يمكن
من الاحسان، فأرسلت اليهم من عرفهم به وزرة الحال، واني اذا حضرت

« ١ » كذا ولعل أصله تخیلوا أي اتخذوا الخيل وسيلة للجهاد فساقطهم الى
الردي . ذلك بأن أفعالهم التي كرها ولباسهم وأغلاهم لها تأثير عظيم في
قلوب العوام وأصحاب الاوهام

« ٢ » هذه كلمة باطلة قلها بعض الفقهاء المفرورين بالدجل فأنخذها
الدجاجة أصلاً شرعياً وحكماً إلهياً

« المنار: ج ٢ » « ١٥٢ » « المجلد السادس والعشرون »

كان ذلك عليكم من الوبال ، وكثر فيكم القيل والقال . وان من قعد أوقام
 قدام رماح أهل الايمان . فهو الذي أوقع نفسه في الهوان . بجاء الرسول
 وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، الذين يعرفون حقيقة الاسرار ،
 وأشاروا عليهم بموافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة ، والخروج عما ينكر
 عليهم من البدع الشنيعة . وقال شيخهم الذي يسيح بأقطار الارض كبلاد
 الترك ومصر وغيرها : أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند مد شرع
 محمد بن عبدالله . وانهم نزعوا الاغلال من الاعناق ، وأجابوا الى الوفاق
 ثم ذكر لي انه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع (١) وذكر انه لا بد من
 حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ،
 واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك ،
 حتى ألقى في قاي ان أدخل النار عند الحاجة الي ذلك . وانها تكون برداً
 وسلاماً على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج
 من هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة اعداء إبراهيم امام الخنفاء
 بنو احي البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء . وبين
 الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين الى هذا الدين ، نسب يعرفه من
 عرف الحق المبين ، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية .
 يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ثم الى الاشرار ثم الى جحود الحق
 تعالى . ومن شركهم الغلو في البشر ، والابتداع في العبادات ، والخروج عن
 الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ما هو به لائق كالملاحدين من أهل
 الاتحاد ، والغالية من أصناف العباد

فلما أصبحنا ذهبنا للميعاد ، وما أحببت أن استصحب أحداً للأسفاد ،
لكن ذهب أيضاً بعض من كان حاضراً من الأصحاب ، والله هو المسبب
لجميع الأسباب . وبلغنى بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من اكابر الامراء ،
وقالوا انواعاً مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء ، الذى استعوذوا
به على اكثر أهل الارض من الاكابر والرؤساء ، مثل زعمهم ان لهم أحوالاً
لا يقاومهم فيها أحد من الاولياء ، وان لهم طريقاً لا يعرفها أحد من العلماء .
وان شيخهم هو فى المشايخ كالخليفة ، وانهم يتقدمون على الخاق بهذه
الاخبار المنيفة ، وان المنكر عليهم ما هو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل
الى الحقائق والسرائر . وأن لهم طريقاً وله طريق . وهم الواصلون إلى
كنه التحقيق ، واشباه هذه الدعوى ذات الزخرف والتزويق . وكانوا
لهرط انتشارهم فى البلاد ، واستحوذهم على الملوك والامراء والجناد ،
لخفاء نور الاسلام ، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام ، وطموس
آثار الرسول فى اكثر الامصار ، ودروس حقيقة الاسلام فى دولة التتار ،
لهم فى القلوب موقع هائل ، ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول

(له بقية)

بقول قائل

العالم العربي والعرب والاسلام

(٢)

وماذا يقول الانسان وماذا عساه أن يباحث أو يناظر من لا ينجحون أن يقولوا إن الاوربيين بقوا أصدقاء للمسلمين ثلاثة قرون واهم ماثاروا للحرب الصليبية الا بسبب الاتراك بما تعدوا به على امم البلقان وعلى شواطئ الادرياتيك ... مرارا تمنينا أن الذي لا يعلم شيئا لا يتشدد به، ومرارا أملنا أن الذي يرى نفسه مخطئا يتجنب الخوض فيما لا يعرفه . ان القاريء ايرني لهذا القول ولهذا القائل وأحيانا يغلب عليه الضحك . فانه عند ما زحف الاوربيون الى سورية وفلسطين لم يكن فيهما أتراك وما كان الترك الا في قونية وان كان الترك حاربوا الصليبيين في قونية وانهكهم نوعا فتكون تلك منهم خدمة للعرب الذين كانوا يومئذ هدفا للصليبيين وكان هؤلاء زاحمين اليهم فان الصليبيين كانوا قاصدين القدس والشام والحجاز ومصر لا قونية التي لم يكن لهم شغل بها . والقدس والشام ومصر والحجاز لم تكن تركية بل عربية ، ثم لما قصدوا مصر لم تكن مصر للاتراك ثم لما قصدوا تونس في زمان مارلويس لم تكن تونس للاتراك . ثم لما قصدوها وأخذوها في زمن شارلكان لم تكن للاتراك . ولما استولوا على وهران وأكثر سواحل مراکش لم يكن شيء من ذلك للاتراك . ولما قصد البر تغالبوز زنجبار في القرن الخامس عشر وأزالوا منها ملك العرب ثم عمان واستولوا عليها لم يكن ثمة أتراك ولما تحالفوا مع الحبشة وقصدوا مخاربة مصر ونحويل النيل الأزرق عن مصر لم تكن مصر للاتراك . وجميع الحروب التي قد وقعت بين الافرنج وعرب الاندلس وملك المغرب لم يكن شيء منها بسبب الاتراك ولا كان هناك أتراك ومما يفتقره له الانسان من الضحك كون الافرنج غضبوا على المسلمين وحاربهم لكون المسلمين كانوا يصلون لانتصار الاتراك ... وانظر الى هذه الجملة وتأمل مافيها من الادعاء مع خلو معناها التام من الصحة وهي هذه —

« ان التاريخ يوضح بما لا يحتمل التأويل ولا يقبل الشك ولا يجوز معه الجدل ولا نسوغ فيه المناقشة ان العالم العربي « أي أوربا » بقي ملازما صداقة المسلمين

نحو ثلاثة قرون بعد انتصار صلاح الدين الايوبي الشير عليه الى ارقام الاتراك وتعميدهم عليه تباعا في سهول البلقان وعلى الشاطئ الادرياتيكي مما حرك فيه عامل الانتقام لزعمة — وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك هذه طالما مئات ملايين تصلي لله سرا وعملانية كي ينصر الترك المسلمين على أعداء دينهم » انتهى بنصه الشائق

ولا يعلم الانسان ماذا يصاح وماذا يصحح من الاغلاط في هذه الجملة التي يظهر انها قرئت في كتاب انكليزي فمرت بهذه الصورة وانخذت حجة وظنت آية منزلة وصارت لا تقبل الشك ولا تحتل التأويل . . . نقول

اولا — عند ما قصد الافرنج الشرق انما كان مقصدهم بلاد العرب ولم يكن حينئذ بها اتراك

ثانيا — اعتدى الفرنج على مصر وجزيرة العرب وطرابلس وتونس والجزائر والقطر المراكشي وعرب الاندلس حينما لم يكن فيها اتراك ولا لها علاقة بالاتراك كما قلنا

ثالثا — عند ما زحف الافرنج في الصليبية الاولى (سنة ١٠٩٩) الى بيت المقدس لم يكن الاتراك وصلوا الى سهول البلقان تباعا ولا الى الشاطئ الادرياتيكي حتى يقال ان العالم العربي انتقم من غارات الاتراك في سهول البلقان والشاطئ الادرياتيكي بالاعتماد على العرب في القدس والشام ومصر . فان الافرنج زحفوا الى سورية وفلسطين في القرن الحادي عشر وان الاتراك زحفوا على سهول البلقان والساحل الادرياتيكي في أواخر القرن الرابع عشر . فبحققتى هذه العبارة يكون الافرنج انتقموا من العرب في بلاد العرب عن أعمال عملها الترك معهم تباعا في سهول البلقان والساحل الادرياتيكي . . . قبل وقوعها بأربعة قرون ونصف وهل تظن ان المكابر يعدل عن عناده ولو ظهر له هذا الجهل القاضح ممن نقل عنه وصدق كلامه ؟ كلا قد جربنا ذلك من قبل فلم يزل الذي يهرف بما لا يعرف مصرا على خطائه

رابعا — كيف بقي العالم الغربي ملازما صداقة المسلمين نحو ثلاثة قرون

١١٨ الترك والعرب في الحروب الصليبية المنارج ٢ م ٢٦

بعد انتصار صلاح الدين عليه وصلاح الدين انتصر على الافرنج سنة ١١٩٢ وبعد ذلك جرت الصليبية الثالثة التي كانت أشد الصليبيات وبقيت الحرب فيها على هكاهن سنتين ثم عتبها الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ ثم الصليبية الخامسة سنة ١٢٢١ ثم الصليبية السادسة سنة ١٢٢٩ ثم الصليبية السابعة سنة ١٢٥٢ التي غزوا فيها دمياط ثم الصليبية الثامنة سنة ١٢٧٠ في زمن لويس التاسع وفيها غزوا مصر وأسروا فيها مارلويش وبعد أن فدا نفسه عاد فغزا تونس ومات في حصارها . فهذه كلها حروب اعتداء في اعتداء على المسلمين لاسيما على العرب الذين ذاقوا فيها من الالهوال والنكبات مالا يوصف وكأها من بعد صلاح الدين وضمن ثلاثة قرون « الصداقة » التي زعمها صاحب تلك الجملة المريبة . فان كانت هذه هي الصداقة فكيف تكون العداوة ياترى ؟ ثم بعد تلك القرون الثلاثة حروب أخرى تقدم ذكرها لم يكن فيها ادنى رائحة للاتراك وانما اضطر عرب المغرب بتوالي تعدي الافرنج عليهم الى استنجد الاتراك الذين استخلصوا تونس والجزائر ووهران في زمن سليمان القانوني . كأن سواحل مراكش استغابها من البرتغال مولاي اسماعيل سلطان فاس العظيم جد الاسرة السلاجسية . على انه من الحقائق التاريخية ان الذي زاد رابطة العرب بالاتراك هو ما رأوه فيما بعد من جهاد الاتراك في دفع الافرنج عن البلاد العربية فلافرنج هم الذين اخرجوا العرب الى الاتراك

خامسا — مضحك جدا قوله إن العالم الغربي تحرك فيه عامل الانتقام لزعمة ان العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك بعلي الله سرا وعلاية لنصر الترك المسلمين ، قال العالم الغربي يذبح تلك الامم ويوقع تلك المصائب كلها في أقوام كل ذنبهم أنهم صلوا لنصرة ابناء دينهم بالقتال فعلا — كما يتطوع الوف من الانكليز وغيرهم اليوم في حرب الريف بجانب الاسبان — حقا قاتل هذا القول الافرنجي لا ينجل او مصدقه يستحق الرثاء . لا يكفي الافرنج أن قعدوا القدس من أفعى بلادهم وخربوا ديار الشام ونسفوا الحضارة العربية ودخلوا بيت المقدس قاتلوا المسلمين الى المسجد الاقصى فدخلوا اليه وذبحوهم عن آخرهم نساء ورجالا واطفالا وكانوا سيعين الفاحشي غاصت الخيل في الدم الى صدورها . وامتلأت

القدس بأشلاء القتلى فاستحيا الافرنج ثلاثمائة من المسلمين لاجل نقل الجثث وتنظيف الشوارع من الدماء وبعد ان فرغوا من عملهم هذا عاد الافرنج قتلهم أيضا وارتكبوا فظائع لا يسم المقام ذكرها . بل بعد ذلك كله يأتي واحد فيقول : (إنما فعلوا ذلك) . ان العالم الغربي زعم وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن الاثراك الذين اعتدوا على العالم العربي في سهول البلقان والشاملي . الادرياتيكي . أي أنه يعطي العالم الغربي الحق في هذه المذابيح باجمعها التي مذبحه المجد الاقصي واحدة منها ويرى الذنب ليس من العالم الغربي بل من المسلمين الذين « صلوا لله » وعلاية كي ينصر الترك المسلمين اناء دينهم « افلا تراهم يستحقون هذه المذابيح وقد صلوا هذه الصلاة ؟ هذا ولو كانوا صلوا لنصر الاثراك قبل وصول الاثراك الى الادرياتيكي باربعمئة سنة . . . هناحيلى مع الذي لا يعرف مايقول اصبحت قليلة من كان يخلق مائة و ل فحيتي فيه قليله

وماذا عساني أن اعد من تلك الحقائق الدامعة والآراء الصائبة (١) ؟ اقله : ان بلاد شمالى افريقية بقيت عربية لكون العرب ثبتوا فيها لا من أجل كونها اسلامية ؟ لم نعلم أي مؤرخ شرقي أو غربي أو فيلسوف اجتماعي قال هذا القول ، ولا كيف يتصور العقل ان راكش والجزائر وتونس وطرابلس تبقى عربية بدون اسلام واية رابطة تبقى للبربر الذين هم القسم الاعظم فيها مع العرب ان لم يكن الاسلام ؟ واية قوة كانت للعرب على البربر ليس في الوقت الحاضر فقط بل في وقت الفتح نفسه ان لم تكن قوة الاسلام . فان فتح العرب لهذه الاقطار باتفاق جميع المؤرخين شرقا وغربا انما تم واتسق بدخول البربر في الاسلام وليس بسبب آخر .

أم ذلك القول بأنه يجب ان نترك هذا الحلم الجميل الذي هو نشر البربرية بواسطة القرآن والحرز بهذا « الحلم الجميل » ؟ فهذا أيضا من الفلاسفة التي غجرت العقول عن إدراكها . . . نعم ان المستعمرين ولاسيما الانكايز تعجبهم هذه النعمة ويتمنون انتشارها ورواج هذا التضائل بين العرب طمعا في حص أجنحة الامة العربية التي نخشى انكثرة انتظام شملها واستثفاف دولتها أكثر كثيرا مما نخشى

« ١ » يعني أقوال ذلك المتفرنج الملعود الذي يرد عليه

الانترك . وهذا هو السبب الوحيد في كوننا نعني ، بادحاض هذه الاقاويل وإزالة تلبسها واظهار ما فيها من العته لئلا يلصق منها شيء . باذهان الجالية العربية بأميركا وفيها كثير من السذج وغير المتعلمين ومن ربما يظنون ان تلك الاقاويل على شيء من الصحة ، فعلوم عند الجميع ان كل الامم العظيمة والصغيرة تجد وتداب في نشر لغاتها وتؤسس لذلك المعاهد العلمية وتنفق عليها القناطير المقنطرة . وكلما ازداد انتشار لغة ازدادت سيادة المتكلمين بها وحق إعجابهم فان انتشار لغة أمة من الامم يعتبر إضافة لعدد كبير من غير أبنائها اليها فضلا عما يستجلب اليها من الميول لان من عرف شيئا أحبه ومن جهل شيئا عاداه . والامة العربية تمسدها سائر الامم على كون لغتها هي لغة سبعين مليوناً من العرب والمستعربين — المستعربين بسبب الاسلام ونفوذه الماضي لا بسبب آخر أصلاً — واللغة الدينية لثلاثمائة وخمسين مليون مسلم في الارض قد امتزجت بلغاتهم الاصلية وتشكلت منها أكثر ألفاظهم العلمية . وهذا كله بدون شيء من العناء الذي يعانيه الافرنج لاجل نشر لغاتهم . أمثل هذا الغرض الذي ترمي اليه كل الامم الراقية وتبذل من أجل بعضه اليهود والاموال الطائلة بهزأ به ؟ ويقال عنه « حلم جميل » لا فائدة لنا به .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد — وينسكرك الفم طعم الماء من سقم
(ثم عاد الكاتب الى ذكر تلك الدعوى الغريبة الغريبة في تعليل حرب الصليبيين للعرب بأسلوب آخر وقفى عليه بقوله)

ربما قيل لي كررت هذا المعنى كثير ولم تزل ترجع اليه فأقول بلى لانه أعجبني وأطربني جداً حقاً أراد ان يعامل ويزه لظ يباهت في الحقائق التي لا يختلف فيها اثنان فليأت يمثل هذه المزاعم وايضاً لك قراءه وبطريهم والا فلا . ولا سيما عند ما يقول ان هذه الرواية هي مما لا يحتمل الشك ولا التأويل ولا يقبل الجدل ولا يدوغ المناقشة « انه هو كون الافرنج لم يصدوا سورية ولاخره امدنها ولا طمسوا حضارتها العربية ولا ذبحوا مئات الالوف من أهلها كالشياه ولا أجزوا

الدماء في المسجد الاقصى حتى غاصت الخيل فيها الى صدورها — ولما وصل الخبر الى بغداد قام العويل وعلا البكاء وهجعت العامة على دار الخلافة . وكان يومًا عظيمًا — كلاً لم يعملوا شيئاً من هذه الافعال سنة ١٠٩٩ الانكاذبة بالأتراك عن حروب مستقبلية سيعملونها نحو سنة ١٤٠٠ الى ١٤٥٠

وهذه أشبه بما كانت دول الحلفاء تقول للعرب قبل الحرب العامة وفي أثنائها وهو ان هذه الدول « دول الحق والعدل » ليس لها غرض سوى تحرير العرب من عبودية الأتراك وانزال العقاب في هؤلاء الأتراك البرابرة وتأسيس استقلال العرب يستأنفون به مجدهم السابق وما زالوا يكررون هذا التدجيل على العرب وصدقهم فيه كثير من معانيه الله في ملكه كما يقال — ولا يزال بعضهم مصداقاً — حتى وضعت الحرب أوزارها فكانت الدائرة الحقيقية هي على العرب وظهر الغش والخداع وغدروا بالحسين بن علي حليفهم وهزأوا به وهم الآن بهذه المدة بعد سقوطه يحاولون إخراجه من العقبة التي هي من أراضي الحجاز العرفقة وهو أصبح لا يكره احداً في العالم كرهه للانكليز . حال كون الأتراك الآن ناعمين بملكهم مستقايين أكثر من ذي قبل « والعالم الغربي » يتزلف اليهم ظاهراً

لا تثقل علينا هذه الاقاييل من أجل نضمامها محاربة الدين الاسلامي أو الجامعة الاسلامية فأننا نحترم جميع الآراء والمذاهب ونقرأ كلام كثيرين ممن يجاهر بالالحاد أو التعطيل أو يحارب الدين المسيحي خاصة أو الدين الاسلامي خاصة وتأخذ كثيراً من أقوالهم بعين الاعتبار (١) اذا كان أصحابها من ذوي العلم والاطلاع والفلسفة والتاريخ لا بل نعجب بهم وبسعة علمهم اذا كانوا نظير الدكتور شبلي الشميل والاستاذ الزهاوي وامثالهما . والجامعة الاسلامية لا تفهمها الا بمعنى الرابطة التي يقدر أن يستفيد منها الامم المستضعفة منهم على قدر إمكانهم لان من سنة الخلق أن الضعفاء يتمقون والاقوياء يختسفون واذا كانت انكلترا اليوم وهي أقوى الاقوياء تدعو فرنسا وايطالية واسبانيا لتشكيل جبهة واحدة في وجه الاسلام فما ظنك بالمسلمين الضعفاء الذين هم أحوج

« ١ » المنار : المراد بالاعتبار ما فيها من العبرة والموعظة

لى الانضمام . وكون ابن عبد المؤمن لم ينجد صلاح الدين أثناء الحرب الصليبية على الافرنج — على رواية انه لم ينجده — ناشيء عن كون الاسلام قويا يومئذ لا يخشى عليه بالجملة . على ان ماجاء مخالفا للواجب لا يجوز أن يكون قياسا . فقد وجد في ملوك قاص من اسقطه أهل مملكته فذهب الى الاسبان وجاء بهم وقابل قومه فتجمل ذلك مثالا ونقول إن خيانة الملك لقومه ليست بشيء فقد فعل الملك فلان ما هو كيت وكيت؟ وم في تاريخ الاسلام من حوادث سيئة واخبار منكرة عن ملوك وأمراء ووزراء مما لا يخلو منه أمه افتتخذ ذلك حجة ونقول : مادام فلان سرق فيجوز لي أن اسرق ومادام فلان قتل فلا حرج علي في أن أقتل ؟

وليس بالضروري الاستمسك بالجامعة الإسلامية دون سواها فالجامعة الشرقية هي اوسع منها وأكثر وسائل . ولقد استعدت لها الامم الشرقية منذ آمد وتأسست في طوكيو جمعية لغرض تحرير الامم الاسيوية من رق أوربا وصل فيها مؤخرا اجتماع يقال انه لم يسبق له مثل في الارحام والاكثاظ وخطب فيه خطباء من الصين واليابان في موضوع اتحاد الامم الاسيوية ووجوب تضامنها وتماخدها لرفع سيطرة العالم الغربي عنها وستتم هذه الجمعية ويكون لها شأن عظيم .

وكان يود الانسان أن لا يكون من حاجة الى جامعة اسلامية ولا الى جامعة شرقية وان ترتفع الفوارق الدينية والوطنية وتصير الجامعة هي الجامعة الانسانية لا غير . ولكن مع الاسف نقول ان « العالم الغربي » لا يزال بعيدا عن هذه الاحساسات محتمرا غييره مجورا لنفسه استعباد ساكني الشعوب في السياسة وفي الاقتصاديات وفي كل شيء بحيث لا يقدر الشرقيون ان يترسلوا اليه أو يثقوا به . فاذا قام واحد من ذلك يناضل عن « العالم الغربي » بعلم وحكمة وانصاف وروايات صحيحة شأن العلماء من الانسان ان ينظرهم ولو كانوا سائرين في عكس خطة الشرقيين . وأما النضال عن « العالم الغربي » بمثل هذا الخلط الذي تقدمت لك انموذجات منه فهو شيء مزعج لا يطاق ويخشى الانسان منه على اذنان البسطاء اه

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

{

(تمة شرح مطالب الازهريين)

{ المطالب السادس } « تعديل الكشف الطبي بحيث لا يمنع من تولي وظائف التدريس بالازهر الا من به مرض معد . ومعاملة العلماء معاملة خاصة في الكشف الطبي بوزارة المعارف . وحفظ الحق المكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر . ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد »

ان من ينظر الى الاجراءات التي يتخذها مايسمونه (القومسيون الطبي) ليثبت بها صلاحية الشخص للوظيفة يجد تلك الاجراءات شديدة وقاسية وهي أشد وأقسى اذا عومل بها الازهريون الذين اعتادوا أرواحهم ولالة الامور أن لا يعتني بهم صحيا وأن يتركوا لجيوش الامراض المختلفة تفتك بهم . فأماكن الدراسة في الازهر والامامات الدينية التي لا تصلح — ولم توجد الا لتكون أماكن للعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة الطويلة القاسية وفي زماني الحر والقر ما يكفي لان يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة الجيدة . هذا الى المناعب الكثيرة التي يستلزمها الانكباب على الدرس والتحصيل . سيما في العلوم الازهرية البعيدة القور والطويلة المدى . ولا ريب أن ذلك كاف لان يحول دون استيفاء خريجي الازهر للشروط التي يفرضها القومسيون الطبي فلا بد أن تكون للازهريين معاملة خاصة تراعى فيها الاعتبارات التي ذكرنا . سيما ان هذه الاجراءات لم يكن للازهريين بها عهد ولم يقيدهم بها قانون . على انه اذا أجيب ما نطالب بشأن أماكن الدراسة وغير ذلك من المطالب فقد يكون لولة الامور الحق في أن ياملوا من ينتفع بهذه الاصلاحات معاملة بقية اخوانهم خريجي المدارس :

واذا ثبت بما ذكرنا وجوب تعديل الكشف الطبي بالنسبة للازهريين فاننا نذكر ان هذا الطالب يشمل أموراً ثلاثة (١) ان لا يمنع من وظائف التدريس بالازهر إلا

من به مرض معد (٢) أن يعامل العلماء إذا عينوا للتدريس بوزارة المعارف معاملة خاصة كالاكتفاء بنصف نظري في مجموع العنين (٣) حفظ الحق للمكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد ونكتفي بما قدما عن الكلام في الامرين الاولين ونسلكم عن الامر الثالث

ذلك أن المكفوفين الذين يمضون زمنا طويلا في الازهر يكدون انيل شهادة العالمية — هم أولى الناس بالعطف عليهم وأجدرهم بالاخذ بناصرهم فلا بد أن يفتح لهم باب الامل بما يناسب مع كدوم واجتهادهم وما أحاط بهم من اعتبارات أخرى أما حرمانهم نهائيا من كل عمل فمعناه أنهم ليسوا أهلا لشيء وإنهم أضاعوا حياتهم سدى وهو تصرف لا يستطيع انسان تبريره أو الذود عنه سيما أن كلهم أو جلهم يحتاج بعد تخرجه الى المعونة وما يسد به رمقة في الحياة والى ما يجعله كذلك عضوا فعالا في الهيئة الاجتماعية . فلا بد أن يعطوا حظهم من الانصاف والرعاية

و اذا طلبنا لهم حق التدريس بالازهر وهو ما كان حقهم حتى الزمن القريب وحرمتهم منه القوانين الحديثة — فانا لا نطلب لهم مالا يستطيعون فكثير منهم في كل زمن كانوا من رجال العلم النابهين وأساطينه الاجلاء

ولا يزال العلم والدين مدينين لا مثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن أم مكتوم . و . في المصور الغابرة وأن كثيرا من مكفوف في العصر الحاضر في الازهر خاصة وفي مصر عامة له دليل جدي على أن الله عوض هذه الطائفة المسكينة من فقد ابصارهم — ذكاء حادا وفكرا ثاقبا وقلبا بصيرا . وليس من مصلحة العلم والدين أن تقي تلك المواهب ويحرم الناس من الانتفاع بها بحجة أن أهلها غير مبصرين . على أنه لا يزال الى اليوم عدد كبير من علماء الازهر المكفوفين يباشرون التدريس بالازهر . وليس من يعيب كفايتهم فيما يكفون به من مختلف الفنون واذا كان التدريس بالازهر من الحقوق الضرورية للمكفوفين فانه يستلزم أن لا يحرموا من دخول قسم التخصص بالازهر . وبما يساعد ذلك أن المرسوم الملكي الكريم الصادر بإنشاء قسم التخصص لم يشترط لدخوله سوى انيل شهادة العالمية دون أن يفرق بين مكفوف ومبصر فلا يصح مع هذا الاطلاق أن يكون

التخصص وقناعتا على طائفة خاصة لهم طائفة اخرى هي أحوج الناس الى الموعظة والعطف
وأما حقهم في الامامة والخطابة فليس لاحد أن يقول ان بهم مانعا من الاهلية
له فمن الواجب أن يعطوه لتكفل لهم حاجتهم الضرورية وليستفيع المجتمع بكثير
من الكفايات التي من الله بها عليهم

﴿المطلب السابع﴾ «ارسال بعثات الى الجامعات الاوربية لدراسة العلوم
التي تناسب مع التلميم في الازهر : واتخاذ الطرق التي تكفل ذلك»
لقد دهش بعض الناس لهذا الطلب واعتبروه غريبا في ذاته وانه لا يليق
بطلاب العلم الديني : ولكن الازهر الناهض الذي يريد أن يستعيد مجده وكرامته
وأن يشغل المركز الجدير به بصفة أكبر جامعة شرقية اسلامية يجب أن ينال هذا
المطلب الضروري وأن تتخذ له الوسائل التي تكفل نجاحه

أو لسنا في حاجة لعلوم جديدة في حياة الازهر الجديدة ؟ أو قل الى دراسة
تلك العلوم التي جاءت الازهر منذ زمن غير بعيد كالتربية دراسة وافية ؟
ثم أليس من اللازم مثلا أن ندرس في جامعات أوربا فلسفة الديانات وغيرها
من العلوم التي لها علاقة بالاديان والا فكيف نفعل ونحن نرى الاجانب يدرسون
الى جانب دينهم - ديننا أيضا ليتقوا علينا اذا شاءوا وليحرفوا الكلام عن
مواضعه في الوقت الذي لا ندري نحن من دينهم شيئا ليرد باطلهم بحقنا ؟؟
فمن الضروري أن نلم بذلك كله وتوسع فيه توسعا تتمكن به من تأدية
واجباتنا على الوجه الاكمل فأن في عنقنا واجب الدفاع عن الدين واذااعة شأنه
بين الناس ، وذلك يستلزم الوقوف على كل ماله مساس بالاديان

ومن الضروري أيضا أن يكون من البعثة الازهرية من يتخصص في الفلسفة
والتاريخ والعلوم العقلية فنكون قد عملنا على أن نعيد لاهل في الشرق والازهر قوته
وشبابه وفي ذلك مفخرة عظيمة لمصر نجعلها على الدوام قبلة رواد العلوم والآداب
في الشرق عامة

ولقد فطن الى ذلك منشيء مصر الحديثة محمد علي باشا فرسل بعثات كثيرة
الى الخارج كانت كلها أو أغلبها من الازهرين : وقد كان أولئك المبعوثون بعد

هو ذنبهم قواد النهضة العلمية المزدهرة التي غمرت مصر ورددت البلاد الشرقية.
صدأها وكان لها منها الأثر الجليل

وإذا كان هذا أثر البعثات الأزهرية في الماضي فإن بوسع مصر في الحاضر
أن تستفيد مما يمتاز به الأزهر من نشاط وكفاية ودأب على العمل واستعداد
لتفوق والنبوغ فترسل إلى الخارج من الأزهرين من يكون عوناً لها في مستقبلها
المحتاج إلى الكفاح الشديد في سبيل سعادة الأهلين

وما يقوله بعض قصار النظر من أن إرسال الأزهرين إلى الخارج مفسد لدينهم
هو من باب الوم الذي لا يقبله عقل . فلما يفتن عن دينه . أرائك الجاهلون بالدين
الذين لم تمتزج تعاليمهم بأنفسهم ولم يدركوا أسرارهم ومبادئهم لا الأزهريون الذين
هم أعرف الناس بالدين والذين عملوا جهدهم لحفظه وكانوا على الدوام حماة
الأمجاد وحراسه القادرين

وإذا قال أحد أن الأزهرين لا يملكون الوسيلة التي يتمكنون بها من السفر
إلى الخارج كاتقان اللغة الأجنبية — فانا نرد عليهم بآنا نقبل عن طيب خاطر أن
يبدأ قسم اختياري بالأزهر لتعليم اللغات يستطيع بواسطته الطالب اتقان اللغة
التي يريد أن يكون على استعداد للسفر . وليس في تعاليم اللغة الأجنبية وانتقامها
ما يمكن أن يكون موضع اعتراض من الوجهة الدينية أو غيرها . على أن عدداً
غير قليل من الأزهرين يدرسون الآن بعض اللغات خارج الأزهر وكثير منهم
يتقن هذه اللغات التي يدرسونها مما يدل على استعداد الأزهرين للسفر في البعثات
من الآن إذا أجابهم إلى طلبهم ولادة الأمور

« المطلب الثامن » إيجاد أماكن صحية صالحة للدراسة غير الامكنة الحالية

التي يدرس فيها الطلبة »

لقد قلنا فيما سبق عند الكلام على الكشف الطبي ووجوب تعديله بالنسبة
للأزهرين « أن أماكن الدراسة الحالية في الأزهر والمعاهد الدينية التي لا تصلح
ولم توجد — ألا تكون أماكن لعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة لطويلة
القاسية وفي زمني الحر والقر ما يكفي لأن يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة

الجيدة، والآن نقول ان هذه الاماكن التي يدرس بها الازهريون لا تستوفي شرطا واحدا مما توجبه التربية الحديثة فالطلبة يضطرون للجلوس متربعين طول يومهم لا يحول بينهم وبين الارض سوى حاجز بال من الحديد لا يدفع رطوبة ولا يمنع أذى ولا ريب ان تلك الجلسة الدائمة على الشكل الذي ذكرنا تعرض صحة الطلبة للضعف ويجعلهم عرضة لشتى الامراض فضلا عن تشبث أذهانهم وفقد انتباههم أثناء إلقاء الدرس مع ان الانتباه واجتماع ذهن ضروريان لاستفيد الطالب مما يلقي عليه استفادة صحيحة قيمة .

هذا مع أن في تجارر الدروس بدون حاجز يفصلها عن بعضها ما يدعو لاختلاط أصوات المدرسين والتهويش على بعضهم وما يتبع ذلك من الجلبة والضوضاء وسماح الطلبة الذين يجلسون في آخر الحفلات أصوات مدرسي الفصول الأخرى التي قد تكون أصواتهم أقرب إليهم من أصوات مدرسيهم . وإن أقل نظرة لحالة الدروس بالازهر وقت انتظاها تكفي للاقتناع وليس هذا من المصلحة في شيء . على انه ليس هناك ما يصحح أن يسمي موازنة بين أماكن الدراسة بالمعاهد الدينية والمدارس الأخرى من حيث استيفاء الشروط التي تستوجبها التربية فان شرطا واحدا من الشروط التي توجبها لا يوجد بأماكن الدراسة بالازهر في الوقت الذي لا تنقص فيه المدارس الأخرى شرطا واحدا . ونحن على يقين بأن ذلك لا يرضي ولاية الأمور لانهم مقتنعون بأن من الضروري لمصلحة الطلبة ولتمام الاستفادة المدرسية صلاحية الامكنة للدراسة واستيفاءها للشروط اللازمة وذلك ما يجب أن ينظر اليه بنين الاعتبار في المعاهد الدينية

(المطلب التاسع) « جعل الوظائف الكتابية بالمحاكم الشرعية حقا مشتركا بين جميع المذاهب »

لا ريب في أن هذا الطلب مع عدالته لا يكلف الحكومة شيئا من المال . وهو ليس الا تنازلا من علماء الحنفية عن بعض حق هو لهم رضوا بأن يشركهم إخوانهم من المذاهب الأخرى في الانتفاع به لان لأولئك الاخوان من الكفاءة . لهذا العمل ما لهم (الاحناف)

علي أنا إذا اعتبرناه حقاً للاحناف فليس إلا مجازاة لما هو واقع دوزشي آخر
لان القانون جملة حقاً مطلقاً لحامل العالمية دون أن يفرق بين مذهب ومذهب.
أليس من المصلحة مراعاة هذا الاطلاق لاسيما أن فيه تحقيقاً للمعادلة ؟

وما دامت الكفاية والاهلية موجودتين فلا سبيل لاهمالهما
لو أن الكتابة بالمحاكم الشرعية تشمل اصدار أحكام فقهية على مذهب الحنفية
لما كان للاحناف أن يرضوا بمشاركة غيرهم لهم في هذه الوظيفة ولما كان لغيرهم أن
يطلبها وإذا كانت وزارة الحفانية قد اتخذت - ولا تزال - مفتشين للمحاكم الشرعية
من غير الحنفية فأولى لما أن تقبلهم في وظائف الكتابة التي لا يسهو حرمانهم منها
(المطلب العاشر) « إلغاء القوانين الاستثنائية والاجراءات التي ترتبت
عليها وإباحة الانتساب والتحويل الى الجهة التي يريدھا الطالب »

لقد كان مما لا يتوقع أن تصدر قوانين جائرة تقيد بها حرية رجال الدين
الأزهريين في التعبير عن ميولهم وآرائهم سواء كانت هذه الآراء في اصلاح الأزهري
أو في حالة البلد العامة لأن الآراء يجب أن تكون على الدوام محترمة وأن يفسح
المجال لظهورها لا أن تتخذ الوسائل لقمعها وإذا وجب أن تحترم الآراء وأن تكون
حرية فإن أولى بالاحترام والحرية آراء المتعلمين من رجال الدين فهي على كل حال
بعيدة عن أن تكون سيئة الغاية أو منكرة الأثر

ان الأزهريين محوطين دائماً بأداب دينهم وأوامر ونواهي وهذا كاف لان
يحول بينهم وبين ما يمكن أن يكون أداة شر أو وسيلة للفساد فكان من الضروري
أن يكون لهم مآثر طوائف الأمة من تمام الحرية في التعبير عن أفكارهم وميولهم
مادام ذلك في حدود القانون المام

وإذا كانت هذه القوانين قد ألجى إليها في ظروف خاصة أيام كانت البلاد
خاضعة خضوعاً مطلقاً للاجنبي ، ولم تكن الوزارات شاعرة بشيء من الاستقلال
في خدمة البلاد فإن من الضروري إزالة هذه القوانين بمد أن تغيرت الحال
وأصبح للبلد دستور يضمن حرية الآراء

وليس ما يدعى لان نذكر بالتفصيل مبلغ هذه القوانين من الجور ويكفي أن

نقول أنها مخالفة للدستور وهي مع ذلك في شكلها وجوهرها مما لا مثيل له في جامعة من الجامعات . بل ولا في مدرسة من المدارس المصرية وذلك كاف لوجوب إلغائها مع ما ترتب عليها من اجراءات

وكذلك يجب أن يحدد النظر في القانون القاضي بقصر طلبية كل جهة على المعهد القريب لهم دون أن يسمح لاحد منهم بالانتساب الى معهد آخر

فقد تكون وسائل حياة الطالب موفرة في بعض الجهات دين بعض وقد تكون هناك اعتبارات اخرى كوجود الطالب مع من يعوله أو يلي أمره فمن الضروري أن تراعى في القانون المذكور هذه الاعتبارات حتى لا يحال بين العلم والراغبين فيه ﴿ المطلب الحادى عشر ﴾ « جعل الامتحانات على دورين . في السنة الواحدة

حسب المتبع في المدارس »

إذا راعينا كثرة المواد المقررة في سنى الدراسة بالازهر والكتب التي تدرس فيها تلك المواد وغزارة مادتها وحاجتها الى البحث المطرد والتعمق فيه ، نجد أن من اللازم لمصلحة العلم والطلبة أن يكون هناك امتحانان أحدهما في آخر السنة الدراسية الماضية وثانيهما قبيل العام الدراسي المقبل ولكل شخص الحق في دخول أى الامتحانين على أن لا يعتبر الثاني ملحقا للاول ويكون لمن رسب في الامتحان الاول ولو في كل المواد أن يدخل الامتحان الثاني وما دامت الغاية من الامتحان هي أن يتأكد من احاطة الطالب بالمواد التي درسها فلا على ولاية الامور أن يكون ذلك في أى الامتحانين ، مع مراعاة أن اعطاء الطلبة هذا الحق يفتح باب الامل لمن يخوهم الحظ في آخر العام لاسباب قد لا يكون في وسعهم دفعها قتها لهم الفرصة ليتمكنوا من حفظ عام من حياتهم وفي ذلك أيضا تخفيف العبء عن ولاية امور الطلبة في الاتفاق عليهم سيما من الطبقات غير الغنية وذلك مالا يحسن اهماله لمصلحة العلم والمعلمين

﴿ المطلب الثاني عشر ﴾ « انتقاء الكتب وتعديل البرامج بما يتناسب مع

حاجيات العصر الحاضر والتقدم العلمي الحالي »

بعد هذا المطلب من لوازم الاصلاح المنشود ، فان الكتب المقررة الآن

« المنارج : ج ٢ » « ١٧ » « المجلد السادس والعشرون »

بالازهر قد ألفت في عصور سابقة تختف حالتها كثيرا عن حالة هذا العصر .
فلا أسلوب الذي كتبت به والابحاث التي تناولتها يحتاجان إلى كثير من التهذيب
والتنقيح . ليتفق ذلك مع حاجيات هذا الزمن .

ففي التوحيد مثلا لا تزال تدرس الكتب التي تبحث مذاهب السوفسطائية
وما عليها من ردود مع انقراض هذه المذاهب وأصحابها . وقد كان الواجب أن
يعني بمذاهب الاتحاد التي تفتت في هذا العصر فتدرس ماهيتها وطرق دحضها
والرد عليها . وفي علوم البلاغة تدرس كتابا لا يجاوز الحد إذ قلنا انها مقدمة لاتعين
الطالب على فهم روح العلم وهي مع ذلك تأخذ من وقته أكثر مما يأخذ منها ، وباجمال
قل كثيرا من الكتب المقررة بالازهر تحتاج الى تهذيب أو استبدال

ولا ريب أن الميل اذا اتجهت الى سد هذا النقص وجدت ذلك من الميسور
فان العرب مؤلفات قيمة تتفق مع حالة العصر . وما لا يوجد من ذلك فمن الممكن
أن تقوم به لجنة تناط بها هذه الغاية وفي مصر من الرجال الأكفاء في العنون
المختلفة من يؤدي ذلك على أكمل وجه

وأما تعديل البرامج قلنا نطلبه ليسير الازهر جنبا الى جنب . مع أكبر المعاهد
العلمية وليعلم المنتهون أنا لسنا جامدين وأنا على استعداد لان يستفيد الازهر
من كل تقدم علمي في الخارج ليحفظ بعجده الخالد وليبقى معهد الشرق العظيم
كما كان في سالف الايام

الخاتمة

وبعد ، فقد وضعنا مطالب الازهر بعد ان صورنا متاعبه وآلامه ولا ريب
ولا ريب ان قارئها الكريم وجد فيها آية الحق الواضح ، ولمس برهان العدالة الناصح
ومن اجل ذلك لا يخامرنا الشك في انها ستلقى تفضيلاً بشعر الازهريين ان العدل
لا يعدم انصاراً يذردون عنه ويساعدون على ان يسود . ولولا اعتقادنا ان الحق
صولة على الافئدة . وساطنا مهيمنا على النفوس . لكان لنا مندوحة عن الشكوى
ولكننا بسطنا هذه الادواء وشفعنا لها بادويتها الناجمة . ولا شفيع لنا غير ماتصمته

من الحقائق . فاني كل غيور نزجها على هذه الصفة . وعاليها يرحب الازهر من بتقديم
انصرته وارجاح مجده اليه . وفق الله الجميع الى ما فيه الخير العام
عبد الوكيل جابر . محمد نهي السيد . عبداللطيف محمد السبكي : مصطفى
المطفي ، كامل محمد حسن ، محمود حسين مهدي ، علي محمد حسن ، جاد سليمان
محمد محمد الجسر ، عبد الحميد مطاوع ، منصور علي رجب ، عبد الحكيم أبو المعالي
طه علي طه ، محمد عبد الله أبو النجا ، محمود عبد الدايم ، حامد عوني ، محرز
السباعي ، احمد علي احمد ، عبد الفتاح محمد ، عبد الحميد عباس ، الابحر ، صالح
موسى ، محمد الفصيل ، محمد أبو الحسن ، محمود خليفة ، محمود الخولي ، عبد العظيم
المسلاوي ، حسين مشرف ، نصار شديد ، محمود ربيع ، احمد هنداي ،
محمود نعيم جاد ، مشهور احمد هندي ، علي علي الطباخ ، علي محمد طامر ، زكريا
حسن مكاوي ، محمد الاباصيري ، محمود عوض ، محمد منير محمود ، عبد الرحمن
النواوي ، احمد الكومي ، عبد العظيم سالم حسين السيد عبدالله ، احمد طالب
عبد الله ، حسن سيد احمد البخشونجي انتهى

(المنار) أوردنا ما تقدم بنصه وسنعلق عليه بعض الفوائد والآراء في المقال الآتي

عاقبة العرب و آخر عهد الاسلام بالاندلس

﴿ شروط تسليم غرناطة لاسبانية وعاقبة المسلمين معها ﴾

مقتبس من خلاصة تاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان

أما شروط تسليم غرناطة فقد سردها المرحوم ضيا باشا في تاريخه
للاندلس وهي خمس وخمسون مادة تتضمن تفاصيل ما وقع عليه الاتفاق
وفي طيها من عهد المحاسنة والملاطفة والمراعاة والحفاظة على أعراض القوم
وعقائدهم ودمائهم وأموالهم وكراماتهم وراحاتهم ما لا يفي به إلا نصه
وقد تكرر في المادة الخامسة الممنع الملك والمملكة باحترام ديانة المسلمين
ومساجدهم وأوقافها وأموالها المحفوظة، وعدم ان تعرض لامورهم الشرعية

بل إعادة ذلك إلى فقهاءهم والمحافظة على أصول الفقهاء وعاداتهم وملايسهم وأن يبقى هذا العهد معمولاً به في الاعقاب وأعقاب الاعقاب .

وفي المادة السادسة عدم سلب أسلحة المسلمين ومراكبهم ومواشيهم إلا الأسلحة النارية فتقرر أخذها

وفي المادة السابعة تسهيل السفر لكل من شاء الهجرة بأمواله وامتنعه وفيما بعدها إجازته على نفقة دولة قشتالة من أي مرسى أراد وتسهيل معاملات بيع العقار لمن شاء الرحيل ، وإذا لم يتهياً البيع ووكل صاحب الملك وكيلاً تعتبر وكالته ويساعد على استيفاء حاصلاته وإيصالها إليه بمكانه وراء البحر

وورد في المادة الحادية عشرة تشديد مجازاة كل من يدخل من النصارى جامعاً بدون رخصة الفقهاء

وورد في المادة الخامسة عشرة إعفاء السلطان أبي عبد الله وسائر أمراء المسلمين وقوادهم وفقهائهم من الضرائب والرسوم وإقرار الجميع على امتيازاتهم كما كانوا العهد ملوكهم وأن تكون كلمتهم نافذة وقولهم مسموعاً وورد في المادة السادسة عشرة والتي بعدها ما يتضمن عدم جواز دخول أحد من النصارى بيوت المسلمين حتى ولا الملك والملكة ومن خالف ذلك من النصارى يجازى بشدة

وفي المادة الخامسة والعشرين إذا فر أحد من أسرى المسلمين المعتقلين في سائر الممالك ووصل إلى غرناطة فقد نبأ ولم يكن لأوروبي شرطة غرناطة أن يمسكوه لكن ذلك الامتياز مخصوص بعرب الأندلس لا يتناول أسرى المغرب

وفي المادة الثلاثين أن من أسلم من النصارى قبل هذه الكائنة فلا تجوز معاملته الا بالحسنى ولا يرى أقل تحقير ومن خالف ذلك ينال من الجزاء شدة . وفي المادة الواحدة والثلاثين لا يجبر مسلم ولا مسلمة على قبول الدين المسيحي

وفي المادة الثانية والثلاثين اذا كان المسلم متزوجا بنصرانية وأسلمت لا تجبر على الرجوع الى دينها الاصلى والذين يتولدون من هذا الزواج يعدون مسلمين ولو ارتدت الزوجة عن اسلامها

وفي الخامسة والثلاثين لا يرد المسلمون شيئا مما غنموه أثناء الوقائع التي جرت الى يوم تسليم البلد وفي التي بعدها لا يعاقبون على شيء مما مضى من تحقير الاسرى او اهانتهم

وفي الثانية والاربعين تفصل الخصومات بين المسلمين والنصارى في مجلس مؤلف من قائدين أحدهما مسلم والاخر مسيحي

وفي الثالثة والاربعين تمام جميع أسرى المسلمين في مدة ثمانية أشهر من أي بلاد وجدوا فيها من اسبانية وفي مدة خمسة أشهر ان كانوا في بلاد الاندلس وفي الثانية والخمسين عدم استخدام شرطة من النصارى لمراقبة شؤون المسلمين بل تكون شرطتهم من انفسهم

وفي آخر هذه المعاهدة تعهد الملك فرديناند وامرأته صاحباً بممالك قشتالة واراغون وليون وصقلية ان يحافظا على نص شروطها حرفاً بحرف وينفذا جميع أحكامها من خاص وعام وكلي وجزئي بكمال التدقيق وبدون ادنى زيادة ولا نقصان مهما يكن من الاسباب وان تبقى على شكلها وهيئتها ولا يتغير ولا يتبدل حرف منها الى الابد ، ولا يمكن احداً من خلفاء الملوك

المشار اليهما ولا خلفاء خلفائهما ولا حفيدتهما ولا اولادهم الى ما شاء الله
أن ينقضوا اقل حكم من احكامها او يدلوا حركة من حركاتها ، واعطى
الامر بها الى الامراء والوزراء والقواد والاجناد والرهبان والرعية من
حاضر وغائب ، وقاص ودان ، وكبير وصغير ، وأعلن أن من يجترى على
الخلل بشيء مما تضمنته هذه المعاهدة يجزى جزاء من اقدم على افساد
البراءات الملكية او تقليد المجهج والسندات بدون ادنى تأخير

واقسم الملك فرديناند والملكة ايزابلا وسائر من أمضوا الشروط
على دينهم وشرفهم برعايتها الى الابد على الصورة الميمنة وكتبت على رق
هزال على ومطرز تحريراً في ثلاثين من كانون الاول سنة احدى وتسعين
واربعمائة والف من الميلاد

وحررها فرناند وصغره بأمر الملكين وأمضاها الملك فرديناند
والملكة ايزابلا وأولادهما الدون جان والدونة وايزابلا والدونة خنة والدونة
ماريانية والدونة كاتالينة ورئيس أساقفة أشيلية الدون دياغو هرتادو رئيس
أساقفة صانتياغو الدون القونس وكبير فرسان صانتياغو المسمى بالدون
القونس أيضا والدون جان كبير فرسان القنطرة والدون الفارو زعيم رهابين
ماريوحنا والدون بيروغو ترالس كردينال اسبانية ورئيس أساقفة المملكة
والدون هنري كبير حكومة أراغوز ومن أبناء عم الملك والدون القونس
من أبناء عمه أيضا والدون الفارو مدير دائرة الملكين والدون بتروفرناندز
رئيس جند تشالة ويليم نخو من أربين دوننا كلهم من أبناء السلالة المالكة
وأساقفة البلاد وامراءها وايانها وقوادها

وكتب ايضا معاهدة اخرى لسلطان غرناطة ابي عبد الله بن ابي

الحسن تتضمنه اربع عشرة مادة فيها عليك الانقطاعات والاراضي والبلدان التي وهبها اياه الملك كان معيناً كل منها بذاته والتعهد باعطائه اربعة عشر مليوناً وخمسمائة قطعة من السكة المعروفة بالمرأويده عند دخولها قلعة الحمراء وانفراد ملكيته لجميع العقار الموروث ، واعفاؤه من دفع الضرائب والرسوم واداء المكوس عما يجلب من الاستعارة برسمه ، وانه في اي وقت شاء يبيع هذه الاراضي والاملاك يشترها الملكان كلها بقيمتها الدالة وان لم يشأ يبيعها واراد النقلة الى المغرب قالو كيل الذي يعينه عليها يستوفي له حاصلاتها ويوردها عليه في اي جهة كان مما وراء البحر وفي اي وقت عول على الاجازة تنقله مع رجاله وعياله وأواله سفن دولة قشتالة مجاناً ولا يطالب بشيء ولا يكون مسؤولاً عن شيء مما حصل الى حين عقد الصلح ولا يسترد شيء مما غنمه . وجميع هذه الشروط كما هي جارية في حقه تجري أيضاً في حق والدته وشقائقه وزوجته وزوجة مولاي ابي نصر والمهدة الثانية مؤرخة في يوم تاريخ الاولى الا أنني وجدت اكثر المؤرخين يؤرخون إمضاء المعاهدات في ٢٥ كانون الاول وفق ٢٢ المحرم سنة ٨٩٧

(ثم نقل المؤرخ رواية تفصّل الطيب في تسليم غرناطة وبعض شروط الصلح بينهم وبين المسلمين مخلصاً بمألفه)

« وفي ثاني ربيع الاول من سنة ٨٩٧ استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان : هنا خرف الفدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت عليه ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم — وأن تبقى المساجد

كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصراني دار مسلم ولا ينصبوا
 احداً— وأن لا يولي على المسلمين نصراني ولا يهودي— وان يُفتك جميع من
 أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصاً اعياناً نص عليهم، ومن هرب
 من أسرى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه للملك ولا لسواه والسلطان
 يدفع ثمنه للمالك ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت
 في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر
 مالهم والكراء— وأن لا يؤخذ احد بدين غير— وأن لا يقهر من أسلم على
 الرجوع للنصارى— وان من تنصر من المسلمين يوقف اياماً يحضر له حاكم
 من المسلمين وآخر من النصراني فان ابي الرجوع الى الاسلام تمسك على
 ما اراد— ولا يعاقب من قتل نصرانياً أيام الحرب ولا يؤخذ ما سلب من
 النصراني أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة اجناد النصراني ولا يسفر
 لجهة من الجهات— ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم
 المحدثـة ولا يطلم نصراني للسور، ولا يتطلع على دور المسلمين، ولا يدخل
 مسجداً من مساجدهم ويسير المسلم في بلاد النصراني آمن في نفسه وماله ولا يحمل
 علامة كما يحمل اليهود (١) وأهل الدجن— ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم
 ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب، ويتركوز من المغارم سنين
 معلومة وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خطيده. وامثال
 هذا مما تركنا ذكره. انتهى المراد منه

(١) لعل الاصل: ولا يحمل علامة الخ - - - ولا يحمل له علامة كما
 يحمل لليهود اهـ مصححة

﴿ نقض الاسبانيول عهد مسلمي الاندلس وتنكيلهم بهم ﴾
ولا كراههم على التنصر

قال صاحب المختصر المذكور

ولنذكر حالة بقية مسلمي الاندلس بعد ذهاب ملكهم فيها فنقول .
ورد في تاريخ « الاسلام في اسبانية » تأليف ستانلي لانيول ما محصله
« ان آخر أنفاس أبي عبد الله على تلك الربوة لم يكن بأخر حر أنفاس
المسلمين في تلك الديار، بل بداية أنفاس يرسلونها الصعداء، وافتتاح عهد
انتقام وابتلاء، وان أسقف غرناطة الاول هرناندو دوتالا فيره كان رجلا
حليما عادلا أحسن معاملة المغاربة وأبى الجور عليهم وتعلم العربي وكان يصلي
به وعلى يده ارتد ألوف من المغاربة إلى النصرانية. قيل ان ثلاثة آلاف
تنصروا في يوم واحد. الا ان الكردينال كسيميناس الذي كان من القسم المحارب
بين رؤساء الكنيسة اعترف السبيل ومال الى العنف والا كراه وأساء معاملة
المسلمين وحمل الملكة ايزابلا على ما بقي نقطة ذهبا في تاريخ حياتها من اضطهادهم
واستعبادهم ولا كراههم على التنصر، فأثار ذلك ساكنهم، وأخرج كامنهم، وفي
احدى المرات حبست امرأة من البيازين لشأن من هذا القبيل فثار سكان
البيازين وتمحصنوا وحملوا السلاح وكادوا يفتكون بالجنود وأوشك الدم ان
يسيل بمحبة الكردينال كسيميناس

الا ان المطران هرناندو الموصوف بالوداعة دخل روض البيازين
بالسكينة والانس مع نفر قليل من حاشيته بدون سلاح وسأل القوم عن
شكراهم وثقبلها منهم بالاستماع والاحتفال وهدأ روعهم وأعاد طائر الامن
الى وكره وحجب الدماء يومئذ، على أن كسيمينيس المشهور لم يزل يغوي

الملكة حتى أصدرت أمرها بإكراه المسلمين على إحدى الخطتين الجلاء أو النصرانية وذلك بأنهم كانوا يذكرون المسلمين بأنهم سلالة النصارى في الأصل، فأقفلت المساجد وأحرقت الكتب، التي هي ثمرات القرون وزبد الحقب، وأذيق المسلمون العذاب أشكالا وألوانا، ففضل عامتهم فراق دينهم على فراق أوطانهم، لا أن شعله من الحمية الإسلامية بقيت تلمع في جبال البشرات حيث حميتهم أوطانهم من مضطهد دينهم

وأول جيش أرسل إليهم تحت قيادة الدين الوثرودو اغيلار البطل الشهير انهزم هزيمة شنعاء وذلك في سنة ١٥٠١ وقتل الدون المذكور وقيل انه الدون الخامس المقتول من عشيرتهم في حرب المسلمين فازداد انتقام الاسبانيول من المغاربة بعد هذه الغلبة وهجم كونت طنديلة على قوجار وهدم كونت سرين جامبا على جماعة التجأوا اليه من المسلمين بنسائهم وأطفالهم، وأمسك الملك فرديناند بنفسه الطريق على الفارين من الجبال فمن بقي حيا من الثوار فر الى مراکش ومصر والبلاد العثمانية وانتهت الثورة الاولى في الجبال

وهضي على ذلك نصف قرن والبعض دفن في القلوب والمسلمون المتنصرون يعمدون أولادهم ظاهرا فإذا انصرف القسيس مسحوا عن الولد ماء المعمودية. وإذا تزوج أحد الموريسك (لقب المتنصرة من المغاربة) أجرى القسيس عقدا لا كليل ثم بعد ذهابه عقدوا النكاح بحسب السنة الإسلامية وكانوا يتقبلون قرصان البحر من أهل المغرب ويعاونوهم على اختطاف أولاد النصارى ويأتون غير ذلك فلو كانت تمت حكومة عائلة قومية ترى عزمها التي واثقت عليها عند تسليم غرناطة لم يكن محل لذلك البعض العميق

المناج ٢ م ٢٦ اكره مسلمي الاندلس على ترك لغتهم وزيهم وعاداتهم ١٣٩
ولكن حكم الاسبانيل لم يكونوا أهل عقل ولا عدل وكانوا يزدادون
بتماذي الايام شراً، وإثبات الاوار ان صدرت باكره المغاربة على ترك
أبستهم المخصوصة بهم وعلى لبس البرنيطة والسر او يلات الاسبانولية،
ومحظر الغسل ودخول الحمام عليهم اقتداءً بغالبيهم في احتمال الاقدار، ثم نعوهم
من التكلم بالعربية وصدر الامر بأن لا يتكلموا بغير الاسبانولي، بأن يغيرو
اصماءهم ويسيروا سيرة اسبانولية ويسموا أنفسهم اسبانولاً، وكان تصديق
الاسبراطور شر لكان هذا الامر التنظيم في سنة ١٥٢٦ على انه لم يكن الظاهر
من اعتماده اجراؤه بالفعل لكن عماله اتخذوه ذبيحة لاستنزاف اموال
الموسرين من المغاربة صار ديوان التتميش يحترف ويتجرب هذه المسألة ولما
صار الامر الى فيليب الثاني شدد في إنفاذ الاوامر بحق الموريسك وسنة
١٥٦٧ عزز الامر الصادر بشأ تغير الزي واللغة باستيثاق غريب لاجل
منع النظافة التي هي من سنن الاسلام وذلك بأنه أخذ يهدم حمامات الحمراء
البديعة فالطرائق التي أخذوا بها لتكثير احوال تلك الامة هي اشد من ان
يحتملها أي قبيل كان، دعى سلائل المنصور وعبد الرحمن وابناء سراج،
ولذلك لم يطل الزمن حتى استطاز الشر واشتملت الفتنة وثار فرج ابن
فرج من ذيل بنى سراج بجماعة من ذوى الحمية من غرناطة قاصداً الجبال
قبل أن تتمكنت المامية من تعقبهم ونودي بهر ناندو دو فلور من نسل
خلفاء قرطبة ملكاً على الاندلس تحت اسم محمد بن أمية وعمت الثورة في
أسبوع واحد كل انحاء جبال البشرات ووقع ذلك سنة ١٥٦٨
ولما كانت هذه الجبال من أصعب تضاريس الارض مرتقى وأوعرها
مساكاً، كان تدويخ سكانها من أصعب الامور منالاً، والفتنة فيها بعيدة

المرمى، فاستمرت هذه المرة حولين كاملين حافلاً تاريخها بحوادث لا تحصى من القتل والفدر والتعذيب والاستباحة والاحتياط من الجانبين، لكنه ايضاً حافل بوقائع يندر في تاريخ الفروسية وكتب الحماسة الظفر بامثالها وتبقى على صفحات السير نقرأ للقرون والامم وكانت المغاربة هناك في موطنهم الاخير والموقف الذي يحاولون فيه ادراك الثأر على نحو مئة سنة قضوها في البلاء العظيم، والهون الذي ليس له نظير، فمبوا جميعاً منادين باخذ الثأر واقتضاء الاوتار قرية بعد قرية، وهدموا الكنائس وأهانوا ما فيها وقتكوا بالفسيدين وعذبوا النصارى الذين وقعوا في أيديهم، واعتصم الذين نجوا بالمعقل والابرار ودافعوا دفاعاً شديداً. وكان مركزهم موثيقاً بجارة قائداً في غرناطة فعمد الى المسالبة وأخذ بالملاينة وكادت الوعدة تنطفيء لولا ما أعاد الشرر من ذبح مائة وعشرة سجناء في حبس البيازين من المغاربة قيل إن ذبحهم وقع بغير علم المراكيز، لكن الموريسك لم يقبلوا العذر ونشروا لواء الثورة، وصار ابن امية اميراً بالفعل على جميع جهات البشرات، الا أنه لم يكن ممن يحسن السياسة فقام بعض اعوانه وقتلوه وبويع لرجل آخر موصوف بالنجدة والجمانة اسمه عبدالله بن ابوه

فارسلت دولة اسبانية لتدوين الثوار الذين جون الاوستري اخا الملك وهو شاب في الثانية والعشرين من العمر فباشروا القتال في شتاء سنة ١٥٦٩ الى ١٥٧٠ واتى من الفظائع ما بخلت بانداده كتب الوقائع، فذبح النساء والاطفال أمام عينييه، وأحرق المساكن ودمر البلاد، وكانت علامته « لاهوادة » وانتهى الامر باذعان الموريسك لكنه لم يطل واستأنف مولاي عبدالله بن ابوه الكرة، فاحتال الاسبانيون حتى قتلوه

غيلة، وبقي رأسه منصوباً فوق أحد أبواب غرناطة ثلاثين سنة. وأخش الاسبانيول في قمع الثورة بما أقدموا عليه من الذبح والحريق والخنق بالدخان حتى أهلكوا من بقية العرب هناك خلقاً كثيراً، وخنق الذين نجوا من الموت لكنهم وقعوا في الرق وسيقوا ممالك وعبداناً ونفي جملة منهم، فاخذ عددهم يتناقص. ولما كان اليوم المشهود والمذكور في التواريخ وهو عيد جميع القديسين سنة ١٥٧٠ بلغ عدد من ذهب منهم عشرين ألفاً والذين أخذوا منهم في معمة الفتنة صاروا إلى الاستعباد، والباقون أخرجوا من البلاد مخفوفين، فمات كثير منهم على الطرق تعباً فمنهم من أجاز إلى بلاد العدو وطافوا هناك سائلين لاجل قوتهم الضروري ومنهم من لجأ إلى بلاد فرنسا حيث استقبلوهم براً ورحيباً واحتاج اليهم هنري الرابع لاجل دسائسه في مملكة اسبانية ولم ينته اخراجهم تماماً إلى سنة ١٦١٠ إذ وقع الجلاء الأخير ولم يبق في تلك البلاد مسلم بعد أن وليها الاسلام ثمانية قرون. ويقال ان عدد من خرج منهم منذ اليوم الذي سقطت فيه مملكة غرناطة إلى السنة المباشرة بعد الألف والستمائة يبلغ ثلاثة ملايين وأن الذين خرجوا لا آخر مرة نحو نصف مليون.

وأما الاسبانيول المساكين فلم يعرفوا ماذا يصنعون ولا أنهم يخرجون بيوتهم بأيديهم، بل كانوا فرحين مسرورين بطرد المغاربة مع أن اسبانية كانت مركز المدينة ومبعث أشعة العلم قرونا، وقلما استفادت بقية أوروبا من حضارة الاسلام بمقدار ما استفادته هذه البلاد فلما غادرها الاسلام انكسفت شمسها، وتسلط نحسها، وإن فضل مسلمي الاندلس ليظهر في همجية هؤلاء القوم وتأخرهم في الحضارة وسقوط هذه الامة في سلم الاجتماع

بعد أن خلت ديارها من الاسلام انتهى كلامه ملخصا
 واستشهد في حاشية هذه الجملة بنقل يش لك درجة هذه الحقيقة وهو
 أن للملك حول مدينة غرناطة ضياعا واسعة وزارع التزموا بيمينها سنة
 ١٥٩١ بسبب كونهم يخسرون عليها أكثر من غلتها ، مع أن هذه البقاع
 كانت لعمد الرب حداثق غذاء ، وغياضا ذات افياء ، ووارد ثروة رخاء
 وقال واشنطون ارفن في تاريخه لفتح غرناطة ما معناه ملخصا : انه
 بعد دخول هذه البلدة في حوزة الاسبانيول بقيت الحال غير مستتية تماما
 مدة سنوات الى أن وقع من اجتهد رؤساء مذهب الكاثوليك في حمل
 المسلمين هناك على النصرانية ما اياس مغاربة الجبال المتشددين في دينهم
 فثاروا برؤساء الدين وقبضوا على اثنين من هؤلاء الدعاة في مدينة دارين
 وعرضوا عليها الاسلام فامتنما فقتلوهما . وقيل ان النساء والاولاد قتلوهما
 قعصا بالعصي وشدخا بالمجارة ولهم آحرقوا جثتيهما فانتقم النصراري
 من هذه القعلة بان اجتمع منهم نحو ثمانمائة فارس وساروا الى قري المغاربة
 مخربون ويميثون ، واعتصم المغاربة بالجبال وانتشرت الفتنة في الجبال كلها
 لكن وسطها كان في جبل بريجه المصاوب للبحر ، فلما اتصل الخبر بالملك
 فرديناند أصدر أوامره بنقل المغاربة الساكنين في جهات الثورة الى قشتالة
 وأعطى الامر سرا بان من يدخل منهم في النصرانية يبقى في وطنه ثم رمى
 تلك الامة بالنائد المشهور الوتزو دواغيلار معه جيش وهو الذي قضى
 معظم شبابه في قتال المغاربة فما اترب من بلادهم حتى هرع جملة وافرة
 منهم الى رندة للدخول في النصرانية وجر الباقون منهم تحت قيادة فارس
 اسمه الفهرري سائقين نساءهم وأطماهم الى حيث يتعذر السلوك من تلك

الاورعار . رابطين شعاب الجبال دون مرور عساكر الاسبانيول فالتقى
الجمعان أمام بلدة موندردو وانتشب القتال فيقال ان الدون الوزو مع ابنه
الدون بطرو وثلاثمائة من شجعانه صدقوا الحملة على المغاربة فازاحوم
وتلاحقوا في الهزيمة فتبعهم الجند يغتمون ويهيمون ولما امتلأت أيديهم
بالغنائم كر عليهم الفهري بجماعة من أبطاله رعلت الصرخة فارجت لها
جوانب الودية وذعر الاسبانيول فتداعوا للأفراد وثبت الوزو في
مكانه يحرضهم ويغتم من شتيت شملهم فصرعه جماعة وولى الاكثرون
ودخل الظلام وبخيم النسق واشتد الخلق بالاسبانيول وجرح بطره ابن
الوزو فأمره أبوه بالرجوع فأصر على البقاء بجانب أبيه فأمر اتباعه بمحمله
إلى معسكر كونت أورينه فاحتملوه مشقة جراحا ولبث الدون بمائتين
من رجاله يناضلون حتى فنوا عن آخرهم

وتحصن الدون بين صخرين بقي بهما فبصر به الفهري فقصده
واستعر الصراع وألح الفهري وطعم في قرنه وكانا متماثلين في ثبات الجنان
مع قوة الاضلاع وتواثق الخلق فصاح الوزو بخصمه « لا تحب من نفسك
وقمت على صيدهين فأنا الدون الوزو دياغيلار » فأجابه المغربي « انت
كنت انت الدون الوزو فأعلم اني أنا الفهري » ثم كوره صريعا ومات
بموته مثان القراسة الاسبانيولية وانموذج الغشمشية في الاندلس

واندفع المغاربة ذلك الليل بطوله يطاردون الاسبانيول ولم ينكفوا
حتى لاح الصباح فاجلى المعتك عن قتل الدون فرنسيسكو دوراميز
المديدي الذي كان قائد المدفعية الاكبر وكانت له المواقف المشكورة في
حصار غرناطة لكن مصرع الدون الوزو دواغيلار الذي الاحزان جميعهم

وعند وصول خبر هذه الفاجعة إلى الملك زحف بالجيش إلى جبال رندة فسكنت بحضوره النائرة واشترى بعض المغاربة أرواحهم فجازوا إلى أقرية، واحتمي آخرون بالنصرانية، وأما أهل البلد الذي قتل فيه الدعاة فسلخوا في سلسلة العبودية وبحث الملك عن جثة الدون فوجدوها بين مائتي جثة من الأسبانيول فيها أجساد عدد من الأمراء والكبراء فحملوها إلى قرطبة في مشهد حافل، بين مدامع كالسحب المواطيل، ودفن في كنيسة مار هيبوليتو، وندبه الأسبانيول دهرأ طويلا « انتهى كلامه بمجمل »

وذكر المؤرخ الفرنسي الشهير فيكتور دروي في تاريخه ما يأتي ملخصا « ان اسبانية تخلصت من العرب لكنها بقيت حافظة عليهم احنة شديدة ربتها في قلوبهم ثمانية قرون قضتها معهم في الحرب وكان لذلك العهد سكان الجزيرة اخلاطا من مسلمين ونصارى ويهود فمول فرديناند على توحيد الهيئة بوحدة الاعتقاد تعزيزا للدولة فانشأ ديوانا جديدا للتفتيش وكان الملك هو الذي يعين الرئيس والمتمش الكبير ويضع يده على أملاك المحكوم عليهم وكان هؤلاء في البداية من النصارى المتهودين والمسلمين المتنصرين ظاهرا الباقيين في الباطن أمراء للمحمد (صلى الله عليه وسلم) ثم شملت أحكام الديوان أهل البدع السياسية كالبدع الدينية أيضا

وسنة ١٤٩٢ قرر ديوان التفتيش المذكور طرد اليهود من اسبانية بعد ان سلبوهم أموالهم وقد قدر بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الحادثة عدد من خرج منهم ٨٠٠ ألف (قلت منهم جماعة وافرة بأزمير وأقوام بالاستانة هاجروا اليها في تلك الكائنة ومنذ خمس سنين احتفلوا بعيد مضي

الاربعمائة سنة على دخولهم بلاد الدولة العلية أكثر واقية من الدعاء لسلطنته آل عثمان التي هي كهف المطرودين) والقسم الاكبر منهم هلكوا وعذبوا بما لم يعذبه أحد من العالمين ، وسنة ١٤٩٩ صدر أمر بسلب المغاربة حريتهم الدينية التي تقررت لهم بموجب عهد غرناطة فجلا منهم جم غفير ولم يتم خروجهم جميعاً حتى القرن التالي في سنة ١٦٠٩ وهكذا فازت اسبانية بوحدةها الدينية لكنها خسرت صناعتها وتجارتها اللتين كانت العرب واليهود أهم عمالها وذكر مرة عند كلامه على شر لكان انه أكل مقصود فرديناند فأكره مغاربه بلنسية على التنصر وأهل غرناطة على ترك زيهم والتكلم بغير لغتهم وقال بمناسبة فيليب الثاني انه اضطهد المغاربة وضيق عليهم حتى التزموا الثورة سنة ١٥٦٨ وأوقدوا نيرانهم على تلك الجبال ايذاناً بالخروج وكان يمكنهم بما أمسكوه من مخائق جبالهم الثبات طويلاً لو امتدت اليهم يد معونة من اخوانهم أهل افريقية ففرق فيليب شملهم وبدد هم في مقاطعتهم ولم تمض سنون عشر حتى صاروا كلهم أرقاء

ثم لنذكر بحسب عادتنا في المقابلة كلام المقرئ في هذه الوقائع الاخيرة وهو ببعض تصرف «ثم ان النصراني نكثوا اليهود ونقضوا الشروط وعروة عروة إلى ان آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم انهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصراني ان يرجعوا قهراً للنصرانية ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا قوة لهم ثم تعدوا إلى أمر آخر وهو ان يقولوا للمسلم ان جدك كان نصرانياً فألم فلترجع نصرانياً ولما خش هذا لامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلواهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا ان الحكيم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم

فليس إلا الموت إلا أن يتنصروا بالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة
وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى
وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرها فجمع لهم العدو والجموع واستأصلهم
عن آخرهم قتلا وسبياً، إلا ما كان من جبل بلنقة فإن الله تعالى أعانهم على
عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة: هو الوزير دواغيار
وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر
ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في
خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى أنهم أحرقوا منهم
كثيراً بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكين الصغيرة فضلاً عن غيرها
من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى سرازاً ولم يقيض الله تعالى لها
فاحراً إلى أن كان إخراج النصارى إياهم هذا العصر القريب أعوام (١) سبعة
عشر والفرج خرجت ألوف بفاس وألوف آخر بتلمسان من وهران وجمهورهم
خرج بتونس فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات
ونهبوا أموالهم وهذا يبلد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المصيبة

وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمرو
قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخذه
سلطان المغرب الأقصى منهم دسكراً أجراً أو سكنوا سلا كان منهم من الجهاد
في البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات
وهم الآن بهذا الحال ووصل منهم جماعة إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر
والشام وغيرها من بلاد الإسلام وهم لهذا العهد على ما وصف، والله واثق
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين « انتهى

بطل العرب والإسلام واندلسهما الجديدة

الامير محمد عبد الكريم

وقول كاتب أسباني فيه

ركدت عاصفة المعارك بين الدولة الاسبانية والامير محمد عبد الكريم وخذ
لهيبها فبقى جل جهرها تحت الرماد من حيث اشتعلت نارها بينه وبين الدولة الفرنسية
في منطقة حكمة المخزن المادية الواقعة تحت حمايتها . وكان الكثيرون من الناس
يظنون أن تقحم هذا البطل بصلي هذه النار الحامية سيعرق شهرته ويقضي على
آماله لما لفرنسة من الشهرة الطائرة في فنون الحرب علما وعملا ، ولكن فوزه في
حرب الفرنسيين لم يكن دون فوزه في حرب الاسبانيول ، بل كان فوزا قامت له
أعرق أم أوربة في الحرب وقعدت ، فأسقط قيمة نقدها الى أسفل دركة كانت
ألقته فيها الحرب العظمي ، واضطرها الى متابعة سوق الجيوش من الوطن أرسالا ،
واستنفارهم خفاقا وثقالا ، وطفقت صحف العالم تتحدث بدنو الخطر من قانس
وتوقع امتداده الى الجزائر ، هذا على كرن أخبار الوقائع لا مصدر له دونه ، ويعلم
جميع الناس سنة الدول كلها في إفراغ هذه الاخبار في النوايب السياسية الموافقة
لمصلحتها من كتمان بعض وتمويه بعض ، والمنار لا يعني بنثر الوقائع الحربية
ووصف مبادئ القتال وإنما يدخل في موضوعه ماله شأن في الانقلابات والتطور
الاجتماعي وأسبابه من حوادث التاريخ

وقد قرأنا في جريدة البيان العربية التي تصدر عن (نيويورك) مقالة لكاتب
أسباني اسمه (نريك دي مناس) نشرها في جريدة (هرالد تريبيون)
النيوركية وصف بها ما عرف وما اعتقد من حرب الامير محمد عبد الكريم وشؤونه
ومقاصده بعد اختياره الشخصي اذ كان من الذين شهدوا بعض معارك القتال
بينه وبين قومه - فرأينا أن ننقل جل هذا المذلة عن عدد البيان الذي صدر في
٢٢ شوال الماضي الموافق ١٦ مايو (ايار)

بدأ الكاتب كلامه بمقدمة ذكر فيها أن أخبار القتال في الريف لا يصدر شيء منها عن معسكر عبد الكريم بل كلها تصدر عن طريق خصوم العرب فلا يوثق بشيء منها ولا سبيل إلى معرفة الحقيقة منها إلا أن يستنبطها من فحوى الكلام ويستشفها من لحن القول دون صريحه (وعبر عن ذلك بقراءة ما بين السطور وهي كناية عنصرية غربية صارت مشهورة) وخرب لذلك المثل ببعض الأخبار الفرنسية المختلفة التي لا تعقل بحسب الفن العسكري من خسائر العرب وخسائر الفرنسيين ولا ينسين القاري أنه أسباني عدو لهم وناصح لفرنسة - ثم قال :

وقد قدر لي أن حاربت عبد الكريم بنفسه من عهد غير بعيد فانا لذلك أعرف بعض الشيء عن نشاط الريفين وشدة مراسيم واشهد علنا بالقلم واللسان بهطولتهم . رأيت بعيني أولئك العرب الشجعان يواجهون المدافع الرشاشة ويهاجمون رجالها غير مباينين ببنيرانها الآكلة حتي كانوا ليست موجودة أو انها عديمة الاذى ومن أجل هذا أقول ان دعوى الفرنسيين بان مثل هؤلاء لا يبالون يتراجعون إلى الوراء بسبب خمسين رجلا من الاقوال المضحكة

فالمصيبة في هذا هي أن الامير كان وغيرهم من أهل الغرب الموالين لفرنسة والمريدين لها الفوز يقبلون على هذه الانباء كلها آيات مننلة ويصدقونها فلا يجهدون العقول ولو قليلا للتمييز بين غشها وسبينها أو صدقها وكذبها وهذا هو الباعث على خفاء حقيقة الخطر الكبير الذي يهدد كل أوربة من جانب المشكل المراكشي (١) ولهذا عقدت العزيمة على كتابته هذا المقال لكي أوضح فيه نيات الريفين وما يرمون اليه في ثورتهم هذه من الوجهتين السياسية والدينية

فالحركة التي يقوم بها عبد الكريم الآن متأدية في أصلها عن البواعث التالية: لقد كانت فرنسا تسعى من زمن غير يسير إلى موالاة القبائل المراكشية المختلفة والاتفاق معها على ترويع المتاجر الفرنسيين هناك وذلك بواسطة الشريف حرقاوي وهو زعيم كبير من قبيلة بني مولود . وقد حصرت أكثر قواها في ترويع هذه السياسة في قبيلة بني زروال المجاورة لقبيلة بني مولود، ثم إن القسم الأكبر من قبيلة بني

زروال تحت زعامة ابن مناله وهو زعيم كثير الطاموح صمم الزينة عند ما وجد نفسه في مركز منيع بخطب وده فيه الفرنسيون من جهة وعبد الكريم من جهة أخرى على سياسة مزدوجة

وكان في هذا الوقت أحد مناصري عبد الكريم وهو الفقيه الزهاري قدناجز الشريف حرقاوي في وقعات عديدة لم يكن فيها نصر قائل لاحدهما . قان مناله حافظ على خطة الحياد وهو لكي يقي رجاله من أن يستسلمهم الفرنسيون أو العرب اليهم ويحفظ ماله من السيطرة عليهم مال الى استعمال القسوة فيهم فادى ذلك الى تدمير شديد بينهم . فعلم عبد الكريم بذلك لانه كان يرقبهم بهين ساهرة وسعى الى اغتيال ابن مناله بوسائل مختلفة أهمها الرشوة والوعود التي بذلها لمحبي الزعامة فيهم كان ذلك في شهر مارس (اذار) من هذا العام . فلما تخلص عبد الكريم من ابن مناله وتمكن بدهائه من ازالة ما للحرقاوي من النفوذ أدرك انه قد اصبح في مركز منيع يساعده على مهاجمة فرنسة فحشد جوعه على ما علمنا قريبا من تازة على مسافة ثلاثين ميلا من قاس شمالا بشرق وأرسل كتابا من أنصاره لتعيث فسادا في منطقة متالزا الفرنسية على التخوم التي تفصل بين مراکش الاسبانية ومراكش الفرنسية . وكان الفرنسيون قد أنشأوا على مقربة من تازة عدة مراكز عسكرية وحمل فرنسة في انشاء تلك المراكز خطأ فاضح من الوجهة الحربية

ذلك أن مثل هذه المواقع العسكرية التي عرفت أسبانية بعد فوات الوقت أنها علة شقاقها والتي أمر المسيطر الاسباني دي ريفيرا بتخليتها في الحال يمكن قطعها عن مجموع الجيش بسهولة ومحاصرتها ومنع التجددات عنها . ولما كان عبد الكريم قد عرف باختباراته الماضية ملاءمة هذه المواقع العسكرية لحركاته لم يضع دقنة من الوقت في التردد في مراجعتها لعله بأن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يكسبه التفوق (أولا) لأنها قريبة (وثانيا) لان فصلها عن بقية الجيش سهل للغاية (وثالثا) لان أول انتصار يحرزه مها يكن قليل الشأن ينشط اتباعه ويشير في صدورهم روح الشجاعة ويحملهم على المخاطرة والاقدام

وانا اعتقد ان المواقع العسكرية الفرنسية المحصورة المسلحة بمدافع رشاشة

وغيرها عديدة ستتمكن من المقاومة وقتاً طويلاً ، ولكن الصعوبة هي في طريقة تمكن فرنسا من إمدادها بالذخائر . فإذ لم يحصل المحصورون على أقوات جديدة ومياه صالحة للشرب تصير مقاومتهم عديدة الجدوى . وبما أن الريفيين يدركون هذه الأمور فهم قد زادوا عدد المراقبين للطرق المؤدية إلى تلك المعاقل لكي يحاولوا — مهما كلفهم ذلك — دون وصول أقوات إلى الرجال الذين فيها والذين يعدم الريفيون الآن من أسراهم .

وطريقة العرب في الحرب هي أن لا يوجدوا مقاومة رسمية منظمة إلا ما كان منها في الأقاليم الجبلية أو في الأماكن الملائمة لهم بنوع خاص ، فأساليبهم الحربية منعصرة في الدفاع عن موقف معلوم وقتاً معلوماً عند ما يهاجمهم العدو ومن ثم ينهزمون منه اختياراً يوهمون مهاجميهم إمكان الظفر بهم بسهولة ولكنهم يعودون ذات ليلة أو في نفس تلك الليلة كأنما قد خرجوا من جوف الأرض ويقومون بمهاجمة عنيفة . فهذه الطريقة قد مكنتهم من أعدائهم وسهلت لهم الحصول على الغنائم والأسلاب وتبديد شمل العدو

فالجيش الفرنسي انؤاف من ١٢٠٠٠ رجل تحت قيادة الجنرال ليوتي في الوقت الحاضر لا يكفي لسوى حماية مدينة قاس وأرباضها على أنه لا يقوى على الحراك أو على مناهضة عبد الكريم إلا بعد أن تصله النجيدات المنتظرة من الجزائر وهي فيما يقال ستكون متراوحة في العدد بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ جندي وعندها يزحف إلى أنقاذ المعاقل العسكرية المحصورة على أن تلك النجيدات سوف تلاقى صعوبات جمة في الوصول إليه لأنها مضطرة إلى عبور نهر اونرغا وهو في هذه الأيام بحالة فيضان يتعذر معها عبوره

وفي رأي أن فرنسا لا تقوى على مواجهة عبد الكريم بما يصون ماء وجهها في الحراك بأقل من أربعين إلى خمسين ألف جندي . ومن المعلوم أن عجز فرنسا عن مناهضة عبد الكريم وحده هجماته قد أوجدت تأثيراً سيئاً في نفوس القبائل التي لا تزال موالية لها والتي قد تنقلب إلى أعداء في أقل من ارتداد الطرف كما قد وقع لاسبانية . فإذا جرى هذا يصبح موقف فرنسا في تلك الأرجاء حرجاً كبيراً الخطر

وأنا اعتقد أن فرنسا قد ارتكبت خطأ فظيما في غض نظرها عن النكبات التي لحقت باسبانية في مراكشها مدة خمس عشرة سنة فهي بما أظن قد اعتقدت أن عبد الكريم بالرغم مما أحرزه من الانتصارات على اسبانية لا تهدته نفسه بهاجمة فرنسا . فني هذا لم تكن ذات نظر بعيد ، وقد كان من حقها أن تدرك أن سكرة النصر التي قد تملك عبد الكريم تحمله يوما من الايام على التماذي في ابعاد كل الاجانب عن بلاده — وهكذا يهاجم فرنسا — تلك امور قد ادركها كثيرون من زمن طويل وأما فرنسا فقد عجزت عن ادراكها

وانني علي ما يدعيه بعض الفرنسيين من أن العرب يكرهون الاسبانين أقول عن اختبار أنهم يكرهون الفرنسيين اضعاف ذلك . نعم أنهم كانوا يريدون احتراماً أكثر لفرنسا ولكن ذلك الاحترام ناتج عن خوف لا عن حب . فالعرب كما لا يخفى لا يحترمون سوى القوة ، وبما أنهم كانوا الى اليوم يعتقدون أن فرنسا في مراكش أقوى منهم بالشيء الكثير لم يفكروا في مهاجمتها . وعلى هذا أقول ان الفتنة الحالية منظورا اليها من كل الجهات هي من الحركات العظيمة الالهية وقد تكون أهميتها في هذا الحين غير بادية للعيان إلا أن المستقبل مخيف

ويمكنني أن أدعي بعض العلم بالخطط التي رسمها عبد الكريم لنفسه استقبت ذلك من صديق لي اسمه خوزي دياز وهو من الناس القلائل الذين زاروا عبد الكريم في منزله باكدبر علمت من هذا الصديق وغيره أن عبد الكريم يفاوض على الدوام زعماء العالم الاسلامي في كل مكان من العالم وغرضه من ذلك ايجاد حركة عداوية ضد كل الدول المسيحية التي تحتل بلادنا اسلامية وعبد الكريم يعتمد في خلق ما يلزمه من القوة على تعصب العرب الديني وهو يؤجج نيرانه ليبلغ من ذلك منا في طرد اسبانية وفرنسا من مراكش (١) ودعاية عبد الكريم مبثوثة بين جميع القبائل تدعوهم الى مناصرته ليعطش بالطامعين بأراضي الاسلام وتؤكد لهم انه سيقذف بهم جميعا الى البحر .

« ١ » « البيان » عادوا بنا الى ذكر التعصب الذي يرمي به الغرب الشرق كما شكوا من ظلم الاستعمار بين أوهب للتخاض من تصاتهم وجشعهم

١٥٤ عبد الكريم بقصد إعادة مجد العرب الأندلسي المنار : ج ٢ م ٢٩

ومما هو جدير بالذكر أن عبد الكريم ليس بطالا مجربا فقط فقد حدثته في مواضع كثيرة وحدثه غيري كثيرون ، فهو رجل واسع الاطلاع وفيه ذكاء ودهاء وتمثل بمقدار يندر وجود مثله في رجل واحد . والرجل يعتقد أن عليه واجبا وطنيا ، وهو يعرف كل الحوادث المتعلقة بمدة السبعمائة سنة التي سيطر فيها العرب على أسبانية ، وهو وأخوه الذي تاقى فن الهندسة في مدريد قد جالا في كثير من البلدان المتمدنة وسكنا زمنا طويلا في جنوبي أسبانية وفي مدة إقامة عبد الكريم في ذلك الجانب من أسبانية شاهد آثار أمجاد العرب الباقية في كل مكان من تلك البلاد ولا سيما في غرناطة فأثر ذلك فيه أيما تأثير وولد فيه نزوعا الى محاربة استعادة أمجاد الاجداد ، وهو أمر نبيل يشكر عليه الرجل مما قيل عن مساوئه واخطاره . وقد بث هذه الدعوة العربية في كل مكان بواسطة المشايخ والائمة الذين يتجولون من مكان الى آخر ، ولهم سلطة معروفة على العامة وقد لقب عبد الكريم نفسه من زمن بعيد برئيس جمهورية الريف حتى أنه ألف وزارة وهو طامح الى توحيد كل القبائل والشعوب التي هي من جنسه تحت هيئة حكومة منظمة . ومعلوم أن فرسة حسب الظاهر لا تحسب حسابا كبيرا لفتنة الريفيين ، واعلمها تصبر الى أن يهب كل سكان مرا كش لماناضتها قبل أن تدرك وتترف بأن الحالة موجبة للخوف والاحتساب ، على ان المراكشيين فيما أعتقد لا يخشون آمالها من هذا القبيل وبكل شيء وقت . والتاريخ مملوء من هذه النظائر ويذكر الذاكرون أن نابليون قد انكسر مرارا بجيشه المجرب في أسبانية حيث حاربه هنالك شرادخ من الرجال عام ١٨٠٨ ، وكانوا يجرون في مكلفته على نفس الخطة التي يجري عليها الريفيون مع الفرنسيين اليوم . وثورة البورس على انكسرتا هي مثال آخر من تلك الامثلة . ومثل هذا يقال عن الفتنة في بنجاب من بلاد الهند (١) ومن المعلوم أن تملك المستعمرات البعيدة الشقة هو الآن من

(١) المنار : اي التي كان سببها اطلاق الانكاز العادلين الرحاء مدافعهم على الاهالي العزل من رجال ونساء واطفال بلا ذنب الا ان يكون المصعب الذي معناه التأم من ظلم الاجنبي المستعبد لهم

الكمايات الموجبة لباهظ النفقات التي تستكبرها أغنى الدول وأقواها
وقد أصبح الناس في تلك المستعمرات غيرم بالامس فهم يعرفون تاريخ
بلادهم وتاريخ الدولة التي تسيطر عليهم ويدركون حقوقهم وواجباتهم، خذ مثالا
لذلك عبد الكريم الذي تاتي العلوم في اسبانية وغيرها وعاد الى بلاده ينشر
مااستنتجه من ذلك بين أبناء قومه . فالعلوم التي تلقنها كانت بمثابة سلاح قاطع
في أيدي التلاميذ ضد معلمهم . وعيشا نحاول فرنسا قمع المصيان واطفاء نائرة
الفتنة فهي وأن استطاعت ذلك (وهو فيما نرى بعيد) فلها لم تستأصل اسباب
الخروج وبواعت النواة التي بثها عبد الكريم بين مواطنيه .

وانعلا ب العرب في الكفاح ليس من الامور التي يعاؤون بها فهم ان انهزموا
اليوم يعودون في الغد الى المناجزة أوفر نشاطا وأكثر إقداما . وما يشيحه ذوو
الاغراض من ان عبد الكريم يقصد بتوجيه حملاته على المنطقة الفرنسية خدع
الاسبانيول الذين يطمع في اخراجهم من البلاد هو من لا قوال العارية عن الصحة
لان عبد الكريم غير مبال الاكن بالمنطقة الاسبانية لانه يدرك قوة تحصين الاسبان
بعد تراجعهم الى الورا وهو أعقل من أن يهاجمهم في هذا الحين

فغرض عبد الكريم الحقيقي هو توجيه ضربة شديدة الى فرنسا حتى اذا
بطش بجيشها يثير عواطف الشعوب والقبائل المراكشية ويحداها بفوزها على مناصرتها
وحينئذ يحشد من الجيوش مايمكنه من توجيه الضربات الشديدة الى فرنسا واسبانية
معا . ومن أجل هذا أقول انه مالم تقو فرنسا على انزال أشد العقاب بعبد الكريم
بالامرع الممكن تكون خسارة فرنسا في مراكش عظيمة وسقوط ما بها في عيون
أهل البلاد مريع للغاية . لان عبد الكريم يذيع أنباء انتصاراته في طول البلاد
وعرضها لكي يحمل أهل البلاد على اعتقاد أن سحق فرنسا واسبانية في مراكش
ليس من الامور المحتملة فقط بل من الامور المقررة

ويجب أن لا ننسى أن المراكشيين اذا حاربوا بعدد قليل من الرجال لا يكون
ذلك نائجا عن عدم وجود الرجال عندهم بل عن عدم وجود الاسلحة . على أن
كماهم بالقليل من الرجال يزيل سوء نتائج هذه الحاجة فان المراكشي اذا حارب

١٥٤ براعة العرب في الحرب وخطة عبدالكريم فيه المنار: ج ٢ م ٢٦

بندفع شجاعة او بالحري يتنامي الخوف . والمراكشي الذي يرى رفيقه مجذلا في ساحة القتال لا يرتاع ولا يلوي الى الفرار بل يأخذ مكانه

والاسلوب الحربي الذي يتمشى عليه عبد الكريم هو أن يتراجع بينما يكون العدو متقدما حتي اذا وقف العدو عن التقدم يشرع هو ورجاله في اصطلياد رجال العدو واحدا بعد آخر ، وهو فن يحسنه العرب اكثر من كل شعب آخر ، ومن الصعب جدا اطلاق الرصاص على المراكشين لانهم لا يصارون مجتمعين بل افرادا أو أزواجا يتحركون على الدوام بينا الفرنسيون أو الاسبانيون يزحفون جماعات تكون أفضل هدف لرصاص عدوهم .

ان المقاتل العربي الفارس لا يشق له غبار ولا يصطلي له بنار فهو يهجم كاللارد علي صفوف الاعداء الى ن يصير على مسافة ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر ويطلق نيرانه وهو ماثب على الجولان وهو على الغالب لا يخطئ المرمى حتي اذا قضى وطرا يكر راجعا ليعي . بنديته من حيث تعطيش طلقات الاعداء المصوبة عليه فلا تصل اليه . وغني عن البيان أن الطيارات والمدافع لا تنفع منها في هذه الولايات . ولا توجد هناك مدن أو حصون ليضربها العدو ويستولي عليها بل أبطال مجربون يصيدون ولا يصابون

هؤلاء العرب هم جنود مدربون من المهد وهم يفضلون اصطلياد الناس على اصطلياد الوحوش وغيرها . ومن الاقوال الماثورة عنهم أن أحب الاشياء الى العربي في الحياة بنديته ثم جواده وأخيرا زوجته التي يعاملها على ما هو مشهور كما يعامل البهيمة . وهي قلما تترك البيت فاذا فعلت تخرج مبرقة ولا يرى وجهها الا سيدها دون سواه (١)

والحارب العربي يكفيه القليل من القوت كحفنة من التين أو التمر تؤذوه النهار بطوله ولا يعطش ويقوي على الركض مسافات طويلة ولا يتأثر من الحر واذا حارب العرب حربا دينية فلا يوجد في جيوش الارض من يضارعهم ذلك

« ١ » المنار . انها على هذا افضل عند العرب من الزوجة الافرنجية التي يرى غير زوجها لا وجهها فقط بل سائر بدننها أيضا

لما في دينهم من الوعود بالجنة لمن حارب ضد المسيحيين (١) فهم يبالغون مقابل هذا الجهاد مكانا جميلا في السماء ويحرزون الجهاد المطهرة والسلاح الجميل والنساء الحسنات . ومن أجل هذا فهم لا يخافون من الموت في ساحة القتال (٢)

وبعكس ذلك الجندي الفرنسي او الإسباني الذي لا دين له على الغالب ولا هو يؤمن بثواب حتى ولا في هذا العالم ولا بهناب في الآخرة ومن أجل هذا فهو لا يستمتع في القتال ولا يتهاون كالعربي - ذلك ما اردت بيانه هنا ايضا للحالة الراضية . وهناك أشياء كثيرة مهمة لا تسمح الفسحة بإيرادها . على أن القراء يدركون من الذي تقدم بيانه راحة الحركة التي يقوم بها عبد الكريم وأنها تتطلب اهتماما خاصا ودراية وقد يبرا عظيمين لا نقاء غوائلها

وجملة القول انه اذا كان عبد الكريم قد نجح في مساعيه بغرس الغضب في اذهان مواطنيه للأوروبيين فليس في الدنيا ما يقوى على ازالته او هدمه . أتى الفرنسيون من آيات القتال ومهما حردوا من الجيوش فأنهم يهجزون عن استئصال هذه الفكرة القومية التي ستكلف فرنسا على ثادي الزمن انهارا من لدن وانهارا من الذهب كما كلفت أسبانية

(المنار) انتهت المقالة وقد جاءت الانباء قبل طبع هذه السكراة من المنار بأن محمد عبد الكريم يحارب الآن لدولتين معا وهو منتصر عليهما

« ١ » المنار : هذه التهمة اختلقها الصليبيون واستغلها الماديون والملاحدون من سلاطين والصواب ان القرآن نطق بأر النصاري اقرب الناس مودة للمسلمين ولكن الا فرنج عادوا المسلمين وسلبوا ملكهم ثم كانوا معهم مضرب المثل « رمق بدائها واسلت » فهم يهتمونهم بذلك انطيعهم شعوبهم الحرة وتوافقهم على استمرار استعبادهم واضطهادهم لهم

« ٢ » هذا هم اسباب عناية لا فرنج بافساد عقائد المسلمين وابطال ثقتهم بدينهم وقد كان تأثير مدارسهم ومدارسنا المقلدة لهم في تمكينهم من استعباد المسلمين وسلب ملكهم اعظم من تأثير اساطيلهم وجيوشهم ، وان ملاحدة المتفرنجين هذا لشر منهم وأضر لعنة الله عليهم

الحج في هذا العام (١٣٤٣)

كان للدول المستعمرة المسيطرة على الشعوب الاسلامية غرض واحد من السعي لمنع الحج هو معروف لكل المسلمين بسياسة الاستعمار فصار لهم في هذا العام غرضان ثانيهما ان لا ترى شعوبهم ادارة اسلامية صالحة في حرم الله عز وجل كادارة السلطان عبد العزيز آل سعود فيحدث لهم أمل جديد في حكومة اسلامية عادلة مستعدة لان تكون دولة قوية تقدر أن تنفذ الحرمة الشريفة من وقوعها تحت سيطرة الاستعمار الذي رضى لها الشريف حسين وأولاده على وعبد الله وفيصل كما رضى للعراق وسورية وفلسطين على شرط أن يكونوا ملوكا وأمراء فيه تحت السيادة الانكليزية كما بيناه مرارا بالبراهين التي لم يقدر أن ينقضها أحد منهم ولا من اجرائهم اذاع السلطان عبد العزيز منشورا في الدعوة الى اداء فريضة الحج نشر في جريدة أم القرى المكية ووزعت منه نسخ مستقلة كثيرة في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ونشر في أشهر صحف مصر وسورية والهند وحاووه وغيرها من الاقطار ذكر فيه امن الطريق وفتح ثلاث من ثغور الحجاز لنزول الحجاج فيها . القنفذة واليث في جنوب جدة ورايح في شمالها . فطلق الاجانب يدسون الدسائس ويشيرون الطواجيس والوساوس لتخويف المسلمين من سبيل الحج ويدعون أن جيوش الشريف على المحصور في جدة وأساطيله واقفة للحجاج بالمرصاد فهم على خطر أبنا توجها من بر وبحر ، وأن الحجاز ولا سيما مكة المكرمة في محيطة فبحشى على من يجيئها من الحجاج أن يموتوا جوعا ان هم نجوا من جيوش الشريف على « ملك الحجاز » ؟ ونجاوت بمثل هذا البرقيات الانكليزية من جدة ولندن والهند وابعضها صفة رسمية بريطانية كزعم قنصل الانكباب في جدة عدم صلاحية الثغور المذكورة لنزول الحجاج وعدم وجود الاقوات وغيرها مما يحتاجون اليه فيها حتى نصحت الحكومة الهندية البريطانية مسامي الهند بأن لا يحج أحد منهم في هذا العام فلم يقبلوا نصيحها وقديستفيد الظنة المتنهج « وتابعتها حكومة مصر فنصحت المصريين بمثل ذلك وزادت أن فرضت على من يريد الحج دفع تأمين لها

ضمي ما كانت تأخذه من كل حاج نانية ذلك على مثل هذه الاذاعات التي كانت
تفشرها جريدة المقطم المنشأة لخدمة السياسة البريطانية والمنفردة بترويج الدعاية
الحجازية حتي ان أحد محرريها قال لبعض الناس قبل نشر الحكومة لقرارها
بايام : اننا قد نجحنا في منع الحج في هذا العام ، ولا غرو فننفيذ الانكليز بمصر في
هذه الايام ، أقوى مما كان في كل زمان واننا كنا طبعنا نداء سلطان نجد عنده
وصوله ووزعنا منه نسخا كثيرة وهذا نصه :

(نداء عام الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها)

مكة المكرمة ١ شعبان سنة ١٣٤٣ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٥

من سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى كافة
اخواننا المسلمين في اقاصي الارض وأدانيها

نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه . ونستفتح بالذي هو خير . وبعد فلقد من الله علينا وأمدنا
بعنايته في دخول هذه البلاد المقدسة . وتفضل علينا ومكثنا من طرد
الحسين وأولاده الفئة الباغية من هذه الديار المطهرة . وبذلك زالت
والحمد لله دولة الظلم والجبروت ، وحلت الشريعة السمحة محل الاغراض
والاهواء ، وتوزع العدل بين الناس سواء في ذلك الصغير والكبير والشريف
والوضيع ، فساد النظام في البلدة المطهرة وفي سائر انحاء البلاد ، واستتب
الامن ، وعمت السكينة والطمانينة سائر الارحاء بصورة لم تهده من قبل ،
(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذا مصداق
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الحق
منصورة لا يضرهم من خذلهم حتي يأتي أمر الله » تبارك وتعالى

هذه هي الحقيقة الراهنة في البلاد ولكن الحسين وأولاده واشيائهم

فعدوا في الخارج يخلقون الأراجيف ويشيعون الأكاذيب عن الموقف
الحربي في الحجاز وعمما يمكن أن يؤثر موسم الحج في هذا العام تضليلا
للافكار وتشويها للحقائق

ولما كان من أجل مقاصدنا خدمة الإسلام والعالم الإسلامي وهو
المبدأ الذي اتخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن رأيت
الواجب بدعوني لا بين للمسلمين عامة ما يأتي

(١) أن جنودنا قد حصر عليا بن الحسين وجنده وقواه في بلدة جدة
التي أحاطها بالأسلاك والحصون، وضيق عليه تضيقاً عظيماً وسيخرجه
منها في وقت قريب إن شاء الله تعالى

(٢) أننا نرحب وننتهج بقدم وفود حجاج بيت الله الحرام من كافة
المسلمين في موسم هذه السنة وتكفل بحول الله بتأمين راحتهم والمحافظة
على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة من إحدى الموانئ
التي ينزلون إليها وهي رابغ * أو الليث * أو القنفذه * وقد أحكم فيها النظام
واستتب الأمن استتباباً تاماً منذ دخلتها جيوشنا وسنتخذ من التدابير في
هذه المراكز جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج إن شاء الله تعالى

(٣) أعلن لكافة إخواننا المسلمين أنه لم يبق أثر للمشاكل والمراقيل
التي كان يضرها الحسين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية وأن أبواب
الحجاز مفتوحة للجميع من يريد القيام بأي عمل خيري أو اقتصادي، وأن
الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة لتنشيط من يريد
القيام بهذه المشاريع الخيرية والاقتصادية

هذا ما أردنا إعلانه للناس كافة ليعيط الجميع علماً به سائلاً الله تعالى

أن بوقفنا الى ما يحبه ويرضاه، ويهدينا وإياكم الى سبيل الرشاد، انه ولي
التوفيق، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
سلطان نجد

عبد العزيز عبد الرحمن
الفصل السعود

عاقبة الشريف حسين بن علي مع الانكليز

كتبت في الرحلة الحجازية فصلا في صفات هذا الرجل وشماله، وكان ذلك
قبل اليأس من كل خير برجي منه لامتة وملته، والجزم بأنه لا يتوقع منه الا الشر
على أنني لم أكن حرا في التصريح برأيي كله فيه عند كتابته، ومع شدة احتراسي
من التصريح بانتقاد ما ينتقد منه، لاتي لم أكن أرى ذلك من المصلحة ولا من
الذوق والادب، ولان ذلك كان في عهد المراقبة على الصحف ولا سيما المنار،
وقد أمرت المراقبة الانكليزية بحذف بعض الجمل من ذلك الفصل لم تأمر
بحذفه المراقبة المصرية قبلها. وكان ما يكتب في المنار من مسائل الحرب والبلاد
العربية ونحوها يراقب مراقبة مزدوجة

وصفته في ذلك الفصل بشدة الاستبداد والعناد بسوء الظن وعدم الثقة
بأحد، ولكن جمعت ذلك في معرض مظهره المدح ثم قلت: وقد رقت منه على
آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية. (ومنها)
« إن له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ولا سلطانا لشيء
عليها » وعنت بهذا أنه لا يمكن تحويله عن شيء من ذلك يرهان عقلي ولا
سياسي ولا ديني ولا براعاة مصلحة قومية الخ

ثم كان من مصداق هذا القول فيه أنه رضي لنفسه أن يكون موظفا بريطانيا
في الحجاز، فكان ذا استاء من شيء يطلب من الحكومة الانكليزية إقالاته من
ملك الحجاز وتعيين غيره في مكانه حتى أنه نشر خبر استقالته في جريدته (القبلة)

ونشر مرة صورة برقية أرسلها الي مدير جريدة التيمس يرجوه فيها بأن يقع
حكومته بقبول استقالته ونصح له غيرنا وكنا نصحنا له كغيرنا رأى يقبل نصيحة أحد؟
فكان عاقبة جهله وغروره واستبداده برأيه ان خذله الانكليز في كل شيء
بعد ان نالوا منه ومن اولاده ما ثبت به لكل احد مطلع على أمرهم وأمر العالم انهم
خانوا أمتهم ، ونبدوا دينهم وشرفهم وراء ظهورهم في خدمتهم تعددت احداث
خذلانهم له هو وبقي مصر على الاتكال عليهم والثقة بحسباتهم النجبية . وقد
طرده سلطان نجد من مكة فانهزم الى العقبة آخر ثغور الحجاز الشمالية ، وكان الانكليز
خدعوه بأن يضم منطقة العقبة ومعان الى اماره ولده عبد الله (شرقي الاردن)
فعل وهو يتخيل انها من مملكته العربية وانه هو الذي ولي نجله المحبوب عليها !!
ثم كان عاقبة هذه الجناية والخيانة أن امره الانكليز بالخروج من هذه المنطقة
والسفر الى البصرة حيث اعد له نجله فيصل قعرا لاثما بمقامه فتسنع وقال انه لا يخرج
من أرض الحجاز مختارا فسررنا بذلك وعزمت على كتابة مقالة في تأييده والدفاع
عنه والاحتجاج على الانكليز ، وكشفت بعض اصدقائي بذلك ، ولكن لم نلبث
ان نبشنا بأنه خضع وختم عملا برأي ولده عبد الله وابسل نفسه فأرسلوه الى جزيرة
قبرص حيث اعدت له الحكومة الانكليزية دارا لاثقة به ليقم في ظلها الظليل
كما اقترح عليها من قبل مرارا (فكان عاقبة الدين أساؤا السوء) واعلم العاقبة
الحسنى للمعتقين . وسنعود الى تفصيل القول في هذه المسألة وبيان العبرة فيها
ونختم هذه الكلمة هنا بانذار الحكومة البريطانية ان لا تغتر بسوء حال
المسلمين وتواكلهم فتضم شيئا من أرض الحجاز الى ماتسميه منطقة الانتداب ،
فقد اصبح جميع الناس يعرفون معنى هذا الانتداب ، وشروعها في الاستيلاء على
الحجاز ، أن هي ثمرات عليه سيكون مبدأ زوال ساطانها من الشرق الاسلامي
ان شاء الله تعالى

(تاريخ المنار) جمل الجزء الماضي لا خروجه مضان خطأ لان معظمه طبع في شوال
ولذلك جعلنا هذا الجزء قدي القدرة لأنه طبع فيه

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كثيرا ، وما
يذكر إلا أولو
الآل باب)

المعجزة

١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتعلمون
أحسنه أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الآل باب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق)

٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ - ٢٨ برج السرطان سنة ١٣٠٤ هـ ٢١ يولييه سنة ١٩٢٥

مناظرة ابن تيمية العلنية

لرجالة البطائحية الرفاعية

(كتبها شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية نفسه رضي الله عنه)
قال المخبر فقد اولئك الامراء الاكابر . وخطبوا فيهم نائب السلطان
بمعظم امرهم الباهر . وذكر لي انواعا من الخطاب ، والله تعالى اعلم
بحقيقة الصواب . والامير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق . فأعاد
الرسول الى مرة ثانية فبلغه أننا في الطريق . وكان كثير من اهل البدع
الاضداد ، كطوائف من المتفهمة والمتفكرة واتباع اهل الاتحاد ، مجتهدين
في نصرهم بحسب مقدورهم ، مجهزين لمن يعينهم في حضورهم ، فلما حضرت
وجدت النفوس في غاية الشوق الى هذا الاجتماع ، تتطلع الى ما سيكون
طالبين للاطلاع ، فذكر لي نائب السلطان وغيره من الامراء ، بعض
ماذكروه من الاقوال المشتملة على الاقتراء ، وقال انهم قالوا انك طلبت
منهم الامتحان ، وأن يحموا الاطواق نارا ويلبسوها فقلت هذا
من البهتان .

وها أنا ذا أصف ماكان قلت للامير : نحن لا نستحل أن نأمر أحدا بأن
يدخل نارا ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار ، وفي ذلك الحديث
الصحيح ، وهؤلاء يكذبون في ذلك وهم كذابون مبتدعون قد افسدوا
من أمر دين المسلمين ودنياهم ماالله به عليم . وذكرت تلبيسهم على طوائف
من الامراء وانهم لبسوا على الامير المعروف بالايدمرى وعلى قفجق نائب
السلطنة وعلى غيرها وقد لبسوا أيضا على الملك العادل كتفا في ملكه وفي
« المنار : ج ٣ » « ٢٤ » « المجلد السادس والمعرون »

حالة ولاية حماء وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر ، وضاق المجلس
عن حكاية جميع تلبيسهم فذكرت تلبيسهم على الا يدمري وانهم كانوا
يرسلون من النساء من يستخير عن أحوال بيته الباطنة ، ثم يخبرونه بها على
طريق الكاشفة ، ووعدوه بالملك ، وانهم وعدوه أن يروه رجال النيب ،
فصنعوا خشبا طوالا وجعلوا عليها من يمتشي كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج
فجعلوا يمشون على جبل المزة وذلك يري من بعيد قوما يطوفون على الجبل
وهم يرتقمون عن الارض وأخذوا منه مالا كثيرا ثم انكشف له امرهم
قلت للامير وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك وهو ممن
حدثني هذه القصة . وأما تفجق فانهم ادخلوا رجلا في القبر يتكلم ولو هو
أن الموتى تتكلم ، وأتوا به في مقابر باب الصغير الى رجل زعموا أنه الرجل
الشعراني الذي يجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتمود عليه بركته
وقالوا انه طلب منه جملة من المال ، فقال تفجق الشيخ يكاشف وهو يعلم
أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب تفجق منه وجذب الشعر فانقلام
الجلد الذي الصقوه على جلده من جلد الماعز ، فذكرت للامير هذا .
ولهذا قيل لي إنه لما انتفى المجلس وانكشف حالهم للناس كتب اصحاب
تفجق اليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ماجرى
وذكرت للامير انهم مبتدعون بانواع من البدع مثل الاغلال
ونحوها وانا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة فذكر الامير حديث
البدعة وسألتني عنه فذكرت حديث العرباض بن سارية وحديث جابر
ابن عبد الله وقد ذكرتهما بعد ذلك في المجلس العام كما سأذكره
قلت للامير أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون أن لهم أخوالا

يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرُونَ على ذلك ويقولون لنا هذه الأحوال التي يمجز عنها أهل الشرع فليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم اليَنا ما نحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه ، وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار ادخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوباً ، وذلك بعد أن تغسل جُسومنا بالخل والماء الحار . فقال الأمير ولم ذلك قلت لأنهم يطلون جُسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر الدرنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم ، وأنا لا أطلي جلدي بشيء فاذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق ، فاستعظم الأمير هجومي على النار وقال أتعمل ذلك ؟ فقلت له نعم قد استخرت الله في ذلك والقي في قلبي أن أفعله ، ونحن لا نرى هذا وامثاله ابتداءً فإن خوارق العادات إنما تكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم المتبين له باطننا وظاهر آلحجة أو حاجة ، فالحجة لإقامة دين الله ، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرُزق الذي به يقوم دين الله ، وهؤلاء إذا اظهروا ما يسمونه ، اشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما تقدر عليه من ادواحننا وجُسومنا وأموالنا ، فلنا حينئذ أن نمارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات

وليعلم أن هذا مثل عارضة موسى للسحرة لما اظهروا وسحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتليت سحرهم . فجعل الأمير مخاطب من حضره من الأمراء على السباط بذلك وفرح بذلك وكانهم كانوا قد أوهموه أن

١٨٨ حرص أمير دمشق على فضيحة مدعي الكرامات المنار : ج ٣ م ٢٦

هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد على رده، وسمعتهم يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السباط بالتركي ما فهمته منه انه قال اليوم ترى حربا عظيما ولعل ذلك كان جوابا لمن كان حاطبه فيهم على ما قيل

وحضر شيوخهم الاكابر فعملوا يطلبون من الأمير الاصلاح واطفاء هذه القضية ويتزفقون ، فقال الأمير انما يكون الصلح بعد ظهور الحق ؛ وقتنا الى مقعد الأمير بزادية القصر أنا وهو وبهادر فسمعتهم يذكر له أيوب الخيال بمصر والمولحين ونحو ذلك فدل ذلك على انه كان عند هذا الأمير لهم صورة معظمة ، وان له فيهم ظلما حسنا والله أعلم بحقيقة الحال فانه ذكر لي ذلك وكان الأمير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فانه من أكابر الامراء واقدمهم واعظمهم حرمة عنده وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه واكرامه فأمر ببساط يبسط في الميدان ، وقد قدم البطاينة وهم جماعة كثيرون وقد اظهروا أحوالهم الشيطانية من الازباد والارضاء وحركة الرعوس والاعضاء ، والطفر والحيو والتقلب ، ونحو ذلك من الاصوات المنكرات ، والحركات الخارجة عن العادات ، المخالفة لما أمر به لقمان لابنه في قوله (واتصد في مشيك واغضض من صوتك)

فلما جاسنا وقد حضر خاق عظيم من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامّة وغيرهم وحضر شيخهم الاول المشتكي وشيخ آخر يسمى نفسه خليفة سيده احمد ويركب بعلمين وهم يسمونه عبد الله الكذاب ولم اكن أعرف ذلك وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر ما جرت به عادتهم من المسألة فاعطيته طلبته ولم أتطعن لنكذبه حتى فازتني

فبقى في نفسي أن هذا خفي على إبليس إلى أن غاب وبإيكاد يخفي على إبليس أحد بل أدركه في أول الأمر فبقى ذلك في نفسي ولم أره قط إلى حين ناظرته، ذكر لي أنه ذلك الذي كان اجتمع بي قديما فتعجبت من حسن صنع الله أنه هتك في أعظم مشهد يكون حيث كتم إبليس بيني وبينه

فلما حضروا أحكام منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعتق عن الماضي والتوبة وأنا مجيبون إلى ما طلب من ترك هذه الأفعال وغيرها من البدع ومتبعون للشريعة (فقلت) أما التوبة فمقبولة قال الله تعالى (غفر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) هذه إلى جنب هذه . وقال تعالى (نبي عبادي أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم) فاخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبدع الاطواق وذكر أن وهب ابن منبه روى أنه كان في بني اسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقا في حكاية من حكايات بني اسرائيل لا تثبت (فقلت) لهم ليس لنا أن تعبد في ديننا بشيء من الاسرائيليات المخالفة لشرعنا قد روي الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال « أمتهركون يا ابن الخطاب لقد جشتم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم » وفي مراسيل أبي داود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال « كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم انزل إلى نبي غير نبيهم » وانزل الله تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فمنعنا لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علما أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا وانما علينا

أن تتبع ما أنزل علينا من ربنا وتتبع الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به الرسل
رسولنا كما قال تعالى (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما
جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فكيف يجوز لنا أن
تتبع عباد بني إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها وما علينا من عباد بني إسرائيل
(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يعملون) هات ما في القرآن وما في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم
وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية

فقال هذا الشيخ منهم مخاطب الأمير نحن نريد أن نجتمع لنا القضاة
الأربعة والفتهاء ونحن قوم شافعية (فقلت) له هذا غير مستحب ولا
مشروع عند أحد من علماء المسلمين بل كلهم ينهى عن اتبعده به ويعده
بدعة . وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مفتي الشافعية ودعواته رقات
يا كمال الدين ما تقول في هذا ؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة أو
كما قال ، وكان مع بعض الجماعة فنوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك
(وقلت) ليس لاحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشك
هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر فاني تكلمت بكلام بعد صدي به
فاتدب ذلك الشيخ عبد الله ورفع صوته وقال نحن لنا أحوال وأمور
باطنة لا يوقف عليها ، وذكر كلاما لم اضبط لفظه مثل المجالس والمدارس
والباطن والظاهر ، ومضمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر ، وأن لنا
أمرا لا يقف (١) عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا (فقلت) له

ورفعت صوتي وغضبت : الباطن والظاهر والمجاس والمدارس والشريعة والحقائق كل هذا مردود الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا من المشايخ والفقهاء ، ولا من الملوك والامراء ، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم ، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وذكرت هذا ونحوه

(فقال) ورفع صوتي ونحن لنا الاقوال وكذا وكذا وادعى الاحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال اليهم لاجابها (فقلت) ورفعت صوتي وغضبت انا مخاطب كل احدي من مشرق الارض الى مغربها أي شيء فعلوه في النار فانا اصنع مثل ما تصنعون ، ومن احترق فهو مغلوب وربما قلت فعلية نعمته الله . ولكن بعد أن تغسل جسومنا بالخل والماء الحار ، فسألني الامراء والناس عن ذلك فقلت لان لهم حيلة في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارج وحجر الطلق فضح الناس بذلك فاخذ يظهر القدرة على ذلك فقال انا وانت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت (فقلت) فقم وأخذت أحرز (١) عليه في القيام الى ذلك فمد يده يظهر خلع القميص ، (فقلت) لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل فاظهر الوهم على عاداتهم (فقال) من كان يحب الامير فليحضر خشباً أو يقال حزمة حطب (فقلت) هذا تطويل أو تقريق للجمع ولا يحصل به مقصود ، بل قنديل بوقد وادخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت

أصبعه فعليه لعنة الله ، أو قلت فهو مغلوب ، فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر .

ثم قلت لهم ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ، ومشيتم على الماء ، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع فإن الدجال الأكبر يقول للسماء امطري فتطر ، وللارض انبتى فتبت ، وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه ، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه . ثم يقول له قم فيقوم ، (١) ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله . ورفعت صوتي بذلك فكان ذلك وقع عظيم في القلوب

وذكرت قول أبي يزيد البسطامي : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي . وذكرت عن يونس بن عبد الأعلى أنه قال للشافعي أتدري ما قال صاحبنا يعني الليث بن سعد ؟ قال لو رأيته صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به . فقال الشافعي لقد قصر الليث لو رأيته صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به ، وتكلمت في هذا ونحوه بكلام بعد عهدي به . ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح وجعلت ألح عليه في اظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون وقد اجتمع عامة مشايخهم

(١) كذا في الأصل وفي رواية مسلم في حديث الدجال قال فيقول أتؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمن به فيؤثر بالمنشار من فرقه حتى يفرق بين رجله قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوى قائماً قال ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ما زدتك قبك الا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يعمل بعدي باحد من الناس الحديث اهـ من حاشية الأصل

المنار : ج ٣ م ٢٦ شرط ابن تيمية في توبة دجاجة الرفاعية ١٩٣

الذين في البلد والفقراء المولعون منهم وهم عدد كثير والناس ينجون في
الميدان ويتكلمون بأشياء لا أضبطها

فذكر بعض الحاضرين أن الناس كانوا مضمومة (فوق الحن وبطل
ما كانوا يعملون . فقلوبهم هلك وانقلبوا صاغرين) وذكروا أيضا أن هذا
الشيخ يسمى عبد الله الكذاب . وأنه الذي تصدك مرة فاعطيته ثلاثين
درهما . فقلت ظهر لي حين أخذ الدراهم وذهب انه لم يمس وكان قد سحر
حكاية عن نفسه مضمونها انه أدخل النار في لحية قدم صاحب حماة .
ولما فازقني وقع في قلبي أن لحية مدهونة وأنه دخل الروم واستحوذ عليهم
فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبسهم وتبين للامراء الذين
كانوا يشدون منهم أنهم مبطلون فرجموا ونخلط الحجاج بهادر ونائب
السلطان وغيرهما بصورة الحال وعرفوا حقيقة الحال وقتنا الى داخل
ودخلنا وقد طلبوا التوبة عما مضى وسألت الأمير عما يطلب منهم فقلت
متابعة الكتاب والسنة مثل أن يعتقد (١) أنه لا يجب عليه اتباعهما أو أنه يسوغ
لأحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك أو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف
بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التي
توجب الكفر وقد توجب القتل دون الكفر وقد توجب قتال الطائفة
المتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه

(فقالوا) نحن ملتزمون الكتاب والسنة أتتكر علينا غير الاطواق ؟

« ١ » الامثلة الثلاثة التي ذكرها هي لعدم متابعة الكتاب والسنة لا لمتابعتها
المطلوبة فلعله قد سقط من هذا الموضوع جملة مضمونها : والرجوع مما يخالفها
مثل كذا وكذا

نحن نعلمها (قلت) الاطواق وغير الاطواق ليس المقصود شيئا معيناً وإنما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال الامير قاي شىء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ قلت حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاماً عاماً من خرج عنه ضربت عنقه — وكرر ذلك وأشار بيده الى ناحية الميدان — وكان المقصود أن يكون هذا حكماً عاماً في حق جميع الناس فان هذا مشهد عام مشهور قد توفرت الهمم عليه فيتقرر عند المقاتلة واهل الديوان والعلماء والعباد وهؤلاء وولاء الامور انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه

(قلت) ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله فان من هؤلاء من لا يصلي ومنهم من يتكلم في صلاته حتى إنهم بالامس بعد أن اشتكوا علي في عصر الجمعة جمل أحدهم يقول في صاب الصلاة ياسيدي احمد شىء الله. وهذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذا قد فعل بالامس بحضرة شيخهم فامر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عاداتهم في صغير الذنوب ولم يأمره بإعادة الصلاة وكذلك يصيحون في الصلاة صياحاً عظيماً وهذا منكر يبطل الصلاة

(فقال) هذا يئلب على أحدهم كما يئلب المطاس (قلت) المطاس من الله والله يحب المطاس ويكره التثاؤب ولا يملك أحدهم دفعه، وأما هذا انصياح فهو من الشيطان وهو باختيارهم وتسكفهم ويقدرّون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس أنهم يفعلون في الصلاة

مالا تفعله اليهود والنصارى مثل قول أحدهم انا على بطن امرأة الامام وقول الآخر كذا وكذا من الامام ونحو ذلك من الاقوال الخبيثة، وأنهم اذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالتوبة وانا أعلم أنهم متولين (١) شياطين ليسوا متولين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الاوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجوعهم بالمسندان باصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت) له أهذا موافق للكتاب والسنة؟ (فقال) هذا من الله حال يرد عليهم (قلت) هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحبه الله ولا رسوله (فقال) ما في السموات والارض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وارايدته (قلت) له هذا من باب القضاء والقدر وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وارايدته وليس ذلك بحجة لاحد في فعله بل ذلك مما زينته الشيطان وسخطه الرحمن .

(فقال) فبأي شيء تبطل هذه الاحوال (قلت) بهذه السياط الشرعية. فاعجب الامير وضحك وقال اي والله بالسياط الشرعية، تبطل هذه الاحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد ومن لم يجب الى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية . وأمسكت سيف الامير وقلت هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلामه وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن خرج عن كتاب الله وسنة

(١) كذا في الاصل ومقتضى الاعراب متولون الا أن يكون حذف من الكلام شيء فيه ناصب لقوله متولين

رسوله ضربناه بسيف الله وأعاد الأمير هذا الكلام وأخذ بعضهم يقول
قال يهود والنصارى يُقرُّون ولا تقر نحن؟ (فقلت) اليهود والنصارى يقرُّون
بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم والبتدع لا يقر على بدعته. فافهموا ذلك
وحقيقة الأمر أن من أظهر منكر آفي دار الإسلام لم يقر على ذلك
فن دنا إلى بدعة وأظهرها لم يقر ولا يقر من أظهر الفجور وكذلك أهل
الذمة لا يقرُّون على اظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فإن كان مسلماً أخذ
بواجبات الإسلام وترك محرماته، وإن لم يكن مسلماً ولا ذمياً فهو إمام رتد
وأما مشرك وأما زنديق ظاهر الزندقة. وذكرت ذم المبتدعة فقلت روى
مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في
خطبته: «إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور
محدثاتها» (١) وكل بدعة ضلالة» وفي السنن عن الغرياض بن سارية قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون، ووجلت منها
القلوب، فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال
«أوصيكم بالسقم والطاعة فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً
فعلينكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة» وفي رواية (٢) «وكل ضلالة في النار» (فقال) لي البدعة مثل الزنا وروى

«١» المنار : لفظ مسلم فإن خير الحديث كتاب الله الخ (٢) هذه الزيادة
هذه ليست في السنن فذكر شيخ الإسلام وحافظ السنة لها غريب، وكأنه
أراد بها زيادة الترهيب

حديثاً في ذم الزنا (فقلت) هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والزنا معصية والبدعة شر من المعصية كما قال مكيان الثوري البدعة أحب الى ابليس من المعصية فان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد (قال) بعضهم نحن نتوب الناس (فقلت) مما ذا تتوبونهم؟ قال من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك (فقلت) حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم فانهم كانوا فاسقا يعتقدون تحريم ما هم عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون اليه أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الاسلام، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وثبت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي

(قلت) مخاطباً للامير والحاضرين اما المعاصي فمثل ما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان يدمى حماراً وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان كلما أتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحدة، فانه رجل مرة وقال : لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تلعه فانه يحب الله ورسوله» (قلت) فهذا رجل كثير الشرب والخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنته

وأما المبتدع فمثل ما أخرجا في الصحيحين عن علي بن ابي طالب وعن ابي سعيد الخدري وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض - أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين كث اللحية مخلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قل فقال النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم «يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وفي رواية «لو يعلم الذين ياتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لتكلموا عن العدل» وفي رواية «شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه» قلت فهو لاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وباهم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم علي بن ابي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وتربيته وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لان يتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يتلى بشي من هذه الالهواء. فلما ظهر قبيح البدع في الاسلام وانها أظلم من الزنا والسرقه وشرب الخمر وانهم مبتدعون بدعا منكرا فيكون حالهم أسوأ من حال لزانى والسارق وشارب الخمر أخذ شيخهم عبدالله يقول يا مولانا لا تعرض لهذا الجناب العزيز — يعني اتباع احمد ابن الرافعي — فقلت منكراً بكلام غليظ ويحك أى شيء هو الجناب العزيز وجناب من خالفه أولى بالمزايير والرجنة (١) يريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله (فقال) يا مولانا يحرقك القراء بقلوبهم (فقلت) مثل ما أحرقتني الرافضة لما قصدت الصعود اليهم وحصار جميع الناس يخوفوني منهم ومن شرهم ويقول أصحابهم ان لهم سرا مع الله فنصر الله وأعان عليهم . وكان الامراء الحاضرون قد عرفوا ببركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل

وقلت لهم يا شبه الرافضة يا بيت الكذب — فان فيهم من الغلو والشرك
والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم وفيهم من
الكذب ما قد يقاربون به الرافضة في ذلك أو يساوونهم أو يزيدون عليهم
فانهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم لا تقولوا أكذب من اليهود على
الله ولكن قولوا أكذب من الاحمدية على شيخهم، وقلت لهم انا كافر بكم
وباحوالكم (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون)

ولما رددت عليهم الاحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتباً
صحيحة ليهدوا بها فبذلت لهم ذلك ، وأعيد الكلام انه من خرج من
الكتاب والسنة ضربت عنقه، وأعاد الامير هذا الكلام واستقر الكلام
على ذلك . والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده.

هذا آخر ماجرى مع البطائحية لشيخ الاسلام

وامام الائمة الاعلام . الشيخ تقي الدين

احمد الشهير بابن تيمية

قدس الله روحه

ونور ضريحه

ورحمي عنه

(انتهى من الاصل البغدادي كسابقه)

أثارة من التاريخ

(في حالة نجد قبل الشيخ محمد عبد الوهاب، وما قام به من التجديد والاصلاح)
قال الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه (تبرئة الشيخين) قال أبو بكر
حسين بن ضمام رحمه الله في تاريخه :

«وقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل على تلك الأحوال
مقيم، وفي ذلك الوادي مسيم (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)
وقد مضوا قبل بدو نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب، ينسلون إليه
من كل باب، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد بن الخطاب . ويدعونه
لتعريج الكرب فصيح الخطاب، ويسألونه كشف النوب من غير إتياب،
(قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض؟ سبحانه وتعالى
عما يشركون) وكان ذلك في الجيلة مشهوراً، بقضاء الحوائج المذكوروا كذلك
قرية في الدرعية يزعمون أن فيها قبورا، أصبح فيها بعض الصعابة مقبوراً،
فصار حظهم في عبادتها موفوراً، فهم في سائر الأحوال عليها يكتفون،
(أفكأ آلهة دون الله تريدون) ؟ وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم
من الله خوفا ورهبة، وانتم عندهم رجاء ورغبة، فلذلك كانوا في طلب
الحاجات بهم يتددون (ويقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
ممتدون) وفي شعب غيرا يفعل من الهجر والمنكر، مالا يعهد مثله ولا
يتصور، ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب محض
وبهتان مزور، مثله لهم إبليس وصور، ولم يكونوا به يشعرون، وفي
بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفعال، يأتونه النساء والرجال، ويفدون

عليه بالبكور والآصال، ويفعلون عنده أبيع الفعّال، ويشركون به ويستقدون. وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتِها النكاحها إلا زواج، وتقول : يا فحل النحول، أريد زوجا قبل أن يحول الحول. هكذا صبح عنهم القول (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وشجرة الطرفية تشبث بها الشيطان واعتان، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق، ويلقون فيها إذا ولدت المرأة ذكراً الخرق لعلمهم عن الموت يسلمون. وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ردت الله فانطلق لها الغار باذن العلي الكبير، وكان الله تعالى لها من ذلك سوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون (أتعبدون ما تشعّتون والله خلقكم وما تعملون). ثم ذكر في جميع قرى نجد، من ذلك ما لا يحصى ولا يعد، وكذلك في الحرمين وفي سواد العراق وبنّداد والحجرة والموصل والشام ومصر والحجاز واليمن ما هو معروف معلوم مذكور في التاريخ وقد اشتهر ذلك وبلغ مشارق الأرض ومغاربها واستفاض ما كان عليه أهل نجد من الكفر بالله والشرك به قبل دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته الخلق إلى توحيد الله وعبادته وترك عبادة ما سواه، فاستجاب من استجاب لله رغبة في الحق وجهاد في الله من أبي الدخول في دين الإسلام، حتى دخلوا في دين الله أفواجا وقد شهد بذلك الخاص والعام، وأقر به الموافق والمخالف فالحق ما شهدت به الأعداء

وقد رأيت في حال تسويد هذا الجراب تاريخاً لبعض المؤرخين من النصاري في سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف (قال فيه) ما نصه :

﴿ نجد بعد الرسالة ﴾

ومن بعد ان بعث الحكيم (صلى الله عليه وسلم) بالهدى والحق وانتشر الدين الاسلامي في هاتيك الربوع عم بلاد نجد من جملة ماعم فصار أهلها على هذه الطريقة انثلى بيد أن الحوادث التي طرأت على قادة الامة من بعد أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) شغلهم عن مشاركة تلك البلاد فأهملوها، ههنا من جهة ومن الجهة الاخرى ان الحروب والمنازعات والاختلافات شغلت أهل نجد عن الايمان في حقائق دينهم فمرت عليهم السنين الطويلة وهم يحبون (١) في الايمان والاعتقاد الى ان وصل الحال بهم الى درجة أصبحوا فيها وقد تعددت فيهم الاوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة بأشجر والحجر والنجم وعبادات القبور والمكوف عليها والاعتقاد بأهلها النعم والضرا الى غير ذلك مما لا أهل العراق فيه اليوم النصيب الاوفر، والحظ الاكبر. ونما عن انتشار البلم فيه، وبقي أهل نجد في هذه الحالة وليس لهم سوى الحرب والضرب والاعتقاد الضارب بالانسا ديناً وديناً وأخرى وليس لهم من الدين الحق الا الاسم وذلك الى زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

﴿ نجد في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بلدة العينية في حضن والده عبد الوهاب بن سليمان فرباه أحسن تربية ولقنه العلم هو بنفسه وكان والده حينئذ قاضياً في بلدة العينية من قبل حاكمها الامير عبد الله بن محمد

(١) كذا في الاصل والخبو زحف الطفل أو المقعد مثلاً على استه أو على

يديه وبطنه والمراد به ضعف الدين

ابن احمد المعري ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير المطالعة والتدبر والتفكر شديد الشوق الى العلم وطلبه حدثته نفسه بأن يسير في طلب العلم الى بلاد أخرى فخرج ثم سار الى المدينة فالتصل بالشيخين عبدالله بن ابراهيم مؤلف كتاب (العذب الفاضل في علم الفرائض) والشيخ محمد حياة السندي المدني فأقام عندهما مدة ثم رجع الى نجد ومن هناك سار الى البصرة فبغداد وهو في هذه الاثناء يتزود الكفاية من علم التوحيد والفقه وسائر العلوم ثم حاول السير الى الشام فمصر ولكن صعبه عارض في الطريق فرجع أدواجه الى بلاده حاملاً من زاد العلم مالم يتيسر لاحد غيره في وقته ثم ذهب لرؤية والده وكان يومئذ في حريملا وسبب تحول الوالد الى هذه البلدة هو انه في غياب الشيخ محمد توفي الله الامير عبدالله وخلفه في الامارة ابنه محمد فمزل والد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان عن القضاء وأقام مكانه احمد بن عبدالله بن عبد الوهاب ورحل عبد الوهاب القاضي الى حريملا ولما ثبت قدمه عند والده باشر الشيخ تزييف الخرافات والبدع والاضاليل، وشمر عن ساعده لآبادة الاوهام المضرة بالدين، وأخذ ينشر الاعتقاد الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

هو هرب الشيخ محمد رحمه الله من بلدة حريملا

كانت حريملا في عهد الشيخ بلدة لا ترجع الى أمير ولا الى اماراة بل كانت كورة تتقاذفها صوالب قبيلتين وهما قبيلة العبيد وقبيلة أخرى فاتفق يوما اني الشيخ زجر بعض السفهاء من قبيلة العبيد عن ارتكاب بعض المخازي الدالة على سوء الاخلاق فعمد هؤلاء الى إهاتته بل إلى قتله وأرادوا إتمام الامر بالفعل فساروا اليه ليلا وتسوروا الجدار وبينما هم في هذا الفعل

إذ صاح صائح في المحلة فظن هؤلاء المفسدون ان الصباح عليهم فهربوا وكفاه الله شرهم ولما أسفر الصباح رحل الى بلدة العينية وكان محمد الامير قد توفاه الله وقبض على زمام الامارة من بعده عثمان بن حمد بن معمر فتلقاء الامير عثمان بالتحية والترحاب والاكرام التام وهناك أخذ يث حقائق التوحيد والامير عثمان يتعاهده بمحفظ حياته ونصره على أعدائه

(حكاية الشجرة والقبعة) وقد طلب الشيخ من الامير ان يقطع شجرة كانت تُعبد في البلدة وان يهدم قبعة زيد بن الخطاب رضي الله عنه فتسمع الامير وبعد ذلك أُلح الشيخ عليه وأقنعه فأذن له في الآخر ثم طاب اليه أن يسير هو أيضاً معه فسار الامير مع الشيخ وهما ستمائة فارس ولما وصلوا إلى المحل للطلوب قطعت الشجرة وهدمت القبعة وكانت قرب بلدة الجبيلة فكان ذلك العمل من أخطر الاعمال التي أتتها الشيخ فلما فصل الشيخ هذا الفعل الاول اشترأ أمره، ونبه ذكره، فبلاغ خبره أمير الاحساء سليمان بن محمد وكاز ذاقوة وبأس شديد فبعث إلى عثمان بن حمد بن معمر يهدده بقطع رواتبه عنه والسير اليه ان لم يطرده الشيخ من بلاده فأذن حينئذ الشيخ عثمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يسافر الى حيث يريد فاختر الشيخ الذهاب الى بلدة الدرعية فسار وسير الشيخ عثمان معه جماعة تحافظ عليه من أعدائه حتى وصل الدرعية فخل ضيفا عند عبدالله بن عبد الرحمن ابن سويلم أحد أعيانها ثم علم بعض كبار الدرعية فزاروه فلما اطلعوا على مبداه استحسنوه وأحبوه ثم أرادوا أن يسموا عند أميرها محمد بن سعود لينزله ضيفا عنده فتخوفوا فقارضوا بذلك أخاه ثنيان وزوجته وأخاه مشاري فاتفق الجميع على تحقيق ما في الامنية فتم الامر وذلك أن الامير لما دخل قصره

وقابل زوجته اجتمع به أخواه فعرضوا عليه الأمر مع زوجة الأمير وأشاروا عليه باكرامه واحترامه فسار اليه برجله ثم أخذه من عند عبد الله السالف الذكر وجاء به الى قصره فاحتفى به أحسن الاحتفاء وأعزه وقام مؤيداً لدعوته بكل قوته فأخذ الناس يفدون الى الدرعية افواجا فواجا فازدادت بذلك قوة الأمير بل تضاعفت وشرع يكاتب بلدان نجد وقراها ويدعوها الى طريق الحق وما لبث أياما قلابل إلا واصفت له القبائل ودانت له اغلب البلدان، وما زالت الامارة في امتداد واتساع حتى أصبحت دولة بني آل سعود في درجة لو وفق امراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها الى ثروة ومد نظري السياسة لغدت اليوم من اعظم الدول الاسلامية قوة وسطوة ورهبة، ولا مدت امراؤها الى بلاد شاسعة، إلا انه دهمها ما لم يدرك في خلد أصحابها، فانها لما شددت في بعض امورها كثر أعداؤها فاحتالوا على الفتك بها فوقع بعض الامراء ما يلقي النفور بين آل سعود وبين الحكومة العثمانية وللحال اتفقت تلك النار الحامية نار الحروب والمضاعفات والزحف المتكررة فاضرت بالطرفين ولا بد من ذكر تلك الاسباب التي حمت القوم الواحد على القوم الآخر في فرصة اخرى والله ولي التوفيق ، وهو نعم الرفيق انتهى

(المنار) هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الاسلام في القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الاصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على انه يشبه نشأة الاسلام الأولى وانه لولا الموانع التي اعترضته لمجدد الاسلام محمد بن عبد الوهاب وما ، وأعظم تلك الموانع مقاومة الدولة العثمانية له ومساعدة محمد علي باشا لها على قتال الوهابيين وتدمير قوتهم ، وكان الحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية ، وعدوة الشرق ولا سيما الأمة الاسلامية ، التي لا تزال هي المقاومة لكل اصلاح اسلامي وترق شرقي ، طمعاني استعباد الشرق كله ، خذها الله تعالى

السفور والحجاب

(كثر في هذه السنين خوض الكتاب في مسألة حجاب النساء المسلمات وسفورهن فألفت فيها للكتب ، وأخذت مجالا واسعا من أبحاث الصحف المنشورة ، فالتفتون يدعون الى هتك الحجاب على ما يلزمه من خلع جلباب الحياء والتبرج والتهتك والفجور وأهل الدين يدعون الى المحافظة عليه أو على العرض والنسب به ، ولكن أكثر ما كتب في ذلك مباحث نظرية ، وتخييلات صورية ، حتى عرت الجرائد في هذه الايام على بحث عملي فيه لامير البيان هكيب أرسلان فنشره الكثير منها على اختلاف مشاربهم في المسألة ورأينا نحن أن ننشره في المنار أيضا لما فيه من العبرة والبيان الذي لا يعارض بالمرء والملاية وهو)

منذ نحو ثلاث سنوات كانت المعيشة في المانيا في غاية الرخص فكان طالب العلم في احدى الكليات يقدر أن يعيش بنحو جنيهين أو ثلاثة في الشهر. فانتهزت هذه الفرصة لتذكير أبناء وطني سورية وفلسطين بكون المعيشة في المانيا هي أرخص منها في نفس بلادنا فالذين يستدرون عن تقصيرهم في تعليم اولادهم بقلة ذات اليد ليس عليهم الا ان يرسلوهم الى المانيا فيتاح لهم ارقى تعليم عصري باخف ما يتصور العقل كلفة واقرب منالا ، ونشرت ذلك في جريدة الصباح التي كانت تصدر في القدس الشريف فاقبل على اثر هذه الكتابة نحو اربعين طالبا عربيا يردون من اهل العلم في برلين ولايبسغ وكونستانز وغيرها . وانما كثرت على الاسئلة يومئذ في موضوع التعليم في المانيا والمعاش في المانيا بصورة وصلت الى ادق الامور النافهة الى ان عجزت عن الجواب واحلت ذلك الى لجنة خاصة اشترت بتأليفها في برلين لهذا الغرض

وكان من جملة من استفتاني في امر التعليم بأوروبا رجل من أعيان فلسطين كتب الي أن له في المانيا ولدين ابنا وابنة فلما الصبي فهو في المدرسة المسماة جمنازيوم وهو في الثامنة من العمر . وأما الفتاة فهي في مدرسة بنات قد بلغت الثانية عشرة من العمر . وهو يلتمس رأيي في امر تعليمهما هل يتركهما يكملان

التحصيل في ألمانيا أم يسحبها الى الوطن ولا سيما البنت فانها كادت تبلغ من الرشد وهذا محل شاهدنا في هذه القضية

فأتذكر انني جاوبته بان الولد يمكنه ان يتم تعليمه هناك بشرط ان يتعلم اللغة العربية . وبالفعل كل ولد عربي لا يتعلم لغة اهل منة الصغر ولا يعرف نفسه عربيا منذ الصغر لو بلغ من العلم أعلى درجة لم يكن لنا ان ندعوه غصنا مهذبا من اغصان هذه الشجرة بل نعد غصنا اقتطع منها وغرس في حقل آخر وهو قد أصبح ليس منا ولا يفيدنا بشيء . وأما من جهة البنت فقد جاوبته انني لا ادري ماذا اقول لك لانني لا أعرف مشربك الخاص والمسألة هي بحسب مشربك فيمكنك ان تسحب بنتك من ألمانيا منذ الآن وتكمل تعليمها في القدس . وثق انه يوجد في القدس علوم تكفي ابنتك ولا تقصر عن شأو رغبته . كما انه يمكنك ان تبقى ابنتك في ألمانيا الى ان تتم تحصيلها كاحسن بنت ألمانية . ولكن على الوجه الاول تتعلم ابنتك مع بعض اللغات الاوربية والعلوم المصرية اللغة العربية والعقيدة الاسلامية وتخرج مسلمة . وأما على الوجه الثاني فتعلم بعض اللغات الاوربية والعلوم المصرية ولكنها تخرج مسلمة بالاسم فقط وعربية باللفظ العامي لا غير . وعلى الوجه الاول تبقى ابنتك لك ولا تتزوج الا مسلما . وعلى الوجه الثاني تبقى ابنتك لك اذا هي شئت وإن لم تشأ لم تقدر ان تعارض ارادتها في شيء ولا يذنبني لك ان تكون مبغوتا اذا قيل لك ان ابنتك أحبت شابا ألمانيا وأخذته — لا بل شابا يهوديا واقترنت به . فاختر أنت لنفسك أحد الوجهين فاني لا أعرف مشربك الخاص في هذه المسألة ولا انا عليم بذات صدرك حتي أقول لك ان اخذت بهذا الوجه أو ذاك الوجه تصب ويحصل لك كما يقال وجع رأس . وترى اني لست قائلًا لك هذا الوجه أولى من هذا وإياك ان تعمل هذا . كلا . لم أقل لك شيئا من هذا المعنى بل قصاري ماقلت لك : ان كان يكرئك ان تلبس ابنتك "برنيطة وتفاصيل أي شاب استلطفته في الطريق وتقترن عن تريد ولو غير مسلم وما أشبه ذلك مما هو جديد في الاسلام (١) فأولي بك أن تسحب ابنتك من اليوم من ألمانيا قبل ان

(١) يعني بالاسلام عالم الاسلام اي المسلمين لادين الاسلام

بمسو عودها فانك بمد ذلك لا تقدر على ردها عما تريد . ولا أقول لك انها ستتزوج حتما بغير مسلم وستخاصر حتما من شاءت من الشبان بدون اذن منك أو من أمها . كلا : وإنما أقول لك انه يجوز ان تفعل ذلك وحينئذ لا تقدر انت ان تمنعها وأما اذا كنت انت ترى ان ما وضع الالماني وما وضع الاوربي بأسره يسع المسلم ايضا وهم بشر ونحن بشر ، وكما جاز للاوربية ان تتزوج مسلما برضى والديها او بدون رضىها يجوز للمسلمة ان تتزوج بأوربي أو يهودي أو بصيني بوذي أو بهندي براهمي النخ بدون رضا والديها - فعند ذلك أقول لك دعها تكمل تحصيها في المانيا . فالمسألة مسألة وجهة ونظر فالذي يرى هذه الوجهة فطريقه هذا والذي يرى تلك الوجهة فطريقه هذا . فلما ان يرسل ابنته الى اوربا ويخرجها في مدارس لتعلم لغة عربية ولا عقيدة اسلامية أو يخرجها عند الراهبات العازاريات أو عند راهبات الناصرة ثم يطالبها بأن تبقى مسلمة ديننا وترقى ذوقا ومثرا وان لا يعطيا واحدا ، وان يجاسيها على عشرة . فهذا تكليف مالا يطلق ، وأضم الى هذا المثال مثالا آخر:

عند اعلان الدستور الثماني سنة ١٩٠٨ قال احمد رضا بك من زعماء أحرار الترك «مادام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علنا مع المرأة التركية على جسر غاطس وهي سافره الوجه فلا اعد في تركيا دستورا ولا حرية» فكانت هذه المرحلة الاولى، وفي هذه الايام بلغني ان احد مبعوثي مجلس انقرة الكاتب قالح رفقي بك الذي كان كاتباً عند جمال باشا في جنورية كتب : انه مادامت الفتاة التركية لا تقدر ان تتزوج بمن شاءت أيان شاءت ولو كان من غير المسلمين ، بل مادامت لا تقدر ان تعقد مقابلة مع رجل تعيش واياء كما تريد مسلما او غير مسلم - فانه لا يعد تركيا قد بلغت رقباه » فهذه هي المرحلة الثانية

فانت ترى ان المسألة ليست منحصرة في السفور ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والحجى . كيفما تشاء بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها متصل بعضها ببعض لا بد من أن ينظر الانسان اليها كلها من أولها الى آخرها . واذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة ان يتبها بخذا فيرها بدون تعنت ولا تناقل فان كان ممن

يرى رأي قالح رقتى بك - ان كان كما باتني لانتى لم اقرأ كلامه وانما ارجع
صحة - بهذه الصراحة النامة الى معناها انه يجب تمام الرقى أن تصير الفتاة
المسلمة قادرة ان تتزوج بمن شاءت نصرانيا أو يهوديا أو مجوسيا، بل أن تخاذن من
شامت كذاك ولا حرج عليها في قانون بلاها، فقد أعمل المشكل وارتفع النزاع ولم
يبق حاجة الى أن تقول : السفور خير من الحجاب، أو الحجاب خير من السفور،
بل تنحصر المسألة في هل يجب أن تقبل هذه النتائج بمذافيرها أم لا ؟

وأما ان نجتمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وان نطلق لها لامر تذهب حيث
ارادت ونحادث من ارادت وتضاحك من ارادت وتغامز من ارادت، ثم اذا صبا
قلبا الى رجل من غير جنسنا فذهبت وساكنته وكان بينها وبينه ما يكون بين
الرجل وزوجته أقننا القيامة ودعونا بالمسدم وقلنا بالحبية وبالالفة وبالفيرة
على المرض افهذا لا يكون ولبس من العدل ولا من المنطق ان يكون

والنتيجة التي نريدها قد حصلت وهي أن سلوكنا مسلك الاوربيين حلوا
الفئة بالفتنة في مسألة المرأة هذا له توابع ولوازم لابد أن قبلها ولا يبقى معها
عمل لكلمة : اعوذ بالله . كلا . لا يوجد هناك اعوذ بالله . بل تلك مدنية وهذه
مدنية . تلك نظرية وهذه نظرية . فعلينا أن نختار احدى المدينتين أو احدى
النظريتين مما استنبغت من الامور التي كان يقال في مثلها عندنا : أعوذ بالله

ان الشاب المصري منطقي الحكم سريع الفهم مانطق بكلمة : أعوذ بالله .
عند ما قال له الاستاذ الرافعي : اقترضي أن تقعد أختك عند أوروبي بالاجارة...

أوما بمعناه - الا انتبه الى كون نموذ هذا مخالفا للقاعدة التي زعم أن لا اصلاح الا
بها ... وهي حرية النساء المطلقة في العالم الاسلامي كما في العالم الاوربي : فأخذ

المسلمة من تشبيه زكاحا أو سفاحا ولا يخرج عليها في ذلك . قاعدة قالح رقتى
بك الذي مربنا قوله . قاعدة عبدالله جودت الذي أشار لاجل تجديد عدم الاتراك
بتزويج التركيات من شبان الالمان والطيان والحصول على نسل جديد ، وكتب
ذلك منذ أشهر وامتعض من كلامه بعض فتيان الترك من أنصار الجمهورية -
ولكن لم يتحرروا من وسارس الفيرة على العرض فقام ورد عليه قائلا:

نحن الاتراك دمنا أظهر من أن نصلحه بهذا الاختلاط الذي أشار به عبد الله جودت . ولكن الحقيقة هي أن القاعدة ما قاله الدكتور عبد الله جودت وما قاله فالح رفقي وما قاله الشاب المصري مخاطب الاستاذ الراجحي . هذه هي القاعدة لا غيرها ، ويأتي المنطق أن نكون هي القاعدة وأن يقال على أثر قبولها : أعوذ بالله من مفاعيلها ، لذلك لم يلبث الشاب المصري الذي أن قال : ما أنا وأمثالي الاشدوذ والقاعدة يجب أن تبقى أبداً قاعدة ، وبعبارة أخرى يقول : أنا وأمثالي لانزال تحت سلطان الوهم ونأبى أن ندع اخواتنا يؤجرن أنفسهن من الاوربيين ، لاعمالا بمقتضى الحكمة والعقل ، ولا جربا على سنن الطبيعة ، ولا اتباعا لمذاهب المدنية المصرية ، بل خضوعا لاوهام ووساوس لم تتحرر بعد منها . فهو يعرف بصحة القاعدة التي توجب هذه الاباحة ولكنه لا يزال ينجس أن يعلن كونه يرضى بمخادنة أخيه لشاب تتفق معه فتؤجره نفسها بدون عقد نكاح شرعي . نعم هو لا يزال ينكص عن اعلان الرضى بمثل هذه الفضيحة ، وإنما يرجو أن يكون ابنه أو حفيده ممن بغضي النظر عليها أو يشترك في سن قانونها في مجلس النواب المصري سنة ١٩٥٠ مثلا . (للمقال بقية)

﴿ النساء والتبرج والتمثيل ﴾

فتوى مشيخة الجامع الأزهر

وزعت مشيخة الجامع الأزهر على الصحف الاستفتاء الآتي وجوابه وهو :
سأل سائل : ما حكم الشرع في المرأة المسلمة المنبرجة والمتبرجة وفي مسئولية أيها زوجها أو أخيها . وفي المرأة المسلمة التي تظهر على مسارح التمثيل كمثلة
فتقول : التبرج قد نهى الله عنه بقوله سبحانه وتعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) الخطاب في هذه الآية الشريفة موجه الى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الحكيم عام ودعناه هو المشي بتبخر وتكسر أو أن تأتي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعتتها ويبدو ذلك كله منها أو أن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره ، أو أن تبدي محاسنها من

وجها وجسدها أو أن تخرج من محاسنها ما تستدعي به شهوة الرجال
فما يشاهد الآن من كشف المرأة عن ساقها وذراعها وصدرها ووجهها، وما
تتكلفه من زينة تكشف عنها، وما تفعله في غدوها ورواحها من تبخر في مشيها
وتكسر في قولها وتخلع يستلفت الأنظار - ويقوي الإشرار، تبرج منهي عنه
بالاجماع لا تقره الشريعة الإسلامية ولا يتفق مع العفة والآداب، لما يؤدي إليه من
إثارة الشهوات وتلويث النفوس وفساد الأخلاق وإطعام ذوى النفوس المريضة
وكثيراً ما جر ذلك إلى الجنايات على الشرف والعفة والاستقامة، حتى اشتد
الكرب، وعم الخطب، وأصبحت البلاد تترج تحت آثار الضارة ونتائج السيئة،
ولا حول ولا قوة الا بالله . وقد أدب الله النساء بقوله

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن
زينتهن الا لبعوثهن أو آبائهن أو آباء بعوثهن أو بناتهن أو أبناء بعوثهن أو
أخواتهن أو بني أخواتهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو
التابدين غير أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذي لم يظهروا على عورات النساء
ولا يضربن بأرجلهن ليدلن ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون)

واشغال المرأة المسلمة بمهمة التجميل أولى بالحرمه من التبرجة ، لانه التجميل
تبرج وتهتك ، بل حضور النساء محل التجميل والرقص والحفلات التي شأنها أن
يختلط فيها الرجال بالنساء تحرمه الشريعة سدا للذريعة

وحيث كان الامر كما ذكر فالواجب على زوج المرأة وأولياء أمرها منعها من
ذلك ، ويجب أيضا على كل مسلم قدر على هذا. وقد آن للناس أن يتداركوا أمر
الأخلاق فقد أوشك صرحها أن ينهار، وأن ية وموامنها ماء عوج ويهددوا مدارس
قبل أن تصبح أثرا بعد عين، والله ولي التوفيق

شيخ الجامع الأزهر

محمد أبو الفضل

الاسلام وأصول الحكم

كان صاحب هذه المجلة أول من قام بعريضة تنفيذ ما أودع في كتاب (الاسلام وأصول الحكم) من الكفر والضلال ، وتحليل الحرام وتحريم الحلال ، ومنهم الحكم بما أنزل الله ، وإباحة حكم الطاغوت ، وكان أول من دعا علماء الازهر الى رفع أصواتهم بالانكار له والرد عليه ، قبل ان تصل أيدي أكثرهم اليه ، ومن ذلك ما رأيته القراء في مقالة الجزء الماضي وكنا نشرناها قبله في جريدة اللواء والأخبار وقد أرسل إلينا طائفة منهم صورة عريضة في ذلك رفعوها الى فضيلة شيخ الازهر وإلى بعض المقامات العالية ووزعوا نسخا منها على الصحف ، وهذا نصها

عريضة مقدمة من علماء الازهر

حضرة صاحب الفضيلة

السلام عليكم ورحمة الله

نحن الموقعين على هذا نرفع الى فضيلتكم ما يأتي :

يا صاحب ، نص قانون الازهر ان الغرض من وجود الازهر وسائر المعاهد العلمية الدينية هو حراسة الدين وتخريج رجال أكفاء يقومون بوظائف الشريعة وإرشاد الأمة . ونص كذلك ان شيخ الازهر الشريف هو صاحب الرئاسة العامة على كل المنتسبين الى الدين من وجهة سيرهم الشخصي فيما يلائم صفتهم الدينية ونص قانون الدولة ان دين الدولة المصرية هو الدين الاسلامي . واعترفت سائر القوانين الاجنبية بحزمة الادياز ومعاينة الطاعن عايتها ، هذا من الجهة القانونية ثم من الوجهة الشرعية لانعلم فائدة لاعلم الدين ، وللاعلاء الدين ، وللالازهر الشريف منذ نشأته الى الآن الا القيام بحراسة الدين ودراسة العلوم النافعة في تأييده ، والدفاع عنه بكل الوسائل المشروعة ، ونشر هدى الشريعة السمحة الغراء بين المسلمين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومقاومة الاتحاد والزندقة ودراسة الشبهات والرد عليها وسوء الاخلاق والممالة ، وغير ذلك من كل ما تقتضيه خدمة الاسلام ، ويوجب الى الناس الآخرين الانتظام في هداه ، تلك هي وظيفة

العلماء منذ كان الاسلام ، وذلك هو واجبهم الشرعي كالصلاة والصيام ، الذي لا يخرجون عند الله من عهده ما لم يقوموا به حق القيام

فهل يجوز ونحن الآن في عهد يوالي حضرة صاحب الجلالة الملك الازهر وعلماءه بما يتفق وكرامتهم وبغنيهم عن الشغل بوسائل العيش لاجل ان يتعلموا لواجبهم العلمي الديني ؟

وهل يجوز ونحن الآن من الكثرة بما لم يباغض الازهر في تاريخه من عدد العلماء ؟ وهل يجوز ونحن الآن من تيسير دواوين الشريعة وأمهات الكتب الدينية وكثرتها بواسطة المطبوعات بما لم يباغض عصر قبل ؟

فهل يجوز مع هذه الاعتبارات أن يكون هذا العصر في الاتحاد والجهل بالشريعة والمجاهرة بمحاربتها ، وانتشار الدعاية كل يوم في الجرائد وسائر المطبوعات ضدها ، ممن هم من سلالة المسلمين أكثر من كل عصر مضى ، ولا يوجد من يدفع هذه الهجمات ، ولا يذود عن بيضة الدين خصما واحدا ، بينما نحن نتمتع باسم الدين بهذه الميزات الكبرى ، وبينما نحن من الكثرة بحيث نملأ القرى والبلدان ؟ فإذا هو العذر لنا في ذلك أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأمام حضرة صاحب الجلالة الملك الذي يوالي دائما ايتنا بجمع صنوف الرعاية ؟

بل ماذا العذر لنا أمام الله سبحانه وتعالى وأمام رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا ولد ؟ فهل نعذر بأن نظم الدراسة وشئون الطلبة ومصلحة التعليم البعثة استغرقت أعمارنا واستنفدت هممنا حتى صرفنا بها عما وجدنا نحن ومعاهدنا من أجله ؟

هل كان الازهر قبل أربعين سنة من إهمال الدين وانصراف أهله عن نشره في الأمة والدفاع عنه بهذه الدرجة التي نحن بها الآن ؟ بينما كان أولئك في شغل من العيش ، ونحن في كفاية بفضل الدين وباسم الدين

هل يجوز أن بطعن الدين كل يوم بين أيدينا طعنات قاتلة ؟ ولا شيء بلهينا عنه الا نفس الرفاهية التي أغدقها علينا الدين ؟ نعم في كل زمان وجد إلهاد ، ونجم للدين أعداء ، وظهرت مقالات سخيفة ، واعتراضات فاسدة ، وتحريف وتبديل .

ولكن كان العلماء على قلتهم وكدم ممتطين همهم العالية عند كل بادرقة من ذلك بدافع الشرع منتضين عزهم القوى وبراهينهم الساطعة ، فلا تظهر شبهة إلا كانوا أول من يقاتلها بحسبها ، ويقف على منشئها أكثر من صاحبها حتى يعود الحق جاليا والضال مهديا .

يشهد بذلك علم الكلام الذي ماتكون الا من ذلك ، ويشهد بذلك تلك المصنفات العديدة في رد الشبهات ، ويشهد بذلك تاريخ علماء الاسلام ومناظراتهم التي كانوا يقيمونها في كل زمان ومكان ، ويشهد بذلك علم الخلاف والجدل وعلم آداب البحث والمناظرة

نقول هذا ونقدمه الى فضيلتكم بمناسبة فشو دعاية الاتحاد في هذا الزمان والمجاهرة كل وقت بمحاربة الدين والقضاء على آدابه وأحكامه ممن لم يدرسوا منه كلمة واحدة ، ونحن من ذلك في سكوت عميق حتى اتخذوا من سكوتنا دليلا قويا على عجزنا ، واستطرد منه الجاهلون الى أن ذلك المعجز انما هو في نفس الدين فأصبحنا بذلك حجة على ديننا ، وسدا بينه وبين الناس ، شغلا منا بمصلحة التعليم والبحث عن نتيجة ذلك التعليم ، ولم يقف التشكيك في الدين وتسريب الريب فيه الى المسلمين على أولئك الذين لم يدرسوه فحسب ، حتى نجم اليوم ناجم ونطق بعد دهره ناطق ، لم يشأ أن يباحث العلماء في خواطر نفسه قبل أن يفاجئ الناس بها ، وأخرج للناس كتابا سماه « الاسلام واصول الحكم » بصفة كونه عالما من علماء الازهر ، وقاضيا من القضاة الشرعيين ملاء بالشك والترديد وأنكر أشياء لا نعلم إلا أنها معلومة من الدين بالضرورة باتفاق بين العلماء

أذكر الخلافة وانها مقام إسلامي واجب بالشرع ، وأفاض في العناية على معتقديها من عهد أبي بكر الى الآن ، ولم يبال في ذلك بمس الصحابة أو الخلفاء الراشدين من أن عملهم عليها كان من قبيل الملك لا من قبيل الدين . وهكذا أنكر القضاء وسائر صنوف الحكومة وانها ليست من الدين في شيء . . حاول أكثر من ذلك في القسم الثاني من كتابه ان النبي كان نبيا فحسب أم كان نبيا ملكا ؟ وأكثر من الترديد في ذلك ، ومراودة العقول عليه وبسط الاعتراضات وأوجز

الاجابة الواهية ، ايبر عابر من ذلك الى أن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي توأم الكتاب العزيز وبيانه ، وديوان الشرع وأدلتها التفصيلية إنما هي أحكام محلية وقنية تنتهي بانهائه صلى الله عليه وسلم فلا يصح أن نأخذ بها الآن ، ولا أن نقيمها في أي زمان أو مكان ، بل نأخذ في كل شئوننا ومواقفنا بأختر ما أنتجته العقول البشرية أي (طبعاً من أمثال رجال أوربة وأمريكا المسيحيين) وكثير من خصوم الدين من يتشدقون بذلك ، فكيف يكون انتصارهم اذا رأوا بارقة تلوح لهم بذلك من عالم من علماء المسلمين

فترغب الى مقامكم السامي ورياستكم العظمى على تلك المصلحة الكبرى ، مصلحة الدين التي تتمتع بكل الصفات المرعية في مصالح الدولة ، من قوانين عالية ، وارادات سنية ، ومقام لدى ولي الامر لا يدانيه مقام ، وكرامة في الامة دونها كل كرامة ، ومستولية عند الله تعالى دونها كل مسئولية — نرغب اليكم وأنتم بهذه الصفة العالية أن تتخذوا الدفاع عن الدين وتأييده بالحجة والبرهان جميع وسائل النفوذ المشروعة التي تخولها لكم القوانين حتي تظفروا به على كل خصم ، وتنجلي آياته الباهرة رغم كل تشكيك ، كما هو الشأن في حماية كل مصلحة من مصالح الدولة

كما اننا نرغب الى فضيلتكم أن تساعدوا هذه الهيئة الدينية العظمى في النزول الى معترك الحياة العامة ، ومشاركة الناس في مصالح الحياة اعلانا بأن الدين لا ينافي الدنيا بل إنما جاء لصلاحها ، والعمل على رفع الشر والظلم منها ، وبث العدل والامن فيها ، وأن يدرس رجال الدين كل ما يطرأ عند الناس من شبهة في الدين ليكشفوا عنها اللثام ويهدوا الخلاف في الامة وفاقاً ، وتأمين الامة شر الانقسام ، ونقوم بواجب الشرع خير قيام والسلام

وهذه هي أرقام الصحائف التي تتضمن زيادة شذوذ وأغراب وتحريف
ص ٢٠ دعوى الوجوب الشرعي دعوى كبيرة وليس كل حديث وان صح
بصالح لموازنة تلك الدعوى

ص ٣٦ «فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد
ص ٥٣ » واذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك لا يكون

في سبيل الدعوة الى الدين وابلغ رسالتك الى العالمين وما يكون لنا أن نفهم الا انه كان في سبيل الملك ولتكوين الحكومة الاسلامية — الى أن قال فذلك عندهم هو سر الجهاد النبوي ومعناه

ص ٥٥ المملكة النبوية عمل منفصل عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة
ص ٥٧ القول بأن الاسلام سلطة دينية وسياسية قول لا نعرف سنداً له
وهو على ذلك يناق معني الرسالة

ص ٩٢ بيعة أبي بكر بيعة سياسية على القوة والسيف
ص ٩٦ اختراع لقب خليفة لابي بكر ليأخذ الناس برهبة هذا اللقب
ص ٩٧ حرب أبي بكر لمن سددوا مرتدين ليس الدين وانما هو السياسة
ص ١٠٢ التصاق الخلافة بمباحث الدين من جنابة الملوك
ص ١٠٣ وهي آخر صحيفة قال فيها « والحق أن الدين الاسلامي يرى من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ويرى من كل ما هيئوا حولها من رغبة ورهبة ومن عز وقوة والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم » الى آخر الصحيفة
تحريراً في يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٣ (٢٣ يونيو سنة ١٩٢٥)

امضاءات علماء الازهر

حضرات المشايخ : يوسف حجازي : محمد مطاوع نصير . ابراهيم حمادة . اسماعيل عبد الباقي . محمد علي شايب . اسماعيل علي . محمد علي القاضي الطماري . عثمان صبره . علي جاويش . احمد المكاري . ابراهيم الدسوقي . حسب النبي محمود : علي شفيق : عبد الحميد الهنامي . محمد خليل بدوي . جاد عزام . بركات احمد عواد علي . شمس الدين احمد . محمد مخلوف عيسى . معوض السخاوي . علي ابراهيم منيب . حسن حجازي . طه البيهاني . رفاهي عصر . محمد حماد . سعيد حسن . احمد ابو العيين كامل . علي الهنامي . احمد عبد السلام محمد علي الخولي كمال الفاروقي علي جاد الله . عبد الجليل عيسى ابوالنصر . عبد الرحيم البرديسي

خليفة راشد . محمود عفيفي . حسن ابو عرب . علي احمد صبره . عبد العزيز مهنا . محمد سامون . عبد الحميد البجيرمي . مصطفى بدر زيد . عبد الحميد السرو . محمد العربي . محمد عبد السلام القباني . سيد رضوان عثمان . محمد ابراهيم الحنبلي . قنديل الفقي . سليمان البيلي . عبد الحافظ محمد عسل . سليمان الشيخ . ابراهيم سليمان . محمد الشنواني : محمد البراوي . محمود زيد . توفيق البتشتي . محمد المشري . عبد المقصود عبد الحاق . احمد المرشدي . حسين البيومي . عبيد عبد ربه . محمد مصطفى علي ناصر . عبد الفتاح قطب الملاح

﴿ حرب الريف أو الاندلس الجديدة ﴾

﴿ مساعدة منكوبيها ، وضروب من العبر فيها ﴾

ريف المغرب الاقصى بقعة صغيرة اشتهر اهلها بعزة النفس ، وشدة البأس ، ورسخ فيهم حب الاستقلال أو غريزته فلم يذلوا لفتح ولا خضعوا لمقاتل ، ولما ظهر للعالم كله عجز دولة اسبانية عن قهرهم في هذا العصر ، وانها باءت في جميع معاركها معهم بالخيبة والخسر ، وذاع صيت أميرهم وقائدهم العظيم محمد عبد الكريم في الغرب والشرق ، خافت فرنسا أن يستغل أمره فيستولي على قاص ويغضي ذلك الى تحيز جميع القبائل له فيتجراً أهل الجزائر فتونس على الالتقاط عليها وإلقاء نير العبودية الثقيل عن أعناقهم وقد يئسوا من انصافها إياهم إذ اشتد إعانتها وارهاقها لهم بعد الحرب الكبرى التي سفكوا فيها دماءهم دقاتها ، نعم خافت ذلك فبادرت الى قتال الريفيين كما قلنا في الجزء الماضي

قد كان ذلك ومن المعقول أن يكون — ثم من المهود المؤلف أن تتهم فرنسا الامير محمد عبد الكريم وقومه بالبغي والعدوان — وأن تتهمهم بالتعصب الاسلامي الذي هو عند الاوربيين كراهة المسلمين لاستعباد اوربة لهم ، وحبهم للاستقلال بأمر أنفسهم — ومن المهود المؤلف أن يرن صدي هذه التهمة في جميع ممالك اوربة — ومن المهود المؤلف أن تتفق دولها وساسة شعوبها على الدعوة الى

التنكيل بهم لئلا يطعم المسلمون المستعبدون في سائر افريقية وآسية في الحرية والاستقلال، والتفصي مما وضع في أيديهم وارجلهم من السلاسل والمقاطر والاغلال ولكن الامر الذي لم يكن مثله معهودا مألوفاً ولا منتظراً عند اكثر الناس هو أن تمتد هذه الدعوة الصليبية الى الولايات المتحدة، الامريكانية فترسل سرباً من الطيارات الى قتال أهل الريف انتصاراً لفرنسة واسبانية ومن تطوع للقتال معها من ممالك أوربة، فياليت شمري هل يعتقد هؤلاء الأميركيون الاحرار المتساهلون الذين يبرئهم نصارى الشرق من التعصب الديني المذموم — أن هؤلاء الشراذم من الريفيين الفقراء يمكن أن يكسروا جيش الدولتين وينقذوا بلاد المغرب الاسلامي من العبودية فعز عليهم ذلك فتطوعوا لوقاية هاتين الدولتين المسيحتين أو المدينتين من هذه الخسارة الخطرة؟ أم نفروا لمساعدتهما ابتغاء وجه الله تعالى وطلباً لرضوان يسوع المسيح يوم الدينونة بقتل أعدائه بقذائف الطيارات التي لا تفرق بين المحارب وغيره فلا ترحم طفلاً ولا امرأة ولا حيواناً، والرحمة لا يستحقها مسلم عند أعياء اتباع رسول الرحمة والسلام والزهد الأمر بحجة الاعداء عليه الصلاة والسلام؟ ولعلمهم يرون أنه لا يستحق الوجود أيضاً عملاً بنصائح مبشرهم القس زويمر الامر يكافي الذي لا يزال يحرض الدول المسيحية وشعوبها على مسلمي العالم كله؟ نعم ولكن هل يتدبر هذه المعاملة متفرنجة المسلمين؟ لا لا

وان تعجب أيها المسلم فأعجب من هذا أن جمعية الهلال الاحمر المصرية قد اهتمت بإرسال بعثة طبية الى جدة لمساعدة جيش الشريف علي بن حسين في قتاله للنجديين والحجازيين المشايخين لهم بالفعل، وان كانت لمساعدة الفريقين بالقول، وساعدتها الحكومة المصرية على ذلك بجمع الاعانات من الاهالي، ولكنها لم تتصد لإرسال بعثة طبية الى الريف وهو أشد احتياجاً اليها من جنود الشريف علي في جدة، وقد سمعنا الى ذلك كغيرنا وكأما بعض أعضاء الجمعية فسمعنا من ترجى منهم المساعدة، جمجمة وغنمة، واعتذارات مضطربة، لم نقنع بها ولا نقدر على الطعن الصريح فيها

وكنا اقترحنا في الاجتماع العام لجمعية الرابطة الشرقية أن تتصدى الجمعية لاسمي

في ارسال بعثة طبية الى الريف فاستحسن الحفل المجتمع ذلك وصفقوا له ، ثم احيل الاقتراح على مجلس ادارتها لينظر فيه فبحث فيه مرارا ، ولكنه ارجته صمودا ، وألقى عقبيه كثرودا ، وسيلحه بعيدا ، وكان الله على ذلك شهيدا

ثم انتدب لهذا الواجب شرجا وعقلا وانسانية صاحب السمو والهمة السامية الامير (عمر باشا طوسن) فألف لجنة للنهوض به تحت رياسته ، ونشرت الدعوة الى التبرع لها في الجرائد ، واكتننا لم نر الاقبال عليها من الشعب كما يجب ، ولا كما يليق بصيت بلادنا هذه وبثروتها وببجودتها ، ولا كما يعهد من تاريخها ، فهي قد ساعدت الطليان في زكبات الزلازل والبراكين التي انتابت مسيني وضيها ، وساعدت أهل طرابلس وبرقة عند إغارة الطليان عليهم بغيا وعدوانا ، وفي تلك الاثناء أرسيت جمعية الهلال الاحمر المصري

وما لي لا اذكر مساعدة هذه الجمعية الاسلامية لجمعية الصليب الاحمر المسيحية بألوف الجنيهات ومساعدة البلاد المصرية كلها حتى علماء الازهر (لايام) الاعانات الانكليزية كذلك ، على كون الانكليز أعداء للبلاد باحتلالهم اياها ثم اعلان الحماية عليها — وعلى كونهم كانوا يحاربون دولة الخلافة صاحبة السيادة عليها — وعلى إرهابهم اياها وتحكمهم في استخدام رجالها وغلامها وجالها وحيرها وبغالها ، كتحكمهم في أموال حكومتها ومراقبتها ومبانيها وسككها

(فان قلت) إن هذا قد كان بقوة الحكومة المحلية وإكراهها للاهالي على ذلك (قلت) هذا بيت القصيد ، والتعليل الاول لفتور الشعب في إعانة الريف ، فالحكومة في مصر هي التي كانت ولا تزال تفعل كل شيء ، وما كان يفعل فيها شيء مهم الا بنفوذها أو برضاها وإقرارها على الاقل ، ولا تستثن جمع الاعانات للوفد المصري ومظاهرة الامة له ، وإن وقع في إثر ثورة وطنية كانت أول العهد بجرأة الشعب على الانكليز ثم على الحكومة المصرية ، فان الوزارة كانت مرتاحة الى تأليف الوفد ولما شرع مستشار الداخلية الانكليزي في مقاومة أعمال الوفد وأخذه وثائق التوكيل من وجهاء الامة ، صرح يومئذ رئيس الوزارة ووزير داخلتها بأن المستشار انما فعل ذلك من تلقاء نفسه ، وقد بينا في مقالنا التاريخي

المبسوط في المسألة المصرية التي نشرناه في المجلد ٢٢ (سنة ١٣٣٩ ١٩١٩ م) ما كان من الشأن لمساعدة وزارة رشدي باشا في تكوين الوفد المصري ، ثم ما كان من الشأن لوزارة عدلي باشا في الاحتفال الاعظم الذي استقبلت البلاد به عند عودته من أوربة ، وقد صدقت الايام بعد ذلك صحة رأينا على ما لا ينكر من نهضة الامة وعملها مراراً بما يخالف رغبة الحكومة وما ساعد على بعثة جمعية الهلال الاحمر الاخيرة الا كراهة أو مكرهة إذ لا نجد باعنا يرغبها فيه ولكن ما بالها لم تقبل على التبرع لجرحى الريف مع كثرة الدواعي والاواصر التي تعطفها عليه ، وتدعوها الى تخفيف آلامه ، من اخوة دينية ، وآصرة عربية ، ووطنية افريقية ، ورابطة شرقية ، وجامعة انسانية ، وتآلم من تألب الشعوب الاوربية ، واعتبار بغيرتها المالية ؟ إن لهذا الفتور موانع أكثرها فيما أرى سلبية من عدم رغبة الحكومة وعطفها ، ومن صد ملاحظة المتفرجين عن مثل هذا العمل لثلاثة قوي الجامعة الاسلامية ، ومن عدم تنظيم لجنة الاعانة للعمل واتخاذ الوسائل المؤثرة لتجميعه ، فعمى أن نعي اللجنة بذلك ونشر دعوتها في الجرائد المصرية وغيرها ، وتنشئ لها لجاناً فرعية ، في كل محافظة ومدينة ، فحينئذ يقبل عليها المصريون الاقبال الذي يكونون به قدوة لغيرهم

وأما مجلس جمعية الرابطة الشرقية فقد قرر استنجد الشعوب الشرقية كافة والشعب المصري خاصة وحض الجيم على مساعدة لجنة الامير طوسن باشا وتبرع بعض اعضائه وأعضاء الجمعية لذلك قبل نشر نداء الاستنجد واستنداء الاكف في الصحف ، وتوزيع الوف منه في المعاهد العامة والطرق ، وهذا نصه :

نداء جمعية الرابطة الشرقية

لاعانة جرحى الريف في المغرب الاقصى

لئن كان من سيئات هذا العصر أن صارت نكبات الحروب وفشكها فيه أشد مما كانت في جميع عصور التاريخ فإن من حسناته كثرة الوسائل لتلافي شرور هذه المصائب وتخفيف آلامها ، ومنها — ولعلها أفضلها — تضامن الشعوب

البشرية بالمعطف على المصابين والمنكوبين من جرحى الحرب وغيرها من النوازل العامة. بعاطفة الانسانية الجامعة بين الناس على اختلاف ملاتهم ونحلهم وأوطانهم وحكوماتهم . رائنا نرى جميع هذه الشعوب قد أعرضت عن مد أيديها لمساعدة منكوبي الريف وجرحاهم في المغرب الاقصى على ما يعلم الجميع من عدم وجود الاطباء والجراحين والممرضين في تلك المنطقة ومن فقد الادوات الطبية التي لا بد منها لمواساة الجرحى ومعالجتهم ، فكان هذا الشعب المنكوب ليس من البشر فهو يقاسي جميع نكبات الحرب منذ سنين ، ولم يعطف عليه أحد من الشرقيين ولا من الغربيين

اذا كانت مساعدة منكوبي البشر حقا على جميع البشر للاشتراك العام في الجامعة البشرية ، فان هنالك جامعات أخرى تجعل هذا الحق على بعض الناس أكد ، وتوجب أن يكون الشعور به أقوى ، كالجامعة الشرقية والجامعة الهندية والجامعة الافغانية والجامعة الدينية . بداعية هذه الجامعات العامة والخاصة ارتفعت أصوات كثير من المكاتب في الجرائد الشرقية من عربية وعجمية بطالب جمع التبرعات لمساعدة جرحى الريف ومنكوبي الحرب فيه ، وتجاوبت الجرائد فيه بين مصر والهند

وقد كانت الجمعية العامة للرابطة الشرقية استحسنات اقتراحا عربيا عليها بجمع الاعانة لهؤلاء المنكوبين وتبرع بعض أعضائها لذلك بالفعل ، ثم نظر مجلس ادارتها في تنفيذ ذلك ، ولما لم يجد وسيلة أو طريقة لارسال بعثة طبية لم يتصد لذلك . ثم تألفت في هذه الايام لجنة للقيام بجمع التبرعات لهم برئاسة سمو الامير الجليل عمر طوسون باشا ، وعهدت بأمانة صندوقها الى حضرة السيد أبي بكر بك راتب ، بناء على وقوف سموه على طريق مأمون لارسالها اليهم ، فعاد مجلس ادارة الرابطة الشرقية الى البحث في المسألة وقرراستههاض المهم واستنداء الاكف لمساعدة هذه اللجنة في عملها هذا .

فالرابطة الشرقية تنادي كل شرقي كريم الخيم رقيق القلب سخي النفس من مصري وسوري وعراقي وايراني وهندي وجاري وتركى ، وقوقاسي وياباني

وصيني قائلة : إن شعبا صغيراً من أكرم شعوبكم منبتاً ، وأعزهم أنفسا ، وأسوئهم
 في الحياة حظا ، يعاني على فقره وقلة ذات يده ، حربا عاتية يدافع فيها عن نفسه ،
 فتجندل أبطاله في حومة الوغى بقذائف الطائرات والمدافع والبنادق فيكون
 أسعدهم حظا من يلاقي حتفه لساعته ، وأشقاهم وأشداهم بؤسا أولئك الذين تفصل
 القذائف الجهنمية أيديهم أو أرجلهم من أبدانهم ، أو يخترق الرصاص صدورهم
 فينفذ من ظهورهم ، أو يقطع أمعاءهم ويمزق أكبادهم ، ويبقى مستكنا في طيات
 أحشائهم ، ولا يجد طبيبا ولا ممرضا يأسوه قرحا ، أو يطهر له جحاه ، أو يحفظ
 له بقية دمه ، أو يخفف عنه بعض ألمه (فيأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت)
 أولئك أيها الشرقيون اخوانكم في الرابطة الشرقية ، أولئك أيها العرب
 اخوانكم في الوشيجة العربية ، أولئك أيها الافريقيون أشقاءكم في القارة
 الافريقية ، أولئك أيها المسلمون اخوتكم في الجامعة الاسلامية ، أولئك أيها
 الناس أبناء أيكم وأممكم في الانسانية ، فليعطف عليهم كل واحد منكم بما يجده
 في قلبه من عطف الجامعة التي تجمعهم بهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا
 وأما أنتم أيها المصريون الكرام فقد عرف الزمان لكم كل مكرما ، وحفظ لكم
 مواقف بركم بالمنكوبين من الامم المختلفة ، ولو لم يكن لكم من آثار البر الا انشاء
 جمعية الهلال الاحمر المصرية لكفى ، فأنتم أجدر بأن تكونوا أسبق الشعوب
 اجابة لنداء جمعية الرابطة الشرقية التي سبقتكم الى تأسيسها ، ولا زلتهم خير أهل
 للبر والاحسان اه

المطبوعات الحديثة

كتاب حاضر العالم الاسلامي

لو كان المسلمون يعنون بمعرفة شؤون أنفسهم ، ويبحثون عن أسباب تغييرهم لما كان بأنفسهم من عقائد وفضائل ومعارف ، وما أعقبها من تغيير الله تعالى ما كان بهم من نعم السيادة والسلطان والمزة والقوة — كما يعني بذلك علماء الافرنج — لما وصلوا الى هذه الدركة من الضعف والهوان

قد آتى على الشعوب الاسلامية قرون متتابعة وهم يتدهورون من قنّة الى هوة ، كما تتدهور الجلاميد من شاربج القدرى ، لاندري من حطها من عل الى أسفل ، وتحول من عزة الى ذلة ، ولا تعلم لم تتحول .

(ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)
فقد قبض بفضل المسلمين من يوقظهم من سباتهم ، ويرشدهم الى تغيير ما بأنفسهم الآن من أسباب التردى على علم وبصيرة ، كما غيروا من قبل ما كان بأنفسهم من أسباب الترقى عن جهل وغفلة ، ولكن طرأت عليهم في أثناء هذا الايقاظ فتنة التفرنج فلبستهم شيعا ، وفرقتهم طرائق قددا ، فقد أفسد ساحة الافرنج وملاحدتهم جبلا كثيرا من أبناء المسلمين ، كانوا أضر عليهم من سائر أعدائهم في الدنيا والدين ، فهم يضلون المسلمين ويخدعونهم عن دينهم ودنياهم ، من حيث يوجد في أحرار الافرنج من يرشد المسلمين الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ، بما يعنون به من تمحيص الحقائق في شؤونهم لذاتها ، أو ليستفيد أقوامهم منها .
أمامنا الآن ونحن نكتب هذا كتابان يشغلان مسلمي مصر وسيشغلان سائر البلاد الاسلامية التي يصلان اليها

(أحدهما) كتاب الاسلام وأصول الحكم الذي رأى القراء في الجزء الماضي ويرون في هذا الجزء شيئا من بيان مقاصده وأنه لرجل متخرج في الجامع الأزهر وقاض شرعي في بعض المحاكم المصرية ، هو أضر على المسلمين من كل عدو (والثاني) كتاب (حاضر العالم الاسلامي) وهو لعالم إفرنجي هو أنعم

للمسلمين من كثير من أفرادهم الناصحين ، دع متفرنجتهم للملاحدة المفرقين ، ألا وهو العلامة البهائية « مستر لوثرروب ستودارد » الامريكى الذى زاد به شهرة على شهرته ، ألفه بلغته الانكليزية وسماء (العالم الاسلامي الجديد) فراج في امريكة وأوربة رواجاً عظيماً وطبع مراراً متعددة ، ونقل الى أشهر اللغات الغربية والشرقية ، وقرظه كبار الكتاب ، وأعجبوا بدقة بحثه وسعة اطلاعه صاحبه .

ونقله الى لغتنا العربية عجاج افندى نوبهض أحد أبنائها البررة المجيدين لها ولغة الانكليزية ليطلع هذه الامة على أصح ما كتب في وصف حالها ، أدق من عرف من علماء الفرنجة بحثاً عنها ، وأعدلهم حكماً لها وعليها ، وأصدقهم قولاً فيها ، وذكر ان المحققين من العلماء الغربيين شهدوا له بهذه الصفات عند تقرير كتابه هذا ترجم الكتاب وعرض ترجمته على كاتب العصر — كما قال بحق — الامير شكيب أرسلان الشهير ، وطالب منه أن يكتب له مقدمة تليق به ففعل ، بل أجاب السائل بأكثر مما سأل ، وله في ذلك أسوة حسنة (١) ولكنه أربى في الكرم فوضع على الكتاب حواشي وذيلولا يصح في وصفها قول العرب : على التمرة مثلها زبدا ، بل تربي على صحائف الاصل عدا ، ولعلها مدت مادته بضعفها مدا ، فهي بطولها واستطاراتها تضاهي الحواشي الازهرية ، ولا غرو فروح الامير العلمية والادبية ، أغاب عليه من روحه الاقتصادية والاجتماعية ، فانه لو جعل هذه الحواشي كتاباً مستقلاً لكان أليق بمقامه وأجدر بافادتها ، من جعله إياها تابعة لغيرها ، ولكن له منها ربح مالي يزيد على ربح الكتاب الاصل ، بل ربما زاد عليه موشى وموشحاً بها أيضاً . فان أكثرها موضوعات مستقلة بنفسها ، وما فيها من إيضاح لبعض غوامض الكتاب أو استدراك عليه هو ألقاها . ولكنه على ما يظهر من معرفته لقدر نفسه وعلى ما يقول بعض حساده أو مكبري فضله من إعجابه بها ، كثيراً ما يهضمها ، ويضعها تواضعه دون مارق الله من قدرها ، ومن ذلك ظنه أن جعل هذه الحقائق الثمينة ذيلولا لترجمة هذا الكتاب أخرى باستمالة الناس الى مطالعتها ،

(١) هذه اشارة الى ترجمة آخر أبواب كتاب العلم من صحيح البخاري (باب من اجاب السائل بأكثر مما سأل) وهو النبي (ص)

كأنه لم يشعر بأنه أشهر من صاحب الكتاب لدى قراء العربية ، ولم يستشعر أن الثقة به في شؤون الاسلام أقوى من الثقة بذلك عند جميع الشعوب الاسلامية ، وغيرهم من الشعوب الشرقية وكثير من علماء البلاد الغربية واننا نكتب في الآن بذكر عناوين فصول الكتاب وأهم عناوين الحواشي لتعريف قراء المنار بقيمتها — أما موضوع الكتاب ومواده فهي مودعة في مقدمة وتسعة فصول وخاتمة

لا يستغني مسلم يهمله أمر أمته وملته عن الاطلاع عليها

المقدمة « في نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه » وقد أنصف فيها الاسلام بالثناء عليه ، وبيان أصول الاصلاح والهدى المودعة فيه . فتكلم في ذلك كلام عليم خبير منصف ، وبين ما أصاب المسلمون بهدايته وما أصابهم بتركها وأسباب الارتقاء وأسباب الانحطاط في الحالين بما تعطيه فلسفة التاريخ وأصول علم الاجتماع للمطلع على تاريخ الاسلام القديم والحديث والواقف على عقائده وآدابه بالاجمال ، ولكن كلامه فيهما لم يسلم من الخطأ في مسائل يتوقف تحقيق الحق فيها على علم استقلالي واسع في العقائد الاسلامية والفرق المختلفة فيهم فهو على ادراكه لطهارة العقائد والآداب الاسلامية وموافقتها للفطرة البشرية والعقل السليم ، واعدالة التشريع الاسلامي واصلاحه الذين جمدهما الشيخ علي عبدالرازق — وليكون العرب كانوا أجدر الشعوب بفهم تلك المزايا لحريتهم وطباعهم — هم السليمة غير المضطربة بتقاليد الاديان التي كان قد أفسدها الزمان — وعلى جعله هذين الامرين — التعاليم الاسلامية والفطرة العربية — هما الاساس والعملة الاولى لنجاح الاسلام ومدنيته — وعلى إدراكه أن الاعاجم المبيلة قلوبهم وعقولهم بالتقاليد الموروثة لم يفهموا الاسلام كما فهمه العرب ، وان تغلبهم على الخلفاء وسابهم لسلطان العرب كان عملة العمال الانحطاط الذي تلا ذلك الارتقاء — هو على إدراكه لكل ما ذكر — قد اختلط عليه الامر عند المقابلة بين أهل السنة ومتبعي النقل ، والمعتزلة الذين حكموا العقل علم أن الاسلام دين العقل والفطرة فظن أن المعتزلة الذين أرجعوا كل شيء في الدين الى اصول العقل هم الذين استمسكوا بجوهر الاسلام ولبابه الصحيح ، وان خصومهم المحافظين الذين ذهبوا الى أن النقل والسنة مقياس كل شيء في « المنار ج ٣ » « ٢٩٥ » « المجلد السادس والعشرون »

الدين ، هم الذين جهلوا جوهر الاسلام ، وظن أن الذين دخلوا في الاسلام وقد أشربوا في قلوبهم الدين البرزطي القديم (وأمثالهم من الذين فهموا الاسلام بمرآة أديانهم وتقاليدها) قد كانوا من زمرة أهل السنة والنقل لما اعتادوا من التقليد . وأنهم هم الذين أولوا القرآن والاحاديث النبوية تأويلات بعدت بها عن سهولتها وبساطتها قال : « فتتج من ذلك أن أصيب الاسلام بمثل ما أصيبت به النصرانية في الاجيال المظلمة ، من تلبيس الدين عقائد غير عقائده ، ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه وهو براء منها ، فلا غرو اذا اشتد الخلاف واتسعت شقته وطال عهده بين الذين اعتصموا بالسنة والنقل فقاوسا عليهما ، وبين الذين جعلوا العقل نفسه مقياسا لكل شيء »

ثم زعم أن عقيدة السنة هي التي غلبت على العقل كما كان متوقعا ، وان تاريخ السنة والتقاليد انما هو تاريخ السير نحو أدوار الاستبداد وعواقبه المشؤمة لم يفرق المؤلف بين السنة والنقل في الاسلام وبين التقاليد في الاديان الاخرى وهي عبارة عن العقائد والشعائر الموروثة عن الآباء والرؤساء والمعلمين . والحق الواقع ان كل ما ذكر من الفساد في الاسلام انما كان من بدع الذين حكموا عقولهم أي آراءهم النظرية في الدين ، وأنهم هم الذين حولوا الاسلام عن بساطته المعقولة الموافقة للفطرة ، وهم الذين كانوا السبب في إدخال البدع وضلالات الاديان القديمة وسخاقلها وخرافات الوثنية في الاسلام بالشبهات النظرية التي سموها دلائل عقلية ، والافيسة الشيطانية فيما لا مجال للقياس فيه من عقائد الدين التي لا يأخذ لها الا الوحي ، ومن الاحكام الثابتة بالنص .

أهل السنة والجماعة هم الذين كانوا يجمعون قداسة الدين وسهولته من تطرق بدع الاديان والآراء الفلسفية والشعرية اليها ، لتذير النبي (ص) أمته منها ، فمنهم من منع القياس في أمور الدين مطلقا ، ومنهم من قال : إن القياس جائز في غير الأمور الاعتقادية والعبادية ، وقصره بمضهم على الاحكام القضائية والمدنية والسياسية وكان من بدع المعتزلة دعوتهم الى القول بنخا القرآن ، وحماهم بعض خلفاء العباسيين الذين اتبعوا نجاتهم بمحمل المسلمين على ذلك بالقهر والاضطهاد ، وقد

آذوا به خلقا كثيرا من أهل السنة من أجلهم قدرا إمام الأئمة أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقد ضربوه ضربا مبرحا وداسوه بأرجلهم ليقول بقولهم ، فامتنع أن يقول هو مخلوق أو غير مخلوق ، احتجاجا بأن النبي (ص) وأصحابه لم يأمرُوا بذلك ولم يقولوا به فسمعنا ما سمعهم ، ولا نعرف ديننا إلا عنهم ولو أجزنا مجاوزة نصوص الوحي ونفسير السنة له بأرائنا العقلية نزول الوحدة وتفرق شيئا كما تفرق من حذرنا الله أن نكون مثلام

ومبتدعة الشيعة الفاطميين ، بل زنادقة الباطنيين كانوا يعتمدون في ترويج بدعهم على الفلسفة اليونانية ، وهم الذين ابتدعوا في مصر احتفالات الموالد التي لا تزال مشوهة للاسلام وسبة للمسلمين ، والاسلام برى منها ، وملوك الاعاجم وأراؤم هم الذين ابتدعوا جعل القبور مساجد ، وكانوا سبب تقديس الجاهلین لها بل عبادتهم إياها ، كما فعل أهل الكتاب قبلنا وحذرنا نبينا من فعلهم ، إذ قالت السيدة عائشة (رض) في سبب اعتنا (ص) بالذين اتخذوا قبورا أنبيائهم مساجد : يحذر ما صنعوا - كافي صحيح البخاري ولا يزال المدافعون عن هذه البدع يحتجون لها بنظريات يسمونها عقلية كوجود الارواح ، وجواز قضائها أو حملها الخالق تعالى على قضاء الحاجات ، ولا يوجد دليل عقلي على شيء من هذه البدع والخرافات من الاسف ان البدع التي يسمونها نظريات عقلية هي التي غلبت على السنة حتى أفسدت على المسلمين دينهم ودينام خلافا لما قاله المؤلف ، ولو اتبع الناس الامام احمد وأمثاله لما زادوا في الدين شيئا ولا نقصوا منه شيئا ، ولصرفوا ذكاهم وجههم في العلوم والفنون الكسبية التي تفيدهم وترفع شأنهم ، ولم يخطو بالدين ما ليس منه ألم تر أن مؤلف الكتاب يعد الدعوة الوهابية إصلاحا في الدين وإرجاعا له الى أصله الطاهر ، وهل الوهابية إلا الوقوف بالدين على صراطه المستقيم

الكتاب والسنة الصحيحة - ورد جميع ما ابتدع فيه سواء استحسنته العقول أم لا ، وهل للعقول قاعدة أو حد تقف عنده في هذه الأمور ؟ أليس لعباد الاوثان فلسفة دينية ، وشبهات نظرية يسمونها دلائل عقلية ؟ لي ، وبكفيينا هذا في بيان غلط المؤلف في هذه المسألة

ولنعد الى موضوعات الكتاب فنقول :

الفصل الاول في اليقظة الاسلامية . وهو في الجزء الاول

» الثاني في الجامعة الاسلامية »

» الثالث في سيطرة الغرب على الشرق ج ٢

» الرابع في التطور السياسي »

» الخامس في العصبية الجنسية »

» السادس » في الهند »

» السابع في التطور الاقتصادي »

» الثامن » الاجتماعي »

» التاسع مع الخاتمة في القلق الاجتماعي والبلشفية

وأما موضوعات حواشي الامير شكيب فهي في بيان أحوال مسلمي العصر

للإمامة الحديثة وبعض القديمة ، تكلم عن مسلمي الصين وبنوهم وما جاورها

والهند ومسلمي روسيا في عهد البلشفية الحاضر وشرقي أفريقية والحبشة وماداغاسكر

وجزائر القومور وريف المغرب الأقصى والفلبين . . .

تكلم عن مسلمي هذه البلاد وغيرها بما يهم كل مسلم يهتم بأمر المسلمين أن يطلع

ولا سيما علاقتهم بأوربة ومن سيادتها عليهم ومحاولتها لتبصيرهم ولها في أذبال الجزء

الاول فصول تحت عنوان (الاسلام والجنود السوداء) منها (لمحة على حالة

الاسلام الحاضرة) ومنها فصل في (الاسلام الأسود) وفصل في (الاسلام عند

السنغاليين) ويلى ذلك (خلاصة) سياسية لهذه الفصول وما قبلها في شؤون

المسلمين وأوربة فيها من الحقائق التاريخية والعبر السياسية ما يعز أن يصدر مثله

عن غير الامير شكيب

ويلىها فصل في (الجنس الامود والاسلامية) وفصل في (الاسلام في

أفريقية) وما يلاقيه من مهاجمة الاستعمار ودعوة النصرانية — فصل في

(الرسائل البروتستانية في أفريقية) فصل في نهضة الاسلام في أفريقية

وأسبابها ووسائل دعوتها من سنة ١٧٩٠ — ١٩٠٠)

وبلي ذلك الكلام في الطرق الصوفية في افريقية : القادرية والشاذلية والتميجانية والسنوسية ويتبع الكلام في الاخير ترجمة بعض كبار شيوخها و جدول في أسماء أشهر زواياها في ست صفحات بالحرف الصغير (جسم ١٢)
وبلي ذلك فصل في (مجاري الدعوة الاسلامية في افريقية) فصل في (الصراع بين الاسلام والنصرانية ، وأنها الغالب في أمر المدنية) ويليه خلاصة لما تقدم في هذا الموضوع كله

ومن موضوعات هذه الحواشي والذبول فصول في الاصلاح والمصلحين ، وزعماء الاسلام المجددين ، منها الكلام عن الوهابية وزعيمها العلمي الشيخ محمد عبد الوهاب وزعمائها الامراء آل سعود (ومنها ترجمة حكيم الاسلام وموقف الشرق السيد جمال الدين الافغاني وشي من ترجمة لاستاذ الامام ، وأشكر له حسن ظنه أن قرن اسمي باسم أستاذنا) ومنها ترجمة بطل الاسلام والعرب في هذا العهد (الامير محمد عبد الكريم) وتراجع زعماء جمعية الاتحاد والترقي التركية : أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا الخ

وكلام عن بعض الفرق والطرق القديمة والحديثة كالمعتزلة والخوارج والبيكاشية والباوية والبهائية والاشتراكية والبلغشية والاحمدية القاديانية وجملة القول أن مؤلف هذا الكتاب من أعلم كتاب الفرنجة بشؤون المسلمين فان لم يكن أعلمهم بها فهو أجدرهم بتحري الحقيقة وبيانها ، وان واضع الحواشي والذبول التي هي كتاب آخر هو أجدر كتاب العرب بالجمع بين تاريخ الاسلام والمسلمين وبين علالة أوربة بهم وسياستها فيهم وأقدرهم على بيان ذلك وأحرصهم على النصح فيه ، نعم إنه يوجد من يساويه ومن يفوقه في بعض فروع هذا التاريخ وشعب هذه المسائل ، ولكننا لانعرف أحداً يضاهيه في معرفة جهاتها وتفصيلها ، ولا في مزية حسن البيان لها ، وقد بلغنا أنه طالع وراجع عند كتابة هذه الحواشي عشرات من الكتب الحديثة التي ألفت بأشهر اللغات الاوربية ولم يعتمد على حفظه واختباره . فقد اجتمعت في هذا الكتاب خلاصة معارف الغرب والشرق الخاصة بحال المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية الحاضرة والمستقبلية ، فهو يغني

في باب من كثير من الكتب والجرائد والمجلات وهي لا تغني عنه ، وسنقل
للقراء بعض النماذج منه

طبع الكتاب بالمطبعة السلفية بمصر (سنة ١٣٤٣) على ورق جيد بنوعين
من أصغر حروف الطبع فالأصل بحرف ١٨ والحواشي والذيل بحرف ١٢ فدخل
في جزئين يزيد كل منهما على ٤٠٠ صفحة ، وعن النسخة منها مجلدة بالقماش
المتين ٨٥ قرشا من الورق الجيد و ٦٠ من ورق دونه . وهو يطلب من مكتبة
المنار ، ومن مكتبة المعارف بمصر ، ومن طاب إرساله بالبريد فايرسل أجرته
وهي خمسة قروش صاغ

الاسلام وأصول الحكم

« بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام »

كتاب جديد ألفه الشيخ علي عبد الرازق الحامل لشهادة العالمية من الجامع
الازهر وأحد قضاة المحاكم الشرعية ، حاول فيه أن يثبت أن الاسلام ليس له
حكومة ولا دولة ولا سياسة ولا قضاء ، وأنه لا ينبغي أن يكون له ذلك ، وأن
ماورد في القرآن الحكيم والسنة النبوية من الاحكام القضائية ، والمعاملات
السياسية والحربية كان تنفيذه والحكم به خاضعا بالنبي (ص) من حيث إنه رسول
الله (ص) وأن الله تعالى لم يكلف المسلمين أن يلتزموا تلك الاحكام من بعده
وليس لاحد من أمته أن يخلفه في إقامة حدود الله وتنفيذ أحكام شريعته ،
وانتمحال أبي بكر الصديق (رض) للقب خليفة رسول الله (ص) كان باطلا وان
اتفق عليه العلماء وأهل الحل والمقد من الصحابة (رض) فانهم ما فعلوا ذلك الا
خدعة سياسية لاختضاع العرب وغير العرب للمسلمين ، وان حكومتهم كانت في
الواقع ونفس الامر لادينية ، وان كل ما قاله المسلمون في الخلافة الاسلامية
والحكومة الدينية باطل لا يقوم عليه دليل ، وانما يقوم الدليل على أنه لا بد للناس

من حكومة مهما يكن شكها ولو اشتراكية باشفية ، وان حكومة الخلافة كانت شرًا وإذلالاً للمسلمين : وخلاصة الكتاب : إن المسلمين ليس لهم تشريع إسلامي سيامي ولا مدني ولا قضائي ، وإن الدين ترك لهم ذلك ليرجعوا فيه إلى أحكام العقل وتجارب الأمم ، فيباح لجميع المسلمين ولكل شعب منهم أن يختار لنفسه ما شاء من أنواع الحكم إلا شكل الخلافة والنيابة عن النبي (ص) في إقامة ما ورد في الكتاب والسنة وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من الحكم الإسلامي

فهذا الكتاب شرما كتب جميع أعداء الاسلام لهدم الاسلام وتمزيق شمل جامعته الدينية والدينية يدعو المسلمين إلى الارتداد عن دينهم ويدبح لهم عصيان الله تعالى ورسوله فيما أمرا به ونهيا عنه وتوعدا على عصيانه بعذاب الله تعالى — فهو مخالف لما لا يحصى من النصوص القطعية المجموع عليها المملوءة من الدين بالضرورة ، ولا خلاف بين أحد من المسلمين في كفر من يجحد شيئاً من ذلك وقد كتبت أربع مقالات في التنفيذ الإجمالي لهذا الكتاب ، نشرت الأولى منهن في الجزء الماضي وهي ما كتبه قبل قراءة الكتاب كله ، وضاق هذا الجزء عن نشر شيء آخر منها

يقول مؤلف هذا الكتاب انه ألفه في مدة عشر سنين متقطعة لا متصلة وذلك لانه حاول إبطال الحق الصريح الذي هو أوضح من الشمس ببعض التخييل الشعري والسفطسة فتكلف كثرة التفكير ، في الشبهات التي تقيه ما هو متوقع له من التكفير ، وكان جل مادته فيه بعض كتب الأفرنج التي كتبوها في الخلافة ، وكتاب (خلافت وحاكيت مليه) الذي كتبه بعض علماء الترك لاقناع مسلميهم بما فعلته حكومة أنقرة الجمهورية من إلغاء الخلافة والفصل بين الدين والحكومة ومن بعض كتب التاريخ والأدب والكلام. ومن العجيب أن يكون من مادته مع ما ذكر مثل كتاب الأغاني وكتاب العقد الفريد ، ولم يكن منها صحيح البخاري ولا صحيح مسلم ، ولا موطأ مالك ، ولا مسند أحمد ، ولا شيء من كتب السنن وماذا يفعل بالصحيح والسنن من يريد هدمها والاستغناء بكتب الأفرنج عنها ؟ قامت قيامة علماء الأزهر وغيرهم من أهل الدين احتفاء على المتجري * علي

هذه الضلالة والاهانة للاسلام والمسلمين كافة، وقام في تجاههم بعض الافرنج والملاحدة والمرتبدين ينصرون داعيتهم ويناضلون دونه، وكان لسان حماة الاسلام جريدة (الواء والاخبار) الاسلامية، ولسان أنصاره وحماته جريدة (السياسة) وبهذه الجرائد الافرنجية والتزم بعض الجرائد العربية الحياد، واختار بعضها الذهبية والنفاق، وإنما تكأة أنصاره في الدفاع عنه ما يسمونه « حرية الرأي » ولكنهم يحتكرون هذه الحرية له ولا أنفسهم، ويحترمونها على رجال الدين، فالمدافعون عن الاسلام والمبينون لحقيقته يتهمون عندهم بالاعتداء على حرية الرأي المقدسة في القانون، وأما المهاجم للاسلام الداعي لهدم تشريعهم المهيمن لجميع المسلمين من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والائمة المهتدين فله عندهم أن يقول ما يشاء فيهم وليس لهم أن يقولوا فيه شيئاً !!

ولم أقرأ له ولا أنصاره مقالة ولا عبارة في إثبات شيء من مقاصد الكتاب ولا في تخطئة شيء مما فنده المنتقدون منها، لم يتجراً أحد ممن قرأت كلامهم على ذلك الا محام اسمه (أحمد مصطفى) قال أنه قرأ الكتاب كله وأنه مؤمن بما فيه وبأنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فهو عنده قد سلب القرآن ما وصفه الله تعالى به من عصمته، ولا يمكن أن يريد أنه شاركه في هذه الصفة، لأنه مخالف له وناقض لجميع أحكامه السياسية والمدنية والشخصية، فإذا كان القرآن هو الحق المعصوم من الباطل كما وصفه الله تعالى فلا يمكن أن يكون مخالفه ككتاب الشيخ علي عبدالرزاق الا باطلاً، فأيهما يختار ذلك المحامي

وقد طبع الكتاب سنة ١٣٤٣ بمطبعة مصر على ورق جيد بشكل جميل في صورته ووضع بقدر ما هو قبيح في معناه وموضوعه، وبيعت النسخة منه بعشرة قروش، والظاهر ان نسخته نفدت بكثرة الخوض فيه مع قلة المطبوع منه فانه ألف نسخة فقط



الوثائق الرسمية في المسألة العربية

بلاغ سلطان نجد (*)

لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد
نحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت الحبيب . ونصلي ونسلم
على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم
(أما بعد) فلم تقدم من ديارنا اليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت
محارمه ، ودفعنا لشرور كان يكيدنا لها ولديارنا من استبد بالامر فيكم قبلنا
وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وها نحن أولاء بعد أن باغنا حرم
الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة
عند الجميع فنقول :

(١) — سيكون أكبر همنا تطهير هذه الديار المقدسة من أعداء أنفسهم
الذين مقتهم العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها بما اقترفوه من الآثام
في هذه الديار المباركة وهم (الحسين وأنجاله وأذناهم)

(٢) — سنجدل الامر في هذه البلاد المقدسة — بعد هذا — شوري بين
المسلمين ، وقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر
إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لانفاذ أحكام الله في هذه
البلاد المطهرة

(٣) — إن مصدر التشريع والاحكام لا يكون الا من كتاب الله ومما
جاء عن رسوله عليه الصلاة والسلام أو ما أقروا علماء الاسلام الاعلام بطريق
القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة . فلا يحل في هذه الديار غير
ما أحله الله ولا يحرم فيها غير ما حرمه

« نشر هذا البلاغ عقب وصوله الى مكة المكرمة ونشر في العدد الاول من جريدة
أم القرى التي تصدر في مكة المكرمة »

(٤) — كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موغاني الحرم الشريف أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ، إن لم نزده فلا ننقصه شيئا الا رجلا أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصاح لما هو قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل . وكذلك كل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه منه شيئا

(٥) — لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضيف عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ، ولا يقبل فيها شفاعاة ، فمن ألزم حدود الله ولم يعتد بها فأولئك من الآمنين ، ومن عصى واعتدى قائما أمه على نفسه ولا يلومن الا نفسه ، والله على ما نقول وكيل وشهيد ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الميز بن عبد الرحمن

الفصل آل السعود

﴿ بلاغ من علماء الحرم المكي الشريف ﴾

في اتفاقهم مع علماء نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،

من علماء حرم الله الشريف وأئمة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي . والشيخ همر باجنيد أبي بكر . والشيخ درويش عجمي . والشيخ محمد مرزوقي . والشيخ احمد بن علي النجار . والشيخ جمال المالكي . والشيخ عباس المالكي . والشيخ حسين بن سعيد . محمد بن سعيد عبد الغني . والشيخ حسين مفتي المالكية . والشيخ عبد الله حمد . والشيخ عبد الستار . والشيخ سعد وقاص . والشيخ عمر بن حديق خان . والشيخ عبد الرحمن الزواوي — الى من يراه من علماء الحكومات الاسلامية وملوكهم وأمرائهم

(*) نشر في جريدة ام القرى أيضا

(أما بعد) فقد اجتمعنا نحن المذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم الى الحرم الشريف مع الامام عبد العزيز حفظه الله ، وهم : الشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف . والشيخ عبد الله بن حسن . والشيخ عبد الوهاب بن مزاحم . والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود . والشيخ محمد بن عثمان الشاوي . والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز . والشيخ ابراهيم بن ناصر بن حسين فجرى بيننا وبين المذكورين المحترمين مباحثة فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد وعرضنا عليهم عقيدتنا فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة في مسائل أصولية :

منها أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الاسلام الخمسة ثم أتى بكفر — ينقض إسلامه — قولي أو فعلي أو اعتقادي ، أنه يكون كافراً بذلك يستتاب ثلاثاً قلن تاب والا قتل

(ومنها) من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه بدعوه ورجوعه اليه جالب نفع أو دفع ضرر ، ومن طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله أن ذلك شرك فان الشفاعة ملك لله ولا تطلب الا منه ، ولا يشفع عنده أحد الا بأذنه كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه) وهو لا يأذن الا فيمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو لا يرضى الا التوحيد والاخلاص (ومنها) تحريم البناء على القبور وإسراجها وتحريم الصلاة عندها أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة (ومنها) أن من سأل الله بجاه أحد من من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما (ومنها) أنه لا يجوز الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الامانة ولا النبي ولا غير ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك »

فهذه المسائل كلها لما رقت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا وبين المذكورين ولم يحصل خلاف في شيء . فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد — نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم

هو الانذار البريطاني لملك حسين بن علي

هذا نص الانذار الذي سلمه قائد المدرعة البريطانية فورن يوم ٢٨ مارس الى الملك حسين كما نشر في المقطم :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى »
تبانت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة «العقبة» ويفهم من هذا بأن الباعث هو جلاتكم وحكومة الحجاز التي جعلت مركز معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن السعود . ولا يخفى ان حكومة جلالة ملك بريطانيا مسؤولة عن الامن العام بفلسطين وشرق الاردن ومعان التي تعد تحت انتدابها ، فندما أنتم الى العقبة كلفت حكومة جلالة الملك علي والامير عبد الله بتعيين الحدود الفاصلة بين الحجاز والشرق العربي

ومع ذلك رأت العظمة البريطانية بأن المثارة على المذاكرة بمثل هذه الاوقات الحرجة غير ممكنة بالنظر لحالة الحجاز الراهنة ، وعليه فقد أجلت حكومة بريطانيا المذاكرة في هذا الموضوع لفرصة أخرى

ولكن هناك نقطة متخذة من قبل جلالة ملك بريطانيا ، ولا يمكنه أن يتساهل بها وهي : أن يبقى أو يسمح بصورة ما بدوام الحالة الحاضرة . ولذلك بدأت باظهار سلطة حكومة الشرق العربي في الاماكن التي هي مسئولة عنها أمام جمعية الامم ، وهي تحتوي على معان والعقبة . وتدعوكم أيضا لمغادرة العقبة لكي لا تكونوا سببا لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد

وفي هذه المناسبة نصر بالحاح على وجوب مبادرتكم العقبة قائلة : لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع) اهـ

وقد اجاب حسين عن هذا جوابا طويلا انتدحه باثبات اخلاسه لحكومة بريطانيا كعادته ولكنه زعم انه لا يطيع الانذار الا بشروط ثم أطاع بغير شرط فأرسلته الى قبرص ووقع عليه ما اختاره لنفسه حين طلب ان يختار له ولاولاده بلدا يقيمون فيه اذا كانت غير راضية عن عمله في الحجاز كما بيناه مرارا بالنقل عن جريدة القبلة /

(إلحاق منطقة العقبة ومعان الحجازية بمنطقة شرق الأردن البريطانية)
(صورة الارادة من جلالة الملك علي المصطفى ملك المملكة العربية السورية ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ الى والي معان بخصوص تسليم العقبة ومعان للحكومة التركية الشرقية العربية)
تقرر بين جلالة الملك علي وسمو الأمير عبدالله مايلي :

- أ - التصريح بسلامة الشرق العربي
- ب - عدم ازعاج جلالة الخليفة الاعظم (٢) نظراً لمقامه في العالم العربي والاسلامي يعني لايجري الاستلام الا بعد تشريف سلالته جده
- ج - لايجري التسليم الا بعد أن تصدر الاوامر او ظاهري ولاية معان بذلك
- د - عدم التعرض لمتاعلات الحجاز الحربية مطلقاً
- هـ - عدم التعرض لمتاعلات الخط الحجازي الحافضة
- و - اعطاء الحرية للحكومة بنقل جندها وممتلكاتها الى أي محل تريد قبل الاستلام وبعده .

وقد زاد جلالة الملك علي بعض مواد ايضاً رأس جلالته بأن عند مجيئ سمو الامير عبدالله الى معان تعتمد أوامره وتنفذ واليك المواد المذكورة

أ - تبقى جنود الخط الحجازي الثابرون لمحافظة الخط والفصارات تحت قيادة قائدهم وتحت نظارة ناظر الخط الحجازي

ب - تبقى لاساكني معان ومعان لاساكني الحجازي مع الخط الذي تظال ادارته على حكمها
ج - على ناظر الخط الحجازي تقديم دفتر بوجود جنود الخط الحجازي من معان الى مدائن صالح

د - ترسل السيارات بالباخرة رضوى الى جده

(المنار) هذا ماشرته جريدة المقتبس لكتابتها في عمان تحت عنوان « وثيقة رسمية » ونشر مثله في غيرها ثم نشرت هذا الجريدة غيرها ما ترتب على الاتفاق بانصه معان والمقبة - أصدر سمو الامير عبد الله المصطفى الادارة انية :

نظراً لتسليم صاحب الجلالة الهاشمية الملك علي المصطفى ملك البلاد المقدسة الحجازية أيده الله وأدام نصره ضم ولاية معان والعقبة الى امارتنا اقتصى اصدار

أرادتنا اليكم — الخطاب لرئيس النظار — إعلاما بذلك مع الشكر الدائم لجلالته
الملوكية الهاشمية منا ومن شعبنا وحكومتنا

تشكيلات معان — سافر الى معان قبل العيد سمو الامير وبمعيته رئيس
أركان حرب الجيش العربي ورجال المعية وقوة الحرس . وسافر الى معان حضرة
رئيس النظار وبعض الضباط والاركان والكتائب النظامية . وقد احتفل في معان
بإعلان انضمام ولاية معان الى إمارة الشرق العربي ورفع علم الامارة الجليلة عليها ،
وقد بوشر اجراء التشكيلات الجديدة فيها وأبقى غالب باشا حاكما عليها اه
« المنار » ليعتبر العالم الاسلامي بأعماله وولاءه لخدمة المفتونين بلقب ملك وأمير !!

باب المراسلة والمناظرة

بمناسبة كتاب مفتوح « ١ »

حضرة الاستاذ الثقة بالحجة مفخر العالم الاسلامي السيد رشيد رضا تغم الله به
سنة ١٩١٨ أي السنة الاخيرة من سني الحرب الكبرى بلغني اذ انا في
الاستانة ان الامير عليا بن الملك الحسين بن علي أغار على أطراف حوران وجبل
الدروز واستجاش أهالي تلك الديار للقيام على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش
الحسيني العربي الذي كان يعمل يداً واحدة مع الجيش البريطاني في جنوبي
سورية . وبلغني ايضاً أن الزعماء الذين استفزمو للشورة اجابوه يومئذ بأنهم
يأبون ان يقبلوا دعوة لم تكن لتفيد غير الاجنبي الطامع الى الديار والطامع
في القضاء على ما بقى من ملك الاسلام . وأنذروه بالحرب ان لم يمدمن حيث
أتي، فخررت كتاباً مفتوحاً الى الامير علي بن الحسين احذره فيه عاقبة هذه
الغارات وانهاه عن التضريب بين العرب خدمة لمصلحة العدو وأقول له :
أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم
استيلاء انكلترا على جزيرة العرب وفرنسة على سورية واليهود على فلسطين
وما أشبه ذلك مما ورد في مناركم في الجزء التاسع من المجلد الخامس والعشرين
الا انه بلغني فيما بعد أن الشريف الحجازي الذي ظهر يومئذ على ماء الازرق
جنوبي جبل الدروز على مسافة يومين منه لم يكن الشريف علياً بن الحسين
« ١ » يعني الكتاب الذي نشره في ج ٩ م ٢٥ بعنوان (من الامير الى الملك)

بل شريفنا آخر اسمه علي من قواد الجيش الحجازي وقد تجمعت بذلك « القبلة » في احد اعدادها الصادرة سنة ١٩١٣ في عرض مقالة ردت فيها على كتابي المذكور بعد نشره بخمس سنوات بمناسبة ظهوره في مجموعة أخبار ووثائق عن الحرب لاديب مسيحي سوري . وقد جعلت « القبلة » المنحرفة في الواقع عن القبلة الحجة القاطعة (!!) على عدم صحة ما كتبت في هذا الكتاب المفتوح من أوله الى آخره كون الأمير علي بن الحسين لم يذهب الى الأزرق

مع أن ذهاب علي بن الحسين أو علي آخر الى الأزرق لا يقدم ولا يؤخر شيئاً في جوهر الموضوع . فالموضوع هو نهى هؤلاء الجماعة الدائرين يومئذ على الدولة عن التهور في مناصرة دولة أجنبية كانوا يخدمونها ببذل دماء العرب ليصلوا فيما بعد الى غاية ليس منها شيء للعرب كما حققت ذلك الحوادث وبالإسف من بعد الحرب - وعلى فرض أن الأمير علي بن الحسين لم يكن ذهب الى الأزرق فقد ذهب أخ له من الأشراف الى الأزرق وكلهم كانوا في الثورة سواء الذي ذهب الى الأزرق والذي لم يذهب

على اني انا كنت بعثت بالكتاب المفتوح المذكور الى جريدة « الشرق » التي كانت تطبع بالشام وصادف اني يوم ظهوره في تلك الجريدة كنت في برلين فلم اطلع على العدد الذي فيه هذا الخطاب من جريدة « الشرق » ويظهر انه قد سقطت فيه أغلاط كثيرة في الطبع لا بل جرى تقديم وتأخير في بعض الجمل وأهملت جمل برمتها فجاء المجاور لها قلها غير مستوعلي وضين الاصل . ولم أشعر بذلك في وقته لاني لم اطلع على « الشرق » اذ انا في الغرب ومضت الايام والاعوام الى السنة الماضية ١٩٢٤ فاذا بجريده أبايل البيروتية قامت تنشر هذا المکتوب اما نقلا عن جريدة « الشرق » أو عن مجموعة الاديب المار ذكره لست اعلم عن أي مصدر أخذته وقصار ما اعلم انني أول مارأيتيه مطبوعا في جريدة أبايل البيروتية أيضا والآن أراه في المنار منقولا عن جريدة « الوطن » الصادرة في البرازيل . والذي اريد ان أنبه عليه هو : أولا - ان المکتوب كان موجها لا الى الملك حسين رأسا بل الى ولده علي ثانيا - انه يوجد في المکتوب اشارة لا الى انكلترا فقط بل الى فرنسا أيضا فالجرائد البيروتية التي نقلته حذفتم ما تعلق بفرنسة ونشرت ما يمس انكلترا خوفا من قلم المراقبة

فلنا - يوجد في المكتوب أغلاط كثيرة مطبعية وكلمات محرفة مثل «وَيُنبِئُ»
 النبوة» جعلوها (بنور النبوة) وكلمات مثل «أو ذماما يُنظرونه لك أو سواك»
 إذا قصت سياستهم غير ذلك» فاطحوا جملة «غير ذلك» ومثل (فيما لو قصت
 عليهم سياستهم عن صلب أمارتك) وأصلها «بصلب أمارتك» كما لا يخفى ومثل
 (وما إخالك تجهل التاريخ وتكابر في التواتر بمن شأنهم في الإخلال بالعهود
 والمواثيق إلى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم
 سواء مع المسلمين أو مع سائر الأمم) وأصلها «التواتر بمن شأنهم الإخلال بالعهود
 والمواثيق إلى الحد الذي لا تقدر أن تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى» الخ ومثل
 «لا جرم أنك تقدر أن تدعي بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي
 تكفل دفع انكسارها الجواردة عن مكة والمدينة ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح
 إلى هذه الدعوة» وهي جملة لا يخرج لها معنى وأصلها «لا جرم أنك تقدر أن
 تدعي وجود بعض عشائر من العرب توفر لك القوة التي تكفل بها دفع انكسارها
 بجيوشها الجواردة عن مكة والمدينة ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح إلى قبول
 هذه الدعوى» ومثل (ولا سيما على الحجاز منذ أحقاب) وأصلها «ولا سيما
 على الحجاز الذي هو نصب عينها منذ أحقاب» وأما جملة «وإذا كانوا لم يعترضوك
 إلى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ
 الآن ولا حاولوا إدخال عسكرهم إلى البلد الحرام ولا وضعوا ضباطهم على أبواب
 حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام تفاديا من المجلة الخ فان عبارة «فيمكنك أن
 تريح فكرك منها منذ الآن» كانت فيما أتذكر موضوعة بين خطير هكذا
 - فيمكنك منذ الآن أن تريح فكرك منها - وهي جملة معترضة والجملة الشرطية
 من عند قولي «وإذا كانوا لم يعترضوك إلى اليوم» إلى قولي «ولا حاولوا
 إدخال عسكرهم» إلى قولي «ولا وضعوا ضباطهم الخ جوابها أفليس عندك
 أنت بمسكك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ الخ وأما جملة «فما يؤثر
 على الأمة الإسلامية أو يفيدها» فهي من سبق القلم والمراد أن أقول فما يؤثر في
 الأمة العربية أو الإسلامية بمعنى ما يؤثر بين الأمة أو في وسط الأمة والخلاصة
 لم أجد فيما نقلت في كتابا تعاورته الأيدي بالحذف والطرح والنقد والتأخير
 فضلا عما أسقطه مرتبوا الحروف مثل هذا الكتاب فارجو نشر هذا التصحيح

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يوث
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كثيرا ، وما
يذكر الا أولو
الالباب)

الملك
١٣١٥

(فيشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيطيعون
أحسنه أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ المحرم سنة ١٣٤٤ - ٢٦ برج الاسد سنة ١٣٠٤ هـ ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٥

لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) سئلها الشيخ الامام العالم العلامة ، امام الوقت ، فريد الدهر ، جوهر العلم ، لب الايمان ، قطب الزمان ، مفتي الفرق ، شيخ الاسلام ، تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحلیم ابن الشيخ الامام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه وتقع به آمين : في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء ويشربونها ، ويزعمون ان هذا من الدين ، ويذكرون في مجلسهم الفاظا لاتليق بالعقل والدين فنها أنهم يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم البس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبس من شاء ، ويقولون ان اللباس انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى (يا بني آدم قد انزلنا عليك لباسا يوارى سواك) الآية — فهل هو كإزعموا أم كذب مخلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ واذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك الى الخليفة الناصر لدين الله أبي عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين ؛ فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الاسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة ورءوس الاحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة ، ويقوم للقوم

نقيب إلى الشخص الذي يلبسونه فيزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز أم لا؟ وإذا قيل لا يجوز فعل ذلك ولا الإعانة عليه فهل يجب على ولي الأمر منعهم من ذلك؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ وإذا قيل لا أصل لها في الشريعة فهل يجب على غير ولي الأمر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع إمكانه من الإنكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو امر بها أم لا؟ وهل خالق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور أم خلق من الأربع عناصر أم من غير ذلك؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: لولاك ما خلق الله عرشا ولا كرسيًا ولا أرضًا ولا سماء ولا شمسًا ولا قمرًا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الأخوة التي يواخيها المشايخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها في السماع ونحوه أم لا؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار أم بين كل مهاجري وأنصاري؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن أبي طالب كرم الله وجهه أم لا؟ يبنوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وأبسطوا لنا الجواب في ذلك بسطًا شافيًا مأجورين أثابكم الله تعالى

*

لباس خرقة الفتوة مبتدع

﴿الجواب﴾ الحمد لله أما ما ذكر من لباس لباس الفتوة السراويل أو غيره واسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

(١) الوجه أن يقال يمكنه بدل إمكانه فلهذا محرف

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا على بن أبي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم بإحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الى عبد الجبار الى ثمانية فهو اسناد لا تقوم به حجة ، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الاسناد المجهول الرجال أمرًا من الأمور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه ما يعلم انه كذب وافتراء عليه ، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من تزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته ، واللباس الذي يوارى السوء هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح ، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون : ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها ، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقة ، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن رداءه ، وأنه فرق الخرق على أصحابه ، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر ، وأنه علق ذلك بالعرش فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص ، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه في ذلك ولا قسمه على أصحابه وكل ما يروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقة الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الأمانة وإداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الأذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشترطوها، وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية إن كلاً منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويمادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يماديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله (١) وفي الصحيح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق » رواه البخاري . وفي السنن عنه أنه قال « المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً » وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والأحلاف وغير ذلك فاتها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ، ما كان

(١) (المنار) سقط من الأصل أول الحديث من هنا إلى قوله كتاب الله

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعافدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والعهود التي عهد بها الله الى بني آدم كما قال الله تعالى (ووفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك ما يعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقودا أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما أمر الله به ورسوله فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وما قالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتهاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تنقى وليس بتقوى (?) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة . وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى . وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم قارت كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموماً على ذلك .

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . وان كانوا قد زادوا في ذلك وتقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عن من لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والاتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر » وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « المؤمن له مؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وفي الصحيح عنه أنه قال « المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يخذله » وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال « تمنعه من الظلم فذلك نصر لك إياه » . وفي الصحيح عنه أنه قال « خمس تجب للمسلم على المسلم : يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض ، ويشمته إذا عطس ، ويحييه إذا دعاه ، ويشيعه إذا مات » . وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » .

فهذه الأحاديث وأمثالها فيها أمر الله ورسوله بما أمر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخوانا » . وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا بنجيل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولأه الله امركم »

وفي السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبشكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال «صالح ذات البين، هي الخالقة لا أقول تخلق الشعر ولكن تخلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها وأما لفظ الدسكرة وليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد او ذم ولكن هي في عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جهم الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لان الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من يسهط به الفرض من ولاية الامر أو غيرهم والاوجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(م خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور، وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقته الله من طين فلما سواه وتنفخ

فيه من روحه واسجد له الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء ، وبأن خلقه بيديه ، وبغير ذلك . فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور ، وهذه مسألة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وانما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر ، ثم من دار الى دار ، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وانما يظهر فضله عند كمال أحواله ، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره . ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال قبل أن يصلوا الى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال .

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام ، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحى الآدميين من الانبياء والاولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات ، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الأعلى . ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير) ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق اكرامهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم ، أو انه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيًا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسًا ولا قمرًا ، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام

لا يدري قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبع عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خالق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خالق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن الله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة فاذا قيل قل كذا لمكذبا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة ، بل يقتضي اذا كان افضل صالحا لبني آدم وافضلهم محمد ، وكانت خالقه غاية مطلوبة، وحكمة بالغة، مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإني آدم لمنجدل في طينته » أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد

النار : ج ٤ م ٢٦ منم انملو في الرسول وما هو خاص بالرب ٢٧٥

انسان هذا الدين ، وقطب هذه الرحى ، واقسام هذا الجمع كان كأنها غاية
الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يزال أنه لاجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه
لما خلت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك
وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى يشارك بعض
المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى
عيسى بن مريم فأنا أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى
(يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا
بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله
قد جعل له حقاً لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ولا الدعاء
إلا له ، ولا التوكل الا عليه ، ولا الرغبة الا اليه ، ولا الرهبة الا منه ،
ولا ملجأ ولا منجاة الا اليه ، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا يذهب
السيئات الا هو ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتية يوم القيامة فردا)
وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون)
فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك في قوله
(ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فلا يتواءم الله والرسول . وأما التوكل
فعلى الله وحده ، والرغبة الى الله وحده
(له بقية)

كلهت في فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

يقول محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام :

كنت رأيت كلمة ساطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الاسلامي قبل أن أراهما، فدعيتي الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة الى الاختلاف الى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مراراً لنظر في الكتابين ، وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا الا الحق فأما كتاب المحلى فهو كتاب اجتهاد مطلق وصاحبه أبو محمد بن حزم امام الظاهرية في عصره ، وهو صاحب القلم السيل واللسان الفصيح والحجة الناهضة ، والعارضة التي تأتي المعارضة ، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه ، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه ، فهو يذكر المسألة ويستدل عليها ، ويرد على المخالفين فيها ، على قواعد الظاهرية من الاخذ بالنصوص المأثورة ، والبراءة الاصلية ، ولكنه لا يكتفي بمقارعتهم بالدليل ، بل يرميهم بالجهل وانتضليل ، غير هياب لعلو أقدارهم ، ولا وجل من كثرة أتباعهم وأنصارهم ، واذا أراد الله تعالى أن يتجدد فقه الاسلام فلا بد أن يعرف المجددون له من قدر كتابه ما عرف العز بن عبد السلام ، ولا بد أن يطبعوه في يوم من الايام

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا على بن أبي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم بإحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الى عبد الجبار الى ثمانية فهو اسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الاسناد المجهول الرجال أمرًا من الأمور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه ما يعلم انه كذب واقتراء عليه، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المخلوق عليه وعلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته، واللباس الذي يوارى السوء هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقه، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن رداءه، وانه فرق الخرق على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وانه علق ذلك بالعرش فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه في ذلك ولا قسمه على أصحابه وكل ما يروى من ذلك فهو كذب مخلوق باتفاق أهل المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقه الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الأمانة وإداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالغفو عن الظالم واحتمال الأذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشترطوها، وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية إن كلاً منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويمادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يماديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله (١) وفي الصحيح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق » رواه البخاري . وفي السنن عنه أنه قال « المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً » وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والأحلاف وغير ذلك فانها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ، ما كان

(١) (المنار) سقط من الأصل أول الحديث من هنا الى قوله كتاب الله

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعافدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلافات ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والمعهود التي عهدتها الله الي بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك ما يعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقودا أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما أمر الله به ورسوله فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والسكررة وما قالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتهاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تفتى وليس بتقوى (?) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة . وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى . وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كاللفظ الاحسان والرحمة والعفو والصنيع والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فشكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كاللفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محمودا على ذلك وان كان شرا كان مذموما على ذلك .

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . وان كانوا قد زادوا في ذلك وتقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عن من لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحس والسهر » وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وفي الصحيح عنه أنه قال « المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يخذله » وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال « تمنعه من الظلم فذلك نصر لك إياه » . وفي الصحيح عنه أنه قال « خمس تجب للمسلم على المسلم : يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض ، ويشمته إذا عطس ، ويحجبه إذا دعاه ، ويشيعه إذا مات » . وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب ل أخيه من الخير ما يحب لنفسه » .

فهذه الأحاديث وأمثالها فيها أمر الله ورسوله بما أمر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخوانا » . وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا بنجيل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم »

وفي السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبشكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال «صلاح ذات البين، هي الحالقة لا أقول تخلق الشعر ولكن تخلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها وأما لفظ الدسكرة فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد او ذم ولكن هي في عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جهم الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لان الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من يسهط به الفرض من ولاية الامر أو غيرهم والاوجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(مم خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور، وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين فلما سواه وتنفخ

فيه من روحه واسجد له الملائكة وفضله عليهم بتمايمه اسماء كل شيء ، وبأن خلقه بيديه ، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور ، وهذه مسألة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وإنما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر ، ثم من دار الى دار ، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله ، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره . ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال قبل أن يصلوا الى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال .

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليله المراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام ، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحى الآدميين من الانبياء والاولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات ، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الأعلى . ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير) ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم ، أو إنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيًا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسًا ولا قمرًا ، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام

لا يدري قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خالق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خالق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن الله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة ، بل يقتضي اذا كان افضل صالحى بني آدم وافضلهم محمد ، وكانت خاتمته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة، مقصودة من غيره، وصارت تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إني عند الله لمكتوب خانم النبيين وإني آدم لمنجدل في طينته » أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها ، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد

المنار : ج ٤ م ٢٦ من غلو في الرسول وما هو خاص بالرب ٢٧٥

إنسان هذا الدين ، وقطب هذه الرحى ، وأقسام هذا الجمع كان كأنها غاية
الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يزال أنه لا جله خلقت جميعها ، وإنه لولاه
لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك
وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى بأشراك بعض
المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى
عيسى بن مريم فأنا أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى
(يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا
بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله
قد جعل له حقاً لا يشركه فيه مخلوق فلا تصالح العبادة إلا له ولا الدعاء
إلا له ، ولا التوكل إلا عليه ، ولا الرغبة إلا اليه ، ولا الرهبة إلا منه ،
ولا ملجأ ولا منجاة منه إلا اليه ، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا يذهب
السيئات الا هو ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له * من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه * ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عداهم * كلهم آتية يوم القيامة فردا)
وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون)
فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك في قوله
(ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فلا يتواء الله والرسول . وأما التوكل
فعلى الله وحده ، والرغبة الى الله وحده (له بقية)

كلمة في فوائد كتابي المغنى والشرح الكبير

يقول محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام :

كنت رأيت كلمة ساطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغنى للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الاسلامي قبل أن أراها، فدعتني الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة الى الاختلاف الى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مراراً لنظر في الكتابين ، وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا الا الحق فأما كتاب المحلى فهو كتاب اجتهاد مطلق وصاحبه أبو محمد بن حزم امام الظاهرية في عصره ، وهو صاحب القلم السيل واللسان الفصيح والحجة الناهضة ، والعارضة التي تأتي المعارضة ، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه ، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه ، فهو يذكر المسألة ويستدل عليها ، ويرد على المخالفين فيها، على قواعد الظاهرية من الاخذ بالنصوص المأثورة، أو البراءة الاصلية ، ولكنه لا يكتفي بمقارعتهم بالدليل ، بل يرميهم بالجهل وانتضليل ، غير هياب لعلو أقدارهم ، ولا وجل من كثرة أتباعهم وأنصارهم ، واذا أراد الله تعالى أن يتجدد فقه الاسلام فلا بد أن يعرف المجددون له من قدر كتابه ما عرف العز بن عبد السلام ، ولا بد أن يطبعوه في يوم من الايام

وأما المغني فصاحبه الموفق فقيه حنبلي ، وهو مع ذلك محدث أثري ، وقد ألف عدة كتب في فقه الحنابلة ، وأراد أن يكون كتابه المغني في فقه المسلمين كافة ، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار المشهورين ، كالائمة المتبوعين ، ويحكي أدلة كل منهم ، وإذا رجح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ، ولا يحمله التعصب على كتمان شيء من أدلتهم ، ولا على تكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجود من المقلدين ، فالأولى بالكتاب المغني أنه لخص لما مذهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتهم في أمهات الأحكام ومهمات المسائل فأضانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج إلى الوقوف عليه منها ، وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف ، على أن المصنفات التي تتوسع في رواية هذه الآثار لم تطبع ونسخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن المنذر ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف منها ما لا تذكر فيه الأدلة ، ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذاهب مصنفها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الأحاديث التي لا توافق مذهب المؤلف وإن كانت صحيحة أو حسنة إن أمكن ، وتقوية الأحاديث التي توافقها وإن كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها ، وصاحب المغني لا يعتمد مثل هذا ، فهو يرجع ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يتكلف الطعن في أدلة من خالفهم ، ولولا هذا وذاك لما فضل ابن عبد السلام على كتب الشافعية وكان من أجل علمائهم وهي التي يشهد لها من لم يعرف من مزايها تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر

المذاهب في دنة التحرير والاستدلال ، والجزم بالصحيح من الاقوال ،
وكان يعتمد على مراجعته في الفتوى اذ صار يفتي بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد
عرفت المغني فتمنيت لو يسخر الله تعالى من يطبعه ليعم نفعه الذي
هو عندي فوق ما كان عند الز بن عبد السلام ، وكان صديقنا حسن باشا
عاصم خادما لامة والملة رحمه الله تعالى يقول : اذا يسر الله لنا طبع كتاب
(المحكم لابن سيده) فاني أموت آمنا بلى اللغة العربية أن تموت — ذلك
لما سمعته من امام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي من الشناء
على المحكم وعلى النسخة الصحيحة الموجودة منه في المكتبة المصرية —
وكان كلما قال لي هذه الكلمة أقول له : واذا يسر الله تعالى لكتاب المغني
من يطبعه فأنا أموت آمنا بلى الفقه الاسلامي أن يموت . ثم ما زلت افكر
في السعي لطبعه الى أن هداني الله تعالى الى تبليغ امنيته هذه الى السلطان
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل امام نجد وملاحقها فباغت عنه (أولا) انه
أيد الله به العلم والدين ، وأعز بسيفه الاسلام والمسلمين ، عازم على طبع هذا
الكتاب مع كتب اخرى لاهياء العلم وتوسيع نطاقه في بلاد — ثم خاطبني
هو (آخر) في طبعه مع كتاب الشرح الكبير ، وطبع تفسير ابن جرير
وابن كثير ، وكتب اخرى من كتب السنة والفقه . وثلا ذلك ارساله المغني
والشرح الكبير للمقنم لطبعهما معا . وكذا غيرها مما عزم على طبعه ، وقد شرعنا
في طبعهما والمطبعة غير مستعدة لانجاز مطبوعات كبيرة كثيرة فأخذنا في
اعدادها لذلك وسيحصل المراد عن قريب بفضل الله تعالى وقوته ، وانا
وقد نجز الجزء الاول من الكتابين نيين بالانجاز فوائدهما للامة الاسلامية
وكونهما في الفقه الاسلامي العام لا فقه الحنابلة وحدهم فنتول :

تمهيد في اختلاف الامة ، وسيرة الائمة

قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وقد شبه النبي (ص) المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد ، ولم يكن شيء أبغض إليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الامور العادية ، ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) خص الاختلاف المذموم في الاسلام بما كان عن تفرق أو سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح فحظروا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين ، وحتموا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصصوا الاجتهاد بالاحكام العملية ، ولا سيما المعاملات ، وكان بعضهم يعذر كل من خافه في المسائل الاجتهادية ولا يكافئه موافقه في فهمه ثم ان كثيرا من كبار العلماء حاولوا أن يجملوا اختلاف العلماء في مسائل الاحكام رحمة بهذه الامة ، وتحقيقا ليسر دينها الذي ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، ويتقوا ما حذر الله تعالى في كتابه من مضار التفرق والاختلاف الذي أفسد على الامم السابقة دينها ودنياها ، وأنذرنا الله تعالى أن نكون مثلهم بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الى قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) وقد وجد في بعض الكتب حديث مرفوع اشهر على الالسنه وهو « اختلاف اتي رحمة » ولما لم يوجد له سند في شيء من كتب السنة قال بعضهم لعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل اليه - احتراماً لمن ذكره في كتبهم بالقبول أو التسليم ، وحرصاً على العمل بمناه. ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وشدد كل

منهم في تحميم تقليد مذهبه، وعدم الترخيص للمنتمين اليه في تقليد غيره، ولو لحاجة أو ضرورة، وكان من مناظراتهم في ذلك من طعن بعضهم في بعض ما هو معروف في كتب التاريخ والتراجم وغيرها كالأحياء للغزالي، وصار بعض المسلمين إذا وجد في بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه كالبعير الأجرب بينهم

وقد وقع من الفتن بين المختلفين في الأصول وفي الفروع ما سود صحف التاريخ، على أن الخلاف في الفروع أهون وأقل شراً، وقد ضعف في هذا الزمان بضعف أسبابه في أكثر البلاد، ولكننا لا نزال نسمع بمنكرات قبيحة منه في أخرى. من ذلك أن بعض الحنفية من الأتباع يسمعون رجلاً يقرأ الفاتحة وهو بجانبه في الصف فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت، وبلغني أن بعضهم كسر سيابة مصل لرفعه إياها في التشهد، وقد بلغ من إيذاء بعض المتعصبين لبعض في طرابلس الشام في آخر القرن الماضي أن ذهب بعض شيوخ الشافعية إلى المفتي وهو رئيس العلماء وقال له: أقسم المساجد بيننا وبين الحنفية فإن فلانا من فقهاءهم يمدنا كاهل الذمة بما أذاع في هذه الأيام من خلافهم في تزوج الحنفي بالشافعية وقول بعضهم لا يصح لأنها تشك في إيمانها لأن الشافعية وغيرهم من الأشعرية يجوزون أن يقول المسلم: أنا مؤمن أن شاء الله. وقول آخرين بل يصح نكاحها قياساً على الذمية.

فإن هذا التعصب والإيذاء والتفريق بين المسلمين بالآراء الاجتهادية من تساهل السلف الصالح، وأخذهم بما أراد الرحمن من اليسر في الشرع وإتفاء الحرج فيه، واتقائهم التفريق بين المسلمين بظنون اجتهادية رجح

بها كل ناظر مارآه أقرب الى النصوص أو الى حكمة الشارع ، حتى كان أشهر الائمة لا يستحلون الجزم بالحكم فيها ، فيقول أحدهم أكره كذا ، أو استقبحه ، أو أخشى أن يكون كذا أو لا ينبغي ولا يصلح ولا يعجبني أو لا أحبه ولا استحسنه ، ويقول في مقابل ذلك يفعل السائل كذا احتياطاً أو أحب كذا أو يعجبني أو أعجب إليّ وهذا أحسن . هكذا كان يقول الامام أحمد في المسائل الاجتهادية أو فيما لا نص صحيحاً صريحاً فيه من الكتاب أو السنة ويؤثر نحوه عن غيره ، ولكن مدوني المذهب جعلوا هذه التقوى والورع في التشريع قواعد في أحكام التكليف وطرق الاستنباط والاستدلال . وصارت الحنابلة فرقة ذات مذهب مستقل في الفروع ، بل صار المتكلمون يعدونهم فرقة مستقلة في أصول العقائد أيضاً ، وإنما كان الامام أحمد رحمه الله تعالى إماماً لجميع أهل السنة في الأصول والفروع باستمساكه في أصول الدين والعبادات بنصوص الكتاب والسنة وما صح عن علماء الصحابة من فهم وهدي وعمل مفسر لهما ، ولكن أصحابه حرصوا على ما نقلوا عنه من فهم واستنباط أن يضعف فدونه كما فعل سائل الائمة وأصحابهم لآلية إذاته بل لاجل فتح أبواب العلم وتسهيله لطالبيه من الأفراد في العبادات ومن الحكم في الأمور القضائية والدولية ، وكانوا يقرنونه بأدلتهم ليكون الدليل هو العمدة في العمل وفي الترجيح بينه وبين غيره ، ولم يقصد أحد منهم أن يكون شارعاً أو كالشارع في كونه يتبع لذاته فضلاً عن التزام طائفة من الامة للتعصب له بمثل ما وقع ، ولا أن تفرق الطوائف المفيدة لكل منهم . تنعادي فتكون كتبه الشرائع المتعددة المختلفة ، هذه معاصي مجمع على تحريمها .

قل الامام المزني صاحب الامام الشافعي في أول مختصره المشهور

بعد البسملة ما نصه : قال أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني (رحمه الله)
 « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن
 معنى قوله لا أقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ،
 لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه ، وبالله التوفيق » اهـ

وقال ملا علي القاري الحنفي المحدث في رسالته التي ألفها في اشارة
 المسيحية : وقد اغرب الكيد اني سميت قال « العاشر من المحرمات الاشارة
 بالسبابة كأهل الحديث » أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث الرسول
 (ص) وهذا منه خطأ عظيم ، وجرم جسيم ، منشؤه الجهل لقواعد
 الاصول ، وصراتب الفروع من المنقول ، ولولا حسن الظن به ، وتأويل
 كلامه بسببه ، لكان كفره صريحا ، وارتداده صريحا ، فهل لمؤمن أن يحرم
 ما ثبت فعله عنه (ص) مما كاد نقله أن يكون متواترا ، ويمنع جواز ما عليه
 حامة العلماء كإبراهيم عن كبار وكبار ، والحال أن الامام الاعظم ، والهام
 الافدم ، قال : لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم مأخذه من الكتاب
 والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة « الخ ماقاله ليثبت به ان
 قاعدة أبي حنيفة رحمه الله تعالى في الاتباع تقتضي رفع المسيحية في التشهد
 لثبوت الحديث به

ولكن المتعصبين الذين يقطع بعضهم أصبع من رفع سبائته تقليداً
 لمن حرمه من أهل مذهبهم لا يعلمون أنهم هم الذين يرتكبون المحرم بالاجماع
 عقاباً على الواجب أو المندوب بالاجماع أو بما صح من سنة النبي (ص)
 لا على مخالفة سنته (ص) كما سمعته باذني من بعض طلاب العلم الافغانيين
 في مسجد لاهور الجامع في الهند وقد سألتهم عن صحة ما نقل عن بعض

أهل بلادهم في ذلك فقالوا نعم وعلاود بأنه عقاب على مخالفة الرسول (ص) وترك سنته أي وعلى عداوة شرع الله تعالى واستحلال ما حرمه اذ قال بعض فقهاءهم بتحريم دفع الاصبع في التشهد، والتحريم في عرف أهل الأصول خطاب الله المقتضي لترك اقتضاء جازما. وأين هذا الخطاب الالهي القطعي؟ هل هو قول مثل الكيداني المصرح بمخالفة أهل الحديث؟ ان الاحكام العملية التي هي موضوع الفقه منها ما ثبت بالدليل القطعي المجمع عليه كركن الاسلام وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهو ما يكون باتباعه المؤمن به مسلما وبجده أو استحلال مخالفته كافرا وبمخالفته فاسقا على التفصيل المعروف، ومنها ما هو محل النظر والاجتهاد وهو الذي وقع فيه الخلاف بين علماء الامة للاختلاف في رواية النصوص او في دلالتها، أو لعدم العلم بالنص والرجوع في الاستنباط الى القواعد العامة او القياس المختلف في حجتيه (١) وكانوا متفقين على أن من خالف مضمون نص لم يأنه أو مبنى نص غير قطعي الدلالة لانه لم يظهر له أو بذل جهده في استبانة مراد الشارع في مسألة فترجع عنده فيها شيء فعمل به مخطئا فهو معذور، فهل يكون بمخالفة الاجتهاد غيره مأذورا غير معذور؟

ان النبي (ص) لم يجرم قوله تعالى في الخمر والميسر (وانهما أكبر من نعمهما) نصا في تحريمهما على جميع الامة وانما حرمهما به من فهم

(١) أنكر الظاهرية من أهل السنة وبعض المعتزلة حجية القياس مطلقا، ومنعه بعض الأصوليين في أسباب الاحكام وفي الحدود والكفارات وبعضهم في العبادات لانها هي المرادة بإكل الدين وخصها ببعضهم بالامور التعبدية ككل ما لا يعقل، ومذهب مالك الاخذ في العبادات بطواهر نصوص الكتاب والسنة واعتبار المصالح والتوسم في الاجتهاد في الاحكام الدنيوية.

منه الدلالة على التحريم فترك شرب الخمر والمقامرة — وهو ما يقطع بمثله الفقهاء كافة — حتى اذا ما نزل فيهما وفي الانصاب والازلام ان ذلك كله (رجس من عمل الشيطان) والامر القطعي بالتحريم وهو قوله تعالى (فاجتنبوه) الى قوله تعالى (فهل انتم منتهون) احموا على تركه، وجعله النبي (ص) تشريعا عاما يخاطب به كل مؤمن، واهرق جميع الصحابة الذين كانوا يشربون الخمر ما كان عندهم منها فاخذ علماء السلف من هذا أن التشريع العام ما كان بهذه الدرجة من الصحة والصرامة القطعية في النصوص، وان ما دونه مما فيه مجال للاجتهاد في الرواية أو الدلالة محل سعة لا يكلف كل مؤمن الاخذ به، وانما يكلفه من ثبت عنده أو وثق بعلم مفتيه به ودينه فقلده فيه. ولم يكونوا يبيحون أن يكون مما يجبر عليه أحد أو تفرق كلمة المسلمين فيه، وقد كان النبي (ص) يقر كلا من المختلفين في الفهم على اجتهاده فيما هو محل الاجتهاد، كمسألة نهيه صلاة العصر الا في قريظة: أقر من أخذ منهم بمنطوق النهي فلم يصلوا إلا في قريظة. ومن صلى أو لا ثم أدرك معه قريظة لانهم فهموا أن المراد من النهي عدم التخاف عن الخروج وادراك قريظة في الوقت المراد وبناء على هذا لم يرض الامام مالك رحمه الله تعالى أن يحمل هارون الرشيد جميع المسلمين على العمل بموطئه على ما كان من تحريه في روايته ومن مواطأة علماء دار الهجرة له عليه — وبناء عليه كان الامام المجتهد منهم ينهى من يستفتونه أن يتخذوا فتواه ديناً يتقادونه أو أن يجملوه سبباً للتفرق — وبناء عليه كان أحدهم يأخذ باجتهاد غيره ترخصاً أو موافقة لجماعة المسلمين روي عن الامام احمد أنه كان يرى الوضوء من الجحامة والفصد فسئل عن رأي الامام احتجهم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ أبداً خلفه ؟

فقال كيف لا اصلي خاف مالك وسعيد بن المسيب؟ وفي رواية انه قال للسائل
 أأنهاك أن تصلي مع فلان وفلان؟ وكان أبو حنيفة واصحابه يرون انوضوء
 من خروج الدم ولكن أبا يوسف رأى مارون الرشيد احتجم وصلى ولم
 يتوضأ — وكان مالك افتاء بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم — فصلى
 أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة . واغتسل أبو يوسف في الحمام وصلى
 الجمعة ثم اخبر بعد الصلاة انه كان في بئر الحمام فأرة ميتة فلم يعد الصلاة
 وقال : نأخذ بقول اخواننا من أهل الحجاز « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل
 الخبث » ولم يكن هذا تقليداً منه لانه يعرف دليله وهو حديث القلتين
 الذي ذكره ولكنه غير قطعي الرواية والدلالة كما أنه ليس دون قولهم في
 حد الماء الكثير

ونقل أن الشافعي رحمه الله ترك القنوت في الصبح لما صلى مع جماعة
 الحنفية في مسجد إمامهم (لعله في المكان المعروف اليوم بالاعظمية من
 ضواحي بغداد) فقال الحنفية انه فعل ذلك أدباً مع الامام ، وقال الشافعية
 بل تغير اجتهاده في ذلك الوقت ، والظاهر مما تقدم أنه لم يرد أن يخالف
 جماعة من المسلمين مخالفة عملية ، في مسألة اجتماعية غير قطعية ، فان
 اختلاف الظواهر من اسباب اختلاف البواطن ، كما يؤخذ من حديث
 « عباد الله لتسوين صفوفكم ، أو ليخالفن الله بين وجوهكم » رواه الجماعة من
 حديث الزمان بن بشير مرفوعاً ولكن سقط من رواية البخاري كلمة
 « عباد الله » قال النووي في شرح مسلم بعد ذكر حمل الوجوه على
 حقيقتها : والظاهر والله اعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف
 القلوب كما تقول تغير وجه فلان ، أي ظهر لي من وجهه كراهة ، لان

مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم ، واختلاف الظواهر ، سبب
لاختلاف البواطن اهـ ويؤيده رواية أبي داود له بلفظ « أولي مخالفين لله
بين قلوبكم » ويؤيد المعنى من المعقول والتجارب ما ثبت من أن الاتفاق في
المعادن واللباس من اسباب التالف ، والاختلاف فيها من اسباب التناكر
والتنافر ، فكيف اذا كان الخلاف في الدين ، وكان كل فريق يعتقد
أن الآخر مخالف بمخالفته لله ولرسوله بدعواه ان ما عليه اهل مذهبه
هو الحق ، وما خالفهم فيه غيرهم باطل ؟

ولكن المتعصبين للمذاهب لا يفقهون ما يفقهه مثل الشافعي من
حكم الدين ومقاصده فهم يتجرون مسائل الخلاف ويلتزمون بها ، من حيث
يترك بعضهم العمل بكثير من مسائل الاتفاق وان كانت مجمعا عليها ،
ولهم أشد استمساكا بخلاف الذين يعيشون معهم ، منهم بخلاف البعداء
عنهم ، فهم يقيمون في المسجد الواحد جماعتين أو أكثر في وقت واحد ، ويرسل
بعضهم أيديهم ويقبضها بمض في الصف الواحد... وبذلك جعلوا الاختلاف
الاجتهاد بين العلماء نقمة ، على حين كان يعد عند أولئك العلماء نعمة ،
وانما سبب ذلك اتباع الأهواء ، وتنازع الزعماء ، الذين ورد في وصفهم
الانربانهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها ، وما أغرى فقهاء المذاهب
المتبعة بالتعصب الذي أطال أبو حامد الغزالي نعيه عليهم في أحيائه الاحب
الرياسة كما قال ، بل ما أغراهم بالاشتغال بها دون غيرها ، إلا ما بينه
المقرزي المؤرخ الحكيم من وقف الاوقاف عليها ، والالتزام ببعض الملوك
والامراء لتقليد بعضها والحكم به ، ولولا ذلك لفعلوا باقوال أئمة هذه
المذاهب ، فافعلوا ما فعلوا غيرهم . علماء الصحابة والتابعين من المزج

وعدم الافراد بالتأليف والتدريس

وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء وتمصّب كل شيعة لمذهب منها في الاصول أو الفروع هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء منها بقطعي مجمع عليه ، فمن منتضى أصولهم كلهم وجوب ترك كل أسباب هذا التفرق والاختلاف حتى قال الغزالي في القسطاس المستقيم بالاكْتفاء بالعمل بالمجمع عليه وعد المسائل الظنية المختلف فيها كأن لم تكن ،

ثم إن ما ترنّب على التفرق من الضرر والفساد المدون في التاريخ ، والذي أفضى في هذه الأزمنة إلى ضعف المسلمين وذهاب ملكهم وتمكين الأجانب من الاستيلاء على بلادهم وما زالوا ينفرون بعض المختلفين في المذاهب من بعض كما هو واقع في اليمن ونجد مع غيرهما من بلاد العرب — كل ذلك مما يؤكد وجوب تلافي شرور هذا التفرق وجمع الكلمة ووحدة الأمة ، وكان هذا الغرض من أهم ما أنشأنا لاجله مجلّتنا (المنار) وأول ما كتبناه من التفصيل في ذلك (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين ٣ و ٤ أي من أكثر من ربع قرن ثم جمعت في كتاب مستقل منذ بضع عشرة سنة .

(لاسلام بقية)



رفيق العظم

(وفاته وترجمته)

في يوم عرفة (٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ الموافق ٣٠ حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٥ م) جفت البلاد المصرية والسورية ، بل الامة العربية ، رجل كان من أعلى رجالها قدراً ، وأنبيهم فيها ذكراً ، وأعظمهم لديها ذخراً ، رجل الحسب الشامخ ، والادب العالي ، والفكر المنير ، والوطنية الصادقة ، العالم المؤرخ ، الكاتب الاجتماعي ، العامل السياسي ، صديقي الوفي ، (رفيق بك العظم) ابن محمود بك خايل العظم من اسرة آل العظم السورية المريقة في المجد ، فققدت الامة بفقده زعيماً كبيراً ، ونايماً حكماً ، وكاتباً قديراً ، في زمن هي أحوج فيه الى الرجال المحنكين ، والزعماء المخلصين منها الى العافية للابدان ، والطمانينة للحيران ، فرحمه الله تعالى

نشأته الاولى

ولد الفقيد في دمشق سنة ١٣٨٢ هـ ونشأ كما كان ينشأ أمثاله من أبناء الوجهاء المترفين في ذلك العهد فلم يعن والده بتعليمه في مدارس العلم العربية لانها خاصة برجال الدين ، ولا في مدارس الحكومة العثمانية الاعدادية والعالية ، لعدم شعوره بالحاجة الى تخريجهم فيها ، أو عدم رغبته يجعله من عمالها وموظفيها ، الذين لا تكنهم دار ، ولا يقر لهم بين أهلهم قرار ، أو لمحض الإهمال ، على انه لم يتعلم تعليماً منظماً وإنما أخذ بعض المبادئ عن بعض شيوخ عصره وكان يعاشر العلماء والادباء والمتصوفة وبطالم الكتب ودواوين الشعر لاجل التسلية ، فكان بذلك شاعراً ومؤلفاً في

الادب والتصوف وجاء فقيدنا وارثاله في ذكائه ونشأته ولكنّه فاقه في الجد والعلم النافع والعمل ، أخذ التعليم الابتدائي في كتاب أهلي ، ثم أخذ شيئاً من مبادئ اللغة العربية عن الاستاذ الفاضل الشيخ توفيق أفندي الايوبي الشهير ، وكان كل ما حصله بمثل ذلك بمطالعته الشخصية فهل كان يدور في خلد أحد أن مؤلف كتاب أشهر مشاهير الاسلام وغيره من الكتب والرسائل والمقالات الكثيرة في كبرى الجرائد والمجلات المصرية لم يقرأ كتاباً حافلاً من كتب النحو والصرف ولا من كتب المعاني والبيان ، ولم يتلق علماً ولا فناً قديماً ولا حديثاً عن استاذ ؟ فما هذا الذكاء النادر الذي وضعه في مصاف العلماء المصنفين ، والكتاب المجيدين ؟ وما تلك الهمة العالية التي رفعت به الى مقام الزعماء السياسيين ، ورجال الانقلاب المدبرين ؟

كان رفيق ذكي الفؤاد ، ميالاً بفطرته الى العلم والجد ومعالى الامور ، عزوفاً عن سفسافها وصغائرهما ، نبت به هذه الفطرة الزكية عن صرف أوقات صباه في اللهو واللعب مع أمثاله من أبناء الموسرين ، وجذبه الى معايشرة أهل العلم والادب والافكار في الامور العامة كالاستاذ المرحوم الشيخ طاهر الجزائري والاستاذ الشيخ سليم البخاري والاستاذ الشيخ توفيق الايوبي من كهول مشيخة الشام والاستاذ الشيخ محمد علي مسلم ومحمد أفندي كرد علي من الاتراب ، وحُبب اليه البحث ومطالعة كتب الادب والتاريخ وكانت تزعته العلمية وكذا الاجتماعية اسلامية ، حتى ان علماء الاقطار البعيدة الذين وصلت اليهم كتبه ورسائله بمثل ذلك كانوا يظنون أنه من علماء الدين اشتغاله بالسياسة وهجرته الى مصر

ثم إنه كان يماشر أحرار رجال الحكومة العثمانية من الترك وغيرهم

أيضاً، وتعلم اللغة التركية باجتهاده حتى صار يقرأ كتبها وجرائدها. واذ كان ميالاً بطبعه إلى السياسة والأمور العامة استماله بعضهم إلى الاشتغال معهم في جمعياتهم السرية فدخل أولاً في جمعية الدستور التي أسسها في الشام أسعد بك مدير البوليس فيها ثم في جمعية الاتحاد والترقي ولما اشتد السلطان عبد الحميد في مطاردة السياسيين العثمانيين طلاب الدستور وطهق ينكل بمن يهذر استمالته منهم بالوظائف والرتب والنياشين أزمع الفقيد الهجرة إلى مصر، ويقول شقيقه الكبير عثمان بك إن ذلك كان سنة ١٨٩٤ م

وبعد استقراره في مصر واتخاذها دار هجرة ومقامة طفق ينشر المقالات السياسية والاجتماعية في أشهر جرائدها اليومية: الاهرام فالمقطم فالمؤيد فاللواء، وفي أشهر مجلاتها كالمقتطف والهلل والمنار والموسوعات وكان يختلف إلى مجالس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ولا سيما بعد تلاقينا وتوادنا، وكان له بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد صلة ود وثيقة، ثم اكان من اصدقاء الزعيمين السياسيين مصطفى كمال باشا ومحمد فريد بك منذ نشأتها السياسية الاولى وظهورها في ميدان السياسة إلى آخر عمرهما حتى إنه رثى محمد بك فريد حين علم بموته - طريد وطنيته - في اوردية بابيات من الشعر وجدهما شقيقه عثمان بك في أوراقه، وقدرتني قبله الاستاذ الشيخ طاهرا، ولعل هذين الرثائين آخر ما نظم، وليس كل ما نظم، فقد كان رحمه الله ينظم الشعر بما يجده من الداعية في نفسه لارضاء نفسه، ولكنه لم يكن يحب أن ينشر شيئاً من شعره في الجرائد ولا أن يظهره للناس، إما لأنه لم يكن يراه بالمنزلة اللائقة بشهرته، أو لأنه لم يكن يحب

أن يسمى شاعراً، واذ كان الشعر عنده امراً ثانوياً ذكرناه في ترجمته استطراداً

تلاقينا وتعاوننا على خدمة الامة

في منتصف سنة ١٣١٥ (الموافق لحريف سنة ١٨٩٧ م) هاجر كاتب هذه الترجمة الى مصر ، وفي الربع الاخير منها أنشأ (المنار) فكان سبباً للتعارف والتآلف بينه وبين الفقيه فالتعاون على الاصلاح السياسي والاجتماعي فالاشتراك في الاحزاب والجمعيات السرية والجهرية

وكانت اول جمعية سياسية أسسناها بمصر (جمعية الشورى العثمانية) وقد اشترك في تأليفها معنا رجال من سائر الشعوب العثمانية الكبرى وفي مقدمتهم الترك والجر كس والارمن ، وكان من اعضائها المؤسسين الضابط صائب بك الذي كان حاجباً لصاحب الدولة احمد مختار باشا الغازى ومندوباً للجمعية الاتحاد والترقي بمصر ثم ترك خدمة المندوب العثماني السامي إشاراً للسياسة التي تفضى السلطان عليها ، ومنهم الدكتور عبد الله جودت بك المشهور أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي اول مرة ، وكان هو (السكرتير التركي) لها ، وكان الفقيه أمين صندوقها وابن خاله حقي بك (سكرتيرها العربي) وكاتب هذه السطور رئيس مجلس ادارتها

كان تأسيس هذه الجمعية موافقاً لرأي صاحب الدولة احمد مختار باشا الغازى المندوب العثماني السامي بمصر والذى استثمرته في ذلك وطلبت منه ان يمنحها رعايته ويأذن لنجله محمود باشا بأن يكون الرئيس العام أو رئيس شرف لها فيمدها بمساعدته . فقال ان الاصلاح لا يأتي من الاعلى ومن رجال الدولة انما يأتي من وسط الامة ومن الطبقات الدنيا فيها ، وأخبرني ان السلطان علم بوجود الجمعية وهو أنه يرسل البرقيات اليه تترى في السؤال

عنها وعن مؤسسيها ويسمىها جمعية إفسادية ، وانه تجاهل في جوابه أولا ثم كتب اليه بان لا إفساد ولا ضرر منها فانها مؤلفة من بعض أهل العلم وابتناء الاسر الوجيهة المخلصة للدولة

ثم علمنا من شأن اهتمام السلطان بها ما هو فوق ذلك فقد روي لنا حتى بك عن خاله المرحوم صادق باشا المؤيد عن السلطان نفسه ان نبأ هذه الجمعية أقض مضجعه فبقي ثلاث ليال لا تذوق عيانه النوم إلا غرارا، ولم يقر له قرار حتى عرف مؤسسيها من بعض جواسيسه بمصر (وهو رجل اسمه كامل بك) دخل الجمعية بعد تأسيسها وأظهر من الاخلاص لها والعناية بمخدمتها ما كان محل اعجاب جميع الاعضاء

ولا غرو، فقد كان عمل الجمعية عظيما : تأسس لها فروع في الاقطار المختلفة ، وكانت تطبع المنشورات بالعربية وبالتركية وترسلها الى فروعها في البرد الاجنبية فيوزعونها في الولايات التي يقيمون فيها وفيها جاورها بل كان يرسل بعض هذه المنشورات في البواخر الروسية مع بعض المسافرين والمستخدمين فيها الى ثغور البحر الاسود فيأخذها هنالك منهم من يتولون ارسالها الى جميع بلاد الاناضول

ثم أصدرت الجمعية (في فبراير سنة ١٩٠٧) جريدة باسمها (الشوري العثمانية) استغنيانا بها عن المنشورات وكان الفقيد محرر القسم العربي منها وحتى بك محرر القسم التركي اما اشياء واما ترجمة لما يكتبه الفقيد أو غيره منا بالعربية ، وقلما كنا نساعدهما على ذلك ، وكان ينشر فيها بعض المقالات باللغة الفرنسية أيضا

وبلغ من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالجمعية فوق ما كان من التعاون

والمراسلة بينهما من أوردية ومن المركز العام في سلا نيك ان أحمد رضا بك الشهير جاء من باريس الى مصر لاجل السعي لتوحيد الجمعيتين ، وقد قصد الفقيه أولا وكلمه في ذلك فجاء به اليّ فلما كلمني قلت له ان جمعيتكم تركية وجمعيتنا عثمانية عامة فنحن لا نتفق معكم إلا في مقاومة الاستبداد والظلم والسمي لجعل الحكم بالشورى النيابية . قال ونحن جمعيتنا عثمانية لا يميز قانونها التركي على غيره . قلت هي عثمانية بالقانون تركية بالفعل ، فليس في زعمائها أحد من غير الترك ، فقانونها كقوانين السلطان عبد الحميد ولو كان السلطان عبد الحميد ينفذ قوانين الدولة على علائها لما أبحت لنهسي ولا لغيري أن يسعى لتغيير شكل الحكومة أو يقاوم تقوذه فيها . . . ثم اتفقنا على ان تعمل الجمعيتان بالتعاون مع بقاء كل جمعية على حالها .

ثم ان جمعية الاتحاد والترقي عادت بعد اعلان الدستور فكتبت الى جمعيتنا من المركز العام تدعوها الى الحلول فيها والاتحاد بها فاشترطنا في ذلك شروطا لم تقبلها، ولكن الفقيه وحتي بك دخلا في جمعيتهم عند زيارتهما الآستانة بعد الدستور ، وتفرق سائر الاعضاء الذين لم يجمعهم في مصر الا الاضطهاد، فلم يبق لجمعية الشورى عمل

أطلت بعض الاطلة في ذكر هذه الجمعية لان عمل الفقيه فيها كان عظيما وقد أتق من ماله في سبيلها ما لم ينفقه غيره ولولا اغتراره بجمعية الاتحاد والترقي لرضي بما ارتأته من إبقاء فروع الجمعية وتكثيرها في البلاد العربية لتكون قوة للعرب امام تعصب الاتحاديين للترك ، ولكنه قل لي بعد عودته من الآستانة: اني عدت الى جمعيتي الاصلية ، وان بقاء جمعيتنا تفريق غير جائز، على انه عاد من الآستانة غير راض عن سير الاتحاديين

رضاء تاما ، ثم صار يشاهد آ نابعداً آن من تعصّبهم على العرب وعضهم
لحقوقهم ما - اول ان يتلافاه بطرق الاقتناع فألف في ذلك رسالة طويلة يثس
من فائدها قبل أن يتمها فلم ينشرها وسيأتي الكلام عليها عند ذكر مؤلفاته وآثاره
وكان آخر الجمعيات العربية التي اشتركتنا في تأسيسها جمعية عربية أسست
للتأليف بين أمراء جزيرة العرب وللتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية
التي أنشئت في الولايات العربية وفي الآستانة لمقاومة تعصب الاتحاديين
وضغطهم على العرب ولحفظ حقوق العرب في الدولة والعمل لمستقبلهم
كان تأسيس هذه الجمعية ضروريا لان آفة العرب المفسدة لجميع
مواهبهم الفطرية هي التفرق والاختلاف ، وكان المآل إليها انكسار الدولة
العثمانية في حرب البلقان ، والخوف على البلاد العربية ان تتخطقها
الدول المستعمرة ، فرأى المؤسسون ان قوة العرب في جزيرتهم ، وانها
لا يمكن الانتفاع بها ، الا بتأسيس اتحاد حافي يجمع بين أمرائها ، وكان قد سبق
لهذا تهديد من بعض المؤسسين ، ثم وضع له النظام الذي يرجى تنفيذه ،
وأما الجمعيات العربية فكانت مختلفة المقاصد ، وليس بينها من التعارف
والاستعداد للاتحاد عند الحاجة ما يؤمن معه سوء المغبة ، ويرجى به حسن
العاقبة ، فوضعت الجمعية نظاما لذلك ، ولم يقنع المترجم بضرورة هذه الجمعية
الا بعد ان رأى من انكسار الدولة في حرب البلقان ما أقنعه بأنه ليس لها من القوة
الذاتية ما يضمن بقاءها ، وانها عرضة للزوال فجأة اذا صدمتها صدمة أخرى ،

الاحزاب الجهرية

وأما الاحزاب الجهرية التي اشتركتنا فيها فهي حزب اللامركزية وكان
الفقيه رئيسا له وحزب الاتحاد السوري وأمرهما معروف للجمهور فلا

حاجة الى شرح خدمة المترجم لوطنه فيهما. وانما أقول ان حزب اللامركزية كان يراد به خدمة الدولة والبلاد العربية معا، وكان سبب تأسيسه ما ذكر آنفا من سبب تأليف الجمعية العربية وهو ما أنذرت الحرب البلقانية العثمانية من توقع زوال الدولة، وقد كنا نعتقد أن الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا إذا أصرت على شكل حكومتها المركزي وتحكيم الترك في جميع شعوب الدولة، وكان المترجم رحمه الله تعالى حريصا على بقاء الدولة وكان على هدى وبصيرة في ذلك وكنا متفقين معا على هذا الرأي، وعلى أن العرب يحتاجون الى زمن طويل لترقيه أنفسهم وجمع كلمتهم واستفنائهم عن الدولة ان زالت أو بقيت، وكنا نرى أن الخروج على الدولة ضار وخطره على العرب أشد من خطره على الترك، ولا أقول إن كل أعضاء الحزب كانوا على رأينا وانما كانوا متفقين على أن شكل الحكم اللامركزي خير لبلادنا ولغيرها. وكان لبعضهم أهواء أخرى وشذوذ في الفكر وفي العمل، ولكن الحزب نفسه لم ينحرف عن قانونه المستقيم

وأما حزب الاتحاد السوري فامرء أظهر، لان العهد به أقرب، وكان الفقيد من المؤسسين له ولكنه تركه منذ سنين واعتزل السياسة وغيرها من الاعمال، لان صحته ساءت، واشتد عليه مرض الربو، وضاعفه تصلب الشرايين فضعف القلب، حتى أودى ذلك كله بحياته فجأة هذا واننا لم نختلف في كل هذه المدة في مقصد من المقاصد ولا في مهمات الوسائل أيضا، إلا ما كان في أيام حرب المدينة الكبرى فقد اختلفنا في مسائل مهمة لا يحسن في هذه الترجمة ذكرها، ونحمد الله تعالى ان كان اختلافنا محصورا في مناقشات جرت بيننا، لم تتجاوزنا الى غيرنا،

آثاره العلمية

(١) ان أجل تأليفه وأعظم آثاره العلمية هو تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) الذي طار به صيته في الاقطار، وانما أتم منه اربعة أجزاء طبعت مراراً ونقلت نسخها

(٢) وكتاب (السوانح الفكرية، في المباحث العلمية) وهو كتاب اجتماعي أدبي جعله اربعة أقسام: (القسم الاول المدنية ودواعيها، وأسباب تقدمها او تلاشيها) وفيه ٣ أبحاث (القسم الثاني التربية والاخلاق) وفيه ٤ أبحاث (القسم الثالث الادبيات) وفيها ٤ أبحاث (القسم الرابع مباحث علمية مختلفة) وفيه ٥ أبحاث خامسها (التفريج) وقد أطلال في ذمه، ووصف ضرره وشره.

وهذا الكتاب مبيض بخطه في زهاء مائة صفحة من القطع الوسط وانما صده عن طبعه - كما نظن - أنه أتى في فاتحته على السلطان عبدالحميد فاطراه إطرأ لم يلبث ان ظهر له انه مخطيء فيه، بعد أن انخدع كغيره بما كانت تنشره جسيم الجرائد العربية والتركية من مدائح المنشورة والمنظومة ويحسن بي ان أذكر عبارته في ذلك لما فيها من الدلالة اللفظية والمعنوية، على حال فقيدنا العزيز الفكرية والادبية، قال:

« واني لما رأيت أبناء وطني قد تفتحت منهم الازهان وتنبه بعد الرقدة والفكر، وسرى سر الحمية في أمثالي من شبان هذا العصر، فأخذوا يتتبعون أشتهات العلوم والمعارف، ويتفرون تحت ظلها الوارف، بوجود من لا تكل عن الثناء عليه السنة رعيته، وقد اتحدت القلوب تحت راية عدله وشوكته، السلطان بن السلطان، السلطان العازي عبدالحميد،

المخفوف من الله بالعز والتأييد ، فقد أحببت لتحافهم بكتاب يروق في عين كل لبيب ، ويحتاج اليه كل أديب أربب ، وشجعت بفرائد الفوائد طروسه ، وأبرزت في دست الكمال عروسه ، ليكون بهجة للناظرين ، ولذة للسامعين »

وانني لم أر له رحمه الله أسجاءا كهذه في غير هذا الكتاب الذي كان من أول ما كتب ، وأول ما ألف على ما أعلم ، بيد انه لم يلتزم السجع الا في خطبته فقط ، وهو لا يخلو من لحن فيما هو من ضروريات علم النحو ، وهالك اسماء بقية آثاره القليلة التامة :

- (٣) كتاب الدروس الحكيمة ، للناشئة الاسلامية (وكفاء تقریظاً له ان الاستاذ الامام قرر تدريسه في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية)
- (٤) رسالة تنبيه الافهام ، الى مطالب الحياة الاجتماعية في الاسلام
- (٥) كيفية انتشار اديان
- (٦) الجامعة الاسلامية وأدوية

وله خطب علمية ألقاها في بعض المحافل العلمية والمدارس العالية نشر بعضها في المنار وبعضها في مجلة دار العلوم . وهذه يسهل جمعها وطبعها كمقالاته في المجلات . وأما مقالاته في الجرائد فهي كثيرة وجمعها متعذراً ومتعسر وأما الكتب التي شرع فيها ولم يتمها فهي اثنان (احدهما) كتاب في (تاريخ السياسة الاسلامية) رسم له ثلاثة أقسام عصر الترقى الاسلامي وعصر الوقوف وعصر الانحطاط ، وبدأ القسم الاول بمخلاصة السيرة النبوية ، والخلافة واوزارة ، والقضاء والولاية ، وأمانة الجيش ، وكتابة الجيش والديوان والعطاء ، والكتابة العامة والسنارة الخ .

وكتب منه بعض الابواب ثم وقف قلمه دون اتمامه واطمام أشهر مشاهير الاسلام وغيرهما . ولو اتمه على المنهج الذي وضعه له لكان اجل من تاريخ أشهر مشاهير الاسلام ، بل من اهم الكتب التي يحتاج اليها المسلمون على الاطلاق

(ثانيهما) الرسالة التي سبقت الإشارة اليها في الخلاف بين التراك والعرب وقد كتب منها ٦٧ صفحة كبيرة انتهى فيها الى البحث فيما سماه (أرجوفة الخلافة العربية) فبدأ به ولم يتمه وهذه الرسالة حجة بيّنة على شدة اخلاصه للدولة العثمانية وكرهه الشديدة للرابطة الجنسية وتفضيره عنها ، وكان رجال جمعيته الاتحادية يهتمونه مع ذلك بعداوتها ويتمنون لو تصل اليه ايديهم ليقتلوه شر قتلة ، وهو لشدة اخلاصه في خدمته للدولة بحزب اللامر كزية العثمانية الذي كان رئيساً له صدق الاتحاديون فيما ادعوه من الرغبة في الاتفاق مع العرب واعطائهم حقوقهم عقب مؤتمر اريس العربي الذي عقد هناك باسم حزب اللامر كزية . وانخدع كما نخدع رئيس ذلك المؤتمر اخونا الشهيد السعيد السيد عبد الحميد الزهراوي قدس الله روحه الذي كان من اغتراره بخلافتهم ان دعاني ودعا الفقيد الى الذهاب الى الاستانة للاشتراك في توثيق روابط الاخاء والوحدة بين العرب والترك فاما الفقيد فقد انخدع وزاد في اطمئناؤه كتابة بعض اصدقائه من رجال الترك الاتحاديون كجلال الدين بك عارف وأخيه نجم الدين بك فارسل رقية الى الاستانة وعدها فيها باجابة الطلب والعزم على السفر وذكر لي ذلك بعد ارسالها فوفقت لاقتناعه بالبقاء هنا وقلت له انهم يريدون أن يجمعوا الزعماء العامة بين هناك لينتقموا منهم كلهم ، ولئن أجبنناهم ليعيطن بنا

فلا ينجو منا أحد ، وإني لخائف على أخينا السيد عبد الحميد وإبكتني أرجح
أنهم لا يصيدونه بأذى ، أدنا في مصر لأنهم يريدون أن يصيدونابه .

ثم كفايتي الفقيد احسن الله اليه على هذا إخلاصا في المودة والنصح
لا بقصد المكافأة ساءلم أنني سأعود من الهند الى مصر عن طريق العراق
(سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢) فارسل الي برقية بان أعود في البحر خوفا علي من
فتك احمد جمال باشا السفاك اذ كان وقتئذ والي بغداد ، والقائد العام
لجيش العراق ، وإكن الله سلم ، على أن الفقيد لم ييأس من الدولة كل الياس
الا في أثناء الحرب العامة وما كان من جمال باشا فيها

فهذه جملة سيرة فقيدنا السياسية ، ولولا بعض آثاره العملية لما
كان له شيء يؤثر عنه من وراء السياسة الا أخلاقه المالية وآدابه السامية
أخلاقه وآدابه

قد اوتي الفقيد حظا عظيما من الآداب الاجتماعية والفضائل النفسية
والفواضل العملية ، كان تزيه اللسان طاهر القلب ، ونزها عن الحسد
والحقد ، وفيلا لصدقائه ، برا بأهله وصولا لرحمه ، متواضعا في عزة نفس ، ذا
مروءة صادقة ونفس سخية ويد مبسوطة ، حسن الضيافة ، كثير الصدقات
والمساعدات للجمعيات الخيرية ، قليل التبعج والدعوي ، معاشره أحد
من قومه ولا من غيرهم من الشعوب الا واحبه واحترمه . ومن آدابه التي
يجب أن تذكر بالاص في هذه الترجمة الوجيزة أنه تزوج ولم يرزق ولدا
ولا كان مغتبطا ولم اسمع منه ولا عنه منذ عتدت له عقد زواجه الى أن
توفاه الله تعالى كلمة تؤذن بحسره على الحرماز من الولد والميل الى التزوج
بامرأة أخرى مع زوجه أو بعد تطايقها فهذا من أحب الوفاء والصبر والقناعة

آداب يقل نظيرها في هذا العصر وفي كل عصر
 وكان معتدلاً في أمور معيشته يقتصر على اللائق به من اللباس ،
 وجيد الطعام ، من غير اهتمام بالتطرز ، ولا جنوح الى التورن ، ولا افتناق
 في التمتع ، ولكنه كان شديد الولوع بدخان التبغ وكثير الاختلاف الى
 بعض المقاهي العامة على قلة عنايته بالملاهي وانما كثر ذاك منه بعد أن
 ضعف جسمه وصار يتعب من الكتابة والمطالعة
 وجملة القول أننا قد فقدنا بهذا الصديق الوفي المهندي وأن الأمة
 العربية قد فقدت بفقد الابن البار العامل رجلاً لا عزاء عنه إلا أنه قد
 انتهى الى حال من الضعف والامراض لا هناء له في الحياة معه ولا رجاء
 في الانتفاع شيء من مواهبه وتجاربه ، فرحمه الله تعالى وعفا عنه
 وأدخلنا وإياه برحمته في عباده الصالحين

السفور والحجاب

(تمة مقال الامير شكيب أرسلان)

تلبية من المنار

(كنا رأينا مقال الامير في عدد من جريدة البيان العربية النيويوركية
 حفظناه لاجل نقله منها . فلما نشرته بعض الصحف المصرية مجزءاً في عدد من
 او ثلاثة أعداد جمعه عمال مطبعتنا من بعضها فاذا هي قد حذفت ، منه ما نقله
 فيه الامير عن الاديب الكبير صادق افندي الرافي من حوار دار بينه
 وبين شاب مصري من المتفرنجين لم تنقله الجريدة لان رأي قلم التحرير

الامير شكيب ، وكان من غفلة الجريدة أنها لم تحذف من بقية المقالة ما قاله صاحبها في رأي الشاب المصري وذكره بحرف التعريف والبحث في كلامه فلما وصلت عند تصحيح المقالة الى هذا الموضع (في ص ٢٠٩ ج ٣ الماضي) أمرت بالامساك عن نشر بقية المقالة في الجزء الماضي وطفقت أبحث عن نسخة جريدة البيان لنقل عبارة الرافعي . وهاكها بنصها - ومعلمها بعد السطر الحادي عشر منها) قال :

واقراً النبذة الآتية للاسناد حجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي أنقلها لك عن كتاب حديث أخرجه آية من آيات البلاغة وهي قوله في شاب حصل العلم في أوروبا كان باحثه في هذا الموضوع

« كان صاحبنا فتى تلمع عليه غرة الشباب ، وقد رق حتى كاد يخالط حد الاثوثة ، ولان حتى قارب أن يفوت معنى الرجولة ، وظرف حتى أوشك أن يكون انساناً تتفتح في روحه معاني الزهر ، ولكنك اذا كنت رجلاً صحيحاً أمررت على عينيك كما تمر كتاباً لا تريد أن تقرأه ، فقد تمدن في أوربة وابت عن قومه ماشاء الله ، ثم رجع اليهم كأن أمه لم تله ، وكان أباه جده الاعلى ، فبينه وبين أبيه هذا بضعة أجداد منهم المسيو والمستر أو السنيور أو الهر . . . وأصبح يحس ان كل شيء في هذا الاجتماع الشرقي مساط على نفسه الرقيقة النحيلة بالغلظة والجفاء والعنت والاذى — الى أن قال — :

« سألت هذا الفتى مرة أنت مصري ؟ قال : ووطني صميم قلت : أفترى تصلح في علمك وتهذيك أن تكون مثلاً يتأذى بك نشء بلادك ، قال : إني لارجو ذلك ، قلت : وأنت من القائلين بتحرير المرأة الشرقية ومساواتها بالرجل في الحرية المطلقة وبعضها من هذه القبور التي تسمى المنازل ؟ قال : ذلك مذهبي ، قلت : فكيف ترى اذا اقتدى بك المصريون فأصهروا الى الاوربيين وخاطوا الشمل بالشمل ؟ قال : امل ذلك خير لئلا يلب بلادنا فلا معدل عنه في رأيي إذ يأتيها بلدم الجديد ، ويدمج في طباعها النظام والدقة ، ويبني البيوت ، ويداخلها .

قلت : أحسنت بارك الله عليك فكيف ترى اذا سألك التسوية وقتنا لك دع
أخذك تصب الى رجل أوربي وتتزوج منه إجارة . . . وتأت به الى مصر كما
أتيت أنت بصاحبة بيزك ، ثم لتفعل كل امرأة مصرية فعلها فيكون لكم أوريات
ويقوم عليهم أوربيون ؟ . . قال : أعوذ بالله اقلت : فدل الله بك وفعل ، أفبإني
من غفلتك أنت لا تعرف لعنة الله الا اذا رأيته ملء مملكة ، ولا تعرف حق
وطاك فبك الا حين تراه غريباً متقطعاً لا حق له في واحد من أهله

فقال (أي الشاب المصري) : فما أنا وأمثالي الا شذوذ من القاعدة التي
يجب أن تبقى أبداً قاعدة . قلت : فعليكم غضب القاعدة ومقتها وسخطها ، والله
لان تفجع البلاد فيكم جميعاً وتستركم بالقبور رمة بعد رمة خير من أن تتقلد منكم
بلية الحياة في اختلاط الانساب ، وارتداد الاسماء العربية عن دينها الخ فقال
الشاب : فكم من امرأة وطنية هي حمل على ظهر صاحبها ، قلت . وكم من امرأة
افرنجية هي كية على قفا صاحبها (هذه عند العرب كناية عن المرأة يسكت الناس
عنها أمام زوجها ، فاذا ولي عنهم قالوا في ظهره ما قالوا . . . وكووا قفاه) نكتفي
بهذا القدر من كلام حجة العربية الراقية (١)

ولا شك ان كثيراً من قراء هذه المقالة سينغرون أفواههم الآن ويرفعون
عقائهم قائلين : ما هذا الذي جئتنا به ؟ فليس هذا من لوازم هذا ، لقد يجوز أن
نطلق حرية المرأة ونكون من أنصار العرض والدين ، وقد يصح أن ندعو الى
السفور ، وأن لا نترك أخواننا يصرون حظايا للآخرين ، وما نحبب الامم التي
تدين بحرية المرأة ولا تعرف للحجاب معنى أقل منا شرف رجال وعفة نساء .
ألا وان حرية المرأة لا تأتي الا مع التعليم ، لا وان المرأة اذا تعلمت وتهذبت
كان لها من علمها حجاب يحجبها عن الفاحشة — وغير ذلك من الاقوال التي
كلنا نعلمها والتي تكررت كثيراً بحيث قد عرفها العوام فضلاً عن الخواص

(١) بهذه الجملة يجيء ما بعد السطر الحادي عشر من ص ٢٠٩ الى آخر ما نشر
من المقالة في ص ١١٠ وبلي ذلك قوله :

فأنا أقول لاخواني هؤلاء : مهلا مهلا . لا تعجلوا علي ولا تخطوا شيئا بشيء فالمرضوع عرض متشعب الاطراف لا تكفيه مقلة ولا اثنتان ولا ثلاث . فأما السفور مع العفة والصون وحفظ الانساب ورعاية أحكام الدين فهو السفور الشرعي الذي يجيز للمرأة أن تبرز وتعاطي الاشغال وتذهب وتجيء ولا يوجب أن تسدل على وجهها ولا أن تدفن نفسها في الحياة ، وهذا سنكتب فيه مقالة تحت عنوان « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ولكن لا يجوز أن تنسوا أن هذا السفور لا يسئل الى حد جواز المخادعة الجهرية ولا الى زواج المسلمة بغير المسلم ، وإنه اذا كانت المسألة مقصورة على هذه الدرجة فليست في شيء من الرقي الذي يدعيه نالح ووفقي وعبد الله جودت والشباب المصري ، وكثيرون غيرهم ممن نعرف أسماؤهم وهم لم يعرفوا ، فهذا الرقي هو في عرفهم ليس بأن تمشي المرأة المسلمة في الأسواق سافرة عن وجهها فحسب . فان هذه الدرجة هم يعلمونها جائزة شرعا وطالما برزت النساء المسلمات وأخذن وأعطين في العهد الماضي واشتركن في جلائل الاعمال مع الرجال ، ولم يمنع ذلك شرع ولا عرف . وما جاء من الافراط في الحجاب وعدم خروج النسوة من المنزل الا في الندرى ان هو الا من التعصب الناشئ عن فرط الغيرة ولم يكن من الدين الاسلامي

ولكن هذه الفئة لا نرى هذه الدرجة الا أدنى درجات الرقي الذي يتطلبونه للنساء المسلمات في هذا العصورم في ترقية المرأة لاية دون بشيء دون حرية الزواج بين المسلمين وغير المسلمين طردا وعكسا ، لا بل حرية المسلمات أن يخادن من شئن على نسق الاوريات بالتام . فان كان هذا الذي تطالبونه أنتم معاشر الدعاة الى السفور ولا سيما الذين ناشدوني إعطاء رأيي فيه فينبغي أن تصرحوا به بكل جرأة بقلوبهم بماتهم ، ولا تقولوا كما قال الشاب المصري « أعوذ بالله » فان هذه النظرية هي نظرية مئات ملايين من العالم المتمدن ، وحسبكم أن تكونوا مثاهم في الهيئة الاجتماعية . وان كنتم لم تصلوا بعد الى تلك الدرجة من « الرقي » وكان مرادكم إعطاء المرأة المسلمة الحرية المطلقة على شرط أن لا تخان ولا تتزوج بغير المسلم أجبناكم : إن هذين نقيضان لا يجتمعان ، الحرية المطلقة من جهة ، والتقييد بزواج المسلم دون غيره من

وبالزواج الشرعي دون غيره من جهة أخرى . نعم تنطبق على الشريعة الحرية المقيدة التي ان كنتم بغيانها فالشريعة الاسلامية قد ضمنتها أحسن ضمان بدون أدنى من ولا تكلف . فأما الحرية النسوية المطلقة التامة والاسلام فلا يجتهدان أبدا ، وعلى المتخير أن يختار أحدهما ، وليس الاسلام وحده غير مطابق للحرية النسوية المطلقة ، بل النصرانية أيضا هي غير مطابقة لها ، لان النصرانية تمنع المخادنة أيضا ، وتحظر على الفتاة المسيحية أن تقترن بغير مسيحي وتزيد على الاسلام في التقييد في كون الاسلام قيد المسلمة بزواج المسلم دون غيره ، ولكنه أباح المسلم الزواج بغير المسلمة ولو بقيت على دينها . وأما النصرانية فانها تمنع زواج المسيحية بغير المسيحي ، وزواج المسيحي بغير المسيحية . فالاسلام في هذا الموضوع أسمح وأوسع . ثم ان النصرانية قيدت أبناءها في أمر الطلاق بحيث لا تجيز للمرأة أن تطلق زوجها ، ولا للرجل أن يطلق امرأته ، وإذا أقدموا على ذلك لم تجز لهما أن يتزوجا فيما بعد لاهو ولا هي ، فأنت ترى أن حرية المرأة في الدين المسيحي هي أيضا غير مطلقة ولا تامة ، وإذا كنا نرى الاوربيين والامريكيين قد خالفوا هذه القواعد ، فأتين بخالفونها منهم ليسوا عاملين بمبادئ النصرانية والى يومنا هذا كل من ينطبق عمله في الحياة الدنيا على مبادئ الكنيسة لا يقول بحرية مطلقة المرأة

فأما كون الاسم التي ليس فيها حجاب لا تقل عن الامم القائلة بالحجاب هنة نساء وحصون حلائل فليس بصحيح ، ان بين الفريقتين في هذا الموضوع فرقا بعيدا ، أما نصارى المشرق فانهم مثلنا في العادات والاخلاق وتقييد حرية المرأة في الامور التي يخشون منها على عفتها ، ولذلك لا نقدر أن نتخذهما مثالا ، وأما العالم الغربي الذي أباح الحرية التامة للمرأة وتركها تفعل ما تشاء بعد بلوغها سن الرشد فلا أحد يمكنه أن يقول : ان العفة والحصون اللذين هما من شرائط الاسلام والنصرانية متوافران فيه بالدرجة التي هما في العالم الاسلامي والعالم المسيحي الشرقي ، لاسمري ان ما يحصل في باريس وحررها من الفسق والفجور يساوي كل ما يحصل من هذا النوع في جميع العالم الاسلامي ،

وأما كون التعليم يرقى المرأة الى سنام العفاف ويجعلها في غنى عن الحجاب وعن مراقبة بعلمها ، فمع كوننا لا ننكر ان التعليم يهذب كثيرا من أخلاق المرأة ويعصم من هواها فلا نستطيع أن نقول انه كاف في هذا الموضوع سادس المراقبة الزوجية والقيود الشرعية ، فالتعليم لا يقوم مقام الخوف ولا يصح وحده وازعاء ، وهما نحن أولاً نعرف من الرجال الذين بلغوا الدرجة القصوى من العلم ولم يزد هم علمهم ولا فضلهم عفة مثزر ولا طهارة ذيل ، فنقص الفسق والفجور في العالم الشرقي عن مثله في العالم الغربي لا يقدر ولا يحصى انما هو بقوة سيطرة الرجال على النساء ، وينضم اليه كون الدين لا يزال في الشرق أرسخ مما هو في الغرب ، فتجسد المرأة المسلمة والمسيحية الشرقية تخاف عقاب ربها وعقاب زوجها ، بخلاف كثير من الاوربيات اللاتي أصبحن لا يخفن لامن الخالق ولا من الخلق

بقي علينا اعتراض قد يقول به كثيرون من الذين يحبون أن يقال لهم «عصريون» محذرون من الاوهام والعقائد سائرون في طريق ارقى بعقول علمية صرفة ، وبصائر فنية محضه — وهو ان نفور المسلم من أن يرى أخته أو بنته حالية لرجل مسيحي أو يهودي أو وثني ، ونفور المسيحي من رؤية أخته أو بنته زوجة لرجل مسلم أو يهودي أو وثني ، انما هو من تأثير الاوهام ورسوخ العقائد ، لا بل من رسوخ الوسوس التي ليست من الحقائق في شيء ، وكذلك يقال في مخادنة المسلمة أو المسيحية العاملة بدينها لرجل تتفق معه على بدل معلوم تبعية به عرضها ، فهذا هو أيضاً من عمل الاوهام والوسوس التي بمرور الازمان وشدة التكرار انقلبت شرفاً وغيره وحمية حال كون العلم ينبغي أن يزيل هذه الاوهام من الالذهان وأن يصفى للحقائق دون غيرها . وان أهم مهمة يقوم بها العصر الحاضر هو تبديد الاوهام وإزالة دولة الخرافات . فان وقع هذا الاعتراض من أحد فنكون رجعنا الى قاعدة فالح رفقى وعبد الله جودت والشاب الذي تحاور مع الراقعي — ولنا في هذه المقالة راين الى تنفيذ هذا الزعم من حيث هو ، وانما نقول لهم انهم إن كانوا يرون المدنية الاوربية أرجح من الصون والطهر فلا بأس بقبول هذه النظرية على علائها ، والا فاذا كانوا يلتزمون مبادئ العفة والطهارة

(المنار ٤ : ج) (٣٩) (المجلد السادس والعشرون)

والاحتياط النام لاجل حصول الولد من صلب أبيه ، فلا بد لهم من رفضها أو تقييدها على الأقل وإني أؤكدهم أن الانسان ما دام انسانا وما دام هذا تربيته فان يمكنه التحرز مما نسميه بالالوهام والمقائد ولن يعول على الحقيقة المجردة من كل عادة وتقليد الا اذا رضي بحالة تشبه حالة البهائم

اننا اذا تأملنا بعين الحقيقة المجردة وجدنا النكاح والسفاح واحداً لا فرق بينهما . وأي فرق في العمل بين من يتزوج ومن يزني ؟ فلماذا اذا خامرت الانسان شبهة في امرأته طلقها ، واذا وجد عندها رجلاً متمتاً بعرضها جاز له قتله بدون أن يقاص ولا يضار لا في الشريعة الاسلامية وحدها (١) ، بل في جميع الشرائع وفي أحدث القوانين الديموقراطية المصرية الجمهورية ؟ — اذا قلنا جاز ذلك انتسلط الزاني على امرأة غيره ، أجبناك : ان هذا الزنا انما وقع برضاها واختيارها فلهذا جاز للزوج أن يقتل الزاني بامرأته ويذهب دم هذا هدرا ؟ ولماذا اتفق أكثر البشر على كون هذه الكبيرة هي أعظم الكبائر ، وان معرفتها أفظم المعرات ، وانه لا يهدم الشرف والمجد في البيوت مثل دنس الوساد ، ولا يرفع الرأس ويربح الوجدان ويالحف الانسان الشرف بمطرفيه مثل نقاء العرض وطهارة البيت . لماذا هذا كله ؟ مع انه بينما هو يعدأ كبر الكبائر وأفضح المعرات بدون صورة شرعية ، اذ هو بمجرد شهادة اثنين أو بقصاصة ورق انقلب ناموساً عظيماً وعملاً شريفاً ، وجاء والد البنت نفسه يفرح بتهايل ابنته ، واجتمع أهل العروس يطبلون ويزمرون ، ويقبلون التهنئة على هذا العمل الذي لولا قصاصة الورق تلك كان استوجب القتل مما نجد فيه سر الحديث النبوي الشريف « جذع الحلال أنف الغيرة » (٢)

(الجواب) إن الناس اصطلمحوا من قديم الدهر على اعتبار هذا العمل على أنه اتفاق شرعي حلال ، وعمرانا للكون ، وداعياً للفرح والتهنئة ، وعلى عده بدون هذه المعاملة الشرعية فضيحة وجناية وإثماً كبيراً . وما هذا الذي رسخ في

(١) المنار يدل على هذا حديث سعد بن عباد في الغيرة وهو متفق عليه ولكن الحكم يختلف فيه فالجمهور لا يبيحون ذلك « ٢ » لا اذ كراني رأيت هذا في الحديث المرفوع فمن عرف له تخريجاً فله تفضا ، سانه لنا

المنار : ج ٤ م ٢٦ الشكوى من صاحب المنار وشكواه أو عذره ٣٠٧

الاذهان من هذين الاعتبارين سوى تواطؤ قديم بين البشر ، واصطلاح ساروا عليه منذ قرون لا يعلم بدؤها . وبالجملة فوهم ليس له علاقة بطبيعة العمل نفسه . نعم هو وهم مقدس ، ولكن كونه مقدساً لا يخرجُه عن كونه تواطؤاً واصطلاحاً ووهماً (١) إذ الانسان لا يزال بعيداً عن أن ينسخ أعماله عن الطبيعة رأساً بدون أوهام وعقائد ، وما ينزل على حكم الطبيعة رأساً بدون أوهام وخيالات سوى الحيوانات (شكيب ارسلان)

من عذيري

(الشكوى من صاحب المنار وشكواه أو عذره)

رب لائم ملهم ، ورب ملوم بريء أو غير مسميء

في يوم السبت ٢٨ ذي القعدة (٢٠ مارس) جاءني كتاب في البريد بامضاء (عبد الغفار) يقول فيه : إنه تاجر هندي في مدينة لندن وأنه جاء القاهرة لكي يقابلني ويقابل بعض الذين يعرفون شيئاً عن السيد جمال الدين الانصافى لجمع ما لديهم من المعلومات عنه لأنه يريد أن يكتب سيرة لهذا المجدد الشهير ، وأنه يحمل خطاباً من حضرة صدقي فؤاد بك سليم حجازي الشهير ، وأنه يلتمس أن أعين له وقتاً خاصاً لذلك

وبعد يوم أو يومين جاء دارنا رسول من قبله ولم أكن فيها فترك لي كتاب فؤاد بك سليم الذي يحمله من أوربة ، وكتاباً آخر من حضرة صدقي إسماعيل بك شيرين وكيل محافظة مصر ، ورخا في ٢٩ ذي القعدة (٢١ مارس) يقدمه فيه ويوصي بحسن قبوله . فعجبت من عنايته بطلب توصية بعد توصية فيما لا يحتاج الى توصية ، ثم من إرساله لهما مع رسول بطلب له تعيين وقت معين للقائه وعدم مجيئه هو ، وحملت ذلك على حرصه على أرقائه وعلى وقته أيضاً ، لأنه يعلم عقلا

« ١ » كرر الكاتب لفظ الاوهام حكاية لأقوال الملاحدة على الطريقة الحديثة

انني كثير العمل ، ومن المعقول في هذه الحالة أن أعين له وقتا يمكنني أن أفرغ فيه لحديثه مدة طويلة ، وإطلاعه على ما عندي من المواد وليست بقليلة ، وأنا لا أملك مثل هذا الوقت الا في بعض أيام الجمع ، واذا كان أول جمعة لا يزال بعيدا رأيت أن أبلغه من أقرب الطرق — وهو طريق التليفون — انني مستعد في كل يوم بل في كل ساعة من ساعات كل يوم للقائه وانني على قلة خروجي من الدار لا أخرج في وقت الصباح ، وأنه لاجل الاحياط يمكنه أن يسأل عني بالتلفون قبل مجيئه ، بلغناه هذا في الفندق الذي نزل فيه ولم يكن فيه عند التبليغ ، فهدنا أصحاب الفندق بتبليغه اياه المرة بعد المرة ، ولو حضر لآخبرته بما عندي من المواد في ترجمة السيد وبعض مقالاته وآثاره واتفقنا معا على الاوقات التي يطلع فيها عليها والطريقة التي يقتبس بها ما يريد اقتباسه منها — وهو لا يعرف العربية بيد أنه فاجأني عصر اليوم الثالث من ذي الحجة (٢٤ يونيو) كتاب هذا نصه:

كتاب وجيه هندي لصاحب المنار :

٢٤ يونيو سنة ١٩٢٥

سيدي الأستاذ الجليل ، سلاما واحتراما . وبعد فقد حملني الرغبة الصادقة في البحث عن كل ما يتعلق بحياة السيد جمال الدين الافغاني — بمناسبة اعتزامي على تأليف يشتمل على حياة هذا الفيلسوف الاسلامي الشهير — حملني هذه الرغبة على التقرب ثم على التشرف بزيارتكم لينالني تشرف الاستقاء عن علمكم العزيز فبادرت بارسال جواب الى فضيلتكم ساعة وصولي الى القاهرة لشكروا بتحديد وقت أمثل فيه بين ايديكم (١) فلما تأخر الرد كلفت صديقا لي ليتفق مع فضيلتكم على الوقت التي ترضون فيه بمقابلتي (١) ولما لم يجدكم في البيت ترك هناك كتابي المعروف من حضرة صاحب العزة فؤاد بك سليم وشيرين بك لملككم تتنازلون بهذه الوسيلة بزيارتي. وقد مكثت في القاهرة انتظر الرد سبعة أيام (١) وماجنيت باللاسف من هذا الاتفاق إلا الخيبة والمال

(١) المدة بين كتاب شيرين بك وبين كتابه هذا ثلاثة ايام فقط واذا كان قد وصل الى في مساء ٢١ مارس ففرصة الرد كانت يومين فقط

سيدي — الآن وقد عذمت الرحيل من هذه الديار أرى من واجبي أن
لفتكم الى بعض مايجول بخاطري بمناسبة هذا الفتور الذي اقيته منكم في هذه
الديار وقد كنت انتظر غير ما رأيت

على أن هذا الفتور لو كان مصدره رجل عادي غيركم وموجهها الى شخصي
من حيث اني بشر لا كنز ولا أقل لما اتعبت نفسي بالشكوى اليكم ولما رجوتكم
قراءة هذه السطور ولكن الرتبة العلمية التي تمثلونها والصفة الاسلامية التي جعلتموها
شعارا لكم والمسئوليات العظيمة التي تتحملونها بصفته من علماء الدين وحامل
لواء الشريعة — كل هذه الامور تحتم علي أن أنبهكم الى الخطر العلمي والاخلاقي (١)
الذي قد يجركم اليه مثل هذا الفتور والاهمال الغير لائق بمقامكم (١)

شيء آخر يحتملي على الاكثر من الشكوى اليكم ، وقد اضطررت الى ذكره اضطرارا
سيدي ، أظنكم لم تذكروا بعد ذلك الاحتفال المهيب بقـدومكم الى البلاد
الهندية ، والمقابلات الحارة المخلصة التي استقبلكم بها الهنود ، فكنتم موضع اجلال
واحترام من جميع الطبقات بلا استثناء — أما كان يصح في هذه الحالة أن ينتظر
أحد المحتفلين بكم من مكارمكم وتعطفاتكم ما يزيد اخلاصا اليكم وحباً فيكم ؟
ولكنني أقول والاسف بلا قلبي ان هذا الامل كان في غير محله

سيدي ، اعتقدوا اني حاولت كثيرا أن أبرر عملكم هذا ، فكانت هذه
المحاولة خائبة خيبة ألمي بلفائكم

ولست أدري كيف أفسر عملكم هذا عندما أقدم للجمهور ، ولفي وأذكر
ما لاقيت في سبيل جمع مواده

وعلى كل حال قد حصلت اقامتي هنا على معلومات بقدر ما تمكنت الحصول
عليها ، واغادر القاهرة اليوم وانا كل اليقير (؟) والاعتناء اني سوف الاقي في اوربا
وغيرها من بلاد الكفر والاحاد (؟) من العلماء من هم اوسع صدرا وارحب ساحة
من علمائنا الكرام واخيرا تقبلوا سلامي

الخادم المخلص

محمد عبد الغفار

[المنار]

لقد بلوت من الناس غرائب كثيرة ولم أر أغرب من حال هذا الرجل في أمر سفره من لندن الى مصر للبحث عن سيرة السيد جمال الدين وجمع ما يمكن جمعه منها لاجل تأليف كتاب خاص في سيرته ، ولإقيام ببعض الاعمال التجارية أيضاً ، ومكثه في القاهرة أسبوعاً واحداً وعودته بسرعة ، وهذه المدة لم تكن كلها تتسع لأخذ ما عندي من المواد الخاصة بسيرة السيد رحمه الله تعالى لو لم يكن لنا شغل غيرها ، ولا من حاله في أمر اهتمامه بمقابلتي بالتوصل اليها بتوصيته من يعرف ومن لم يكن يعرف من الوجهاء وبالكثابة وارسال الرسول لاجل تعيين موعد خاص المذاكرة في سيرة السيد وأخذ المعلومات المطلوبة ، وعدم تفضله بالزيارة بدون سبق الموعد المطلوب على كونه قد زار بعض الناس بدون أخذ موعد معين منهم ، كأنما عيل شيرين بك ونور الدين بك مصطفى كما أخبراني بذلك ، ثم اسرعه بالسفر بعد مجيء رسوله الى مكتبة المنار وسؤاله عنى فيها يومين - وفي أمر كتابه الجامع بين التعظيم والتهمك والمن والتهديد

أما انا فعلى شدة تعجبي من هذا الكتاب واستنباطي منه ان صاحبه شاذ في عقله وأخلاقه اسفت اسفا شديدا لما فهمته منه أن الفندق لم يبلغه ماعهدناه اليه من الاستعداد للقاءه في كل يوم ولا سيما وقت الصباح على كونه وقت ازاحم الاعمال على الذي به كان وجودي فيه بمكتبي حتما لازما ، وقد حانني هذا الاسف على الذهاب الى محطة مصر قبل وقت سفر قطار المساء الحديدي الى بود سعيد لي أجد مسافراً فاعتذر له واتفق معه على طريقة لا يصلح ما يطلبه من المواد في سيرة حكيمنا الاكبر السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ذهبت الى المحطة قبل موعد دخول المسافرين في القطار وطلقت اتوسم وجوه ركاب الدرجة الاولى - وكذا الثانية احتياطاً - لعلني أجد سحنة هندية أو طفل بالسؤال عن صاحبها فلم أجد ، وإنما فعلت هذا لانتى أعد الرجل على حقين لا يبيح لي شذوذ كتابه هضمهما (أحدهما) أنه خاطبني بالوسائط ولم يعلم اننى اجبته ولم يلتمس لي عذراً على سعة باب التماس الاعذار الذي ضاق عليه (وثانيهما) انه يريد

تأليف كتاب في سيرة أستاذنا الأكبر مؤظ الشروق وحكيم الاسلام وانا أحرص الناس
كما اعتقد على نشر سيرته الصحيحة والاعتبار بها

بعد هذا قصصت خبره على شايبين هندیين نجیبین مشتغایین بطالب العلم، مصر
فجزم كل منهما وحده برأى واحد وهو أن هذا الشذوذ بالامتناع من الزيارة
اولا وبالكتاب الجامع للتراث ثانيا ليس من شأن هذا الرجل ولا من المعروف
من آدابه واخلاقه وانما هو تأثير مؤثر خادع من الهنود الزائغين كالذين يبتون
دعوة المسيح الدجال القادياني في مصر باسم الاحدية أو الملاحدة الذين فتنوا بأفكار
بعض الزنادقة الاديبيين هنا ، وكلا الفريقين يمت المنار وصاحبه لانه أشد خصم لهم
في العالم الاسلامي ، وجزم كل منهما بان الرجل لا يعرف العربية وأن الذي كتب
له هذا الكتاب الشاذ لم يخبره بكنهه ما فيه ولو أخبره لما أمضاه

ثم سأني عنه الزعمان الهنديان الكبيران اللذان ألما بالقاهرة في هذه الايام الحكيم
محمد اجمل خان والدكتور مختار احمد الانصاري فذكرت لكل منهما نبأه وأطالمت
كلا منهما على كتابه فوافقا الشايبين بأن هذا ليس من دأبه ولا من آدابه وانه خدع به
احتذار صاحب المنار عن تقصيره

ولما كان من شأن هذا الغش وسوء الفهم ان يقع كثيراً رأيت ان لا تشيني هذه
الشهادة من اربعة عدول بما تقدم آنفا عن ذكر بعض ما جال في خاطري من
الآراء عند قراءة هذا الكتاب بالاجاز ، وإظهار عذري فيما عسي أن يكون قد
وقم أو قد يقع من سوء الفهم في مثل هذه المرة بيئي وبين بعض الناس فأقول :
(أولاً) إنني رجل ضئيف دخات في سن الشيخوخة وأشكو بعض مبادئ
الامراض التي تهدد الناس في هذه السن ، وأنا مع هذا مطالب بأعمال كثيرة أذكر مجامعها
(١) القيام بشؤون أسرة كبيرة وأطفال لا عائل ولا مربى لهم غيري

(٢) القيام بتحرير مجلة دينية اجتماعية ليس لها محرر ولا مساعدا غيري

(٣ و ٤) إنني صاحب مكتبة ومطبعة لا بد لي من نظرم في بعض أمر ادارتهما ،

ولضيق وقتي عن إتقان ذلك يفوتني ربح كبير انا محتاج اليه بل تحملت كثيراً
من الخسارات المالية والادبية .

(٥) انني أتولى تصحيح جميع مطبوعاتي من المنار وغيره بنفسى المرة بعد المرة ، وأنظر في تصحيح غيرها مما يطبع في المطبعة مع مصححيها ، وهذا العمل يستغرق أكثر أوقاتي في هذه السنين ، وقد جرت به الاعتماد على المصححين فرأيت كل ما يصححونه كثير الغلط ، حتى انني اضطررت الى مراجعة جداول تصحيح الغلط الذي وضعه البعض الكتب على المطبوع والمخطوط كلمة كلمة بمعارضتها على عدة نسخ في خلال سنتين متفرقة واخترت ارسال بعض الكتب الى اصحابها زمنا طويلا لاجل ذلك فساءم ذلك وهم لا يعذروني بأمانتي العلمية الدينية ولو فعلت كما يفعل سائر اصحاب المطابع لكان ارضى لهم واربح لي. ووضع لي بعض الاذكياء فهارس للمنار فكان شغلي بتصحيحها أطول من شغلي بوضع خير منها .

(٦) انني أعمل في بضع جمعيات علمية واجتماعية وسياسية ، كالجمعية اللغوية والرابطة الشرقية ، ومؤتمر الخلافة ، ونقابة الصحافة ، ولجنة المؤتمر السوري الفلسطيني الخ . وقد كنت في الاسبوع الذي زار فيه حضرة الاخ محمد عبد الغفار القاهرة مكلفاً ثلاثة أعمال كتابية لبعض هذه الجماعات

(٧) انه تأنبنى مكتوبات كثيرة من أقطار الشرق والغرب أقلها في شؤون المجلة والمطبعة والمكتبة التي يوجد عندي من يساعدي على ما يطلب منهم وأكثرها يتعلق بشؤون الامة العامة أو بالشؤون الادبية العلمية والعملية أو السياسية أو الشخصية . أما الشخصية فأكثرها استفتاءات خاصة شرعية من دينية ودنيوية ، غير ما يطلب نشره في المنار ، وأقلها طلب مساعدات مالية أو شفاعات . وأما العلمية فمثل طلب الاخ محمد عبد الغفار ، وكلها مبنية مثل ما حاجتي من التبعية والمسؤولية بسبب الشهرة العلمية . ومن أغربها أن بعض المؤلفين المعاصرين طلبوا مني قراءة ما ألفوا والشهادة لها بأنها جديرة بأن تدرس في المدارس الاسلامية لعامة المسلمين على ان بعضها لاهل السنة وبعضها لشيعة لميااين الى الوحدة الاسلامية مثلنا

(٨) كثرة الزائرين المختلفي الاغراض من اصدقاء اولياء ، ومن عفاة وطلاب حاجات ، ومن مستفتين ومشاورين في بعض الشؤون العامة أو الخاصة ، ومنهم من لا يذكر حاجته الا بعد بسط أخبار ووقائع طويلة ، ولو شرحت هذه الحاجات

لمعجب جميع القراء من ذكر الناس لمثلها ومن صبري عليهم .

(٩) النظر ولو اجمالاً في العشرات من الصحف السياسية والمجلات العلمية التي ترد من الاقطار المختلفة الموقوف الاجمالي على حال العالم وسياسته وسير العلم والادب والعمران ويناسب هذا النوع ما يهدي الى المجلة من الكتب والرسائل التي تنشر في كل آن ولا بد من النظر فيه بقدر ما تسمح به الفرص ، وانا مقصر فيه لضيق وقتي

(١٠) ما اضطر اليه من نشر بعض المقالات في الصحف اليومية كالقالات التي نشرت في سياسة الملك حسين بن علي واولاده ، ومقالات الخلافة ، وما فعل الترك بخلافتهم وراطبتهم ، ومقالات (الوهابيون والحجاز) والرد على كتاب الاسلام واصول الحكم

انني وايم الحق لعاجز عما يرضي الناس في الامر السابع من هذه الامور العشرة وهو الذي يظن اصحابه وغيرهم انه أهونها ، وأعني به الكتابة إلي في الشؤون المختلفة ، فانه لانا تبني المكتوبات أحياناً وأنا مشغول بكتابة موضوع أو أكثر لاجل عمال المطبعة - وبصحيح كراسة أو أكثر لاشتغل بها مصححها فأقرأ بعضها وأرجى . قراءة بعض الى فرصة لا نستلزم تعطيل عمل لا بد منه ، وقد أعهد الى وكيل الادارة بقراءتها واخباري بما فيها عند فرصة فراغ من الضروريات اذا كان خاصاني - وان هذا الأرجاء قد يفضي الى اجتماع عشرات من هذه المكتوبات أمامي فتمر الايام والاسابيع ولا أجد وقتاً لقراءتها ، حتى اذا سنحت فرصة فراغ من الضروريات أكتب لصاحب الحق الاول فالاول موضوعاً أو زبناً ، وقد أكتب الى الرجل الواحد مرجوع كتاب له في الامور العامة في بضعة قراطيس . ومن هذه المكتوبات ما يرد بلغة لا أعرفها وليس عندي من يترجمه لي ، فيتأخر عندي الى أن أجده مترجماً ثقة أميناً ، ومن ذلك ما كتبه الى ادارة المدرسة الجامعة الاسلامية في عليكرة (الهند) في اختيار أستاذ للعربية فيها . كتبت الي باللغة الانكليزية وأرسلت مع كتابها نظام المدرسة ومنهج التعليم فيها وكلاهما بالانكليزية ليعرضا على الاستاذ الذي اختاره لها ، فالقيام بحقوق الناس في الرد على مكتوباتهم لا يتم لي الا بمساعدة كتاب ومترجمين موظفين ، ولست قادراً على ذلك

بعد هذا التمهيد العام للمعذر أقول - عودا على بدء - :

(ثانيا) قد كان من المتعذر علي أن أجيب طالب الاخ محمد عبد الغفار عقب وصول كتابه لو كان صاحب الحق الاول ، فانه طالب تعيين موعد خاص لاطلاعه على ما عندي من سيرة السيد جمال الدين ولم أكن أملك وقتا يتسع لذلك مع الاعمال الضرورية اليومية التي لا يمكن تأخيرها . وأما الزيارة فهي عندي مباحة في عامة أوقاتي لاني أشغل في حضرة الزائرين معتذرا لهم ، وأحدثهم في أثناء العمل ولو كان تفسير القرآن الحكيم أو الافتاء ، ولولا هذا لاضطرت الى رد أكثر الزائرين ، وهو لم يكن يريد هذه الزيارة غير المقيدة بما طلبه ، والا لزارني كما زار غيري من الرجال الرسميين وغير الرسميين ، فزيارتي أسهل من زيارتهم ،

(ثالثا) لم يكن يخطر في بالي أن يكون وقت إقامته بمصر لمثل هذا العمل وغيره من الاعمال التجارية أياما تعد على الاصابع يتحكم فيها بوقت غيره المجهول عنده كما يتحكم في عماله وخدمه الواصلين من استطاعتهم على طاعته متى شاء ، بل ليس من المعقول عندي أن يكفي مثل هذا الوقت لاخذ مواد كافية لتأليفه من معاهد العلم العامة كخزانة الكتب المصرية مثلا ، لذلك كنت أظن أننا لا بد أن نلتقي وأن تبليغه بالتلفون الاستعداد لمقابلته كل يوم هو كل ما يجب علي

(رابعا) إن منه علي بحفاوة مسلمي الهند بي لم يكن لا ثقافته ، وإن جعله حجة علي أنه يجب علي أن أقابل كل هندي بمثله واتهامي تعريضا بل تعصيفا بعدم الوفاء ومقابلة الجميل بمثله بعيد عن اللياقة وعن الصواب جميعا

إن جمعية ندوة العلماء دعيتني الى رئاسة مؤتمرها السنوي رجاء أن يكون ذلك سببا لاقبال الجمهور علي المؤتمر . . . واني أجبت دعوتها في وقت كنت مشغولا فيه بتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد التي أعتقد انها أفضل عمل وضع لخدمة الاسلام في هذا العصر ووافقتني على اعتقادي هذا كل من وقف على كنهه من خواص مسلمي العرب والعجم حتى في الهند والاسنة كما انني كنت عازما على الزواج ، تركت هذا وذاك إجابة لدعوة الندوة ، وسافرت على نفقة نفسي لا على نفقتها كما هو المعتاد في مثل هذه الدعوة ، وقد احتفى بي المسلمون في كل

بلد زرتة كما قال وفوق ما قال ، وما كان لذلك من سبب الا لاعتقادهم انني اخدم الاسلام والمسلمين لوجه الله تعالى ، وكنت أعلنت انني لا أقبل من أحد مساعدة ما ولو باسم الهدية السنوية ، حتى ان آنية الشاي الفضية التي صاقتها الندوة تذكراً لزيارتي ونقشت عليها اسمها واسمي لم أقبل أن آخذها منها ، ولكنها أرسلتها الى صديقي المحسن الكبير الشيخ قاسم ابراهيم الشهير في بمبي وهو أرسلها الي مصر ، احتفوا بي بداعية الاخلاص كما أجبت دعوة ندوتهم بمحض الاخلاص ، وأنفقت من المال والوقت في هذه السبيل فوق ما أنفقت هي في الحفاوة بي ، وهي جماعة وأنا فرد ، وانما سدى ذلك ولحمته الاخلاص ، فلا يليق بأحد منا أن يهبط هذا الاخلاص ، ولا أن يشوهه بالمن والاذى ، ولا أن يوجب لنفسه على الآخر به حقاً ويهدده بالتشهير العلني والاهانة على التقصير فيه

(خامسا) انني لست من عشاق التعظيم والحفاوة ، ولا من المفتونين بالشهرة ، ولذلك لم اكتب ولم أوعز الى احد من اخواني أو تلاميذي ان ينشر في الجرائد أخبار تلك الاحتفالات العظيمة التي كنت أفر منها ، حتى لم أكن اخبر من تلقاء نفسي بلدة من البلاد بوقت وصولي اليها ،

(سادسا) انني على هذا وذاك ما قصرت وان أقصر ان شاء الله تعالى في الشكر والثناء الخالص على مسلمي الهند عامة وعلى الذين تفضلوا باكرامي منهم خاصة لا خلاصهم في تلك الحفاوة وفي عامة شؤونهم المالية ، وغيرتهم الدينية ، وما زالت افضل مسلمي الهند على سائر الشعوب الاسلامية في شعور الجامعة الاسلامية وبذل النفس والنفس في سبيله ، واعترف بأنه لا يباريهم في هذا غيرهم . على ان ضياقتي وتكريمي من قومي العرب في بمبي ومسقط والكويت والعراق كانت أكبر مظاهر الكرم وبمحض الاخلاص أيضا ، وهل أستطيع ان أكون جميع هؤلاء الناس بمنزل ما يطالبني به هذا الفاضل الهندي ؟

(سابعا) انني لما ذكرت من رأيي في مسلمي الهند أراني اشد ارياحا لزيارة فضلائهم لي من زيارة غيرهم ، وقد زارني أعضاء الوفد الذي أرسلته جمعية الخلافة الى الحجاز قبل موسم الحج الاخير في صبيحة الليلة التي وصلوا فيها الى مصر عائدين من

جدة — ولكن بغير توسل بأحد، ولا بإرسال مكاتبات ورسائل، ولا بطلب تحديد موعد كتابي معين — وكنت في ذلك الوقت مشغولا بالنقلة من دار الى دار : نقلة المتاع والماعون والمكتبة والمطبعة جميعا، ولا يوجد عندى من يقوم بمقامي في الامر بوضع كل شيء في موضعه من الدار الجديدة ، فكنت اترك الناقلين يلقون ما ينقلون بعضه فوق بعض، واشغل الزمن الطويل مع أعضاء الوفد، فتلف بذلك بعض الاثاث والماعون وقد بعض، وبقيت كتيبي الخاصة وأوراقى ملقاة على الارض اكثر من اسبوعين لا يمكن تمييز بعضها من بعض، بل عرضت نفسي ل نزلة صدرية بالذهاب معهم الى أهرام الجيزة مساء بالسيارة وأنا في ملابس خفيفة لا تقي تأثير تيار الهواء. ولما سافروا ودعهم في محطة السكة الحديدية ، وأعترف مع هذا بأنني مقصر اذ لم أقم بحق ضيافتهم لان الدار لم تكن صالحة لذلك.

وليعلم الاخ الكريم محمد عبد الغفار انه لو لم يكن من مسلمى الهند ومن يعنون بتاريخ حكيمنا السيد جمال الدين لما عنيت بالذهاب الى محطة مصر للاعتذار له بعد ان رأيت ما في كتابهم الشذوذ الادبي والتهديد والوعيد اللذين لا يبالي بهما تعالى عن لا يخاف ولا يرجو غير الله تعالى ولا يقابل أصحاب التهديد والوعيد الا بالاعراض ولست أبالي من رمانى برية اذا كنت عند الله غير مرعب (ثامنا) انني من أشد الناس مقنا للعداينة وتكالف المدح والكاذب والاطراء كما انني من فضل الله علي من أقلمهم بمبالاة بالمدح والذم الشرعيين ، حتى انني لا أحفل بقراءة ذلك اذا قيل لي انه نشر في جريدة كذا مثلا ، ولكنني أبحث عن عيوبى بعرض عملي على أهل النقد ، وبسؤل أهل الصدق والاخلاص عما ينكرونه علي أو مني لاستعين بذلك على تربية نفسي ، وإتقان عملي وانني أعلم أن كراهتي للتملق والنفاق اسخطت علي كثيرا من الناس ، وأن الإدارة مطلوبة شرعا وعقلا ، ولكن من الناس من لا يرضيهم الا الكذب وقول الزور ويعدون من يتحامى الاطراء بالباطل مقصرا في حقهم أو مهينا لهم أو متكبرا عليهم ، وأمثال هؤلاء لا حيلة لي في إرضائهم ، على انى ابرأ الى الله تعالى أن أتمد التحقير أو التخصير في حق أحد منهم أو من غيرهم

ومن دون هذا الصنف صنف آخر خير منه وأنا عاجز عن إرضاء أفراد
حتى المخلصين في المودة منهم، وأعني بهم أهل المساومة والمشاحة في المعاشرة للربح
أو المساواة : زيارة بزيارة ، ودعوة بدعوة ، وتهنئة بتهنئة ، وتعزية بتعزية ،
وكتاب بكتاب ، كما قال الحريري :

وكلت للخل كما كال لي علي وفاء الكيل أو بنحسه
فأنا لأعد هذه الطريقة من الحلة ولا الصداقة الخالصة ، كما قلت في المقصورة
من كال للخل كما كال له فتاجر ليس خابلاً يصطفى
فلا ألزم تهنئة أصدقائي في الأعياد بزيارة قريب الديار ومكانة بعيدها
ولا أطالبهم بذلك ولا ألومهم على تركه ، وإنما أزور واكتب عند سوح الفرص ،
وابني الصداقة على أساس الصدق والاخلاص وترك التكلف ، وعدم الظنة ، فلا أتهم
أحداً بتعمد التقصير في حقى ، كما اتى لأتعمد التقصير في حق أحد ، وأكره أن
يتمني بذلك لأنه ظلم ، ولا أعاشر أحداً لاجل أن أتفجع منه نفعا مادياً ، وأبكتني
قد أزور من أرجو أن استفيد من رايه ومذاكرته وإن لم يكن صديقاً لي

وجملة القول انني افترصت هذا التثريب والتأنيب من احد إخواننا فضلاء
الهند (على قبول عذر من اعتذر عنه ان وافقهم عليه) لابين حقيقة حالي لقراء
المنار البعيد منهم والقريب ، فأننى أعلم أن بعض من لم يعرف هذه الحقيقة ينكرون
علي مالا أنكره من التقصير في مكاتبتهم أو زيارتهم ، أو قضاء حاجتهم ، وإيما أنكر
تعمد ذلك ، وأعترف بالعجز ، فما يطالب مني هو في الغالب فوق استطاعتي ، وكله
ببنى على الأساس الذي بنى عليه هذا الوجه الهندي ، أي الشهرة بالعالم وخدمة الاسلام
حتى ان الذين يطلبون مني المنار وتفسير المنار وغيره بنصف ثمن أو بغير ثمن ،
وكذا الذين يطلبون المساعدات المالية يقولون ويكتبون الي بأنها واجبة علي لما
ذكر ، ولكن لم يساعدني احد من المسلمين مساعدة مالية أستعين بها على خدمة
الاسلام والمسلمين بمثل ما ذكر ولا أنا صاحب عقار أنفق منه بل لأملك داراً أقيم
بها ، بل أكثر مشتركى المنار يطالون بحقه مطالاً ومنهم من يبضه هضماً . وأنا
علم أن هذا البيان غير معتاد ولا مألوف في العرف العام ، وقد ينقده بعض الناس

ولكن أهل الصدق والاخلاص يعلمون انه حق صادر عن صدق وإخلاص ،
وانني أخلص عذري بهذه الكلمة :

إنني قد ابتليت بشهرة هي أكبر مني ولم أوت من العلم ولا من المال ما يسهل
عليّ القيام بأعبائها ، وأنا أنحمل أثقالها بالرغم مني ، كما قال لي أحد كبار ضباط
الانكليز عند ما رأي متبرعاً من تضيقهم علي في الاذن بالسفر الى سورية بعد
الحرب الكبرى : ان الشهرة الكبيرة تلزمها أثقال كبيرة لا بد من الصبر عليها. فأنا
ضعيف في كل شيء ، وأطالب بما لا يقدر عليه إلا جماعة من الأقوياء ذات إدارة غنية
منظمة ، لا أستطيع اجابة كل سائل ، ولا مراسلة كل مرسل ، ولا سماع القصص والوقائع
الشخصية من كل قائل ، ولارد زيارة كل زائر ، ولكنتي — وأقسم بالله — لا أنعمد
التقصير في حق أحد استهانة به أو تفضيلاً لنفسي عليه ، وانني أرجح المصلحة
العامة ومصالح بعض الناس أحياناً على مصلحتي الشخصية ولولا ذلك لما تأخرت مجلة
المنار عن موعد ما يوماً واحداً . على اني لا أتهم أحداً بالتقصير في حق ، ولا
أأخذ عليه بقول ولا عمل ، وإنما أعاتب الاخوان المخلصين لذلك بالعتاب ، وأجتهد
بقدر استطاعتي في مساعدة كل منهم على خدمته الملة والامة ، وفي قضاء حاجته
الشخصية أيضاً. واذا كانوا يصفون بالانصاف قول الشاعر الذي ضرب بوابه المثل
على انني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

فأنا أرضى بأن أحمله وأخلص منه وعلي أكثر مما لي ، فمن رضي بهذه
المعاملة فعلى الرحب والسعة ، والمقابلة بالترحيب والترجييب ، ومن لم يرض بذلك
وهو منتهى ما في الوسع بل فوقه ، فما له عندي الا قول بعض شيوخ الصوفية :

غنيانا بنا عن كل من لا يزورنا وان كثرت أوصافه ونعمته

فمن جاءنا يامرحباً بقدومه يجد عندنا وداً صحيحاً ثبوته

ومن صد عنا حسبه الصد والجفا ومن قاتنا يكفيه أنا نفوته

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم من ذنب التبجح والدعوى ومن كل

ذنب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير

منشور عام (١)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى اخواننا المسلمين في
مشارك الارض ومقاربتها

الحمد لله الذي لا اله الا هو : والصلاة والسلام على رسوله محمد الشفيع المصطفى
يوم المحشر (وبعد) فقد تفاوضت أنا والوفد الهندي الموقر من جمعية الخلافة
الهندية وجمعية العلماء في المسائل التي يهم المسلمين الاطلاع عليها ، والوقوف على
حقيقة أفكارنا تجاهها . وكان رائد الجميع الاخلاص في العمل ، والصراحة في
القول ، والنصح لله ورسوله والمسلمين ، واني أحمد الله على أن انتهى البحث
في جميع المسائل التي دارت المفاوضة فيها .

واني دحضاً لما يفتريه أعداء الحق ونصره الباطل ممن يستغلون التفرقة بين
المسلمين ويحاولون أن يطفئوا نور الله بسعيهم الباطل للتمويه على قلوب السذج
من المسلمين الذين يجهلون حقيقة ما نحن عليه ، أعلن ما يأتي (ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة) .

(١) أشكر الشعوب التي وقفت تجاهنا موقف المدافع عن الحق وأشكر الشعب
الهندي خصوصاً على موقفه تجاه العرب وقضيتهم في الوقت الذي اشتغل العرب
فيه بالمشاحنات والمخاصمات ونسوا واجبه نحو دينهم ووطنهم ، واني أشكر أهل الهند
لأنهم كانوا أول من أبى الدعوة فجزام الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء

(٢) اني لا أزال عند قلبي فيما دعوت العالم الاسلامي اليه من وجوب عقد
مؤتمر عام ينظر في الامور التي تهتم سائر المسلمين في الحجاز من اصلاح الطرق
وتأمينها ، وتوفير وسائل الراحة لكل وافد ، وتسهيل المواصلات بقدر ما يمكن
وبذلك تتحمل نحن واياهم مسئولية إدارة الحجاز ، وتستجدد الدعوة لهذا المؤتمر
الاسلامي متى تمهدت وسائل المواصلات

(٣) اننا نحافظ على استقلال الحجاز الاستقلال التام محافظتنا على ارواحنا

(١) نقل عن العدد ٣٠ من جريدة أم القرى التي تصدر بمكة المكرمة

واننا لا نسمح أن يكون لغير المسلمين أي نفوذ فيه ، محافظة على ديننا وشرفنا
(٤) ان الشريعة الاسلامية هي القانون العام الذي يجري العمل على وقته
في البلاد المقدسة وإن السلف الصالح وأئمة المذاهب الاربعة هم قدوتنا في السير
على الطريق القويم ، وسيكون العلماء المحققون من جميع الامصار هم المرجع لكل
المسائل التي تحتاج الى تمحيص ونظر ثاقب

(٥) اني أؤكد لكم القول أن المدينة المنورة لا تزال حرماً آمناً لا يصح ان
يحدث فيه حدث من قتل او سلب او نهب، وصونا لشرفها ، اكتفيت بحصارها،
على ما في ذلك من طول وقت وخسائر مالية ، واني استطيع بحول الله وقوته ان
أفترقها في ساعة واحدة ، ولكني حريص على سلامة البلاد والعباد . واني مشدد
الأوامر على الجنود الا يهاجموا حرم المدينة بأي صورة ، ولا يدخلوها حتى
يستسلم العدو ، وان ما فيهما من المباني والمآثر يكون العمل فيه على ما تقدم في المادة السابقة
ان أعداءنا يشيعون اننا اذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى
الله عليه وسلم ، وحاشا ان يحدث نفس مسلم بذلك ، اني افتديها بنفسي وولدي
ومالي ورجالي ، واني لا اجد فرقا بين ما حرم الله ورسوله من حرم مكة والمدينة
فانه صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها ، كما حرم سيدنا ابراهيم حرم مكة —
واسأل الله ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣

(المنار) قد أجمع العارفون على ان النجديين لو واصلوا زحفهم بعد كسر
جيوش الملك حسين في الطائف والهداوكرا لاستولوا على مكة وجدة وسائر الحجاز
بدون قتال لانه لم يبق وراء تلك القوة قوة فيه للملك حسين ولا استولوا على كنوزه
كلها ، ولكن السلطان عبد العزيز يكره سفك الدماء ويتقي القتال في الحرم تدبنا
فأمر بوقف جيشه فوقف حتى جاء بنفسه ودخل مكة مع جيشه محرماً بالعمرة ،
ثم تأنى حتى مكن حسينا وأولاده من تحصين جدة، وترك الزحف على المدينة الى
هذا العام فأمر بحصر حامية الشريف علي فيها ، وأصدر هذا المنشور ليعلم العالم
الاسلامي بغرضه الشريف وليحتاط لبهتان الشريف علي ويتقي اتهامه بضرب
المدينة أو حرمانها المنيع لو دخلها فاتحاً بل يستحل علي وقواده فعل ذلك ليهتموا
الوها بيبين به ، كما فعل والده اذ أمر بضرب الكعبة المشرفة بالنار واتهم بذلك الترك
عند ما قاتلهم بمكة

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كثيرا ، وما
يذكر الا أولو
الالباب)

المعراج
١٣١٥

(فبشر عبّادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه أولئك
الذين هدام الله
وأولئك هم أولو
الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ صفر سنة ١٣٤٤ - ٢٥ برج السنبلة سنة ١٣٠٤ هـ ش ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥

أسرار البلاغة أو فلسفة البيان

تسلك بعض الباغاء من علماء العربية في طرق البيان وبلاغة الكلام وفصاحته كلاماً اجمالياً حتى جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس فوضع القواعد والاصول لعلم البيان بكتابه أسرار البلاغة ولعلم المعاني بكتابه دلائل الإعجاز ، وسلك فيها مسلك الفلسفة العقلية وعلم النفس ، فعلمنا من كتابيه أن البلاغة عبارة عن إصابة موقع الاقناع من العقل ، والتأثير من القلب ، فانه يثبت لك بلاغة الكلام بارجاعك فيه الى ما تجده في نفسك من تأثيره وروعته والارتياح له ، والتفرقة بينه وبين ما يؤدي معناه من غير البليغ ، ويشرح لك ذلك حتى يقنع به جنانك ، ويطمئن به وجدانك ، بعبارة فصيحة هي أظهر مصداق لقواعده ومثال لفلسفته ، فهو يفيدك العلم والعمل معا بعبارته وأسلوبه

ثم ان الذين أخذوا عنه هذا العلم زادوا عليه في القواعد والاحكام ، وحكوه فيما وضعوه من الحدود والرسوم لبلاغة الكلام ، ولكن فاتهم فلسفته ، وعدتهم بلاغة عبارته ، فكانوا كما قال الشاعر : لقد حكيت ولكن فانك الشنب * فانهم جعلوا احكام البيان مواضع اصطلاحية ، لاشكال التراكيب اللفظية ، لا مرجع لها من علم النفس ، ولا مستند لها من حكم العقل ولا من وجدان النفس ، كما كون التمثيل - الاستعارة التمثيلية - عبارة عن تشبيه هيئة بهيئة تناسبها ، كجملة مالي أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . وأما كون التمثيل أعلى مراتب البيان ، وأبلغ ما يفضل به الكلام الكلام ، وسبب هذا وسره . فهو ما لم يعرضوا له ، ولم يتبعوا إمامهم في البحث عنه ، ولا في سائر خصائص محاسن الكلام من التشبيه بأنواعه الأخرى من صريح واستعارة ، والتعريض والكناية ، فكانت قواعد البلاغة وأحكام البيان عندهم اصطلاحات لفظية جافة تؤخذ بالايمان والتسليم كأنها أخبار الرسل عليهم السلام عن عالم الغيب ، وتطبق على كل قول وان كان له من السخف أوفر نصيب ،

لهذا لم تعد كتب علوم البلاغة تفيد قارئها البلاغة ولا تساعد عليها ، بل ربما صارت صادة له عنها ، وحائلة دونها ، فكأن من مدراس قرأ أدق كتبها كشرحي السعد للتلخيص مراراً مع حواشيها الطويلة المريضة وكان بعد ذلك

كله عاجزاً عن فهم كلام البلغاء ووجه تفضيله على غيره ، دع عجزه عن ارتجال خطبة أو نظم قصيدة أو كتابة رسالة مما يصح أن يوصف بالبلاغة إلا أن يكون من وصف الجاهل الناقص الذوق لكلامه أو كلام أمثاله بما يراه في مرآته ؛ أو من التحكم في تطبيق كل كلام على تلك القواعد الاصطلاحية ، التي لا يعرفون لها مدركاً علمياً ولا نفسياً ، كتشبيه حسن فهمي أفندي أحد مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية للخذ بالسفرجل تقليداً لمن شبهوه بالفتح بقوله * وقلبي هام في خد سفرجل * وكقوله

حمد البلبل في الأغصان سبعان لذلك جاد على الناطور بستان

اقتبس علماء البيان الأولون من عبد القاهر كالكافي والخطيب ثم فقد كتاباه ونسي ذكرهما مدة بضعة قرون حتى إن بعض من ترجمه من المؤرخين لم يذكرهما ، وأعيان طلبهما بعض كبار أمراء العلم والحكم كالإمام يحيى اليمني صاحب كتاب (الطراز في علوم الاعجاز) حتى هدانا الله تعالى إلى بحث بعض نسخها من مقابر خزانات الكتب الخاصة في هذا القرن فطبعناها وأحيانا شيخنا الأستاذ الإمام بتدريسهما في الجامع الأزهر فكان ذلك سبباً لارتقاء فنون البلاغة وملكتها وارتقاء آداب العربية من طور إلى طور في القطر المصري عامة وفي الأزهر خاصة ، وإن خفي هذا السبب على الغافلين الذين لا يشعرون بأسباب الاطوار التي تطرأ على الأمم ومسبباتها وارتباط بعضها ببعض ، فقد صار يوجد في الأزهر عشرات من الكتاب المجيدين ولم تكن تقدر أن تعد على أنامل أحد منهم غير القدماء من تلاميذ السيد جمال الدين وتلاميذ الأستاذ الإمام في إبان النهضة الجمالية ومن أشهر الكتاب الذين طار ذكرهم من حضروا الكنائس على الأستاذ الإمام المرحوم السيد مصطفى المنفلوطي

بل أقول إن جميع الذين قرؤا الكتابين كليهما أو أحدهما حتى في بلاد الأعاجم قد ارتقت ملكة البيان فيهم شعروا بذلك أم لا وإنما يشعر بمثل هذا أصحاب الودعية والعقل الفقيه . فقد كتب إلى صديقي أكتب الكتاب وأخطب خطباء مسلمي الهند الشيخ أبو الكلام أحمد المجدد الشهير يذكر لي أول عهده بعرفتي قبل تلاقينا في الهند سنة ١٣٣٠ من كتاب طويل كتبه أثر خروجه من السجن بعد الحرب مانعه .

« وماذا أستطيع أن أقول عن نفسي غير أن قلبي ممتليء بالاعتراف لكم بخدماتكم الجليلة العلمية والعملية ، فاني أحبك وأحب من يحبكم ، ولا غرو فاني قد عرفتكم في صباي لما كنت أقرأ شرح التلخيص للتفتازاني فقرأت أسرار البلاغة ومقدمتكم عليه فانفتح علي باب المعرفة الصحيحة ، وهذا أول عهدي بكم * أتاني هواها ألخ » ثم ذكر اطلاعه علي المنار وما كان من تأثيره في نفسه مما ليس من موضوعنا

وأقول انني رأيت من قوة فهمه للغة العربية أنني كنت ألتقي الخطبة في الهند في ساعتين أو أكثر من الزمن فيقوم هو فيعيد لها باللغة الاوردية لا يفوته منها شيء كنت عند طبعي لأسرار البلاغة سنة ١٣١٩ نشرت نبذة منه على سبيل النموذج وقد رأيت أن انشر عند إعادة طبعه الآن نموذجا أطول من ذلك النموذج ليكون مثالا وصفت ، ودليلا على ما قررت ، قال مؤلفه رحمه الله تعالي

(فصل)

في مواقع التمثيل وتأثيره

واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشب من نازها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الافئدة صباية وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطىها محبة وشفقة فان كان مدحا كان ابهى وانخم ، وانبل في النفوس واعظم ، وأهز للعطف ، وأسرع للالف ، واجلب للفرح ، واغلب على الممتدح ، واوجب شفاعا للمادح . وانضى له بغير المواعب والمنازع ، واسير على الاسن واذكر ، واولى بأن تعاقه القلوب واجدر

وان كان ذما كان مسمه او جمع ، وميسمه الذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد ،
وان كان حجاجا كان برهانه أنور . وسلطانه اقهر ، وبيانه أبهر
وان كان افتخارا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجدر ، ولسانه ألد (١)
وان كان اعتذارا كان الى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ،
وللسخائم أسل ، ولعرب الغضب أفل ، وفي عقد العقود أنفث ، وعلى
حسن الرجوع أبعث (٢)

وان كان وعظا كان اشفى للصدر ، وادعى للفكر ، وابلغ في التنبيه
والزجر ، واجدر بأن يجلي الغياية ، (٣) ويصير الغاية ، ويبري
العليل ، ويشفي الغليل

وهكذا الحكم اذا استقرت فنون القول وضروبه وتبعته أبوابه
وشعوبه (٤) وان أردت أن تعرف ذلك وان كان ثقل الحاجة فيه الى

(١) الشأوالشبق والغاية والامد . وقوله أجدر أي اعظم والال الشديدا لخصومة
(٢) السخائم الضغائن ، وسلها نزعا واستغراجا ، وغرب السيف حده
وقل السيف ثلمه ، والنفث في العقد هو التفخ فيها مع إلقاء شيء من الريق عليها لاجل
تسهيل حلها ومنه نفث الراقي في العقد التي يعقدها ثم يحلها يوم بذلك الناس انه
أبرم بعقدها رابطة المحبة بين فلان وفلانة وبحلها انه حل ذلك العقد وأبطل ذلك
الارتباط بسحره ، وان الكلام البليغ ليفعل بحسن التمثيل في حل عقد العقود ما لا
يفعل السحر ، وان من البيان لسحرا (٣) الغياية بياءين مشتاتين كل ما أظلك
من فوق رأسك وقد ذكرنا لكل نوع مما ذكره المصنف من أنواع الكلام أمثلة
من القرآن المجيد ومن كلام بلغاء البشر

(٤) يشير المصنف الى سائر مناحي الكلام كالغزل والرثاء والوصف والشكوى
وهي مع الذي ذكره وشائج متشابكة ، وامشاج متمازجة . وأهمها الوصف فهو
الطويل الذيل ، المتدفق السيل ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى : (ثم استوى

التعريف، ويستغنى في الوقوف عليه عن التوقيف فانظر الى نحو قول البحري

الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين (ومثله قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي) الآية ومنها قوله تعالى (ألم نركبك ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) وقوله بعده (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار) وهكذا الحق يثبت والباطل يزهد . ومن ذلك الرؤى فانها تمثيل للواقع الذي تعبر به كالرؤى المذكورة في سورة يوسف عليه السلام ومثاله من الشعر قول ابن النبيه :

والليل تجري الداراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره
وقول بعضهم في وصف الكاس يعلوها الحباب والساقى . (أوهذا من تعدد التشبيه)
وكانها وكأن حامل كأسها اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء
وفي وصف الامير والجيش :

يهز الجيش حولك جانبيه كما تفضت جناحيها العقاب

ومنه قولنا في المقصورة في وصف الوفاق :

لم نختلف في مبتدا مسألة الا وكان للوفاق المنتهى
كن على المحيط من دائرة انى تفارقا فبعد ملتقى

وقولنا منها في وصف روضة :

والشمس تبدو من خلال دوحها آونة تخفى وطورا تجتلى
كفادة وضاحة قد أتلت من خلل السجوف ترنو والكوى
تلقى على الروض نثير عسجد فتحسب الروض عروسان تجتلى

وقولنا منها .

والباسقات رفعت اكفها تستنزل الغيث وتطلب الندى

ثبت في العلوم الطبيعية أن الاشجار تكون سببا لنزول المطر فثلث هنا

بحال المستسقين يجاب دعاؤهم . ويليه قولنا

يمتلج الكربون من ضرع الهوا تؤثرنا بالاكسجين المنتسقى

داين على ايدي العفاة وشاسع عن كل ندي في الندي وضريب (١)
 كالبدرا فرط في العلو وضوءه للمصبة السارين جد قريب (٢)
 وفكر في حالك وحال المعنى معك وانت في البيت الاول لم تنته الى
 الثاني ولم تتدبر نصرتك لياه ، وتمثيله له فيما يلي على الانسان عيناه ، ويؤدي
 اليه ناظره ، ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ،
 فانك تعلم بعد ما بين حالتك ، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك ،
 وبسبب اليك ، ونبله في نفسك ، وتوفيره لانك ، وتحكم لي بالصدق

ومعناه أن الاشجار الباسقة ترضع غاز الكربون وتمتصه من الهواء تنفسي
 به وهو سام لنا وتترك لنا اكسجين الهواء المطهر للدم في ابداننا باستنشاقنا له
 في الهواء فتات بحال حي عاقل ينتزع ما يضر الناس ويؤثرهم بما ينفعهم
 وقول ابن دريد في وصف النوق :

يرسبن في بحر الدجي وفي الضحى يطفون في الآل اذا الآل طفا
 ومن أحسن ما يدخل من التمثيل في باب الغراميات قول الجنون
 وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل بي النقض والايام حتى علانيا
 وقوله :

كأن القاب ليلة قيل يُعدى بايلي العامرية أو يراح
 قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
 وقول بعضهم :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقم السهام ونزعهن أليم
 وقول الآخر :

اني واياك كالصادي رأيته لا ودونه هوة يخشى بها التلغا
 رأي بعينه ماء عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا

ومن الامثال التي تدخل من باب الشكوى « ليس لها راع ولكن حلبة » حلبة
 بالتحريك جم حالب والمثل يضرب للامة المظلومة . و « لو كويت على داء لم اكره »
 يضرب لمن يعاقب على غير ذنب . و « سال بهم السيل وجاش بنا البحر »
 (١) الضريب المثل والنظير (٢) أي بالغ الغاية في التقرب

فيما قلت ؛ والحق فيما ادعيت ، (١)
وكذلك فتم هذا الفرق بين أن تقول : فلان يكذب نفسه في قراءة الكتب
ولا يفهم منها شيئاً ، وتسكت . وبين أن تتلو الآية وتنشد قول الشاعر (٢)
زوامل الاشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الباعر (٣)
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا بأوسافه أو راح مافي الغرائر
والفصل بين أن تقول « أرى قوما لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك
مخبر ، بل في الاخلاق دقة ، وفي الكرم ضعف وقلة ، » وتقطع الكلام ،
وبين أن تتبعه نحو قول الحكيم : أما البيت فحسن ، وأما الساكن فردي .
وقول ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثل له رواء وما له ثمر
وقول ابن الرومي

فغدا كالخلاف يورق للعي ن ويأبى الاثمار كل الباء
وقول الآخر :

فان طرة راقك فانظر فرما أمر (٤) مذاق المود والمودأخضر
وانظر الى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجره ويشمر ، ويفتر
ثمره ويديسم ، وكيف تشتار الاربي من مذاقته ، (٥) كما تربي الحسن في
شارته (٦) وانشد قول ابن لنكك :

(١) مثال المدح ويتلوه مثال الذم (٢) الآية قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » والشاعر مروان بن سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يهجو قوما من رواة الشعر ، رواه ابن بري (ش) (٣) الزوامل جمع زاملة وهي التي يحمل عليها من الابل وغيرها والاباعر جمع بعير (٤) أمر صار مرآ كمر الثلاثي (٥) الاربي العسل واشتیاره اجتناؤه (٦) تطلق الشارة على الهيئة واللباس

٣٥٢ الفرق بين تأثير الكلام في التمثيل وعدمه المنارج ٥ م ٢٦

إذا أخو الحسن أضحي فعله سمجا رأيت صورته من اقبح الصور
وتبين المعنى وأعرف مقداره ثم انشد البيت بعده :

وهبك كالشمس في حسن ألم ترنا نفر منها إذا مالت إلى الضرر

وانظر كيف يزيد شرفه عندك ، وهكذا فتأمل بيت أبي تمام : (١)

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذي يليه ، والتمثيل الذي يؤديه ، واستقص في

مرّف قيمته ، على وضوح معناه وحسن مزينه (٢) ثم أتبعه آياه :

ولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلتها ، واظهر المكنون من حسنه وزينته ،

وعطارك برف عوده ، وأراك النضرة في عوده ، وطلم عليك من مطلع

سموده ، واستكمل فضله في النفس ونبله ، واستحق التقديم كله ، إلا بالبيت

الآخر ، وما فيه من التمثيل والتصوير ،

وكذلك فرق في بيت المتنبي :

ومن يك ذا فم صرّ صريض يجد مرآبه الماء الزلالا

لو كان سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك : ان الجاهل الفاسد

الطبع يتصور المعنى بغير صورته ويخيل إليه في الصواب انه خطأ . هل

كنت تجد هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقذه (٣)

وقمه وردعه ، والتهجين له والكشف عن نقصه ، ما بلغ التمثيل في البيت

وينتهي إلى حيث انتهى

(١) شروع في مثال الحجاج « ٢ » وفي نسخة بزته « ٣ » وقم الرجل قهره

واذله وردّه عن حاجته اقبح الرد . والوقد الضرب القاتل بغير محذو يكون أطول

ألمأ وأشد تعذيبا ولا جله حرمت الموقوذة ويسند إلى الكلام تجوزا

وان أردت (١) اعتبار ذلك في الفن الذي هو اكرم وأشرف فقابل بين
 ان تقول : ان الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره ،
 وتقتصر عليه . وبين ان تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي
 يضيء للناس ويحرق نفسه » و يروى « مثل القتيلة تضى للناس وتحرق
 نفسها » (٢) وكذا فوازن بين قولك للرجل وانت تعظه « إنك لا تجزى على
 السيئة حسنة فلا تنر نفسك » وتمسك . وبين ان تقول في اثره « إنك
 لا تجني من الشوك العنب وانما تحصد ما تزرع » واشياء ذلك . وكذا بين
 ان تقول : لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه ونحوه . وبين ان تقول « لا تنثر
 الدر قدام الخنازير . أو لا تجمل الدر في أفواه الكلاب » وتنشد نحو قول
 الشافعي رحمه الله * أنثر ذرا بين سارحة الغنم * (٣) وكذا بين ان تقول : الدنيا
 لا تدوم ولا تبقى . وبين ان تقول « هي ظل زائل ، وعارية تسترد ، ووديعة
 تسترجع » وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « من في الدنيا ضيف
 وما في يديه عارية ، والضيف مرتحل والعارية مؤداة » وتنشد قول لبيد :

وما للمال والاهل ولا ودائع ولا بد يوما أن تُرد الودائع
 وقول الآخر :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار

(١) شروع في أسس الوعظ ولم يمثل للافتخار والاعتذار (٢) بهذا اللفظ
 رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي برزة بسند حسن (٣) المصراع الثاني
 * وأنثر منظوما لرعاية النعم * وهي أبيات قالها بمصر في اثر مجيئه اليها
 لما كلمه بعض اصحاب مالك وآخرها

فمن منح الجمال علما أضاعه ومن منم المستوجبين فقد ظلم

« المنار : ج ٢٦ م ٢٦ » « ٤٥ » « المجلد السادس والعشرون »

فهذه جملة من القول تخبر عن صيغ التمثيل وتخبر عن حال المعنى ، فاما القول في العلة والسبب : لم كان للتمثيل هذا التأثير ؟ وبيان جهته ومآناه ، وما الذي أوجبه واقتضاه ، فغيرها . واذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسبابا وعلا لا كل منها يقتضي أن يفهم المعنى بالتمثيل وينبل ، ويشرف ويكمل ، فاول ذلك وأظهره ان أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي الى جلي ، وتأنيتها بصريح بعد مكني ، وأن تردها في الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشأنه اعلم ، وثقتها به في المعرفة احكم ، نحو أن ننقلها عن العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر ، الى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لان العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ، كما قالوا « ليس الخبر كالمعاينة » (١) ولا الظن كاليقين . فلماذا يحصل بهذا العلم هذا الانس اعني الانس من جهة الاستحكام والقوة . وضرب آخر من الانس وهو ما يوجبه تقدم الالف كما قيل :

* ما الحب إلا للحبيب الاول *

ومعلوم أن العلم الاول أتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية ، فهو اذن امس بها رحما ، واقرى لديها ذمما ، واقدم لها صحبة ، وآكد عندها حرمة ، واذا نقاتها في الشيء بمثله عن

(١) هذه الجملة حديث نبوي رواه الطبراني في الاوسط والخطيب عن أبي هريرة . ورويناه مسلسلا بالاشراف عن شيخنا أبي المحاسن القواقجي ، ولا أذكر له رواية بزيادة ولا الظن كاليقين ورواه احمد والحاكم الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس بزيادة « ان الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في المعجل فلم يلق الا لوح فلما عين ما صنعوا أتى الا لوح فانكسرت »

المدرک بالعقل المحض ، وبالفكرة في القلب ، الى ما يدرك بالحراس أو يعلم بالطبع ، وعلى حد الضرورة ، فانت كمن يتوسل اليها للغريب بالحليم ، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، فانت اذن مع الشاعر وغير الشاعر اذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول هاهو ذا ، فأبصره تجده على ما وصفت

(فان قلت) ان الانس بالمشاهدة بعد الصفة والخبر انما يكون لزوال الريب والشك في الاكثر ، أفقول ان التمثيل انما أنس به لانه يصحح المذكور والصفة السابقة وبثبت أن كونها جائز ووجودها صحيح غير مستحيل حتى لا يكون تمثيل الا كذلك ؟ فالجواب أن المعاني التي يجيء التمثيل في عقبها على ضربين غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده وذلك نحو قوله :

فان تقى الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال
وذلك انه أراد انه فاق الانام وفاتهم الى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه أصل بنفسه ، وجنس برأسه ، وهذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به الى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس ، وبالمدعي له حاجة الى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة ، الى أن يجيء الى وجوده في المدوح . فاذا قال « فان المسك بعض دم الغزال » فقد احتج لدعواه وأبان أن لما ادعاه أصلا في الوجود ، وبرأ نفسه من صفة الكذب ، وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة ، والمتوسم في الدعوى من غير البينة . وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يعد في جنسه اذ لا يوجد

في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه لا ما قل ولا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتة (والضرب الثاني) أن لا يكون المعنى الممثل غريباً نادراً يحتاج في دعوى كونه على الجملة إلى بيينة وحجة وإثبات. نظير ذلك أن ينفي عن فعل من الأفعال التي يفعلها الإنسان الفائدة ويدعي أنه لا يحصل منه على طائل، ثم يمثله في ذلك بالقابض على الماء والرافم فيه، فالذي مثلت ليس بمنكر مستبدع، إذ لا ينكر خطأ الإنسان في فعله أو ظنه وأمله وطلبه. ألا ترى أن المغزى من قوله: (١)

فاصبحت من ليلي الغداة كقباض على الماء خائته فروج الأصابع أنه قد خاب في ظنه أنه يتمتع بها ويسعد بوصاها، وليس بمنكر ولا عجيب ولا ممتنع في الوجود، خارج من المعروف المهود، أن يخيب ظن الإنسان في أشباه هذا من الأمور، حتى يستشهد على مكانه، وتقام البيينة على صدق المدعي لوجدانه

وإذا ثبت أن المعاني المثلة تكون على هذين الضربين فإن فائدة التمثيل وسبب الانس في الضرب الأول بين لائح، لأنه يفيد فيه الصحة وينفي الريب والشك، ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف وتهجم المنكر ونهكم المترض، وموازنته بحالة كشف الحجاب عن الموصوف المخبر عنه حتى يرى ويبصر، ويعلم كونه على ما أثبتته دايه موازنة ظاهرة صحيحة وأما الضرب الثاني فإن التمثيل وإن كان لا يفيد فيه هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى

اقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه ، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته واصله ، فقد يحتاج الى بيان المقدار فيه ، ووضع قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان . واذا أردت أن تعرف ذلك فانظر أولا الى التشبيه الصريح الذي ليس بتمثيل كقياس الشيء على الشيء في اللون مثلا « كحنك الغراب » (١) تريد أن تعرف مقدار الشدة لأن تعرف نفس السواد على الاطلاق

واذا تقرر هذا الاصل فان الاوصاف التي ترد السامع فيها بالتمثيل من العقل الى العيان والحس وهي في انفسها معروفة مشهورة صحيحة لا تحتاج الى الدلالة على انها هل هي ممكنة ، وجودة أم لا ؛ فانها وان غابت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشاهدات والمحسوسات ، فانها تفنقر اليه من جهة المقدار ، لان مقاديرها في العقل تختلف وتتفاوت ، فقد يقال في الفعل انه من حال الفائدة على حدود مختلفة في المبالغة والتوسط ، فاذا رجعت الى ما تبصر وتحس عرفت ذلك بحقيقته وكما يوزن بالقسطاس ، فالشاعر لما قال : « كقباض على الماء خاتته فروج الاصابع » أراك رؤية لا تشك معها ولا ترتاب انه بلغ في خيبة ظنه وبوارسعيه الى أقصى المبالغ ، وانتهى فيه الى ابعاد الغايات ، حتى لم يحظ لا بما قل ولا ما كثر

فهذا هو الجواب ونحن (٢) بنوع من التسهيل والتسامح تقع على أن الانس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر الى العيان ورؤية البصر ليس له سبب سوى زوال الشك والريب

فاما اذا رجعنا الى التحقيق فانا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع

(١) حنك الغراب بالفتح ، لك منقاره أو سواده قالها (ش) « ٢ » الجملة حالية

العلم بصدق الخبر كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله (قال بلى ولكن ليطئن قاي) والشواهد في ذلك كثيرة والامر فيه ظاهر . ولو لا ان الامر كذلك لما كان لنحو قول ابي تمام :

وطول مقام المرء في الخي مخاق لذي حاجته فاعترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد
معنى . وذلك أن هذا التجدد لا معنى له ان كانت الرؤية لا تفيد أنسا من حيث هي رؤية وكان الانس لنفيها الشك والريب ، اولو وقوع العلم بأمر زائد لم يعلم من قبل . واذا كان الامر كذلك فأنت اذا قلت للرجل : انت وضعي للحزم في سمعك ومخطيء وجه الرشاد وطالب لما لا تناله اذا كان الطالب على هذه الصفة ومن هذه الجهة ، ثم عقبته بقولك « وهل يحصل في كف القابض على الماء شيء مما يقبض عليه » فلو تركنا حديث تعريف المقدار في الشدة والمبالغة ونفي الفائدة من أصلها جانبا بقي لنا ما تقتضيه الرؤية له ووصف على ما وصف عليه من الحالة المتجددة مع العلم بصدق الصفة . يبين ذلك انه لو كان الرجل مثالا على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه واخباره له بانه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك انت في امرك . كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون الفعل (١) ولو أن رجلا أراد أن يضرب لك مثالا في تنافي الشيعتين فقال : هذا وذاك هل يجتمعان ؟ وأشار الى ماء ونار حاضرين وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده اذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ وذلك الذي تفعل

(١) جملة كان لذلك الخ جواب « لو كان الرجل مثالا » الخ

المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكن المعنى في القلب، اذا كانت مستفادة من العياذ، ومتصرفه حيث تتصرف العينان، والا فلا حاجة بنا في أن الماء والنار لا يجتمعان، الي ما يؤكد من رجوع الي مشاهدة، واستيثاق بتجربة

ومما يدل على أن التمثيل بالمشاهدة يريد انسا وان لا يمكن بك حاجة الى تصحيح المعنى أو بيان لمقدار المبالغة فيه، انك قد تعبر عن المعنى بالمباراة التي تؤديه وتبالغ وتجتهد حتى لا ندع في النفوس منزعا نحو ان تقول وانت تصف اليوم بالطول : يوم كأطول ما يتروم وكأنه لا آخر له . وما شاكل ذلك من نحو قوله

في ايل صول تنهى العرض بالطول كأنما ليله بالخير مرصول (١)
فلا تجد له من الانس ما نجد، لقوله :

* ويوم كظال الرمح قصر طوله * (٢)

على ان عبارتك الاولى أشد واقوى في المبالغة من هذا فظل الرمح على كل حال متناه تدرك العين نهايته وانت قد اخبرت عن اليوم بأنه كانه لا آخر له ، وكذلك تقول : يوم كاقصر ما يتصور وكأنه ساعة وكامع البصر و « كلا ولا » فتجد هذا مع كونه تمثيلا لا يؤنسك ايناس قولهم ايام كابهم القطا (٣) . وقول ابن المعتز :

(١) البيت لحنديج (كقنفذ) المري . وصول بالضم بلدة ابراهيم الصولي المشهور ، والرواية الصحيحة في الشطر الثاني « كأنما ليله بالليل موصول * أي كأن لانهار بين ليليه (٢) البيت لشبرمة بن الطفيل وعامه * دم الرق عنا واصطفاق المزاهر * و يروى واصطكاك المزاهر . وشبرمة كقنفذة والطفيل بكسر فسكون ففتح (٣) ويقال أباهم أيضا

بدلت من يوم كظل حصاة ليلا كظل الرمح غير موات (١)
وقول آخر :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفه الذباب (٢)
وكذا تقول فلان اذا هم بالشيء لم يزل ذلك عن ذكره وقلبه ، وقصر
خوابه على امضاء عزمه ، ولم يشغله شيء عنه ، فتحتاط المعنى بأبلغ
ما يمكن ، ثم لا ترى في نفسك له هزة ، ولا تصادف لما تسمعه أريحية ،
وانما تسمع حديثا ساذجا وخبرا غفلا (٣) حتى اذا قلت :
اذا هم القى بين عينيه عزمه (٤)

امتلات نفسك سرورا وادركتك طربة — كما يقول القاضي
أبو الحسن — لا تملك دفعها عنك . ولا تقل ان ذلك لمكان الايجاز فانه
وان كان يوجب شيئا منه فليس الاصل له بل لان أراك الزم واقفا (٥)
بين العيين ، وفتح الى مكان المقول من قلبك بابا من العين ،

وههنا اذا تأملنا — مذهب آخر في بيان السبب الموجب لذلك هو
الطف مأخذاً وامكن في التحقيق وأولى بأن يحيط باطراف الباب . وهو
أن لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله ، والتقاط ذلك له من

(١) وأناه يواتيه طاووعه فهو موات وأصله الحمز (٢) السالفه ناصية مقدم
العنق من لدن معاق القرط الى قلت الترقوة ومن القرس هاديه أي ماتقدم من
عقه . وقوله قامت الترقوة انما بالفتح النقرة في الجبل والمراد هنا نقرة الترقوة
(ش) (٣) الغفل بالضم يوصف به ما يخلو من سمات كماله وحسنه يقال : فلاة
غفل أي لا علم بها ، ورجل غفل لم تسمه التجارب ، ومصحف غفل اذا جرد
عن العواشر ونحوها من المحسنات ، وكتاب غفل لم يسم واضعه . والكلام
الغفل هذا ما يستر نفسه من الخفاء في المنع ويحرك الوجدان (٤) الشطر

غير محلته ، واجتلابه اليه من النيق البعيد (١) بابا آخر من الظرف واللفظ ، ونذهبنا من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من العقل . واحضر شاهدك على هذا أن تنظر الى تشبيه المشاعرات بعضها ببعض فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة ، أم خاصة ، مقصورة على قائل دون قائل ، تراها لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها موقع من السامعين ، ولا تهز ولا تحرك ، حتي يكون الشبه مقررآ بين شيئين مختلفين في الجنس ، فتشبيه العين بالترجس عامي ، مشترك معروف في اجيال الناس سار في جميع العادات ، وانت تنظر الى بعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس . وتشبيه الثريا بما شبهت به من عنقود الكرم المنور ، واللباح المفصض ، والوشاح (٢) المفصل ، واشباه ذلك - خاصي ، والتباين بين المشبه والمشبه به في الجنس على ما لا يخفى .

وهكذا اذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيعيين كلما كان اشد ، كانت الى النفوس اعجب ، وكانت النفوس لها طرب ، وكان مكانها الى أن تحدث الارضية أقرب ، وذلك ان موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمثير الدفين من الارتياح ، والمتألف للنافر من المسرة ، والمتألف لاطراف البهجة ، انك ترى بها الشيعيين مثلين متباينين ، ومؤلفين مختلفين ، و ترى الصورة الواحدة في السماء والارض ، وفي خلقة الانسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تنهل عليك اذا فصلت هذه الجملة ،

(١) النيق بالاسر أرفع موضع في الجبل (٢) الوشاح بالضم والكسر كرسن من لؤلؤ وجوهر منظور مان يخالف بينهما مطوف أحدهما على الآخر - وأديم عريض يرصم بالجوهر تشبه المرأة بين طائفيها وكشحيها والمراد هنا الثاني (ش) (المنار : ج ٥) (٤٦) (المجلد السادس والعشرون)

وتثبتت هذه اللمحة (١) ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله (٢)
ولا زوردية تزهو بزرقتهما بين الرياض على حجر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بهما أوائل النار في أطراف كبريت
اغرب واعجب ، واحق بالولوع واجدر ، من تشبيه النرجس بمداهن در
حشوهن عقيق ، لانه اذ ذاك مشبه لنبات غص يرف (٣) وأوراق رطبة
ترى الماء منها يشف (٤) ، بلهب نار مستول عليه اليبس ، وبادفيه الكاف (٥)
ومبى الطباع زموضوع الجبله ، على ان الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد
ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمدن له ، كانت صبابة النفوس
به اكثر ، وكان بالشفف منها اجدر ، فسواء في اثاره التمجيد ، وإخراجك
الى روعة (٦) المستغرب ، وجودك الشيء في مكان ليس من امكنته ، ووجود
شيء لم يوجد ولم يعرف من اصله في ذاته وصفته ، ولو انه شبه البنفسج
ببعض النباتات ، أو صادف له شبيها في شيء من المتلونات ، لم تجد له هذه
الغرابة ، ولم يزل من الحسن هذا الحظ ، (للكلام بقية)

(١) اللمحة بالفتح إما واحدة اللمح وهو اختلاس النظر ، وإما واحدة
الملامح وهي محاسن الوجه (ش) (٢) أي ان الممتز و يروي البيتان هكذا
بنفسج جمعت أوراقه فحكي كخلا تشرب دمعا يوم نشيت
كأنه وضفاف القضب تحمله أوائل النار في أطراف كبريت
ويروي الشطر الثالث هكذا مع تأنيث التضميرين كما في الرواية الاولى
(٣) ر ف لونه يرف بضم الراء وكسر هاء راء ورف يرفق وتلا لا ورق النبات
اهتز واضطربت أغصانه ٤ إما من شف يشف شفوفاً اذا رق فحكي ما تحته
أو من شف يشف شفا اذا تحرك (ش) (٥) الكاف بالتحريك لون بين
السواد والحمرة ، وحمرة كدرة تملأ الوجه (٦) الروعة بالفتح الفرعة
والمسحة من الجمال (ش)

لنار ج ٥ م ٢٦ حكم كبار العلماء على صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم ٣٦٣

حكم هيئة كبار العلماء

في كتاب الاسلام وأصول الحكم

هيئة كبار العلماء المجتعة بصفة تأديبية بمقتضى المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر، وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء وم حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة :

الشيخ محمد حسنين . والشيخ دسوقي العربي . والشيخ احمد نصر . والشيخ محمد نجيت . والشيخ محمد شاكر . والشيخ محمد احمد العاوي . والشيخ ابراهيم الحديدي . والشيخ محمد النجدي . والشيخ عبد المعطي الشرشبي . والشيخ يونس موسى العطاوي . والشيخ عبد الرحمن قراعة . والشيخ عبد الغني محمود . والشيخ محمد ابراهيم السمالوطي . والشيخ يوسف نصر اللجوي . والشيخ ابراهيم بصيلة . والشيخ محمد الاحدي الظواهري . والشيخ مصطفى الهياوي . والشيخ يوسف شابي الشيرابنجوي . والشيخ محمد سبيع الذهبي . والشيخ محمد حموده . والشيخ احمد الدباشاني . والشيخ حسين والي . والشيخ محمد الحلبي . والشيخ سيد علي المرصفي

نظرت في التهم الموجهة الى الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية التي تضمنها كتابه « الاسلام وأصول الحكم » وأعلنت له في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٩ يوليه سنة ١٩٢٥)

وقد قام بعمل السكرتارية لهذه الهيئة محمد قدرى افندي رئيس أنلام السكرتارية العامة لمجلس الازهر الاعلى والمعاهد الدينية ، وعلي احمد عزت افندي الكاتب الاول للجامع الازهر والمنتدب بالادارة العامة للمعاهد الدينية

الوقائع

نشر باسم الشيخ علي عبد الرزاق أحد علماء الجامع الأزهر والفاقي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشريعة الكتاب المسمى «الاملام وأصول الحكم» قدمت إلى مشيخة الجامع الأزهر عرائض وقع عليها جم غفير من العلماء في تاريخ ٢٣ ذي القعدة وأول و ٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ (١٥ و ٢٣ و ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٥) وقد تضمنت ان الكتاب المذكور يحتوي أموراً مخالفة الدين وانصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الامة . منها

- ١ — جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا
- ٢ — وان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لا بلاغ الدعوة الى العالمين .
- ٣ — وان نظام الملك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضوع غرض أو إيهام أو اضطراب أو نقص ووجوباً للعبادة
- ٤ — وان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ
- ٥ — وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الامام ، وعلى أنه لا بد للامة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا
- ٦ — وإنكار ان القضاء وظيفة شرعية
- ٧ — وان حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم كانت لا دينية .

وقرر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر ، بناء على ذلك اجتمع هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية في يوم الاربعاء ١٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحاً في دار الادارة العامة للمعهد الديني ، وأعان ذلك للشيخ علي عبد الرزاق في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٤ يولييه سنة ١٩٢٥) وكلف الخضير أدام الله دينه المذكورة في الترتيب والمكان المذكور

وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر ، وحضور ثلاثة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء ، وهم المذكورة أسماؤهم أولا عدا فضيلة الاستاذ الشيخ دسوقي العربي . ولم يحضر الشيخ علي عبد الرازق ، وإنما أرسل خطابا مؤرخا في ١٤ المحرم سنة ١٣٤٤ يطالب فيه إعطاءه فرصة طويلة تكفي لاعداد مايلزم المناقشة ، وقد عرض الكتاب على الهيئة في هذه الجلسة فقررت تأجيل النظر في الموضوع الى يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحا في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية ، وأعلن ذلك للشيخ علي عبد الرازق في يوم الاربعاء ٢٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥) وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر ، وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء ، وهم المذكورة أسماؤهم أولا — وقد حضر الشيخ علي عبد الرازق أمام هذه الهيئة ، وسئل عن كتابه « الاسلام وأصول الحكم » المشار اليه ؟ فاعترف بصدوره منه . ثم تليت عليه التهم الموجهة اليه وما أخذها من كتابه وقبل اجابته عنها وجه دفعاً فرعياً وهو أنه لا يعتبر نفسه أمام هيئة تأديبية وطالب ألا تعتبر الهيئة حضوره أمامها اعترافاً منه بأن لها حقاً قانونياً

فبعد المداولة القانونية في هذا الدفع قررت الهيئة رفضه اعتماداً على أنها إنما تنفذ حقاً خوله اياها القانون ، وهي المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١

ثم دعي الشيخ علي عبد الرازق امام هذه الهيئة ، فأعلن له حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس رفض دفعه طبقاً للمادة المذكورة ، فطالب الشيخ علي عبد الرازق أن تسمع له الهيئة مذكرة أعدها للدفاع عن التهم الموجهة اليه فأذن له حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس أن يتلوها فتلاها . وبعد القراءات من تلاوتها وتوقيع علي كل ورقة منها أخذت منه وحفظت في امانة الحلية ثم نصرف

هيئة كبار العلماء

بعد الاطلاع على كتاب «الاسلام وأصول الحكم» المطبوع في مطبعة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافقة سنة ١٩٢٥ م السابق الذكر والعلم بما تضمنه من الامور المحالة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الامة وسماع ما جاء في مذكرة دفاع الشيخ علي عبد الرزاق عن التهم الموجهة اليه وبعد الاطلاع على المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وعلى المادة الرابعة من هذا القانون وبعد المداولة القانونية :

من حيث ان الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لاعلائة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا ، فقد قل في ص ٧٨ و ٧٩ (والدنيا من أولها لا آخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ماركب فينا من عقول وحبابنا من عواطف وشهوات ، وعلينا من أسماء ومسميات ، هي أهون عند الله من أن يبعث لها رسولا ، وأهون عند رسل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها)

وقال في ص ٨٥ (إن كل ما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فأنما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصاحبة البشر الدينية لا غير . وسيان بعد ذلك أن تتضح لنا تلك المصالح الدينية أم تمنح علينا ؟ وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا ؟ فذلك لا ينظر الشرع السماوي اليه ولا ينظر اليه الرسول) الدين الاسلامي بإجماع المسلمين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات لاصلاح أمور الدنيا والآخرة

وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا وأحكام كثيرة في أمور الآخرة

والشيخ علي في ص ٧٨ و ٧٩ يزعم أن أمور الدنيا قد تركها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تتحكم فيها عواطف الناس وشهواتهم . وفي ص ٨٥ زعم أن

ما جاء به الاسلام إنما هو المصلحة الاخرية لا غير ، وأما المصلحة المدنية أو المصلحة الدنيوية ، فذلك مما لا ينظر الشرع السماوي اليه ، ولا ينظر اليه الرسول وواضح من كلامه ان الشريعة الاسلامية عنده شريعة روحية محضة جاءت لتنظيم العلاقة بين الانسان وربه فقط . أما ما بين الانسان من المعاملات الدنيوية وتدير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها

وهل في استطاعة الشيخ علي أن يشطر الدين الاسلامي شطرين ويأخي منه شطر الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، وبضرب بآيات الكتاب العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط ؟

وقد قال الشيخ علي في دفاعه انه لم يقل ذلك مطلقا لا في الكتاب ولا في غير الكتاب ولا قال قولا يشبهه أو يدانيه وقد علمت أن ذلك واضح من كلامه الذي نقلناه لك . وقد ذكر مثله في مذكرة دفاعه

وقال في دفاعه أيضا « إن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بقواعد وآداب وشرائع عامة ، وكان فيها ما يمس الى حد كبير أكثر مظاهر الحياة والامم ، فكان فيها بعض أنظمة للعقوبات وللجيش والجهاد ، وللبيم والمداينة والرهن ، والآداب الجلوس والمشي والحديث الخ ص ٨٤

غير أنه قال عقب ذلك ص ٨٤ أيضا : ولكنك اذا تأملت وجدت ان كل ما شرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن في شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم . . . الى آخره

فآخر كلامه في الصفحة المذكورة يهدم كلامه ولا ينفعه ركونه الى حديث « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما ستم الكافر منها بشربة ماء » وحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم » لان الحديث الاول ضعيف لا يصلح حجة . وهو على فرض صحته وارد في معرض التهديد في الدنيا وعدم الافراط في طلبها وليس معناه كما يزعم الشيخ علي أن تترك الناس فوضى تتحكم فيهم العواطف والشهوات ليس لهم حدود يقفون عندها ، ولا معالم ينتهون اليها

ولو لم يكن معناه كما ذكرنا لهدم آيات الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا وصادم آيات كثيرة كقوله تعالى (وابتغ فيما أنكر الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا)

ولأن الحديث الثاني وارد في تأييد النخل وتلقيحه ويجري فيما يشبه ذلك من شؤون الزراعة وغيرها من الأمور التي لم تجيء الشريعة بتعليمها ، وإنما تجيء إبيان أحكامها من حل وحرمة ، وصحة وفساد ونحو ذلك . يعلم ذلك من له صلة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهل يجترأ الشيخ علي أن يسلم الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا من الدين ويترك الناس لأهوائهم ويقول « إن ذلك من الأغراض الدنيوية التي أنكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له فيها حكم وتدير » — ويدعي على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدعوى

وهل يرى الشيخ علي أن تدبير أمور الدنيا ، وسياسة الناس أهون عند الله من مشية يقول الله في شأنها (ولا تمش في الأرض مرحاً) وأهون عند الله من شيء من المال يقول الله في شأنه (ولا تؤثثوا السفهاء أموالكم) ويقول أيضاً (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وأهون عند الله من صاع شعير أو رطل ملح يقول الله في شأنهما « اوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين » وزنوا بالقسط من المستقيم)

وما ذا يعمل الشيخ علي في مثل قوله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرك الله) وقوله تعالى (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) وقوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقوله تعالى (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) وقوله تعالى في شأن الزوجين (وإن خفتم مشافق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله

بينهما) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)

وماذا يعمل الشيخ علي في مثل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما : أن ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسرت منها ، فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، فقالت أم الربيع : يا رسول الله أتقتص من فلانة لا والله ؟ فقال « سبحان الله يا أم الربيع كتاب الله القصاص » ومثل ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة — وما رواه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم اذا تشاجروا في الطريق بسبعة أذرع — وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمن على المدعي عليه — وما رواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى يمين وشاهد

— ٢ —

ومن حيث إنه زعم ان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ، ولا لا بلاغ الدعوة الى العالمين . فقد قال في ص ٥٢ « وظاهر أول وهلة ان الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة الى الدين ، ولا لحل الناس على الايمان بالله ورسوله

ثم قال في ص ٥٣ « واذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ الى القوة والرهبة ، فذلك لا يكون في سبيل الدعوة الى الدين ، وابلغ رسالته الى العالمين ، وما يكون لنا أن نفهم الا أنه كان في سبيل الملك »

فالشيخ علي في كلامه هذا يقطع بأن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لا بلاغ الدعوة الى العالمين وفي كلامه الذي سنذكره زعم ان الدين لا يمنع من أن جهاده صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك

فقد قال في ص ٥٤ « قلنا ان الجهاد كان آية من آيات الدولة الاسلامية ، ومثالا من أمثلة الشؤون الملكية ، واليك مثالا آخر : كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عمل كبير متعلق بالشؤون المالية من حيث الإيرادات والمصروفات ، ومن حيث جمع المال من جهاته المدينة (الزكاة والجزية والغنائم الخ) ومن حيث توزيع ذلك كله بين مصارفه ، وكان له صلى الله عليه وسلم سمعة وجباة يتولون ذلك له . ولا شك ان تدير المال عمل ملكي ؛ بل هو من أهم مقومات الحكومات » ثم قال في ص ٥٥ : اذا ترجع عند بعض الناظرين اعتبار تلك الامثلة واطمان الى الحكم بأنه صلى الله عليه وسلم كان رسولا وملكاً ، فسوف يعترضه حينئذ بحث آخر جدير بالتفكير ، فهل كان تأسيسه صلى الله عليه وسلم المملكة الاسلامية وتصرفه في ذلك الجانب شيئاً خارجاً عن حدود رسالته صلى الله عليه وسلم ؟ أم كان جزءاً مما بعثه الله له وأوحى به اليه ؟ فاما ان المملكة النبوية عمل منفصل عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة ، فذلك رأي لا نعرف في مذاهب المسلمين ما يشاكله ولا نذكر في كلامهم ما يدل عليه ، وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ، ولا نرى القول به يكون كفراً ولا الحاداً ، وربما كان محمولا على هذا المذهب ما يراه بعض الفرق الاسلامية من انكار الخلافة في الاسلام مرة واحدة . ولا يهوانك أن نسمع أن للنبي صلى الله عليه وسلم عملاً كهذا خارجاً عن وظيفة الرسالة ، وان ملكه الذي شيده هو من قبيل ذلك العمل الدنيوي الذي لا علاقة له بالرسالة ، فذلك قول ان أنكرته الاذن ، لان التشديق به غير مألوف في لغة المسلمين . فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك لا يصادم رأياً كهذا ولا يستفظه ، بل ربما وجد ما يصاح له دعامة وسنداً ، ولكنه على كل حال رأي نراه بعيداً »

فعلم من كلامه هذا ان الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ، ولا لا بلاغ الدعوة الى العالمين ، وهذا أقل ما يؤخذ عليه في مجموعة نصوصه .

على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل كما يجوز أن يكون الجهاد في سبيل الملك ،

ومن الشؤون المملكية جواز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ونحو ذلك في سبيل الملك أيضاً ، وجهه - ل كل ذلك على هذا خارجاً عن حدود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم ينزل به وحي ، ولم يأمر به الله تعالى

ومن حيث ان دفاع الشيخ علي بقوله (اننا قد استقصينا الكتاب أيضاً فلم نجد ذلك القول فيه ، وربما كان استنتاجاً لم نهتد الى مقدماته) غير صحيح ، لان ما اتهم به تجده صريحاً في صحيفة ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ وفي ص ٥٥ حيث يقول « وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ولا نرى القول به يكون كفراً ولا إلحاداً » - وحيث يقول بعد ذلك « فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك لا يصادم رأياً كهذا ولا يستفظة ، بل ربما وجد ما يصلح له دعامة وسنداً »

ومن حيث ان دفاع الشيخ علي بقوله (انه رأي من الاراء لم نرض به ، ومذهب رفضنا آخر الامر أن نذهب اليه) غير مطابق للواقع لانه قال (وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه) الى آخره - وقوله بعد ذلك (ولكنه على كل حال رأي نراه بعيداً) - لا ينفعه فانه مع قوله : وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ، الى آخره - أسلوب تجويز لا أسلوب رفض . يعرف ذلك من له إلمام بالمنطق وأساليب الكلام

وقال الشيخ علي في دفاعه بعد ذلك (بل نحن قررنا ضد ذلك على خط مستقيم ص ٧٠ حيث قلنا . . .) (وفي سبيل هذه الوحدة الاسلامية ناضل عليه السلام بلسانه وسانه) وقلنا في ص ٧٩ (لا يريبتك هذا الذي ترى أحياناً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيبدوا لك كأنه عمل حكومي ، ومظهر الملك والدولة ، فانك اذا تأملت لم تجده كذلك ، بل هو لم يكن الا وسيلة من الوسائل التي كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يلجأ اليها تثبيناً للدين وتأيداً للدعوة ، وايس عجباً أن يكون الجهاد وسيلة من تلك الوسائل)

ودفاعه هذا لا يجدي فانه زعم أن مقاله هنا ضد لما اتهم به . والواقع أنه ليس ضداً لانه ساقه محتجلاً أن يكون نضاله وجهاداً عليه الصلاة والسلام بما

خرج عن حدود رسالته صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون جزءاً مما بعثه الله له وأوحى به إليه على الرأيين اللذين قررهما الشيخ علي ، قالتهمة الموجهة إليه باقية والشيخ علي بذلك لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز فضلاً عن صريح الأحاديث الصحيحة المعروفة ولا يمنع أن ينكر معلوم من الدين بالضرورة قال الله تعالى (فقاتل في سبيل الله) وقال تعالى (فليقاتل في سبيل الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) وقال تعالى (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال تعالى في بيان مصارف الزكاة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)

— ٣ —

ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة ، فقد قال في ص ٤٠ : (لاحظنا أن حال القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم غامضة ومبهمة من كل جانب)

وقال في ص ٤٦ : (كثيراً كلما أمعنا في حال القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي حال غير القضاء أيضاً من أعمال الحكم وأنواع الولاية وجدنا إبهاماً في البحث ينزاید ، وخفاء في الأمر يشتد ، ثم لا تزال حيرة الفكر تنقلنا من لبس إلى لبس وتردنا من بحث إلى بحث إلى أن ينتهي النظر بنا إلى غاية ذلك المجال المشتبه الحائر) وقال في ص ٥٧ : (إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس دولة سياسية أو شرع في تأسيسها فلماذا خلت دولته إذاً من كثير من أركان الدولة

ودعائم الحكم ؟ ولماذا لم يعرف نظامه في تعيين القضاة والولاة ؟ ولماذا لم يتحدث الى رعيته في نظام الملك وفي قواعد الشورى ؟ ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من أمر النظام الحكومي في زمنه ؟ ولماذا ولماذا ؟ نريد أن نعرف منشأ ذاك الذي يبدو لنا أن كآبه إبهام أو اضطراب أو نقص أو ما شئت فسمه في بناء الحكومة أيام النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف كان ذلك وما سره ؟

وهذا تصریح من الشيخ علي بما يثبت التهمة
واذا كان قد اعترف ببعض أنظمة الحكم في الشريعة الاسلامية فانه نقض الاعتراف وقرر ان هذه الانظمة ملحقة بالعدم

قال في ص ٨٤ (ربما أمكن أن يقال إن تلك القواعد والآداب والشرائع التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم للامم العربية ولغير الامم العربية أيضاً كانت كثيرة ، وكان فيها ما يمس الى حد كبير أكثر مظاهر الحياة في الامم ، فكان فيها بعض أنظمة للمقوبات والجيش والجهاد والبيع والمداينة والرهن ، وآداب الجلوس والمشي والحديث وكثير غير ذلك) — ثم قال (ولكنك اذا تأملت وجدت أن كل ما شرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمون من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن في شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسي ، ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وهو بعد اذا جمعته لم يبلغ أن يكون جزءاً يسيراً مما يلزم لدولة مدنية من أصول سياسية وقوانين)

ومن حيث إنه قال في دفاعه : إنه ساق ذلك مساق الاعتراض على من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب حكومة وأنه أخذ في رد الاعتراض عتب توجيهه ، ولكنه رد الاعتراض بجوابين لم يرض واحداً منهما ص ٥٩ و ٦٣ فالتهمة باقية وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهباً هو قوله (انما كانت ولاية محمد صلى الله عليه وسلم على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشيء من الحكم) — ص ٨٠ : وهذه هي الطريقة الخطيرة التي خرج اليها ، وهي أنه جرد النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم وقال (رسالة لاحكم ، ودين لا دولة)

وما زعمه الشيخ علي مصادم لصريح القرآن الكريم فقد قال الله تعالى (إنا

٣٧٤ حصره الرسالة في التبليغ دون التنفيذ والحكم المنارج ٥ م ٢٦

أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) (وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) ومعلوم ان الرد الى الله بالرجوع الى كتابه العزيز، والرد الى الرسول بالرجوع الى سنته صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) والدين عند المسلمين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله في معاملة الخلق والخلق

— ٤ —

ومن حيث انه زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ فقد قال الشيخ علي في ص ٧١ (ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له شأن في الملك السامي وآياته متضافرة على أن عمله السامي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان) ثم عاد فأكد ذلك فقال في ص ٧٣ (القرآن كما رأيت صريح في أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله تعالى الى الناس وأنه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه)

ولو كان الامر كما زعم هو لكان ذلك رفضا لجميع آيات الاحكام الكثيرة في القرآن الكريم . ودون ذلك خوط القناد

وقد قال الشيخ علي في دفاعه (انه قرر في مكان آخر من الكتاب بهرارة لامواربة فيها أن للنبي صلى الله عليه وسلم سلطانا عاما وأنه ناضل في سبيل الدعوة بلسانه وسانه)

وهذا دفاع لا يجدي اذ لو كان معنى ذلك الذي قرره في ص ٧٠ و ٧١ كما أشار اليه أن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السامي يتجاوز حدود البلاغ المجرد عن كل معاني السلطان لما كان سائغا أن يقول بعد ذلك في صفحة ٧١ ان آيات الكتاب

متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وأن يقول بعد ذلك في صفحة ٧٣ إن القرآن صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس ولم يكلف شيئاً غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه .

والواقع أن السلطان الذي أثبتته إنما هو السلطان الروحي كما صرح به في مذكرة دفاعه حيث قال فيها (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستولى على كل ذلك السلطان لا من طريق القوة المادية وإخضاع الجسم كما هو شأن الملوك والحكام ولكن من طريق الايمان به إيماناً قلبياً والخضوع له خضوعاً روحياً) فكان دفاعه اثباتاً لثمة لانفيا لها

على انه قد نسب في ص ٦٥ و ٦٦ السلطان الى عوامل أخرى من نحو السكالم الخلقي والتميز الاجتماعي لا إلى وحي الله وآيات كتابه الكريم كما انه جعل الجهاد في موضع آخر من كتابه وسيلة كان على النبي صلى الله عليه وسلم أن ياجأ اليها لتأييد الدعوة ولم ينسب الي وحي الله وأمره

وكلام الشيخ على مخالف لصريح كتاب الله تعالى الذي يرد عليه زعمه ويثبت أن مهمته صلى الله عليه وسلم تجاوزت البلاغ الى غيره من الحكم والتنفيذ فقد قال الله تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) وقال تعالى (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال تعالى (وقاتلوم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الخزبة عن يدهم صاغرون) وقال تعالى (فقاتل في سبيل الله) وقال تعالى (يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال) وقال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وقال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا

التي هي تبني حتى تنفي الى امر الله)

وكلام الشيخ علي مخالف ايضا لصريح السنة الصحيحة فقد روي البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام : وروي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فقال اضربوه وروي عن عروة رضي الله عنها أن قریشاً أهدتهم المرأة الخزومية التي سرقتم وقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال « يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشربف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وأنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟

وهل يجوز أن يقال بعد ذلك في القرآن الكريم انه صريح في انه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله الى الناس وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه

— ٥ —

ومن حيث انه أنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لا بد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا . فقد قال في ص ٢٢ (اما دعوى الاجماع في هذه المسألة - وجوب نصب الامام - فلا نجد مساعداً لقبولها على أي حال ومحال اذا طالبنهم بالدليل أن يظفروا بدليل على اننا مثبتون لك فيما يلي أن دعوى الاجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة سواء أرادوا بها اجماع الصحابة وخدمهم أم الصحابة والتابعين أم علماء المسلمين أم المسلمين كلهم بعد أن نهد هذا تمهيداً)

ادعى الشيخ علي في ذلك التمهيد ان حظ العلوم السياسية في العصر الاسلامي كان سيثا على الرغم من توافر الدواعي التي تحمل على البحث فيها واهمها ان مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الاول كان غرضه للخارجين عليه غير أن حركة المعارضة كانت تضئف وتقوى. ثم ساق بعض أمثلة يؤيد بها ما يدعيه من ان الخلافة كانت قائمة على السيف والقوة لا على البيعة والرضا

ولو سلم للشيخ علي ذلك جدلا لما تم له ما يزعمه من انكار اجماع الصحابة على وجوب نصب امام للمسلمين. فان اجماعهم على ذلك شيء واجماعهم على بيعة امام معين شيء آخر، واختلافهم في بيعة امام معين لا يقدح في اتفاقهم على وجوب نصب الامام، أي امام كان، وقد ثبت اجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من امام ونقل اليها ذلك بطريق النواتر فلا سبيل الى الانكار

وقد اعترف الشيخ علي عبد الرازق في دفاعه بأنه ينكر الاجماع على وجوب نصب الامام بالامنى الذي ذكره الفقهاء. وقال عن نفسه نه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة (بمعني بعض الخوارج ولاصم) وهو دفاع لا يبرئه من انه خرج على الاجماع المتواتر عند المسلمين وحسبه في بدعته انه في صف الخوارج لا في صف جماهير المسلمين. وهل وقوفه في صف الخوارج الذين خالفوا الاجماع بعد انعقاده يسوغ له ان يخرج على اجماع المسلمين قال في المواقف وشرحه «تواتر اجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت عن خليفة وامام حتى قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته المشهورة حين وفاته عليه السلام الا أن محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به. فبادر الكل الى قبوله ولم يقل أحد لا حاجة لي ذلك بل انفقوا عليه وقالوا نلظر في هذا الامر وبكرنا الى سقبة بني ساعدة وتركوا له أهم الاشياء، وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في التعيين لا يقدح في ذلك الاتفاق. ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر الى زمننا هذا من نصب امام متبع في كل عصر»

وقد روى مسلم في صحيحه حديث حذيفة وقد جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تلتزم جماعة المسلمين واما هم» قلت فان لم يكن لهم امام. قال «فاعتزل

تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت « وروى مسلم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وروى مسلم أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر—قالوا فما تأمرنا؟ قال— فوا بيعة الأول فالأول وأعطوهم حتهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» وروى مسلم أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنما الإمام حنة يقاقل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وإن أمر بغيره كان عليه منه»

— ٦ —

ومن حيث إنه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية فقد قال في ص ١٠٣ (والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لأشأن الدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها وإنما تركها لنا لترجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة)

وكلام الشيخ علي في دفاعه بقضي بأن الدين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً عن الخلافة فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء وكلامه غير صحيح فالقضاء ثابت في الدين على كل تقدير تمسكاً بالأدلة الشرعية التي لا يستطاع نقضها . وقد ذكرنا فيما تقدم كثيراً من الآيات والأحاديث في الحكم والقضاء وسند ذكر شيئاً من ذلك فيما يأتي — :

وقال الشيخ علي في دفاعه (أن الذي أنكر أنه خطة شرعية إنما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذها مقاماً ذا أنظمة معينة وأسايب خاصة)

وهو دفاع غير صحيح فإن عبارته في صفحة ١٠٣ فيها إنكار أن القضاء نفسه خطة دينية . وقد زعم أنه خطة سياسية صرفة لأشأن الدين فيها

وقد نقل عن ميزان الشعراني في دفاعه (أن الامام احمد في أظهار رواياته يرى انه - أي القضاء - ليس من فروض الكفايات ولا يجب على من تعين له الدخول فيه وان لم يوجد غيره)

وهذا دفاع عن القضاء نفسه . وبذلك يتبين أيضاً أنه قد انكر أن القضاء نفسه وظيفه شرعية لاجل القضاء وظيفه معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذها مقاماً ذا أنظمة معينة وأساليب خاصة . فازمته التهمة .

واستداده الى ما نقله الشعراني في ميزانه عن الامام احمد استناد لا ينفعه فان الذي حرر من ميزان الشعراني إنما هو الى باب ما يحرم من النكاح وقد ذكر ذلك الشعراني نفسه في ص ٨ من الجزء الاول من الميزان . وكتاب الاقضية واقع بعد ذلك بسبعة عشر كتاباً . فكتاب الاقضية في ميزان الشعراني لم يحرر حتى يكون مافيه مستنداً صحيحاً . وقال صاحب الاشاعة في أشرط الساعة ان الشعراني لم يحرر ميزانه في حياته وأنه قال : لأحل لأحد أن يروي هذا الكتاب غني حتى نعرضه على علماء المسلمين ويجيزوا مافيه . انتهى كلامه والمعروف في كتب الخنابلة أن القضاء من فروض الكفايات راجع ص ٢٥٨ من الجزء الرابع من المنتهى وص ٩٦٨ من الاقناع وص ٥٨٠ من المقنع وقد ذكر محشيه عند قوله (وهو فرض كفاية) ان ذلك هو المذهب وذكر قولاً عن الامام احمد بان القضاء سنة . فإذا لم يكن القضاء فرض كفاية عند الامام احمد فهو سنة عنده والمسنون من الخطط الشرعية . فما زعمه الشيخ علي من إنكار أن القضاء وظيفه شرعية وخطه دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز . قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وقال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لنحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

ومن حيث إنه يزعم أن حكومة أبا بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي

الله عنهم كانت لادينية (١) نقد قال في صفحة ٩٠ (طبيعي ومعقول لى درجة البداهة ألا توجد بعد النبي صلى الله عليه وسلم زعامة دينية وأما الذي يمكن أن يتصور وجوده قائما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلا بالرسالة ولا قائما على الدين هو اذا نوع لاديني)

وهذه جرأة لادينية فان الطبيعي والمقول عند المسلمين الى درجة البداهة أن زعامة ابي بكر رضي الله عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم وخلفهم جبلا بعد جبل . ولقد كانت زعامته على أساس (ان لا بد لهذا الدين ممن يقوم به) وقد انتقد على ذلك اجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . كما سبق ودفاع الشيخ علي بأب الذي يقصده من أن زعامة ابي بكر لادينية انما تستند الى وحي ولا إلى رسالة . فحك موقع في الاسف فن أحدا لا يتوهم ان ابا بكر رضي الله عنه كان نبيا يوحى اليه حتى يعنى الشيخ علي بدفع هذا التوهم :

لقد بايع أبا بكر رضي الله عنه جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين على أنه القائم بأمر الدين في هذه الامة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم فقام بالامر خير قيام ، ومثله في هذا بقية الخلفاء الراشدين

وإن مارصم به الشيخ علي أبا بكر رضي الله عنه من أن حكومة لا دينية لم يقدم على مثله أحد من المسلمين ، والله حسبه

ولكن الذي يطعن في مقام النبوة يسهل عليه كثيراً أن يطعن في مقام أبي بكر وأخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

« ١ » المنار : ان الغرض الاول له من الكتاب إثبات ان الحكومة في الاسلام « لادينية » بناء على زعمه ان جميع الاحكام الواردة في الكتاب والسنة - وهو لا ينكرها - خاصة بالنبي « ص » من حيث هو رسول الله وانه ليس لأحد ان يخلفه فيها كالرسالة وانما نص على خلافة الراشدين لان قيامها على الدين اظهر ، ودفاعه مبني على زعمه هذا لارجوع عنه ، فهو يريد أن الحكم الديني خاص يوحى اليه وأبو بكر ليس كذلك فحك . فكان الظاهر ان يجعل هذا أول اسباب الحكم ، وهو ردة صريحة لانه نفى الدين من شطر الشريعة - وهو الاحكام السياسية والتقضائية - وتعطيل له كما يشير اليه في الحكم . وقد استعرب هو في مقال انتقد فيه الحكم جعله كلاما من الثاني

ومن حيث إنه - علاوة على ما ذكر - يقف الشيخ علي في ص ٣٤ و ٣٥ من المسلمين موقف الطاعن على دليلهم الديني ، والخارج على إجماعهم المتواتر الذي انعقد على شكل حكومتهم الدينية ، أو موقف المجيز للمسلمين إقامة حكومة بلاشفية ، وكيف ذلك والدين الاسلامي في جماته وتفصيله يحارب البلاشفية ، لان البلاشفية فتنة في الارض وفساد كبير لقد وضع الدين الاسلامي المراريث أحكاما يلجأ اليها أحيانا غير المسلمين لما فيها من الرحمة والعدل . وأوجب على المسلمين مقادير من الصدقات ، تؤخذ من أغنيائهم فتد على فقرائهم . وأمر بإقامة الحكومة الدينية التي تحفظ لكل ذي حق حقه ، ولكل عامل ثمرة عمله ، وجعل للدماء والاعراض والاموال حرمة لا يجوز انتهاكها ، وضرب على أيدي المفسدين في الارض ، وحسبنا في ذلك أن نقول : إن البلاشفية تهدم نظام المجتمع الانساني وتضيع حكمة الله في جعل الناس درجات ينتفع بعضهم من بعض قال الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)

ومن حيث إن الشيخ عليا يقول في ص ١٠٣ (لاشيء في الدين بمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسية كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له وامتسكوا اليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية وأمتن مادلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم) ومعلوم أن أصول الحكم ومصادر التشريع عند المسلمين إنما هي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين ، وليس هناك للمسلمين خير منها . والشيخ علي يطالب أن يهدموا ما بنوه على هذه الاصول من نظام حكومتهم (العتيق) ويطلب إليهم أن يبنوا حكومتهم وشؤونهم الدينية والدينية على أصول خير من أصولهم يجدونها عند الامم غير الاسلامية ، فكيف يبيع دين الاسلام للمسلمين أن يهدموا

ومن حيث إنه يزعم في ص ٨٣ و ٨٤ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذير شيئا من أساليب الحكم عند أي أمة أو قبيلة في البلاد العربية وإنما تركهم وما لهم

من فوضى أو نظام ، وهذا طعن صريح على محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لم يرسل لسعادة الناس في دينهم ودنياهم ، وطعن صريح على كتاب الله تعالى بأنه غير واف بما يلزم في الشؤون الاجتماعية . وقد قال الله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم قال الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) ومن حيث إنه تبين مما تقدم ان التهم الموجهة ضد الشيخ علي عبد الرزاق ثابتة عليه ، وهي مما لا يناسب وصف العالمية وفقاً للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ونصها :

(اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الأزهر باجماع تسعة عشر عالماً معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون باخراجه من زمرة العلماء ، ولا يقبل الطعن في هذا الحكم

ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في أي جهة كانت وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية)

فبناء على هذه الاسباب

حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر باجماع أربعة وعشرين عالماً معتمداً من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ علي عبدالرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء صدر هذا الحكم بدار الادارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الاربعاء ٢٢

المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) شيخ الجامع الأزهر

تنفيذ الحكم

(وهو النصر المبين ، لاهل الدين على اللادينيين)

كان الشيخ علي عبد الرازق مغروراً بأنصاره من الافرنج والمتفرنجين ، وملاحدة اللادينيين ، ظاناً أنهم يرهبون بما يكتبون في جريدة السياسة كبار علماء الدين ، فلا يتجرؤن على الحكم عليه ، ثم انه كان متكللاً على الوزيرين النافذي الرأي: إسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية ، وعبد العزيز فهمي باشا وزير الحقانية ورئيس الحزب الحر الدستوري ، واثقاً هو وأنصاره اللادينيين بأن يبقى في وظيفته القضاء الشرعي بالرغم من أنوف كبار العلماء إن هم حكموا باخراجه من جماعتهم — وبلغنا أن وزير الحقانية وعده ببقائه في منصب القضاء الشرعي الذي أنكره وكونه منصباً شرعياً بالتبع لانكار كون منصب الخلافة دينياً، أي مقيداً بأحكام الدين ، كما علم واشتهر أن إسماعيل صدقي باشا لم يحفل بقرار هيئة العلماء الذي بلغته إياه قبل المحاكمة ، ولم يجب الى ما طلبه بعضهم منه من مصادرة الكتاب — واننا لم نكن نعلم من هذا شيئاً حين كتبنا في إحدى مقالاتنا في الرد على كتاب (الاسلام وأصول الحكم) إننا نعلم أن من أنصاره بعض الباشوات والدكاترة ، وغيرهم من الأكابر ، وانهم أقوياء ، ولكن قوتهم تتضاءل أمام قوة ملك البلاد . وقد عاقبتنا جريدة السياسة على القول بنشر تهمة غريبة تهمنا فيها بأعمال دينية سياسية تغضب علينا — لو صحت — جلالة الملك وحكومته وتجعلنا عرضة للعقاب ، ولكن الحكومة كذبت التهمة ، وقد أشير علينا يومئذ أن نقاضي جريدة السياسة على تلك التهمة ، فقلنا إنه لا يليق بنا معشر أرباب الصحف أن نتقاضي الى المحاكم ، وقد صرف الله عنا شر التهمة الباطلة بسلام

هذا الغرور والاتكال على الوزراء والاحزاب هو الذي جرأ الشيخ علي عبد الرازق على تهديد هيئة كبار العلماء في مقال نشرته له السياسة في صدر عددها الذي صدر في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ هـ أنهم فيه أن تأخذهم العزة بالاثم ، وتتهمهم بهم في أودية ليس عليها دليل ، وتتهمهم بهم على موارد لا يجدون عنها صدراً ، وتنتهي بهم الى عواقب لا يحمدون عندها السري ، ثم قال :

«أيتها السادة — لا يجرمنكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، ولا تركبوا للانتقام
مركباً أخاف أن يردكم قبل أن يصل بكم الى الانتقام

« ان شر ما ترجونه لنا هو خير ما نرجو لأنفسنا ، ولئن كنا غالبين أو
مغلوبين ، فان لنا في الحاليتين ، لأحدى الحسنيين . أما أنتم أيها السادة فخفوا على
أنفسكم شرين ما لكم من أحدهما بد ، شر الانتصار ان غلبتم ، وشر الهزيمة ان غلبتم
أنا النذير لكم مني مجاهرة كيلا ألام على نهجي وانذاري
فان عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا أن سوف تالفون خزيًا ظاهرًا عامرًا

ثم كررت جريدة السياسة بلسانها وألسنة كتابها أمثال هذه النذر بما هو أشد
تهديدًا ووعيدًا وتقريعًا وتثريبًا ، — ولكن الحكم صدر ثم نفذ ، ولقد امتنع عبد
العزيز باشا عن تنفيذه ، فكان جزاء العزل من الوزارة ، ثم كان جزاء حزبه الحر
الدستوري الخروج من الوزارة أيضا ، فقد استقال سائر وزراء الحزب حتى اسماعيل
باشا صديقي ، فقبضت استقالتهم أجمعين وكانوا يظنون أنها لا تقبل ، وان الحكومة
الشاذة المعطلة للدستور لا تقوم لا بهم

تنفيذ هذا الحكم من الجهة العامة منوط في القانون برئيس الوزارة ، ومقتضى
التنفيذ طرد الشيخ علي عبد الرازق من منصب القضاء الشرعي التابع لوزارة
الحقانية ، ورئيس الوزارة الآن في أوربة ، ونائبه يحيى باشا ابراهيم وزير المالية
وهو الذي بلغ وزير الحقانية الحكم مع توقيعه عليه بالتنفيذ وكان الواجب على وزير
الحقانية اخراج الشيخ علي عبد الرازق بمقتضاه من القضاء من غير تريث ، ولكنه
لم يفعل ، بل أحاله على لجنة قسم القضايا في الوزارة مبيتا لها ما عنده من الاشكال
في تنفيذه لثرى رأيها فيه — وهذا نص عبارته في ذلك نقلا عن جريدتهم (السياسة)
قال وزير الحقانية بعد الديباجة :

« وحيث إننا نتشكك كثيرا (أولا) فيما اذا كان نص المقرة الاولى من
المادة ١٠١ من قانون الازهر نمرة ١٠ سنة ١٩١١ يقصر الموضوع الذي تختص
هيئة كبار العلماء بالنظر فيه على الافعال الشائنة التي تمس كرامة العالم كالفسق
وشرب الخمر ، والميسر ، والرقص ، وما أشبه ذلك مما يتعاق بالسلوك الشبهوي

أم هو يتعدى ذلك الى الخطأ في الرأي في الابحاث العلمية الدينية من مثل ما نسب للشيخ علي عبد الرازق ووقعت المحاكمة فيه (ثانياً) على فرض أن اختصاص تلك الهيئة شامل بمقتضى النص لجريمة الفعل الشائن، الماس بكرامة العالم، والجريمة الرأي معاً، فهل هذا النص مستمر النفاذ الآن فيما يتعاقب بجريمة الرأي ؟ ولا تأثير لأحكام المواد ١٢ و ١٤ و ١٦٧ من الدستور فيها (ثالثاً) ان كان نص الفقرة المذكورة عاماً يشمل الجريمتين، وكان لا تأثير لشيء من أحكام الدستور فيه، وكان الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء صحيحاً، فهل الفقرة الاخيرة من المادة ١٠١ المذكورة — وهي المنصوص فيها على العقوبات التبعية — هي أيضاً واجبة التنفيذ لم ينسخها شيء من أحكام مواد الدستور المذكورة أو غيرها من أحكامه »

« لذلك نرسل لجنابكم أوراق هذا الموضوع رجاء عرضها على لجنة قضايا الحكومة بمجتمعة لدراسته وموافقاتنا برأيها فيه والرجاء عند البحث ملاحظة سلطنة شيخ الجامع الازهر المبينة بالمادة الرابعة من القانون المذكور، فانها بالنسبة للعلماء خاصة بالاشراف على سيرتهم الشخصية وكأنه يظهر لنا أن الفقرة الاولى من المادة ١٠١ المذكورة هي الوازع في هذا الصدد فقد يجوز أن يفسرها ذلك على ما يظهر » بولكلي في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥

(المنار) قد كان هذا الاستفتاء من عبد العزيز باشا فهمي مستنكراً من جماهير الناس وجميع الاحزاب — ماعدا حزبه طبعاً — واشتدت مؤاخذتهم اياه عليه حتى بما لا يرضاه الادب كسنة جريدة حزبه، ومن أقوى وجوه تلك المؤاخذة المنطقية التي نعنيها أن الاستفتاء من وزير مسلم في حكم صدر من كبار علماء الاسلام في موضوع متعلق بدين الاسلام، وأن اللجنة المستفتاة أكثر أعضائها غير مسلمين وغير وطنيين — أن من وجوه الاستفتاء تفسير ما يمس كرامة العالم الديني، هل يشمل مثل الآراء التي نشرها المحكوم عليه في كتابه أم لا ؟ وهل الحكم الصادر من كبار هيئة العلماء صحيح أم لا ؟

الحق أقول : إن استفتاء عبد العزيز فهمي باشا لهذه اللجنة غريب، فإذا كان

هو على علمه الاجمالي بالشرعية ، ونشأته الاسلامية « يشك كثيراً » في كون ما فهمته هيئة كبار العلماء وغيرهم من علماء الشرع وسائر الطبقات المسلمة من كون تلك الآراء مشتملة على الطعن في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام ، واهانة للمسلمين والاسلام ، أي ردة وخروجاً من الملة — اذا كان هو على علمه وذكائه واسلامه يشك كثيراً في كون هذه الآراء تمس كرامة العالم المسلم ، كاشرب أو اللعب أو الرقص ؟ فماذا ينتظر من موسيو فلان ومستر فلان ولا سيما بعد ابداء رأي الوزير المسلم ما بين شك وجزم ؟ أيعقل أن يصدر عن مسلم عامي الشك في كون اهانة الاسلام والمسلمين من عهد الخلفاء الراشدين الى الآن والقول بجمل حكومتهم لا دينية أهون من الرقص الذي قد يكون مباحاً ، وقد يكون مكروهاً للتنزيه ؟ وانما يمد مخلاً بكرامة العالم الديني مروءة وعرفاً فقط.

يغلب على ظني أن عبد العزيز باشا فهمي لم يقرأ هذا الكتاب الرجس الذي هو شر من كذب ابن الراوندي الزنديق المشهور وأن جريدة السياسة قد خدعته بزعمها أن ليس في الكتاب إلا آراء في شكل حكومات الخلفاء ، ونظام القضاء ، وكونها ليست من أمور الدين التي تعبد الله بها المسلمين ، ولم أروجها لحسن الظن به أقوى من هذا

عزل وزير الحقانية

لما علم رئيس مجلس الوزراء بالنيابة (بحي باشا ابراهيم) بأن عبد العزيز باشا فهمي امتنع من تنفيذ الحكم ، وجعله موضعاً للاستفتاء والبحث ، عرض الامر على جلالة الملك ، فوافق على عزله من وزارة الحقانية ، ونوط أمرها مؤقتاً بوزير المعارف وأصدر مرسوماً بذلك ، فقامت قيادة (الحزب الحر الدستوري) لذلك وقرر عدم مساعدة الوزارة ، واستقال سائر وزراء الحزب ، وكانوا يظنون أن اعتقالاتهم لا تقبل لمكانتهم عند الانكليز ، ولأن الوزارة مؤلفة من حزبهم ومن حزب الاتحاد الجديد — وهما متفقان على مقاومة سعد باشا زغلول وحزبه أو (الوفد المصري) وان حزب الاتحاد وحده لا يقوى على المقاومة ولا يستطيع النهوض بأعباء الوزارة — ولكن جلالة الملك لم يلبث في قبول استقالتهم —

واستقالة اسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية ، وأقوى خصوم سعد زغلول باشا وهو منهم فعلا لارميا ، وتألفت الوزارة من الاتحاديين وحدهم . واشتد طعن كل من الحزبين وجرائدها في الآخر ومن أنصار جريدة (الاتحاد) وحزبها علماء الدين الذين يصفون محوري السياسة وأركان حزبها باللا دينيين وبالملاحدة ، وما كنت لأذكر هذا على اجتنابي الخوض في مسائل الاحزاب المصرية الا للإشارة الى خيبة أمل الشيخ علي عبد الرازق ، ومكانة انتصار أهل الدين على خصومهم في أول معركة علنية ، كان الفصل فيها بصفة رسمية . لهذا اشتغلت الجرائد منذ تقرر تنفيذ الحكم برفع بركات التهنئة والثناء من هيئة كبار العلماء بالازهر ، ومن علماء سائر المعاهد الدينية ، ومن الطبقات الاسلامية المختلفة الى جلالة الملك أولا بالذات ، والى رئيس الوزارة بالنيابة ، على تأييد الدين ، وخذل « لالحاد والملحدين » ولا تزال تنشر المقالات الكثيرة في ذلك

﴿ حكم المجلس المخصوص بوزارة الحقانية ﴾

بتنفيذ الحكم بالفعل وهزل الشيخ علي عبد الرازق من القضاء

« بجلاسة تأديب قضاة المحاكم الشرعية بوزارة الحقانية بيولكلي في يوم الخميس ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥ — ٢٩ صفر سنة ١٣٤٤ الساعة العاشرة وثلاث صباحا تحت رئاسة حضرة صاحب المعالي علي ماهر باشا وزير الحقانية بالنيابة ، وبحضور كل من حضرات حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ عبدالرحمن قراعة ، وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ احمد العطار نائب المحكمة العليا الشرعية وحضرتي الشيخ محمد مخلوف رئيس التفتيش الشرعي ، والشيخ عبد الجليل عشوب مفتش المحاكم الشرعية أعضاء ، وحضرة احمد محمد حسن افندي مدير ادارة مكتب وزير الحقانية

« صدر الحكم الآتي في قضية تأديب الشيخ علي عبد الرازق

المجلس

« بعد الاطلاع على قرار هيئة كبار العلماء الصادر بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥

« وعلى الخطاب المرسل من الشيخ علي عبدالرازق لمعالي وزير الحقانية بتاريخ ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥ الذي يبين فيه أوجه دفاعه

« ومن حيث إن المتهم قد أعلن قانوناً بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٥ للحضور أمام هذا المجلس ولم يحضر

« وبما أن فضيلة شيخ الجامع الأزهر ومعه أربعة وعشرون عالماً من هيئة كبار العلماء قضوا بالاجماع في ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ بإخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء ، بسبب ما أذاعه في كتابه « الاسلام وأصول الحكم »

« وبما أن المادة الاولى بعد المائة من القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ الخاص بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ترتب على هذا الحكم طرد المحكوم عليه من كل وظيفة ، وقطع مرتباته في أية جهة كانت

« وبما أن مجلس تأديب القضاة الشرعيين (المنصوص عنه في قرار وزير الحقانية الصادر في ١٨ ابريل سنة ١٩١٧) وهو الذي يملك عزل القضاة الشرعيين بصفة نهائية ، هو كذلك بطبيعة الحال الجهة المنوط بها تنفيذ مثل هذا الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء

« وبما أنه يلزم البدء بتعرف وتحديد ماهية ما لمجلس التأديب من السلطة حين ينعقد لتنفيذ الحكم الصادر تطبيقاً للمادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لمعرفة ما اذا كان مجلس التأديب مخاضها بالنظر في موضوع التهمة ، وبالفصل فيما اذا كان الحكم الصادر فيها من هيئة كبار العلماء صحيحاً أو غير صحيح ، وفما اذا كان العالم الذي حوكم قد ارتكب بالفعل أمراً يوقعه تحت طائلة القانون ، أو أن هناك تجاوزاً في التطبيق القانوني

« وبما أنه من المسلم الذي لا ريب فيه أن مجلس التأديب لا يملك شيئاً مما تقدم
إذ من المبادئ العامة المقررة : أن الهيئات القضائية المختلفة تعتبر في الدولة على
حد سواء ، وليس بينها في دوائر اختصاصها أي تفاوت في الاعتبار
« وبما أن الفقرة الثانية من المادة الأولى بعد المائة الآتية ذكرها تنص على
أن الحكم الصادر من هيئة كبار العلماء لا يقبل الطعن ، فيلزم من هذا أنه ليس
لأية سلطة قضائية أن تلغيه أو تبحث عن صحته كما يلزم منه — أن سلطة
مجلس التأديب مقصورة حتماً على النظر فيما يترتب على حكم هيئة كبار العلماء
من النتائج القانونية

من الاختصاص

« وبما أن الدفع بعدم اختصاص هيئة كبار العلماء بالنظر في موضوع كتاب
« الاسلام وأصول الحكم » مبناه أن عبارة « ما لا يناسب وصف العالمية » الواردة
في المادة الأولى بعد المائة من القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ لا تتناول إلا الأفعال
الشائنة التي تمس كرامة العالم ، كالفسق ، وشرب الخمر ، والميسر ، وما أشبه ذلك
عما يتعلق بالسلوك الشخصي ، وأن هذه العبارة لا يمكن أن تتمدى ذلك إلى الخطأ
في الأبحاث العلمية الدينية

« وبما أن الدفع على فرض صحته وقبوله لا يطين في اختصاص هيئة كبار
العلماء ، وليس له من نتيجة سوى ما قد يفهم من أن حكم الهيئة خطأ في تطبيق
القانون . أما اختصاص الهيئة فلا يطين فيه ، لأن الشيخ علي عبد الرزاق كان
من العلماء ، ولأن الفعل الذي حوكم من أجله مما قد يقع من العلماء ويتصل بهم ،
ولأن القانون أجاز لهيئة كبار العلماء محاكمة العالم أباً كانت رظيفته أو مهنته

« وبما أنه على فرض وقوع خطأ في التطبيق القانوني ، فليس من اختصاص
أية سلطة أخرى أن تنظر فيه

« على أنه ليس بمما يبدل على وقوع خطأ في تطبيق القانون ، لأن عبارة « ما لا
يناسب وصف العالمية » جاءت عامة مطلقة من كل قيد بحيث لا يمكن قصرها
على السلوك الشخصي ، فضلاً عن أن وصف العالمية يفترض بذاته فوق الملوك

الشخصي كفاية علمية خاصة ، وعقيدة معينة . ولا شك أن هيئة كبار العلماء هي المختصة دون غيرها بالفصل فيما اذا كانت هذه العقيدة مطابقة أو غير مطابقة للدين ، وفيما اذا كان صاحبها قد ارتكب أو لم يرتكب مالا يناسب وصف العالمية « يؤيد ما تقدم أن هيئة كبار العلماء ليست هيئة مدنية ، ولا مجرد هيئة أخلاقية حتي يقصر عملها على مراقبة السلوك الشخصي للعلماء ، وإنما هي قبل كل شيء هيئة دينية الغرض من تكوينها رعاية أصول الدين ومبادئه ، وصيانتها من كل عبث » وبما أنه مسلم فوق ذلك ان لكل جماعة ناموساً خاصاً ، وحقاً مقررأً يجيز لها أن تطرد من هيئتها كل عضو ترى أنه غير لائق بها . وهذا الحق الطبيعي ثابت لها بدون احتياج الى نص وضعي يقرره وينبغي على ذلك أن هيئة كبار العلماء يصح لها أن تخرج أي عالم من زمرة العلماء ولولم يكن ثمة قانون ينص على ذلك (. . .) وبما أنه لا معنى كذلك للاحتجاج بالمواد ١٢ و ١٤ و ١٦٢ من الدستور لان المادة ١٢ التي تنص على ان « حرية الرأي مكفولة . . . في حدود القانون » لا تفيد ان سوى أن لكل انسان الحق في أن يعتنق الدين الذي يريد ، أو يكون لنفسه الاعتقاد الذي يرضاه ، أو يعرب عن رأيه بالقول ، أو الكتابة أو التصوير بدون أن يتعرض للعقاب بسبب اعتناقه ديناً من الاديان ، أو إبانته عن رأي من الآراء مادام أنه لم يخرج عن حدود القانون

« وبعبارة أخرى : لا تفيد هاتان المادتان سوى أن كل إنسان له أن يتمتع بحقوقه الوطنية ، كحق الترشح للانتخاب أو التصويت فيه مهما كان دينه أو مذهبه أو

(*) المنار : هذا الاطلاق في هذا السبب غير مسلم ولا حاجة اليه في تعليل صحة القرار ، وإنما تطرد الجماعة من أفرادها من تجمعه بهم صفات وحقوق تنزهم من غيرهم تتعلق بها أحكام شرعية او وضعية أعطتهم حق الجزاء على الاخلال بتلك الصفات والحقوق كما فعل الشيخ علي عبد الرازق باخلاله بالعقيدة الإسلامية وبإهائه للإسلام والمسلمين ، وبإنكاره كون الحكم والقضاء في الاسلام مقيداً بأحكام الدين ، وهو لم يكن قاضياً إلا بكونه مسلماً وطالما أزهرياً . ولكن ليس لكل هيئة طيبة ان تطرد كل طبيب ترى أنه غير لائق بها . فالاطلاق فيه تسامح له لا يراد به العموم وشرح المسألة لا محل له في هذه الحاشية

رأيه ، وهذا لا ينافي أن الحكومة مثلاً لها أن تفصل من خدمتها كل وطني يرتكب أموراً معينة ، ولهذا قيدت المادة ١٤ من الدستور حرية الرأي بأنها الحرية المستعملة في حدود القانون

«ويلزم مما تقدم ان الذي يحظره الدستور انما هو المحاكاة الجنائية أو الحرمان من الحقوق الوطنية بسبب اعتناق دين أو عقيدة ما . أما صفة العالم أو صفة الموظف فلا مانع من أن تكون محلاً لتقنين خاص ، وهذا التقنين لا يتعارض مع الدستور في شيء ما

وبما أنه لا صحة للقول بأن الفقرة الأخيرة من المادة الاولى بعد المائة وهي المادة السابق الاشارة اليها ، والمنصوص فيها على العقوبات التبعية قد نسخها الدستور ، لان الدستور قد نص في المادة ١٦٧ على استمرار العمل بالقوانين والمراسيم والامور واللوائح والقرارات ، مادام نفاذها متفقاً مع المبادئ المقررة فيه . وظاهر أن قانون الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لا يوجد فيه ما يخالف تلك المبادئ كما سبق بيانه

«وفوق ذلك فما دامت الوظيفة التي يشغلها الشيخ علي عبدالرازق من وظائف العلماء أي وظيفة دينية ، فهي لذلك لا تحل الا لمن كان مقراً له بأنه من رجال الدين «وبما أن المجلس يرى أن يقرر إثبات عزل الشيخ علي عبدالرازق من اليوم الذي صدر فيه قرار هيئة كبار العلماء باخراجه من زمرة العلماء

فإنه الأسباب

«قرر المجلس باجماع الآراء إثبات فصل الشيخ علي عبد الرازق المذكور من وظيفته اعتباراً من يوم ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) مع مراعاة عدم حرمانه من حقه في المكافأة » اهـ

رئيس المجلس
إمضاء

الاعضاء
إمضات

(تضمن الحكم على الشيخ علي عبد الرازق)

الافتاء بارتداده عن الاسلام

إن هذا الحكم له صفة قانونية يجب تنفيذها على الحكومة المصرية ، وقد فعلت — وله صفة الفتوى وهي بيان الحكم الشرعي في هذا الكتاب ومؤلفه ، وكل من يعتقد اعتقاده في المسائل المخالفة لنصوص القرآن القطعية المني ، وغير ذلك من الامور المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ، وهو الردة عن الاسلام ، والخروج من الملة الاسلامية ، وهيئة كبار العلماء لانك الحكم بالردة في هذه البلاد ، وانما تملك الفتوى ببيان الحكم الشرعي ، إذ لا يحتاج هذا الى تقريره بنص قانوني ، وهي لم تصرح بأن الشيخ علي عبد الرازق ارتد عن الاسلام ، بلفظ الردة أو الارتداد ، وانما ذكرت بعض ما يدل على ذلك باتفاق المذاهب الاربعة التي هم كبار علماءها في الازهر ، بل باجماع المسلمين أيضاً — لاجل أن يحنط الى نفسه ويرجع الى دينه بالرجوع عن ذلك ، ولئلا يقتراح من المسلمين بشي من ضلاله ، وقد كان بعض الجاهلين بأحكام الشرع استنكر قول هيئة كبار العلماء قبل هذا الحكم : أنه لا يصدر مثله عن مسلم فضلاً عن عالم — وهذا الحكم بما فيه من التفصيل يبين لهم ذلك ، وان لم يجعل تفسير تلك الكلمة البليغة . على أنها ليست بنص في الردة كاقوالهم في أسباب هذا الحكم

ولكن صاحب هذا الكتاب ليس عنده من العلم ولا من الحجة الا الخلابة اللفظية ، والتلبيس والتمويه والافك اللفظي ، ومن ذلك أنه كتب مقالة نشرتها له نصيرته (جريدة السياسة) في صدر عددها الذي نشرت فيه صورة الحكم وهو المؤرخ في ١٦ صفر زعم فيها أن كبار العلماء تراجعوا عن اتهامه بشي . لا يصدر من مسلم . بعد أن ذكر أنه كان خائفاً وجلالاً أن يقرروا خروجه من زمرة المسلمين (وان كان قد تبرأ منهم في كتابه مراراً) وهو يعلم أنهم قرروا خروجه من ملة الاسلام ، وأراد أن يضل عن ذلك العوام ، والا كان مثله كمثل من قيل له : من أكل السمك وشرب السل فدخل الحمام جن — فأراد أن يهرب ذلك لضعف عقله ففعل فجبن ، فخرج من الحمام الى السوق عارياً وطلق يقول للناس :

يقول من فعل كذا وكذا جن، وها أنا ذا فعلت ولم أجن!! واقتنا نذكر بعض عباراتهم (١) التصريح في الحيثية الاولى بأنه ألغى من الدين شطره ، وهو الاحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، وان كان الكثير منها من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة. أقول وكل ما كان كذلك فمجرد ردة لا خلاف فيها

(٢) التصريح في الحيثية الثانية وغيرها بأن الشيخ علي عبدالرازق «لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز ، فضلاً عن صريح الاحاديث الصحيحة المعروفة — ولا يمنع أن ينكر معلوم من الدين بالضرورة» (راجع ص ٣٧٢ من المنار)

(٣) في الحيثية السابعة بيان لما ذكر في غيرها من جعله الحكومة الاسلامية لادينية لا تقوم أحكامها السياسية ولا القضائية على الدين وتصريحه بأن حكومة أبي بكر الصديق (رض) وسائر الخلفاء الراشدين لادينية ، وانه لا يمنع المسلمين مانع من هدمها ، واستبدال أي نوع من الحكم بها ، ولو الحكم البلشفي ، وتلك إيابة لهم أحكام القرآن ، واستحلال لما هو محرم بالاجماع ومعلوم من الدين بالضرورة (٤) التصريح فيها بأن في كلامه في إجازة النبي (ص) لما كان في قبائل الجاهلية من أحكام وقوضى ونظام «طعنًا صريحًا على النبي (ص) وعلى كتاب الله تعالى» (راجع أول ص ٣٨٢) والطمع فيهما ردة صريحة بالاجماع

هذا وان البرقيات التي رفعها العلماء الى الملك ورئيس الوزارة على عنايتها بتنفيذ الحكم صريحة فيما يعتقدون من اشمال هذا الكتاب على الكفر والالحاد، وكتب بعضهم مقالات صرحوا فيها بالتكفير والردة كالشيخ محمد شاكر والشيخ يوسف الحجوي ونكتفي من البرقيات الكثيرة بواحدة وهي الرسمية الخاصة بالملك: صاحب السعادة كبير الامناء بالنيابة بالاسكندرية

أرجو أن ترفعوا الى السدة العلية الملكية عني وعن هيئة كبار العلماء وسائر العلماء فروض الشكر واجبات الحمد والثناء على أن حفظ الدين في عهد جلالة مولانا الملك من عبث العابثين والحاد الملاحدين ، وحفظت كرامة العلم والعلماء ، وانا جميعاً نبتل الى الله ونفزع اليه أن يديم جلالة مولانا الملك مؤيداً للدين، ورافعاً لشأن الاسلام والمسلمين ، وأن يحرم من بين عنايته حضرة صاحب السمو

الانكيز والحجاز

لا يزال الساسة الانكليز على اقتضاح أمرهم وأهتاك سرائرهم يعيشون بالشعوب الإسلامية ولا سيما في البلاد التي أفسدها نفوذهم فيها ، وقد جرأتهم غفلة هذه الشعوب وخيانة الكثير من اكابر مجرميها لها على الاسراع في القضاء الاخير على الاسلام والمسلمين الذي يعتقدون أن لا يتم لهم الا بالاستيلاء على الحجاز ، وقد بدؤا السعي لذلك باصطناع الشريف حسين بن علي وأولاده فاطمهم بان يجعلوهم خلفاء وملوكا في البلاد العربية الحجاز وغيره تحت حمايتهم وفي مقدمة امبراطوريتهم المستعدة لمضم العالم كله ، فرضوا وخدعهم بمجد واخلاص حتى تم لهم احتلال البلاد العربية من البحر الاحمر الى شط العرب فخليج فارس ، وكان نفوذهم في الحجاز نفسه أقوى منه في غيره حتى كان الملك حسين اذا استاء منهم يرفع استقالته الى الحكومة البريطانية رسميا وينشر ذلك في جريدته (القبلة) كما نقلناه عنها مرارا ان أولاد حسين صغار النفوس كبار الشهوات ، همهم اللذة وحب الفخفة الظاهرة ، لذلك رضي فيصل وعبد الله منهم بالملك والامارة الصورية في خدمة الانكليز ، وأما حسين فكبير النفس ، عاشق للحكم والسلطان الاستبدادي ، واسع الطمع ، زاهد في الشهوات البدنية ، فلذلك لم يكن راضيا من الانكليز بحصرهم سلطته في الحجاز وظل يطالبهم بما وعدوه من تأسيس مملكة عربية واسعة تحت حمايتهم حتى ملوا وسئموا منه ، ولم يبالوا باخراج الوهاية اياه من الحجاز بعد علمهم بكره العالم الاسلامي له وعدم طمعهم بخدمة جديدة يسلبها اليهم

ثم أرادوا أن يستفيدوا من التنازع على الحجاز فساوموا سلطان نجد فاني المنحول في المساومة معهم ورد مندوبهم مستر فاني بخفي حنين واعلن رأيه الرسمي في الحجاز وهو تفويض امر شكل الحكم فيه وإصلاحه الى رأي مؤتمر إسلامي عام مع عدم السماح لادنى نفوذ اجنبي أن يصل اليه

وأما حسين وأولاده فتربصوا بهم الحاجة الى المال والذخيرة وساءومهم على منطقة العقبة ومعان من شمالي الحجاز فرضوا بيعها لهم باسم الانتداب وجعلها

من إمارة عبد الله فطلبوا خروج (الملك) حسين منها اذ بقاؤه فيها يسوغ الوهابيين مهاجتها فتمنع ظاهراً أو باطناً لعدم رضاء بمكان آخر يقيم فيه أو ظاهراً فقط — الله أعلم — ثم رضي بالخروج منها بعد انذار حقيقي أو صوري — الله أعلم — ثم خرج متقاداً كالجلال الانف ولو لم يخرج لما استطاعوا اخراجه إلا بحرب ولن ترضى الحكومة البريطانية بأن تحاربه هناك ، وستكشف الايام سر هذه المسألة وأما أولاده علي وعبد الله وكذا فيصل — وقد استشير — فكانوا كلهم راضين ولكن عليا اشترط بل اقترح أن يرجع والده الى جدة ليمتعه هو بأمواله ونفوذه فلم يجب الى اقتراحه . وقد أصدر (إرادته السنية) بفصل المنطقة من « مملكته » الحجازية وإلحاقها بمنطقة شرق الاردن وذكر في نص الارادة أن التسليم يكون بعد خروج (الخليفة الاعظم) منها الى جدة

ثم أصدر الامير عبد الله (إرادته السنية) بضم المنطقة الحجازية الى « إمارته » والاحتفال بذلك رسمياً ونشر نص الارادتين في جريدة (الشرق العربي الرسمية) وفي غيرها من الجرائد السورية (وقد نقلناها في جزء المنار الثالث م ٢٦)

تم بذلك للانكليز الاستيلاء على أهم بقعة حربية برية وبحرية من أرض الحجاز المقدسة باسم الانتداب الجديد الذي كان من حقوقه عند انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وصاروا على مقربة من المدينة المنورة — كل هذا والشعوب الاسلامية وعلماء المسلمين لاهون غافلون لم ترتفع أصواتهم بالاحتجاج على هذا العدوان الانكليزي على الاسلام ، ناسين وصية نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، اللهم الا صوتنا الضعيف في المنار وبعض الاصوات الشخصية المشابهة له وأما أصحاب الاصوات العالية التي تتجارب اصداؤها في الاقطار ، وتطير بها البرقيات كل مطار ، لاهما من الصفة الرسمية أو شبه الرسمية كالملوك والامراء ورؤساء الهيئات العلمية والزعماء فقد ظلوا صامتين — اللهم الا جمعية العلماء وجمعية الخلافة في الهند — كأن أمر اعتداء الانكليز على الحجاز أمر عادي لا يؤبه له

ومن العجيب أن وجد في رجال الانكليز المشهورين أنفسهم من أنكروا على حكومتهم حق ضم شيء من أرض الحجاز الى منطقة الانتداب ولم يوجد

من أمراء المسلمين وحكوماتهم ولا من جماعاتهم الرسمية من فعل ذلك إن هؤلاء لا يجهلون أن وضع الانكليز أقدامهم بقرب المدينة المنورة بمحبة حابة شرق الاردن من الوهابيين أو غيرهم سيحملهم على الاستيلاء على المدينة المنورة نفسها لحماية العقبة ومعان ، ثم الاستيلاء على مكة لاجل حماية المدينة المنورة. فإين أتم أيها المسلمون واين وصية رسولكم صلى الله عليه وسلم في مرض موته ؟ وأعجب من هذا السكوت والسكون أن الانكليز مع هذا العدوان على الاسلام يهيجون الشعوب الاسلامية على السلطان ابن السعود الذي أعلن رسمياً أنه يمنع أي نفوذ أجنبي أن ينفذ الى الحجاز ويحملونهم على الاتصاف الشريف علي الذي وهب لهم منطقة من الحجاز حربية بحرية برية، فاذا عوا في العالم أن الوهابيين أطلقوا رصاصهم أو نارهم على قبة الحرم النبوي الشريف وأنهم هدموا قبر حمزة رضي الله تعالى عنه ، وهي قرية اقترأها ساسة الشريف علي بمصر ونشروها في المقطم فطلت بها البرقيات البريطانية ، ودبر وفد الشريف علي في بمبي (الهند) فتنة هيجوا بها بعض الغوغاء في المسجد بريقة مزورة من القدس على الزعيم الكبير شوكت على رئيس جمعية الخلافة لمقاومة للاستبداد الانكليزي في الهند والعدوان على الاسلام والمسلمين (١)

وقد طيرت البرقيات البريطانية خبر هذه الفتنة المدبرة فلم يبق قطراً اسلامياً الا ونشرته فيه ، وقد أظهرت شيخة الجرائد البريطانية تعجبها من سكوت المصريين وعدم تهيجهم على ابن السعود فعلم بهذا من لم يكن يعلم أن غرضها من ذلك هو التهيج ومساعدة الشريف علي على الوهابية بالدعاية الباطلة

إن التمس تعلم أن كذبتها وكذب البرقيات الانكليزية والسياسة البريطانية

(١) علمنا بعد نشرنا لهذه المقالة في الاهرام ان مجلس ادارة الامور الشرعية في القدس المسمى بالمجلس الاسلامي الاعلى أرسل الى الهند بريقة يؤكد فيها الدعاية الهاشمية البريطانية في هذه المسألة جنائياته الاسلامية فاستنالنا في هذا المجلس بقلبه وتدخله في مضايق هذه الفتنة وكانت اولى مبايعته لحسين بالخلافة وهو مجلس اداري محلي ليس له من الصفات العلمية الدينية ولا غيرها من يوهمه اسمه ولا ما يعطيه هذه الحقوق وسنعود الى بيان ذلك في الجزء التالي

نفسها قد صارت مضرب الامثال عند المسلمين وغيرهم ولا سيما اذا كانت في الامور الاسلامية وآخرها زعمها أن الرأي الاسلامي العام بمصر مؤيد للشيخ علي عبد الرازق في زعمه أن حكومة الاسلام لا دينية وفي اهاتة للاسلام والمسلمين المفيدة لسياستهم في الاستعمار ودعوة مبشرينهم الى تنصير المسلمين

ولم ينس المسلمون الاكاذيب الحجازية البريطانية التي اذيت قبل موسم الحج لصرف المسلمين عن اداء الفريضة كقولهم إن أساطيل الحجاز تمنع الحجاج من النزول في ثغري رابغ والقنفذة ، وأن جنود الحجاز تقطع عليهم الطريق اذا أمكنهم النزول، وإنهم مع ذلك لا يمدون ماء ولا قوتا ، ثم ظهر أن ذلك كذب صادر عن سوءنية ، فقد ذهب الالوف من أهل الهند الذين لم يصدقوا الانكليز ولا دعاة الشريف علي ونزلوا في تلك الثغور وأدوا الفريضة بأمان وأطمئنان وراحة لم يسبق لها نظير مع هذا كله اغتر بعض الناس بخبر المدينة المنورة فانتدب جلالة مايكنا المعظم بحكته وكشف للامة الغطاء عن الحقيقة ببرقيته إلى السلطان ابن السعود وما جاءه من الجواب المكذب لتلك الفرية (١) فقطعت جبهة قول كل خطيب وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون اه

(ما نشره الديوان الملكي في الجرائد بعنوان بين الحجاز ومصر)

ديوان جلالة الملك :

(١) صورة البرقية المرسلة من حضرة صاحب الجلالة الملك الى عظمة السلطان

عبد العزيز سلطان نجد في ١١ صفر سنة ١٣٤٤ — ٣٠ اغسطس سنة ١٩٢٥

عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد

إن الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلت خراطم المسلمين قاطبة للمعصاة يحدث من تأثيرها في الاماكن النبوية المقدسة التي نجاهاجيةا ونحافظ على آثارها الكريمة، ولا يخفى على عظمةتكم ما لهذه الاماكن من الحرمات التي توجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يتضيه أي نزاع أو خلاف — ولكن مانه يده في شديد غيرتكم

(١) وقد ارسل السلطان برقية اخرى لتقاية الصنحابة كذب بهادعوي اطلاق

الرصاص على قبة الحرم الشريف تكذيبا صر مح

الدينية لما يطمئن قلوبنا والمسلمين عامة على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار
السلف الصالح الدينية والسلام عليكم ورحمة الله
فؤاد
(٢) صورة البرقية الواردة من عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد الى
حضرة صاحب الجلالة الملك في ١٦ صفر سنة ١٣٤٤ — ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥
حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الملك فؤاد دامت معاليه
إني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية واني أقدر ما شرفتموه
حق قدره — إن حرم المدينة كحرم مكة فقد به بأرواحنا وكل مأملاك ، وإن
ديننا يحمينا من الاتيان بأي حدث في المدينة المنورة ، وصنحافظ على آثار السلف
وكل ما هو في المدينة مما يهم كل مسلم المحافظة عليه — ان العدو يحاول أن يشوه
وجهة جهادنا بما يقتريه من الكذب والبهتان، يحاول أن ينال بالبهتان، ما عجز عنه
بالسنان ، ولكن الحق أبلغ والله مؤيد دينه وأخذ بناصر أهله ولو كره المبطلون
هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي واحتراماتي

عبد العزيز بن عبد الرحمن السمود

(٣) صورة البرقية الواردة من جلالة الملك علي ملك العجاز الى حضرة
صاحب الجلالة الملك في ١٣ صفر سنة ١٣٤٤ (أول سبتمبر سنة ١٩٢٥)
صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم

أهدي لجلالتكم الملوكية أعظم الشكر على غيرتكم الاسلامية الجديرة بذانكم
العلية ومقامكم السامي فيما رغبتم فيه من تنزه البقاع المقدسة عن أن تكون ساحة
قتال، ولا يستكثر ذلك على سليل محمد علي الكبير الذي سبقت له خدمة هذه الديار
المباركة من قبل، وفي مثل هذه الكارثة نفسها مادة ومعنى ، ونبراً إلى الله أن يكون
أحد منا نحن أبناء الحرمين الشريفين أراد القتال أو أخذ على الاستمرار فيه سواء
ذلك في مكة المشرفة أو المدينة المنورة ، ونسجل على المتسبب مسئولية ما يهدم منها
من آثار، وما لا يزال يصيبها من أذى كجعل القبة الخضراء النبوية هدفا للرصاص
وسائر قبب وقبور أهل البيت في البقيع وتخريب مسجد سيدنا حمزة وهدم ضريح
الشريف طبقا للأساس الذي قام عليه المذهب الوهابي المعلوم . وبهذه المناسبة نؤكد

لجلالتكم اننا قائمون بالواجب الديني والوطني من بذل النفس والنفس في صيانة ما بقي من تلك الآثار وترميم ما خرب منها حتى يتم إخراج المعتدي بحول الله وقوته من الوطن المقدس كله وتثق أن العالم الاسلامي يشد أزرنا في ذلك وفي مقدمتهم جلالتكم الملوكة بصفتكم أكبر ملوك المسلمين وأعزهم غيرة على الله والدين أدام الله جلالتكم مؤيدين بالتوفيق والنصر علي

(المنار) نشر الديوان الملكي هذه البرقيات الثلاث في الجرائد بهذا الترتيب. وقد راب المفكرين علم الشريف علي بالبرقية المرسلة إلى سلطان نجد قبل وصولها اليه وجوابه عنها وجمعها وسيلة للدعاية الهاشمية التي كانت أساس ما يندعيه من امتلاك الحجاز الذي ترتب عليه بيعه منطقة من أعظم مناطق البرية البحرية للانكليز بجمعها تحت الانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن كما كانت أساس ادعاء أبيه الملك على جميع العربية والخلافة على الأمة الاسلامية

ولا يزال الشريف علي هذا واخوته متمسكين بخلافة أبيهم اذ نص في صك بيعه منطقة العقبة وممان للانكليز أنه يشترط أن يكون التسليم بعد « خروج الخليفة الاعظم منها » وهو يحرض ملك مصر بهذه البرقية على مساعدته على إخراج سلطان نجد من الحجاز كما فعل جده محمد علي بإخراج سلف سلطان نجد منه ويدعي مع هذا أنه لا يريد الحرب في الحجاز (!!) وتحاول الدعاية الهاشمية بث هذه الفتنة وتخويف ابن سعود من مصر ليقر الانكليز على ما أخذوا من الحجاز كما فعلت بتخويف المسلمين من خطر الحج فمنعته الحكومة المصرية وفات الشريف علي أن محمد علي وشرقاء مكة كانوا خاضعين لخلافة السلطان العثماني الذي خلص له ملك الحجاز بإخراج الوهاية منه والملك فؤاد غير خاضع لخلافة حسين بن علي فينقله الحجاز ويكون تابعا لخلافته، بل هو ملك دستوري لا يمكنه الاقدام على عمل كبير كهذا إلا باقرار برلمان دولته عليه، ولا يعقل ذلك الا بمبايعة الملك والبرلمان وكبار العلماء والجند من المصريين لحسين بالخلافة

وأما اذا أراد الشريف علي بإتخاذ ملك مصر للحجاز جملة تابعا لمصر فاعليه إلا أن يعلن هو ورجال حكومته ذلك ويبايعوا ملك مصر ويخرجوا من هذه الورطة التي اضطرته الي بيع جزء من الحجاز للأجانب ولا يعلم الى أي حد تنهيه به وهو لا يملك مالا ولا جندا بل يتكل على الأجانب ليبقى ممتعا بلقب ملك الحجاز وليعود والده خليفة في الحجاز فإله وملك مصر وللدواع المسلمين بالمحافظة على الحجاز والا تارفيه!

• • • الشريف علي يريده الحجاز ملكا له وابن السعود يريده المسلمين النار ج ٢٦٥

ومتى كان الشريف علي وأبوه وأخوته يعرفون الاسلام أو يصادون بما يعرفه كل
أحدهم؟ في أي كتاب من كتبه تعلموا أن الاسلام مبنى على تعظيم القبور واستغلال
بيم الاراضي المقدسة لغير المسلمين؟ هل أخذوه من وصية النبي (ص) في مرض
موته قبيل وفاته بأن لا يبق في جزيرة العرب دينان وبإخراج المشركين واليهود
والنصارى منها؟ أم من لعنه (ص) للذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد «يخذوا
صنعوا» كما قالت عائشة زاوية الحديث في الصحيح أم من لعنه صلى الله عليه وسلم
لأثرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج كما رواه الامام احمد وأصحاب
السنن الاربعة وغيرهم؟ أم من حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وهو قوله
لا بى هياج الاسدي : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله (ص) أن لا تتبع
تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا (أي مرتعفا) إلا سويته . (أي هدمته
وسويته بالتراب . وقال الشافعى في الام : ورأيت الائمة بمكة يأمرؤن بهدم
ما بينى (أي من القبور) قال النووي ويؤيد الهدم قوله «ولا قبر مشرفا إلا سويته» اه
نعم إن الالوف من عوام المسلمين في بلاد كثيرة غير نجد يجهلون هذه
الاحاديث الصحيحة ويخالفون هديها وفيهم تنفع دعاية على بن حسين وتضليلهم
ولكن لا تروج هذه الدعاية لدى ملك مصر الذي يحف بعمره كبار علماء الازهر
ويعلمون ما يعلمون من سوء ماقبة جعل منطقة العقبة ومكان تحت الانتداب
البريطاني ومن الخطر على سائر الحجاز وعلى شعائر الاسلام ، ويعلم أن الامير
عبدالله بن حسين ليس له من الحق في إمارة شرق الاردن الحقيرة عشر مئشار
مالدولة مصر من الحق في القطر السوداني العظيم ، وقد طرد الانكليز من
الجيش المصري الذي فتحه بعد إكراه الانكليز للحكومة المصرية على التخلي
عنه وهو الذي مره بأيديه وبغلايين الخزينة المصرية!! فكيف يطوف بعقل الشريف
علي أن ينصره ملك مصر على ابن السعود الذي أعلن رسميا بأنه يجعل أمر
الحجاز مفوضا الى العالم الاسلامي ويخضع لما يقرره المؤتمر الذي يقعد لذلك؟
فهل يأتي ملك مصر هذا ويرضى بأن يبقى بيده بيم من أرضه للجانب ما يشاء؟
اذا كان الوهاية قد هدموا بعض القبور أو الأثار كما قالوا وقرر المؤتمر الاسلامي
امادة بنائها فلا يسم ابن السعود مخالفته وأما استرجاع ما باعه الشريف علي للانكليز
فليس رده بالسهل على المؤتمر الاسلامي ولا على غيره (فاعتبروا يا أولي الابصار)

(قبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أوامرك الذين هدام الله وأولئك هم أولو _ الالباب)	 <p>١٣١٥</p>	(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما بذكر الا أولو الالباب)
--	---	--

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٤ - ٢٥ برج الميزان سنة ١٣٠٥ هـ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٥

فتاوى المنار

(ص ٢٩٦ - ٣٩٦) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي
الانام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فاني أرفع لفضيلتكم الاسئلة
الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها واسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومفي
عظيم الشكر

(١) هل رفع الحجاب عن وجوه المسلمات الحرائر وإظهار أكفهن ظهراً
وبطناً الى الكوعين (*) خارج الصلاة في الطرقات والاسواق والمجتمعات العامة
جائز في الشريعة الاسلامية أم لا ؟

(٢) وهل صوت المرأة الاجنبية المسلمة الحرة عورة يحرم على الرجال
سماعه أم لا ؟

(٣ - ٦) وهل التزني بلبس القبعة (مايسمونها بالبرنيطة) للرجل المسلم
حرام أو مكروه أم لا ؟ فاذا قلتم حرام أو مكروه فما الدليل على الحرمة أو الكراهة
وهل يجوز لرجل المسلم أن يتزيا بلبس البدلة الافرنجية (مايسمونها بالسترة والبنتلون)
أم لا ؟ وهل يجوز صلاة الرجل المسلم وهو متزيا بلبسها بلا حرمة ولا كراهة سواء
كان ملماً أو مأموماً أو منفرداً أو خطيباً للجمعة والعيد أم لا ؟ وهل للمسلمين
من الرجال والنساء زمي مخصوص يلبسونه أم لا ؟ فاذا قلتم ان لهم زياً مخصوصاً
يلبسونه فما هو شكله وكيفيته ؟ أرجو التفضل ببيان ذلك ؟

(٧ - ٨) وهل السكروة (مايسمونها بالسكرورة) من العودة أم من

(*) المنار: المراد بالكوعين الكوع والكرسوع على التغليب فالكوع طرف
عظم الساعد أو الزند من جهة ابهام اليد والكرسوع الطرف الاخر الذي يلي المصير
وهما وهما يسمى الرسغ بالضم

النيات ؟ وهل يحرم لبسها كالحرير للرجال أم لا ؟ وهل حرمة التحلي بلبس الحرير للرجال من الكبائر أم من الصغائر

(٩-١٣) وما هي الحرمة الكبيرة والصغيرة وما كيفية عذابهما وهل يتفاوتان في العذاب أم لا ؟ وهل عذاب القبر للروح والجسد معاً أم هو للروح فقط — وهل يكون العذاب مستمراً دائماً أم منقطعاً أي يرتفع ويمود وهكذا أم لا ؟

(١٤ - ١٦) وما قولكم دام فضلكم في رجل مسلم مؤمن بالغ عاقل حر قتل نفسه مسلمة مؤمنة بالغة عاقلة حرة عمداً بغير حق ولم يقاصص في الحياة الدنيا لا بدفع الدية ولا بغيرها مطلقاً وعليه أيضاً ديون ومظالم وخيانات وسرقات وكذب وغش لانس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا ما حكمه في ذلك كله يوم القيامة ؟ هل يعذب في قبره بسبب ذلك كله أم عذابه في الآخرة فقط وهل اذا تاب الى الله تعالى في الحياة الدنيا من ذلك كله تقبل منه التوبة ولا يعذبه في قبره ولا في الآخرة أم لا ؟ (١٧) وهل هذان الحديثان الاكثيان صحيحان معتمدان غير منسوخين

أم لا ؟ — وما معناهما — وهما « لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبون ويستغفرون الله فيغفر لهم » — رواه الامام مسلم — « كل شيء يقدر حتى العجز والكيس » — رواه الامامان مسلم واحمد . أرجوكم أن لا تحيلونا على فتاوي سبقت لكم في مجلدات مجلة المنار بهذا الخصوص حيث انه لم توجد لدينا مجلدات مجلة المنار مطلقاً تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب »

(المنار) ائنا نجيئ عن هذه المسائل بشيء من الاجمال لبعض مباحثها ، ومن التكرار لبعض معانيها ، لما سبق لنا من تفصيل القول في أكثرها

كشف وجه الحرة وكفيتها

نقل الحافظ ابن عبد البر وغيره أن المسلمين قد أجمعوا على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والاحرام . ومن المعلوم أن مدة الاحرام طويلة بتبدي من الميقات المعين وتنتهي بإداء النسك من حج أو عمرة ، وأن النساء كن ولا يزلن يشاركن الرجال في أعمال فرائض النسك وواجباته ، وأنهن كن

« المنار ج ٦ » « ٥٣ » « المجلد السادس والعشرون »

يصلين مع الرجال ، ويتوضأن حيث يتوضؤون في بقى الاوقات والاحوال . قالستر
الذي فرض عليهن في أثناء الصلاة والنسك هو اكل الستر وأتمه لانه يكون في
أفضل المجامع الدينية المشتركة بينهن وبين الرجال ، ولا يناقئ ذلك كونهن يصلين
صلاة الجماعة خلف الرجال وانهن قد يفرد لهن المطاف فيطفن وحدهن ، اذ من
المعلوم بالضرورة انهن يقبلن على المساجد في الحالة التي يصلين فيها ويطفن فيها من الرجال
وانهن ينتقلن مع الرجال من مواقيت الاحرام الى مكة ومنها الى عرقت والمزدلفات ومنى .
ولا بأس بأن تنقل هنا ملخص مذاهب علماء الامصار في المسألة في الصلاة
وخارجها عن كتاب الفتى للشيخ الموفق الحنبلي فانه كتاب في فقه الاسلام لا في
فقه الحنابلة وحدهم قال (ص ٦٤١ ج ١)

لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة وأنه ليس لها
كشف ما عدا وجهها وكفئها . وفي الكفين روايتان . واختلف أهل العلم فأجمع
أكثرهم على أن لها أن تصلي مكشوفة الوجه وأجمع أهل العلم على أن للمرأة الحرة
أن تخمر رأسها اذا صلت وعلى أنها اذا صلت وجميع رأسها مكشوف أن عليها
الاطاعة وقال ابو حنيفة القدمان ليسا من العورة لانهما يظهران غالباً فهما كالوجه
وإن انكشف من المرأة أقل من ربع شعرها أو ربع فخذهما أو ربع بطنها لم تبطل
صلاتها . وقال مالك والاوزاعي والشافعي جميع المرأة عورة الا وجهها وكفئها وما
سوى ذلك يجب ستره في الصلاة لان ابن عباس قال في قوله تعالى (ولا يبدن
زينتهن الا ما ظهر منها) : الوجه والكفين . ولان النبي (ص) نهى المحرمة (أي
بالحج أو العمرة) عن لبس القفازين والنقاب . ولو كان الوجه والكفتان عورة لما
حرم سترهما ، ولان الحاجة تدعو الى كشف الوجه لبيع والشراء ، والكفين
للاخذ والاعطاء ، وقال بعض أصحابنا المرأة كلها عورة لانه قد روي في حديث
عن النبي (ص) « المرأة كلها عورة » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .
لكن رخص لما في كشف وجهها وكفئها لما في تعطيته من المشقة . وأبيح النظر
اليه لاجل الخطبة لانه مجمع المحاسن اه ومثله في الشرح الكبير (ص ٤٦٢ ج ١)
وذكر الامام الشوكاني في نيل الاوطار خلاف هذه المذاهب وغيرها فقال

« وقد اختلف في مقدار عبورة الحرة قبل جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين والى ذلك ذهب المهدي والقاسم في أحد قوليه والشافعي في أحد أقوله وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه ومالك . وقيل والتقدمين وموضع الخلخال (أي كالوجه والكفين) والى ذلك ذهب القاسم في قول وأبو حنيفة في رواية عنه والثوري وأبو العباس . وقيل بل جميعها الا الوجه واليه ذهب أحمد بن حنبل وداود . وقيل جميعها بدون استثناء واليه ذهب بعض أصحاب الشافعي . وروي عن أحمد . وسبب اختلاف هذه الأقوال ما وقع من المفسرين من الاختلاف في تفسير قوله تعالى (إلا ما ظهر منها) اه

أقول بل هنالك أسباب أخرى كما تقدم عن المفتي وأقواها ما كان معروفاني الصدر الاول من معاملة النساء للرجال في البيع والشراء والشهادة وخدمتهن لجرى الحرب وإنما ورد النهي عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية وعن متابعة نظر الشهوة . وفي حديث ابن عباس من صحيح البخاري وغيره أن النبي (ص) أردف الفضل بن العباس خلفه في سفر حجة الوداع فعرضت له (ص) امرأة خثمية جميلة تسأله فطلق الفضل ينظر اليها فأخذ النبي (ص) بذقن الفضل يحول وجهه عن النظر اليها وفي رواية الترمذي لقصة أن العباس قال للنبي (ص) لويت عنق ابن عمك فقال « رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الفتنة » قال النبي (ص) لم يأمر المرأة بستر وجهها ولم يأمرها ولا أمر الفضل بعدم نظر كل منهما الى الآخر الا انه حول وجه الفضل عنها لما رآه يعتمد إطالة النظر اليها فعلم انه عن شهوة . ولذلك ورد أن النظرة الاولى لامرء والثانية عليه وهذا بعد نزول آية الحجاب بخمس سنين ، وقد استدل به من السنة العملية على أن الحجاب المنصوص في سورة الاحزاب خاص بنساء النبي (ص) كما هو صريح الآيات ، ولا سيما قوله تعالى في أولها (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) الخ

وتعليقهم المتقدم لكون الوجه والكفين لا يجب سترهما بالحاجة الى كشفهما للبيع والشراء والاخذ والاعطاء ، وبما في التنطية من المشقة صريح في عدم قصر كشفهما على حال الصلاة . ومن حرم كشف الوجه والكفين من الفقهاء كالنووي

من الشافعية علوه بخوف الفتنة وهو أمر عارض لا أصل ولا غالب في النظر فهو براعي في الاحوال التي هي مظنة الفتنة ، وليست دائمة ولا غالبية فان البر والفاجر من جاهير الناس يرون أبرع النساء جالا في شوارع الامصار العامة ولا يكاد يفتن أحد منهم برؤيتهن ، على أن الكثيرات منهن يخرجن متبرجات بكل ما أباحت حرية الفسق من زينة وتهتك واغراء ، وانما يفتن بعض الفجار الذين يبحثون عن الفواحش ، فمن يريد التحري لدينه من رجل وامرأة فلا يخفى عليه ما كان مظنة الفتنة الواجب عليه اجتنابها والبعد عن مواقف الشبهة ومواضع الريية . ولم يكن الامر بالستر في عصر التشريع الا لاجل هذا وقد أبيع للاماء كشف رؤسهن مع وجوههن ومن العلماء من قال إن عورة الامة كمورة الرجل : ما بين السرة والركبة ، وربما كانت الفتنة فيهن أشد لان الوصول اليهن أيسر ، والدعة فيهن أقل وأضعف ويجب عليهن ما يجب عن الحرائر من صيانة أعراضهن ، ويحرم عليهن من الفجور ووسائله ما يحرم عليهن ، ولا يقول فقيه بإباحة تعرضهن للفتنة ، فإذا وجدن في مكان يتعرض فيه الفجار لمن فعلين أن يسترن رؤسهن ووجوههن أيضا وإلا فلا .

وانا لنعلم أن المتفرنجين من المسلمين يغنون برفع أدب الحجاب عن المسلمات التوصل إلى مثل إباحة نساء الافرنج كإفعل الترك ، فليحذر المسلمون الحريصون على دينهم وأعراضهم وأنسابهم ذلك ، فان الخوف من هذه العاقبة هو الذي يحمل اهل الدين من صنف العلماء وغيرهم على اطلاق القول بوجوب كذا من الحجاب وتحريم كذا من السفور مثلا ، والتحريم والتحليل الدينيان حق الرب وحده على عباده فهو يتوقف على النص ، والنص عام وخاص ، ومطلق ومقيد ، وتطبيق النصوص على الوقائع والنوازل أعسر مسلكا من معرفة النصوص وفهم معانيها ، ولذلك ورد في الحديث « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه احمد والدارمي وابو يعلى من حديث وابصة مرفوعا

وأما صوت المرأة فليس بعورة فما زال النساء يكلمن الرجل في اقادة الـ واستفادته حتى نساء النبي (ص) وفي المحاكمات والشهادات والمبايعات وغير ذلك من المعاملات كخطبة النكاح وكذا الخطب السياسية بنير نكير . وقال الله لنساء نبـ

في آيات الحجاب (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)

مسائل اللباس والزي

قد حققنا هذه المسألة في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي هو أول مؤلفاتنا ثم عدنا إليه في المنار مراراً . وصفوة القول فيه أن الدين الاسلامي لم يفرض ولم يحرم على المسلمين زياً مخصوصاً بل ترك هذا وأمثاله من العادات الى اختيار الناس ، والاسلام دين عام فرضه الله تعالى على جميع الناس كما تراه مفصلاً في تفسير هذا الجزء ، وما يصلح لهم من اللباس في بعض الاقطار لا يصلح في غيرها . ولكن شرعه حرم عليهم الضرر والضرار فليس لمسلم أن يرتكب ما يضر نفسه ولا ما يضر غيره فاجتناب الضرر والضرار قيد تقيد به جميع المباحات لذاتها من أكل وشرب ولباس وصناعة وزراعة وغير ذلك . فمن علم بالتجربة أو بقول الطبيب الصادق أن أكل الخبز أو شرب الماء يضره لمرض مثلاً حرم عليه ، ويقاس على هذا غيره ، وما يضر الناس أفراداً وجماعات أولى بالتحريم مما يضر النفس ، فليس لمسلم أن يضر أحداً بعبادته فضلاً عن عاداته

فمن عرف هذا الاصل علم أن لبس السراويل المسمى بالبنتلون أو القانسونو المسماة بالبرنيطة ليس محرماً لذاته بل مباحاً ، فإن كان هذا اللباس بصفة تصده عن الصلاة أو تحمله على تأخيرها عن وقتها لتعذر أدائها أو تعسره في حال لبسه ككون السراويل حازقاً أي ضاغطاً على البدن يمنع لشدة ضيقه من السجود وككون القانسونو تمنع منه كذلك بشكلها .. فإن ذلك يكون ضرراً دينياً مقتضياً لتحريم مادام مانعاً وكذلك إذا كان لبس الحازق يضر البدن كما قالوه في المشد الذي تشد النساء به خصوصهن . وقد قال الدكتور سنوك المستشرق الهولاندي المشهور الذي دخل في الاسلام وجاور في مكة بضع سنين ، وكان صديقنا السيد عبد الله الزاوي مفتي مكة من شيوخه يعتقد صحة إسلامه - قال - انه ثبت بالتجربة الدقيقة في البلاد المختلفة أن المسلمين الذين يتركون زيههم ويلبسون الزي الاوربي يترك أكثرهم الصلاة أو المحافظة عليها . مع العلم بأن أكثرهم يجعلها راسعة لا يتذروا السجود ولا يتعسرون في حال لبسها

ونحن نزيد على هذا اننا رأينا بالاختيار في مصر أن القدين تركوا الزي الوطني : الجبة والقباء (القفطان أو القنبار) والعمامة حتى من غير المنسوبين الى طبقة رجال العلم والتعليم واستبدلوا به الزي الافرنجي صار اكثرهم يجلسون في الحانات ويمشقون الخمر على قارعة الطريق ويختلفون الى مهاد الرقص والخلاعة ومواخير الزنا جهرأ ومنهم من غير زيه لاجل هذا فكان عاصيا لله تعالى به وسيلة ومقصدا . وما كل من يلبسه كذلك ولا سيما قدين اعتادوه من الصغر ثم إن هذا الزي قد صار اذا استثنينا (البرنيطة) من جملة الازياء الوطنية بمصر وبلاد أخرى بانهم جميع رجال الحكومة ماعدا رجال الشرع عنهم . قلنا أضيفت اليه البرنيطة التي لا تزال خاصة بالافرنج وقلديهم من الشعوب غير الاسلامية ولا يلبسها من المسلمين الا لافراد الذين يسافرون الى بلاد الافرنج لاجل الشكر وإيهاهم أهل البلاد انهم منهم ، ويمتدرون عن هذا بأنهم اذا دخلوا البلاد بزيمه الوطني يكونون مطمح أنظار الساخرين والمستهزئين وقد يؤذون منهم وهذا اعتذار باطل كما جربنا بنفسنا فقد زرنا أوربة بزينا الوطني الذي يعد زي علماء الدين في بلادنا ولم نلق أذى من أحد باحتقار ولا غيره ، نعم كانت تتوجه الينا الانظار ، وتلفت نحونا الاعناق ، ولا سيما اذا صلينا في بعض المنزهات العامة ، ولكن كان يكون ذلك مع الادب التام بل كنا قد نحترم عند الذين يعرفوننا أكثر من غيرنا وقد لبس النبي (ص) الجبة الرمية والطياصة الكسروية لبيان الجواز ولكنه أمر أمته بمخالفة الكفار في عاداتهم وأزيائهم لا في أمورهم الدينية فقط ، ولما كان هو بمكة كان يخالف المشركين وإن وافق أهل الكتاب ، فلما صار في المدينة كان يأمر بمخالفة الكتاب لجاورته لهم فيها كما أمر بصبح الشيب لانهم لم يكونوا يصبحون ، وروى احمد وابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة (رض) قال قلنا يا رسول الله ان أهل الكتاب يتسربلون ولا يأتزون فقال (ص) « تسربلوا واءتزروا وخالفوا أهل الكتاب » أي فأمر بمخالفتهم بالجمع بين الامرين ولم يأمر بتترك السراويل البتة لمخالفتهم اذ الغرض أن يكون للمسلمين مشخصات من الماديات خاصة بهم ولا يكونوا تابعين لغيرهم لان الاستقلال في العادات وغيرها مما يعد من مشخصات الامم

التي تعرف بها يزبد استئلال الامة في مقوماتها المالية — كالدين واللغة والآداب وما يسمونه الثقافة القومية قوة ورسوخا ،

لهذه العلة أجاب عمر (رض) معاوية وغيره ممن طلبوا منه أن يتجمل أمام أهل بلاد الشام لانهم اعتادوا أن يروا حكمهم من الروم في مظاهر عظيمة من الزبي وغيره — فقال ما معناه — جئنا لتعلمهم كيف نحكم لا لتعلم منهم. ولهذا الغرض نفسه كان يوصي قواده الماتحين لبلاد الاعاجم وعماله فيها بالمحافظة على عادات العرب وزبها وينهاهم عن التشبه بالاعاجم

روى مسلم في صحيحه عن أبي عثمان النهدي قال كتب البنا عمر ونحن اخريجان : يا عتبة بن فرقد . انه ليس من كدك ولا من كد أهلك ولا من كد أمك . فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحالك ، وإياكم والتنعيم وزبي أهل الشرك ولبوس الحرير ، فإن رسول الله (ص) نهى عن لبوس الحرير الا هكذا... ورفع لنا رسول الله (ص) أصبعيه الوسطى والسبابة وضهما إياه. وعتبة هذا كان قائد جيش عمر هنالك . قال النووي في شرح مسلم : ومقصود عمر (رض) حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفراييني وغيره باسناد صحيح قال : أما بعد فاء تزروا وارشدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أيكم اسماعيل ، وإياكم والتنعيم وزبي الاعاجم ، وعليكم بالشمس فانها حرام العرب ، وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وبرزوا وارموا الاغراض ، اه فقد أمرهم بالقاء الخفاف والسراويلات وكانوا يلبسونها في عهد النبي (ص) بأذنه كما أمرهم بغير ذلك من لبوس العرب وعاداتهم ليحافظوا على مشيختهم فلا يندغموا في الاعاجم . ولولا ذلك لاندغموا في الاعاجم بدلا من تعريبهم لهم . والتعدد التشبه بمعدن عدنان وكان شديد القوة والبأس يؤثر الخشونة في العيش على الترف والرخاوة . وقوله : واقطعوا الركب ، هو بضمين جمع ركاب — ككتاب وكتب — أي اقطعوا ركب منروجكم . فهذه الاوامر والنواهي ليست دينية وفروضة على كل مسلم بل هي من سياسة الاسلام التي تطلب من جمهور الامة في مثل هذه

لاحوال ولحكامهم أن يازمهم إياها شرعا وعليهم طاعتهم فيها ان كانت لتقوية
بناء الامة ورفع شأن الملة

وقد التزم هذه السياسة العربية الاسلامية في هذا العصر الشعب الانكليزي
ولا سيما في مستعمراته فهو يتحرى أن يكون ممتازاً أو متبوعاً، ولذلك كان أعز الشعوب
نفساً وأعلام همة وقدرأ . وقد رأيت السيد عليا ملاحظاً وكيل الشعنة (البوليس)
في أغره من الهند يلبس قلنسوة (برنيطة) بريطانية فكلمته في لبسها وما فيه وسألته
هل هو شرط رسمي في عمله ؟...؟ فقال ان الانكليز يمنعون أهل الهند رسمياً من
لبس هذه الهرايط لئلا يتشبهوا بهم فلا يلبسها أحد الا بأذن خاص ولا يعطى هذا الاذن
لكل أحد، وقد أعطيت به بعد أن طلبته لان التجوال في الشمس عامة النهار يؤذي رأسي.
(للبحث بقية)

مواد المنار

تنزاح المواد على المنار بتزاح الاحداث والجواثب في العالم الاسلامي فتضيق
صحائفها وبعوادها الثابتة فنضطر الى ترك بعض ما بدأنا قبل اتمامه أو تأخيرها. كنا نشر عنا
في كتابة بحث طويل في مسألة ترجمة القرآن المجيد لاقدام الحكومة التركية على تنفيذ
ما اقترحه بعض ملاحديهم اللادينيين في أواخر عهد لدولة العثمانية التي قضوا عليها فاعثم
أن قاجارنا اللادينيين في مصر بكتاب (الاسلام وأصول الحكم) فصرنا بفضل وقتنا
الى السعي لدمغ باطله وابطال ضلالاته واظهار ما انطوى عليه من الكفر الخفي والجلي
وتأليب علماء المسلمين وعامة منهم عليه فكتبنا في ذلك عدة مقالات ضاق عنها المنار فنشر
بعضها في جريدة اللواء وبعضها لما ينشر ، كما عقدنا عدة مجالس لذلك حضرها بعض
علماء الازهر وأساتذة المدارس العليا وغيرهم، ونشرنا صورة حكم هيئة كبار العلماء على
مؤلفه بطرده من علماء الازهر وما ترتب عليه من حكم الحكومة بطرده من المحاكم الشرعية.
وسنعود الى ما تركنا بحسب الحاجة

أسرار البلاغة أو فلسفة البيان

(تابع لما نشر في الجزء الخامس)

وإذا ثبت هذا الأصل وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرك قوي الاستحسان ، ويشير الكامن من الاستظراف ، فإن التمثيل يخص شيء بهذا الشأن ، واسبق جار في هذا الرهان ، وهذا الصنيع صناعته التي هو الامام فيها ، والباديء لها والمهادي الي كينيتها ، وأمره في ذلك انك اذا قصدت ذكر ظرائفه وعد محاسنه في هذا المعنى ، والبدع التي يخترعها بمحذقه ، والتأليفات التي يصل اليها برقيقه ، ازدحمت عليك ، وغمرت جانبيك ، فلم تدري أيها تذكر ، ولا عن أيها تعبر ، كما قال :

إذا أتاهما طالب يستأماها تكاثرت في صينه كرامها

وهل تشك في انه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعدمايين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشتم والمرق (١) وهو يريك للمعاني الممثلة بالالوهام شبيها في الاشخاص المائلة ، والاشباح القائمة ، وينطق لك الاخرس ، ويمطيك البيان من الاعجم ، ويريك الحياة في الجراد ، ويريك الثمام عين الاضداد ، فيأنيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين ، كما يقال في المدوح : هو حياة لا وليائه ، موت لا عدائه ، ويجعل الشيء من جهة ماء ومن أخرى نارا كما قال :

أنا نار في صرتقى نظر الحما سدماء جار مع الاخوان

وكما يجعل الشيء حلوا مرآ ، وصا باعسلا ، وتبيحا حسنا ، كما قال :

(١) المشتم من أتى الشام ، والمغرق من أتى العراق

(المنار : ج ٦) (٥٤) (المجلد السادس والعشرون)

حسن في عيون أعدائه أنه بيع من ضيفه رأته السوام (١)
ويجعل الشيء أسود أبيض في حال كنهو قوله
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود اسفم (٢)
ويجعل الشيء كالمقلوب الى حقيقة ضده كما قال :
غرة بهمة ألا إنما كنت أغرا أيام كنت بهما (٣)
ويجعل الشيء قريبا بعيدا معا كقوله : * دان على أيدي الغاة
وشاسم * وحاضرا غائبا كما قال :
أيافا حاضرا في الفؤاد سلام على الحاضر الغائب
ومشرقا مغربا كقوله :

له اليكم نفس مشرقة ان غاب عنكم مغربا بدنه
وسائرا مقبلا كما يجيء في وصف الشعر الحسن الذي يتداوله الرواة

(١) وفي نسختنا: وجوه أعدائه ولكن قال شيخنا : ان الرواية الصحيحة
عيون أعدائه وان قوله حسن خبر المحذوف هو الممدوح وفي (عيون) صفة لا قبح
الذي هو خبر ثان والسوام الماشية (٢) الاسفم الأسود المشرب بحمرة والاسم
السنمة بالضم (٣) يصف الشيب بأنه غرة شديدة ، وإنما كان أغر في الوقت الذي
كان فيه بهما أي أسود الشعر ، وفي رواية أبي هلال مرة بدل بهمة . هذا ما كتبه
على البيت في حاشية الطبعة الاولى وأجازه شيخنا الا أنه علق على نسخة الدرس
بإزاء قوله غرة بهمة : أراد من الشدة أنها صعبة الاحتمال اه ولم يظهر لي الآن
وجه تفسير البهمة بالشديدة . ومن المعلوم أن الغرة في الاصل البياض في جبهة
الفرس فوق قدر الدرهم ومنه فرس أغر والبهمة كالظلمة وزنا ومعنى . والبهيم
التي لاشية فيه من غير لونه ، ومنه ليل بهيم لاضوء فيه ويطلق الاخر على
الحسن والايض من كل شيء وعلى السيد الكريم ، فاذا كان يصف شيبه فهو
يقول انه وان لفته غرة كالظلمة في قبضها وكرامته هو أو كراهة الحسان لها ،
وانه انما كان رجلا أغر في الوقت الذي كان شعره أسود بهما

وتهاداه الالسن كما قال القاضي أبو الحسن :

وجوابة الافق موقوفة تسير ولم تبرح الحضرة
 وهل يخفى تقريبه المتباعدين ، وتوفيقه بين المختلفين ، وانت تجد
 اصابة الرجل في الحجة وحسن تخليصه للكلام وقد مثلت تارة بالهناء ومعالجة
 الابل الجربى به (١) واخرى بحز القصاب اللحم واعماله السكين في
 تقطيعه وتقريته في قولهم : « يضع الهناء مواضع النقب (وهو الجرب)
 ويطبق المفصل » (٢) فانظر هل ترى مزيداً في التناكر والتنافر على ما بين
 طلاء القطران ، وجنس القول والبيان ، ثم كرر النظر وتأمل كيف حصل
 الائتلاف وكيف جاء من جمع أحدهما الى الآخر ما يأنس اليه العقل
 ومحمد الطبع . حتى انك لربما وجدت لهذا المثل اذا أورد عليك (٣) في
 انتهاء الفصول ، وحين تبين الفاضل في البيان من المفضول ، قبولاً ولأما
 تجد عند فوح المسك ونشر الغالية (٤) وقد وقع ذكر الحز والتطبيق منك
 موقع ما ينفي الحزازات عن القلب ، ويزيل اطباق الوحشة عن النفس .
 وتكلف القول في أن للتمثيل في هذا المعنى المدى الذي لا يجارى اليه ،
 والباع الذي لا يطاول فيه ، كالاحتجاج للضرورات . وكفى دليلاً على
 تصرفه فيه باليد الصناعات ، وإيفائه على غايات الابتداع ، انه يريك العدم

(١) الهناء بالكسر القطران والنقب كصرد الجرب قال عبد الباقي :

وما الهنا منكم بمشف نقباً وطالما أشني الهناء النقباً

(٢) يقال طبق العيف اذا أصاب المفصل قال الشاعر في وصف سيف :

* يصمم أحياناً وحيناً يطبق * ويقال للبليغ : قد طبق المفصل . ويقال أيضاً

* يضع الهناء مواضع النقب * يعنون أنه ماهر مصيب (٣) وفي نسخة اذا ورد

عليك «٤» النشر الرائعة الطيبة والغالية طيب معروف

وجوداً والوجود عدماً ، والميت حياً والحي ميتاً ، اعني جمعهم الرجل اذا بقي له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته كأنه لم يميت وجعل الذكر حياة له كما قال : « ذكره (١) الفتي عمره الثاني » وحكمهم على الخامل الساقط القدر الجاهل الدنيء بالموت . وتصييرهم إياه حين لم يكن ما يؤثر عنه يعرف به كأنه خارج عن الوجود الى العدم ، او كأنه لم يدخل في الوجود

ولطيفة أخرى له في هذا المعنى هي اذا نظرت اعجب ، والتعجب بها احق ومنها اوجب ، وذلك جعل الموت نفسه حياة مستأنفة حتى يقال انه بالموت استكمل الحياة في قولهم : « فلان عاش حين مات » يراد الرجل تحمله النفس الابية وكرم النفس والاثقة من العار على أن يسخو بنفسه في الجود والبأس ففعل ما فعل كعب بن مامة (٢) في الاثيان على نفسه ، او ما فعله الشجاع المذكور من القتال دون حريمه ، والصبر في مواطن الابهاء ، والتصميم في قتال الاعداء ، حتى يكون له يوم لا يزال يذكر ، وحديث يعاد على مر الدهور ويُشهر ، كما قال ابن نباتة :

بأبي وأمي كل ذي نفس تعاف الضيم حرة
يرضى بأن يرد الردى فيميتها ويعيش ذكره

« ١ » الذاكرة بالضم الصيت « ٢ » الظاهر أن يقال فيفعل كما فعل كعب بن مامة قال شيخنا هو الايادي المشهور آثر رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشاً ونج السعدي وله يقول حبيب :

يجود بالنفس اذ من البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وقال له وخاتم الطائي :

كعب وخاتم الذات تقسما هذا الذي خلف السحاب ومات ذا
خطط الي من طارف وتليد في الجهد ميتة خضرم صديد
لا يسبحون له بألف شهيد إلا يكن فيها الشهيد فقومه

وانه ليأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة ، ويشتق من الأصل الواحد أغصاناً في كل غصن ثمرة على حدة ، نحو أن الزند بإيرائه (١) يعطيك شبه الجواد والذكي الفطن وشبه النجح في الأمور والظفر بالمراد وبأصلاده (٢) شبه البخيل الذي لا يعطيك شيئاً ، والبايد الذي لا يكون له خاطر ينتج فائدة ويخرج معنى ، وشبه من يخيب سعيه ونحو ذلك . ويعطيك (٣) من القمر الشهرة في الرجل والنباهة والعز والرفعة . ويعطيك الكمال عن النقصان والنقصان بعد الكمال . كقولهم «هلال نافعاً بدرأ» يراد بلوغ النجل الكريم المبلغ الذي يشبه أصله من الفضل والعقل وسائر معاني الشرف كما قال أبو تمام :

لهفي على تلك الشواهد منها لو أمهات حتى تصير شمائل

لقد سكونهما حجباً وصباها كرمات تلك الأريحية نائل (٤)

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت أن سيصير بدراً كاملاً

وعلى هذا المثل بعينه يضرب مثلاً في ارتفاع الرجل في الشرف والعز من طبقة الى أعلى منها كما قال البحتري :

شرف يزيد بالعراق الى الذي عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا (٥)

(١) يقال وري الزند (كوعد) وأورى اذا أخرج ناره ، ويقال أصله اذا صون ولم تخرج منه النار (٢) عطف على قوله يأتيك من الشيء الواحد الخ (٣) يروى حداً بدل كرمأ ، وقبل البيت الاخير

ولاعقب للنجم المرذ بديمة ولعاد ذاك الطل جوداً وابلاً

والرثاء لولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم أحدهما هوى من سطح ؛ والآخر تردى في بئر (٤) في كتاب المسالك * عهدوه في خلبخ أو ببلنجرا * وخبليج وبلنجرو والبيضاء مدن الخزراء وقوله يزيد بالعراق أي ابتدأت زيادته فيه ثم لزال يعتمد الى أن وصل الى الذي عهدوه الخ ، والبيتان من قصيدة قالها في مدح اسحق ابن كنداج الخزري القائد الكبير عند ما توج وقلد السيفين

مثل الهلال بدا فلم يرح به صوغ الليالي فيه حتى اقرا
ويمطيك شبه الانسان في نشأته ونماثه الى أن يبلغ حداً تمام، ثم تراجع
إذا انقضت مدة الشباب، كما قال :

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضئيلاً ضعيفاً ثم يتسق (١)
يزداد حق إذا ماتم اعقبه كرا الجديد ينقصاً ثم ينمحق
وكذلك يتفرغ من حالي تمامه ونقصانه فروع لطيفة فمن ذلك
قول ابن بابك :

وأعرت شطر الملك شطر كماله والبدر في شطر المسافة يكمل (٢)
قاله في الاستاذ أبي علي وقد استوزره نخر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا
العباس الضبي وخلع عليهما (٣). وقول أبي بكر الخوارزمي :
أراك إذا أسرت خيبت عندنا مقبلاً وان أسرت زرت لما (٤)
فما انت إلا البدر ان قل ضوءه أغب وان زاد الضياء اقاما
المعنى لطيف وان كانت العبارة لم تساعد على الوجه الذي يجب فان
الاضباب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه . وإنما يصلح لان يراد
أن القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي

« ١ » اتسق الامر انتظم ، والقمر كل وتم نوره « ٢ » يروى ثوب كماله
« ٣ » وأبا العباس الضبي عطف على ضمير استوزره وهو احمد بن ابراهيم الضبي
ولاه الوزارة نخر الدولة أولاً ولقب بالرئيس ، ثم ولي بعده الاستاذ أبا علي
الجليل وهما أحد الشعراء من بيت المنجم فقال :

والله والله لا أفلحتم أبداً بعد الوزير ابن هبادة ابن عباس
إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلي أوجاء منكم رئيس فاقطعوا راسي
(٤) لما بالكسر أي غبا

ويمتنع من الظهور في بعض وليس الامر كذلك لانه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وقال ابن بابك في نحوه :

كذا البدر يسفر في تمة فان خاف نقص الحاق انتقب
وهكذا ينظر الى مقابله الشمس واستمداده من نورها والى كون
ذلك سبب زيادته وتقصه وامتلأه من النور والائتلاق ، وحصوله في
الحاق ، وتفاوت حاله في ذلك ، فيصاغ منه أمثال ويبين اشباه ومقاييس ؛
فمن لطيف ذلك قول ابن نباتة :

قد سمعنا بالنر من آل ساسا	ن ويونان في العصور الخوالي
والملوك الاولى اذا ضاع ذكر	وجدوا في سوائر الامثال
مكرمات اذا البليغ تعاطى	وصفها لم يجده في الاقوال
واذا نحن لم نضفها الى مد	حك كانت نهاية في الكمال
ان جمعناهما أضربها الج	م وضاعت فيه ضياع الحال
فهو (١) كالشمس بمدها يملأ الب	در وفي قربها يحاق الهلال

وغير ذلك من أحواله كنحو ما خرج من الشبه من بعده وارتفاعه ، (٢)
وقرب ضوئه وشعاعه ، في نحو ماضى من قول البحري : دان على أيدي
العفة ، البيتين . ومن ظهوره بكل مكان ، ورؤيته في كل موضع كقوله
كالبدر من حيث التفت رأيت بهدي الى عينيك نوراً ساطعاً
في أمثال كذلك تكثر . ولم اعرض لما يشبه به من حيث المنظر وما
تدركه العين نحو تشبيه الشيء بتقويس الهلال ودقته ، والوجه بنوره
وبهجته ، فانا في ذكر ما كان تمثيلاً وكان الشبه فيه منوياً

« ١ » قوله فهو اي « مدحك » والخطاب للممدوح « ٢ » اي القمر

(فصل آخر)

وان كان مما مضى الا أن الاسلوب غيره وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه. وما كان منه الطاف، كان امتناحه عليك أكثر، وابطؤه اظهر، واحتجابه أشد.

ومن المركوز في الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نياله احلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل والطف، وكانت به أضن واشتغاف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه يبرد الماء على الظمأ كما قال:

وهنّ ينبذن (١) من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي واشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه، وتقدم المطالبة من النفس به، فان قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد ما يكسب المعنى غوضاً مشرفاً له وزائداً في فضله، وهذا خلاف ما عليه الناس. الا تراهم قالوا: ان خير الكلام ما كان معناه الى قلبك، اسبق من لفظه الى سمعك، فالجواب اني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وانما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله: فان المسك بعض دم الغزال وقوله:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهِلال وقوله:

رأيتك في الدين أرى ملوكاً / كأنك مستقيم في محال

(١) النبذ الطرح وإلقاء الشيء وفعله من باب ضرب

وقول النابتة :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسم
وقوله : (١)

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يد منهن كوكب
وقول البحتري :

ضحكك الى الابطال وهو يروهم والسيف حد حين يسطو وروث
وقول امرئ القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * (٢)
وقوله :

ثم انصرفت وقد اصبحت ولم أصب جذع البصيرة قارح الاقدام (٣)
فانك تلم على كل حال ان هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف
لا يبرز لك الا ان تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى
تستأذن عليه ؛ ثم ما كل فكر يهتدي الى وجه الكشف عما اشتمل عليه ،
ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه ، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة ،

١» أي العاصر المجهول لا النابتة (٢) المنجرد من الخيل الاجرد وهو
قصير شعر الجهد ، وذلك بمدوح فيها والاوابد جم آبدة للوحوش والطيور
التي تقيم في مكان واحد لا تظن صيفاً ولا شتاء ، ويستعار لفظ «قيد الاوابد»
للفرس الجواد كأنه لسرعة عدوه وادراكه لها قيد بمنعها الفراح حتى كأنها مقيدة
بـ (٣) الجذع بالتحريك الحدث والشاب الذي استكمل قوته ، وأصله في الالعام
والدواب وتختلف السن فيها ، وجمعه جذاع وجذمان بضم الجيم وكسرهما ، والقارح
من ذي الحافر كالبازل من الابل ما قرح نابه أي ظلم ، وهو الذي بلغ نهاية
السن التي ليس بعدها سن تسمى ويكون في التاسعة وما بعدها . واذا استعمل
اللفظان في الناس يراد بالجذع الحدث النضيط وبالقارح العاقل الجرب ، قاله
الحريري : وبرز فيها الجذع على القارح

ويكون في ذلك من أهل المعرفة ، كما ليس كل من دنا من ابواب الملوك
فتحت له وكان :

من نفر البيض الذين اذا اعتزوا وهاب رجال حلقة الباب قمقموا (١)
أو كما قال :

تفتح ابواب الملوك لوجهه بغير حجاب دونه أو تملق
وأما التعقيد فأنما كان منموما لاجل ان اللفظ لم يرتب الترتيب
الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى
بالحيلة ويسمى اليه من غير الطريق كقوله :

وكذا اسم أغطية العيون جفونها من انها حمل السيوف هوامل
وانما ذم هذا الجنس لانه أحوجك الى فكر زائد على المقدار الذي يجب في
مثله (٢) وكذلك سوء الدلالة ، وأودع المعنى لك في قالب غير مستو ولا مملس ،
بل خشن مفرس ، حتى اذا رمت اخراجه منك عسر عليك ، واذا خرج
خرج مشوه الصورة ناقص الحسن

هذا — وانما يزيد الطلب فرحا بالمعنى وأنسأ به وسرورا بالوقوف
عليه اذا كان لذلك اهلا . فأما اذا كنت معه كالفائض في البحر يحتمل
المشقة العظيمة ويخاطر بالروح ثم يخرج الخرز فالامر بالضد مما بدأت
به . ولذلك كان أحق اصناف التعقيد بالنم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك ،
ويؤرقك ثم لا يروق لك ، وما سبيله الا سبيل البخيل الذي يدعو له ثم

(١) قمقموا أي حركوا الحلقة التي هابها غيرهم ليسمع صوت قمقمها فيفتح
لهم كدأهم وعادتهم (٢) مثله بغير تعقيد قول عبد الحميد بك الرافعي الطرابلسي
بين السيوف وعينها مناسبة بياض من أجلها قيل للأفهاد أجفان *

في نفسه ، وفساد في حسه ، الى أن لا يرضى بضمته في بخله ، وحرمان فضله ، حتى يأبى التواضع ولين القول فيتيه ويشمخ بانقه ، ويسوم المتعرض له بابا ثانيا من الاحتمال تهاويا في سخفه ، أو كالذي لا يؤيسك من خيره في أول الامر فتستريح الى اليأس ، ولكنه يطعمك ويسحب على المواعيد الكاذبة ، حتى اذا طال العناء وكثر الجهد تكشف عن غير طائل ، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل ، وذلك مثل ما تجده لأبي تمام من تعسفه في اللفظ وذهابه به في نحو من التركيب لا يهتدي النحو الى إصلاحه ، وإغراب في الترتيب يعنى الإغراب في طريقه ويضل في تعريفه ، كقوله :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذهما في النار (١)
وقوله

يدي لمن شاء رهن من بذق جرجا من راحتك درى بالصاب والعسل (٢)

(١) البيت من قصيدة في مدح المعتصم ، وقيل : المأمون ، وفي رواية « لاثنين ثاني » ورواية أخرى « ثانيا » بالنصب مع تسهيل همزة (اذ) والرواية الرابعة « لاثنين ثالثا » وقبل البيت قوله :

واعلم بأنك انما تلقيهم في بعض ما حفروا من الآبار
لو لم يكد للسامري قبيله ما خار عجلهم بغير خوار
ونعود لو لم يدهنوا في ربهم لم ترم ناقته بسهم قدار
ولقد شفا الاحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

وبعد البيت ، والبرحاء شدة الإذى وبابك وما زيار علما أن لرجلين

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها المعتصم أيضا وقبل البيت
كان امواله والبذل يحققها نهب تعسفه للتبذير والنفل
شرست بل لنت بل قانت ذاك بذا قانت لاشك فيه السهل والجبل

ولو كان الجنس الذي يوصف من المعاني باللطافة ويعد في وسائط
المقود (١) لا يحوجك الى الفكر ولا يحرك من حرصك على طلبه بمنع
جانبه، ويبيض الادلال عليك ، واعطائك الوصل بعد الصد ، والقرب بعد
البعد ، لكان « باقلى حار » ويبت معنى هو عين القلادة وواسطة العقد ،
واحداً (٢) ولسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبيين . وكان
كل من روى الشعر عالماً به وكل من حفظه — اذا كان يعرف اللغة على
الجملة — ناقدآ في تمييز جيده من رديته . وكان قول من قال :

زوامل للاشعار لاعلم عندهم بجيدها الا كعلم الابصر
وكقول ابن الرومي :

قلت لمن قال لي مرضت على الاخ فش ماقلته فإ حمده (٣)
قصرت بالشعر حين تعرضه على مين العمى اذا اتقده
ما قال شعراً ولا رواء فلا ثعلبه كان لا ولا أسده
فان يقل اننى رويت كالد تر جهلاً بكل ما اعتقده

وما اشبه ذلك دعوى (٤) غير مسموعة ولا مؤهلة للقبول فانما ارادوا بقولهم
« ماكان معناه الى قلبك ، أسبق من لفظه الى سمعك » ان يجتهد المتكلم

وفي الديوان المطبوع « تقسمه التبذير أو تقل » والنفل بالتحريك الغنيمة
والهبة والزيادة وفيه ايضا « فيك السهل والجبل » بكاف الخطاب

(١) الوسائط جمع واسطة ماكان من الجوهر في وسط العقد وهو اجوده
(٢) الباقل بتشديد اللام والقصر وبعد القول أي لكان نداء بآثم القول السخن بهذه
الكلمة « باقلى حار » ويبت شعره هو بحيث وصفه من الحسن متساويين لا تفاضل بينهما
(٣) يريد على بن سليم الاخفش والايات من قصيدة طويلة مطلعها :

رقاب اهل الخلوم معتمدة مقصودة بالهوان معتمدة

(٤) كلمة دعوى خبر قوله : وكان قول من قال الخ

في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانتته من كل ما أخل بالدلالة ، وعاق دون الإجابة ، ولم يريدوا ان خير الكلام ما كان عقلا مثل ما يترجمه الصبيان ويتكلم به العامة في السوق

هذا — وليس اذا كان الكلام في غاية البيان وعلى ابلغ ما يكون من الوضوح اغناك ذلك ؟ الفكرة اذا كان المعنى لطيفا ، فان المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال الى سابق . أفلمست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله : « كالبدر أفرط في العلو » الى أن تعرف البيت الأول فتصور حقيقة المراد منه ووجه المجاز في كونه دافيا شاسعا وترقم ذلك في قلبك ثم تعود الى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى وترد البصر من هذه الى تلك وتنظر اليه كيف شرط في العلو الافراط ليشاكل قوله « شاسع » لان الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما لا يشاكلة من مراعاة التناهي في القرب فقال « جد قريب » . فهذا هو الذي أردت بالحاجة الى الفكر ، وبأن المعنى لا يحصل لك الا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله

هذا — وان توقفت في حاجتك ايها السامع للمعنى الى الفكر في تحصيله فهل تشك في أن الشاعر الذي اداه اليك ، ونشر بزه لديك ، قد تحمل فيه المشقة الشديدة ، وقطع اليه الشقة البعيدة ، وانه لم يصل الى دونه حتى غاص ، وانه لم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص ؟ ومعلوم أن الشيء اذا علم انه لم ينل في أصله الا بعد التعب ، ولم يدرك الا باحتمال النصب ، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء الى تعظيمه ، وأخذ الناس بتعظيمه ، ما يكون لمباشرة الجهد فيه ، وملاقة الكرب دونه ،

واذا عثرت بالهويننا على كنز من الذهب لم تخرجك سهولة وجوده الى أن
تنسى جملة انه الذي كد الطالب ، وحمل المتاعب ، حتى ان لم تكن فيك
طبيعة من الجود تحكم عليك ، ومحنة لا تشاء تستخرج النفيس من يدك ،
كان من أقوى حجاج الضن الذي يخامر الانسان أن تقول « ان لم يكذبني
فقد كد غيري » كما يقول الوارث للمال المجموع عفواً اذا ليم على مجله به ،
وفرط شحه عليه ، : ان لم يكن كسبي وكدي ، فهو كسب والدي وجددي ،
ولئن لم ألق فيه عناء لقد عانى ساني فيه الشدائد ، ولقوا في جمعه
الامرین (١) أفاضيع مأمروه ، وأفرق ما جموه ، وأكون كالمادم لما أنفقت
الاعمار في بنائه ، والمبيد لما قصرت المهم على إنمائه ،

وانك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل
والنقريب ، ورد البعد الغريب الى المألوف القريب ، ما يعطي البحتري ويبلغ
في هذا مبلغه . فانه ليروض لك المهر الارن رياضة الماهر (٢) حتى يعنق
من تحتك اعناق القارح المذلل (٣) وينزع من شماس الصعب الجامع ، حتى
يلين لك لين المنقاد المطيع ، ثم لا يمكن ادعاء ان جميع شعره في قلة الحاجة
الى الفكر ، والغنى عن فضل النظر ، كقوله

فؤادي منك ملآن وسري فيك إعلان
وقوله : * عن أي ثغر تبسم *

(١) لقي منه الامرین . ونزل به الامران . مثل يضرب في لقاء الشر
وعظائم الامور . والامران الهرم والمرض أو العقر والهرم (٢) الارن البطر
المرح معنى ووزنا وفعل (٣) اعنق الفرس اسرع وصار العنق وهو بالتعريبك سير
فسيع واسم للابل والدواب . والقارح ما فرح نابه أي طلع

وهل ثقل على المتوكل قصائده الجياد حتى قل نشاطه لها واعتناؤه بها إلا لأنه لم يفهم معانيها كما فهم معاني النوع النازل الذي انحط له إليه ؟ أترأى تستجيز أن تقول إن قوله « مني النفس في أسماء لو تستطيعا » (١) من جنس المعقد الذي لا يحمده ، وإن هذه الضعيفة الأسر (٢) الواصلة إلى القلوب من غير فكر ، أولى بالحمد وأحق بالفضل ، هذا — والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة ، بل لأن صاحبه يعثر فكره في متصرفه (٣) ويشيك طريقك إلى المعنى (٤) ويوعر مذهبك نحوه . بل ربما قسم فكره ،

« ١ » مطلع قصيدة من غرر قصائده في مدح المتوكل قال
 مني النفس في أسماء لو تستطيعا بها وجدها من غادة وولوعها
 وقد راعني منها الصدود وإنما تصد لحيب في عذاري يروعها
 ومنها في المدح
 ولما رعى سرب الرعية زادها عن الجذب مخضر التلاع صريعها
 علمت يقينا مذ توكل جعفر على الله فيها أنه لا يضيعها
 التلاع بالكسر جمع تلمة بالفتح وهي مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي
 والقطعة المرتفعة من الصحراء ، والمريم كالخصيب وزنا ومعنى . ومنها فيه :
 وفرسان هيجاء تبيض صدورها بإحقادها حتى تضيق دروعها
 تقتل من وتر أعز تقوسها عليها بايد مائكاد تطيعها
 إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
 شواجر أرماح تقطع بينهم شواجر أرحام ملوم قطوعها
 فلولا أمير المؤمنين وطوله لعادت جيوب والدماء دروعها
 والقصيدة كلها محاسن ولكن ينقل عن المتوكل أنه قال مازال يقول
 « عها عها » حتى كدما نقيء . وهذا هو مراد المصنف بقوله : لأنه لم يفهم
 معانيها الخ (٢) الأسر إحكام الخلقة ومنه : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم)
 (٣) عثره بالتشديد وأعثره جعله يعثر (٤) اشاك الطريق ادخل الشوك فيه

وشعب ظنك (١) حتى لا تدري من اين تتوصل وكيف تطلب
وأما الملخص فيفتح لفكرتك الطريق المستوي ويمهده، وان كان
فيه تعاطف اقام عليه المنار، وأوقد فيه الانوار، حتى تسلك سلوك المتين
لوجهته، وتقطعه قطع الواصل بالنجح في طيته (٢) فتزد الشريعة (٣) زركاء،
والروضة غناء (٤) فتتال الري، وتقطف الزهر الجني (٥) وهل شيء أحلى من
الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما، ومذهبا قويا، وطريقة
تنقاد، وتبينت لها الغاية (٦) فيما ترتاد، فقد قيل : قررة العين وسعة الصدر،
وروح القلب وطيب النفس، من اربعة امور : الاستبانة للصحة،
والانس بالاحبة، والثقة بالعدة، والمداينة للغاية. وقال الجاحظ في أثناء
فصل يذكر فيه مافي الفكر والنظر من الفضيلة : « واين تقع لذة البهيمة
بالملوفة (٧)، ولذة السبع باطع الدم (٨) واكل اللحم، من سرور الظفر
بالاعداء، ومن انفتاح باب العلم بعد اذمان قرعه، وبعد فاذا أعدت

(١) من شعب الشيء اذا فرقه « ٢ » الطية بالكسر اعم هيئة من طوى الارض
في سفره، قال شيخنا في طيته : فيما طوى قصده عليه، أقول وفي الاساس : مضي
لطيته وأين طينتك وامتك « بالفتح أي ماثومه وتقصده » وبعثت عناطيته
وهي الجهة التي اليها يطوي البلاد « ٣ » الشريعة : مورد الشاربة من
النهر « ٤ » الغناء بالتشديد كثيرة الشجر، يقال غن الوادي يغن بفتح الغين
اذا كثر شجره « ٥ » هو ما جني من ساعته فهو غرض ليس بنابل « ٦ » الغاية
فاعل تبينت « ٧ » الملوفة بالفتح ما تأكله الدابة وجمعه علف بضم العين والعليفة
والملوفة الناقة تعلقها ولا ترسلها الى المرعى « ش » وفي المصباح : الملوفة
وزان حلوبة وركوبة ما يعلف من الغنم وغيرها يطلق بلفظ واحد على الواحدة
والجمع وهرمن علف الدابة علفا من باب ضرب واسم المملوف علف بفتح العين
وجمعه علاف فجبل وجبال (٨) لطم الدم - من باب فتح - شربه أو لحسه

الحلقات (١) لجري الجياد، ونصبت الاهداف ليعرف فضل الرماة في الابعاد والسداد، فرهان العقول التي تستبق، ونضالها الذي تمتحن قواها في تعاطيه هو الفكر والروية والقياس والاستنباط»

ولن يبعد المدى في ذلك ولا يدق المرمى الا بما تقدم من تقرير الشبه بين الاشياء المختلفة . فان الاشياء المشتركة في الجنس ، المتفقة في النوع ، تستغني بثبوت الشبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها ، وانها لصنعة تستدعي ، جودة القريحة والحدق ، الذي يلطف ويدق ، في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربة (٢) ويعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشبكة (٣) وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل الا لانهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر الى ما لا يحتاج اليه غيرهما ، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما في هذا المعنى (٤) ما لا يحتكم ماعداها ، ولا يقتضيان ذلك الا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات ، وذلك بين لك فيما تراهم من الصناعات وسائر الاعمال التي تنسب الى الدقة . فانك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها اشد اختلافًا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك اتم ، والاتلاف ابين ، كان شأنها اعجب ، والحدق لمصورها اوجب ، (البحث بقية)

«١» الحلقات جمع حلبة بالفتح وهي مجال الخيل للسباق ، ويقال للخيل التي تأتي من كل اوب حلبة «أساس» «٢» الربق بالكسر وزان حمل حبل فيه عدة عرى تشد به البهم وكل عروة من العرا التي فيه تسمى ربة ويجمع أيضا على رباق وربقت الشاة «من باب قتل» ادخلت عنقها في الربة فهى ربيقة ومربوقة ومن المجاز . ربقة في الامر . وفي الحديث «خلم ربة الاسلام من عنقه» «٣» الشبكة بالضم نسب القرابة ولحمها «٤» أي دقة الفكر ولطف النظر (المنار : ج ٦) (٥٦) (المجلد السادس والعشرون)

كلمتي فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

تابع ما قبله

بعد هذا التمهيد أقول إن للمسلمين في هذين الكتابين (المغني والشرح الكبير للمقنع) بضع فوائد

(أحداها) أنهم باطلاعهم على أدلة الأحكام يكونون على حظ من البصيرة في دينهم كما وصف الله تعالى رسوله وأتباعه بقوله (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

(ثانيها) أن المتلقي لأحكام دينه من فقه أي مذهب من المذاهب المدونة يخرج باطلاعه على أدلتها في الكتابين من رتبة الجمود على التقليد المحض المذموم في القرآن إلى الاتباع المقرون بالبصيرة الذي اشترطه الأئمة فيمن يتلقى العلم عنهم كما تقدم

(ثالثها) أن من اطلع على أقوال أئمة السلف وعلماء الأمصار أصحاب المذاهب المختلفة وأدلتهم عليها بالطريقة التي جرى عليها صاحب المغني وتلميذه صاحب الشرح الكبير من احترام الجميع وتقديم الأقدم في التاريخ على غيره في الذكر غالبا يكون جديرا باحترام جميع العلماء وجميع المذاهب، وعدم جعل المسائل الخلافية سببا للتفرق أو التعادي بين المسلمين ولا للتفاضل المفضي إلى ذلك، فإن المقلد لأي واحد منهم ينبغي أن يقتدي به في سيرته وهديه

(رابعها) أن يعلم أن من أدلتهم ومداركهم ما هو مستند إلى نصوص الكتاب السنة القطعية أو الظنية وما مستنده القياس أو الاستنباط من القواعد العامة أو الخاصة بمذهب دون مذهب كالمصالح عند المالكية وغيرهم

والاستحسان عند الحنفية . وبهذا يعلم غلط من زعم أن المسلمين استمدوا أحكام المعاملات من القوانين الرومانية ، ومن زعم أن جميع ما يذكر في كتب الفقه هو من شرع الله المنزل على رسوله (ص) حتى رتب عليه بعضهم أن من أنكر شيئاً منه أو اعترض عليه يكون مرتداً عن الإسلام ، وفي بعض هذه الكتب أن من عمل عملاً يعد في العرف إهانة لشيء من هذه الكتب أو لورقة فتوى عالم يحكم بردنه ويقتل إذا لم يتب ، ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه أولاده لأنه أهان شرع الله ويلزم منه كذا وكذا !! بل قال إن إهانة العالم كفر ، لأنها إهانة للشرع الخ فهذه تشديدات ردها المحققون

والحق أن أكثر ما في كتب الفقه سائل اجتهادية وآراء ظنية مستنبط بعضها من أقوال فقهاءهم ، أو من علل دقيقة من علل القياس ينكر مثلها أكثر علماء الساف الصالح ، فهي تحترم كما يحترم ما يخالفها في المذاهب الأخرى على سواء من باب احترام العلم واستقلال الرأي ، وعدم جعل الخلاف ذريعة للمداوة والبنضاء في الأمة الواحدة المأمورة بالاتفاق والاعتصام ، ولكن لا يتخذ شيء منها من قواعد الإيمان ، ولا يعد مخالفة كافراً ولا عاصياً لله تعالى ، سواء كان مستدلاً أو مقلداً لغيره في مخالفتها ، ولا يجعل ضعف شيء منها مطعناً في أصل الشريعة كما يفعل ذلك بعض أعداء الإسلام ، بل يستعان بمجموعها على التيسير على الناس

كان كبار علماء الصحابة والتابعين وغيرهم من مجتهدي السلف يتحامون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية حكيم الله وشرع الله بل كانت أعظمهم قدراً ، وأوسعهم علماً يقولون هذا مبلغ علمي واجتهادي ، فإن كان صواباً فمن الله

وله الفضل ، وان كان خطأ فني ومن الشيطان وكان مما يوصي به النبي (ص) أمير الجيش أو السرية قوله « واذا حاصرت حصناً فادرك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز للمفتي والحاكم أن يقول : هذا حكم الله أو أحل الله أو حرم الله لما يجده في كتابه الذي تلقاه عن قلدته سوذكران شيخ الاسلام ابن تيمية حضر مجلساً ذكرت فيه قضية وقيل حكم فيها بحكم الله ، فقال : بل حكم فيها برأي زفر بن الهذيل . هذا في عصور التقليد المحض واقد صرنا الى عصر كثر فيه استقلال الفهم والرأي مع قلة الاطلاع بعلوم الدين ، فصارت دعوى كون كل ما في تلك الكتب الفقهية من دين الله وأحكامه التي خاطب بها عباده — منفرة عن دين الله تعالى وسبباً للارتداد والالحاد ، فينبغي أن يقال انها مستندة الى الشرع باشتغالها على نصوصه وجمعها هي الاصل وبيضاء الاجتهاد فيها على أصول ثبتت فيه ولكن كل اجتهاد يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب .

(خامستها) ان الذي يقرأ الكتابين أو يراجع المسائل فيهما يقف على مسائل الاجماع وهي الواجبة قطعاً على جميع المسلمين فلا يسم أحداً منهم ترك شيء منها الا بعذر شرعي والواجب ان تراعى في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين كافة على الاطلاق . وأما المسائل الخلافية فانما يؤمر بالواجب أو المندوب وينهى عن المحرم أو المكروه منها من يعلم ان الأمور أو النهي موافق له في اعتقاده سواء كانت الموافقة عن دليل أو عن اتباع مذهب من المذاهب ، أو كان

يرجو قبول قوله فيه أو دليله عليه. وقد صرحوا بأنه ليس للشافعي أن يأمر الحنفي بالوضوء من لمس المرأة، أو أن ينكر عليه الصلاة إذا لم يتوضأ منه، وما أشبه ذلك — ومنها وهو المراد مما قبله أنها هي الجامعة بين المسلمين، والمناط للاتفاق والوحدة التي تقتضيها أخوة الإيمان، وهو أهم ما نقصد إليه من كتابتنا هذه

(سادستها) انه يعلم من أدلة المذاهب أن جل الأحاديث التي يحتاج بها أهل الحديث على أهل الرأي وعلى القياسيين من علماء الرواية هي من أحاديث الآحاد التي لم تكن مستفيضة في العصر الأول أو نقل عن الصحابة والتابعين خلاف في موضوعها، فلم بذلك أنها ليست من التشريع العام الذي جرى عليه عمل النبي وأصحابه، وليست مما أمر النبي (ص) أن يبلغ الشاهد فيه الغائب بل كانت مما يرد كثيرا في استفتاء، ستفت عرضت له المسألة فسأل عنها فأجيب ولعله لو لم يسأل لكان في سعة من العمل باجتهاده فيها ولكان خيرا له وللناس، إذ لو كانت من مبادئ الدين التي أراد الله تكليف عباده إياها لبينها لهم من غير سؤال فانه تعالى اعلم بما هو خير لهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره كثرة السؤال ونهى عنها لئلا تكون سببا لكثرة التكليف فتعجز الأمة عن القيام بها، ولذلك قال (ص) «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه، ما استطعتم» رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ورواه الدارقطني من وجه آخر وقال: فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية. وقال (ص) «إن الله فرض فرائض فلا تَعُدُّوها، وحد حدودا فلا

قربوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً بحسنه الحافظ أبو بكر السمعاني في أماليه والنووي في الأربعين ، وله نواهد في مسند الزار ومستدرك الحاكم وصححه وغيرهما

وفوق كل هذا قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ومن الجمل الفاضل والجنابة على الدين أنهم هذه القواعد والاصول القطعية بأقيسة من ظنون الرأي والقياس وقد ثبت أن النبي (ص) كان يجيب كل مستفت بما يناسب حاله وأن بعض فتاواه كانت رخصاً خاصة أو عامة. ومن ذلك أنه رخص لعقبة بن عامر ولابي بردة بن نيار بأن يضحى بالجذع (أو العتود) من المعز وهو مارعى وقوي وآتى عليه حول وقال الجوهري وخيره ما بلغ سنة. والحديث متفق عليه والجمهور ومنهم الائمة الاربعة بمنعوا التضحية بالجذع من المعز. ومنه على قول حديث طلق بن علي انه سأل النبي (ص) الرجل يحس ذكره أعليه وضوء؟ فقال (ص) له « إنما هو بضعة منك » رواه أحمد واصحاب السنن الاربعة والدارقطني وصححه بعضهم ، واختلفوا في التصحيح والترجيح بينه وبين حديث بسرة عند الخمسة أيضاً من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ» والمحققون من أهل الحديث على ترجيح حديث بسرة. وأما العمل فقد روي الخلاف فيه عن بعض كبار الصحابة والتابعين وأهل البيت وعلماء الامصار

وحمل الشيخ عبدالوهاب الشعراني الحديثين في ميزانه على مرتبتي التخفيف والتشديد أي العزيمة والرخصة كما فعل في جميع مسائل الخلاف وعمل ذلك بهال بعضهما معاً ولا يرفق مثله إلا عن جماعة الصوفية

ككون سور الكلب يقسي قلب من شربه او شرب من الاناء الذي وان فيه قبل غسله سبع مرات احداهن بالتراب ، وقد وافقه علماء عصره في مصر على قاعدته في ارجاع جميع مسائل الخلاف الى المرتبتين وكون اصلها كلها مستمدة من عين الشريعة على ما في توجيه الكثير منها من البعد ، ولعله لرضاهم عن بناء ذلك على الاعتراف بأن جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم ؛ وهذا حق من حيث ان المجتهد اذا اصاب كانه اجران واذا اخطأ كان له اجر واحد كما ورد في الحديث الصحيح ، ولكن لا يمكن ان يكون كل اجتهد اصوابا وهدى وكل قول قاله مجتهد حقا . وأما العزائم والرخص في الشريعة فحق لا ريب فيه . وفي الحديث المرفوع « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » رواه احمد وابن حبان والبيهقي وصححه ، وهو عام ، وليست العزائم للخواص والرخص للعوام ، الا من حيث الخلق والطبع ، لا الشرع ، واطهر المسائل في قاعدة الشعراني ما يدخل في ابواب الطهارة ، فان القطعي منها في القرآن ان الماء مطهر وطهور ، وان الله يحب المتطهرين ، وأن طهاري الوضوء والغسل فرضان وشرطان للصلاة ، وقوله تعالى (وثيابك فطهر) وقوله في القرآن (لا يمسسه الا المطهرون) وأن التيمم واجب عند تعذر استعمال الماء لفقده او للعرض وأما السنة فلم يرد فيها تفصيل قطعي لآعيان النجاسات وأنواع المطهرات ، وكان الاعرابي يجي من البادية فيسلم فيعلمه النبي (ص) بنفسه أو يأمر أصحابه بتعليمه ما أوجب الله عليه من الوضوء والغسل والتيمم وأركان الاسلام ، وحديث الاعرابي الذي هو عمدة الفقهاء في تحديد أركان الاسلام مشهور ولو كان هنالك نجاسات حكمية تطهيرها تعبدية تتوقف معرفتها على

نصوص تفصيلية خاصة لنقل عن النبي (ص) واصحابه تلقينها للاعرابي وامثاله كسائر قواعد العبادة التي كان يتعلمها كل من أسلم ويبلغه الشاهد الغائب كما كانوا يعلمونهم الوضوء والغسل والصلاة مثلاً، ولم تترك النصوص المجملة الواردة في الطهارة وطلب النظافة بغير بيان تفصيلي . والذي يفهمه أهل لغة الشرع من ذلك الاطلاق هو طلب التنزه عن جميع الاقذار والتطهر مما يصيب البدن أو الثوب أو المكان منها ليكون المؤمن نظيف الظاهر بقدر ما يتيسر له حسب حاله واجتهاده كما يحمله الايمان نظيف الباطن — فالنجس في اللغة هو المستقذر الذي تنفر منه الطباع ولفظ النجس لم يرد في القرآن إلا في قوله تعالى (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) الآية والمراد به النجاسة المعنوية لا الحسية إلا في قول للشيعة . وورد لفظ الرجس في تسع آيات أكثرها قطعي في الرجس المعنوي واحتمال الحسي في موضعين أحدهما قوي وهو قوله تعالى (قل لا اجد فيما وحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس) أي الخنزير أو كل ما ذكر. وثانيهما ضعيف جداً وهو قوله تعالى (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) أما قوة الاول في الخنزير فلا أنه كثير التبع لا كل الاقذار دائماً، فهو تعليل لتحريم اكله دائماً كتحریم الجلالة مادامت تأكل القذر لا دائماً. وأما ضعف الثاني فلا أن لفظ رجس خبر عن الخمر وماء عطف عليها وهو لا يوصف بالنجاسة قطعاً، ولتفسيره في الآية بأنه من عمل الشيطان يوقع به العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ولأن الخمر غير مستقذرة عند العرب ولا غيرم

وأما أخبار النبي (ص) فقد ورد فيها هذان اللفظان في الاستعاذة وفي لحم الجمر الأهلية وفي وصف الروث بأنه رجس وفي رواية تركس وهو تعليل لكونه لا يصلح للاستنجاء به. وورد أن المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا وإن الماء طهور لا ينجسه شيء صحيحه أحمد وقيد الجمهور بعدم التغير بالنجاسة - وبعضهم بحديث «إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث» وسئل (ص) عن دم الحيض فأصر بمحتة وقرصه ونضجه أو رشه بالماء وهذا حديث متفق عليه، وفي حديث آخر غسل الثوب منه بماء وسدر، وورد أن طهور النعلين من الخبث ذلكهما بالأرض، وإن طهور كل أديم (جلد) دباضه وقال (ص) في الميتة «إنما حرم أكلها» رواه الجماعة عن ابن عباس مرفوعا إلا ابن ماجه واستدل به من لا يقول بنجاستها وورد غسل الثوب من المني الرطب وتنعيته بإذخرة أو غيرها وفركه إذا جف. واستدل بهما من قال بطهارته. وفي حديث أم سلمة: «أني امرأة أطيل ذيلي وامشي في المكان القذر فقال لها (ص) «يطهره ما بعده» رواه الأربعة وصح الاستنجاء من البول والغائط بالحجارة وما في معناها وهي لا تزال العين كلها ولا الأثر، والأمر بغسل العضو من المذي لمن سأل عنه، وينضح الثوب بالماء من بول الغلام الذي لم يأكل الطعام. ولما لم يجد العلماء نصا قطعية في أعيان النجاسات والمطهرات غير أمثال هذه الأخبار الآحادية اختلف اجتهدوا في فهمها بما تلخص أهمه بالأجمال

المذاهب في النجاسات والمطهرات

قال الامام ابن رشد الحفيد الاندلسي في (بداية المجتهد) مانعه :
وأما انواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على أربعة: ميتة
الحيوان ذي الدم (السائل) الذي ليس بمائي وعلى لحم الخنزير بأي سبب

اتفق أن تذهب حياته—وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي—أو للبيت إذا كان مسفوحاً عنهم، كثيراً—وعلى بول ابن آدم ورجيعه وأكثرهم على نجاسة الخمر وفي ذلك خلاف عن بعض المحدثين (١) واختلفوا في غير ذلك اهـ وقد حصر الامام الشوكاني النجاسات في الروضة الندية بقوله:

«والنجاسات هي غائط الانسان مطلقاً وبوله—إلا الذكر الرضيع—

ولعاب كلب وروث ودم حيض ولحم خنزير، وفيما عدا ذلك خلاف. والاصل الطهارة فلا ينعمل عنها إلا ناقل صحيح لم يعارضه ما يساويه أو يقدم عليه» اهـ وقد علم منه الخلاف في الميتة والدم المسفوح وفي بعض ما ذكره هو خلاف أيضاً كلعاب الكلب وممن قال بطهارته عكرمة ومالك واختلف المجتهدون في المطهرات أيضاً فمنهم من يحصر التطهير في الماء

المطلق كالشافعية والحنابلة إلا ما ورد من الاستنجاء بالحجارة ونحوهما وطهارة جلود الميتة بالديابغ وطهارة الخمر بتخليلها بنفسها. والماء المقيد كاه الورد لا يطهر عندهم ويجب عندهم في التطهير إزالة عين النجاسة وصفاتها إلا ما عسر من لون وريح وشرطه أن يكون الماء وارداً على المتنجس لا موروداً إذا كان قليلاً أي دون القلتين ومأشرد الفقهاء توسعاً في النجاسات ومن مذهبهم أن من خرج من بين أسنانه دم ولم يطهره بالماء المطلق بقي فيه نجاسة وكانت صلاته وصومه باطلين وإن طال الزمن، مع القطع بزوال النجاسة وأثرها. ولو كان الصعابة يتطهرون من الدم لتواتر عنهم إذا كانوا في حروب متصلة ولم يكن لاكثرهم إلا ثوب واحد، وقال الشافعية بالغوا عن

(١) أي والفقهاء ومنهم الامام ربيعة شيخ مالك والامام داود ومن المتأخرين الامام الشوكاني

النجاسة التي لا يدركها الطرف كأثر رجل النجاسة فقالت الحنابلة بل لا بد من غسل ماتع عليه وان لم يبرأ أثره

وذهب الحنفية الى أن كل ما يزيل النجاسة من المائعات مطهر. وكذا صقل الجسم الصقيل كالسيف والرجاج، وكذا الشمس والهواء والنار وما يسمونه انقلاب العين كالصابون من الزيت النجس - على خلاف في بعض الفروع - وهو لا نظروا الى مراد الشارع من الطهارة وهو يحصل بذلك، قال في بداية المجتهد ان المسلمين اتفقوا على ان الماء الطهور يزيل النجاسة وعلى الاستنجاء بالحجارة «واختلفوا فيما سوى ذلك من المائعات والجامدات التي تزيلها فذهب قوم الى ان ما كان طاهراً (فهو) يزيل عين النجاسة ما لم يكن أو جامداً في أي موضع كانت وبه قال أبو حنيفة وأصحابه» ثم ذكر ما وقع من الجدل بين الحنفية والشافعية في المسألة وكون ازالة النجاسة تعبدياً أو معقول المعنى واضطرار الشافعية الى القول بأن في الماء قوة شرعية في رفع أحكام النجاسات ليست في غيره وان استوى مع سائر الاشياء في ازالة العين وأن المقصود انما هو ازالة ذلك الحكم الذي يختص به الماء لا ذهاب عين النجاسة بل قد تذهب العين ويبقى الحكم (قال) «فباعدوا المقصود قد كانوا اتفقوا مع الحنفية على أن طهارة النجاسة ليست حكيمية أعني شرعية ولذلك لم تحتج الى نية - الى أن قال في هذا المعنى - وانما يلجأ الفقيه الى أن يقول عبادة اذا ضاق عليه المسلك مع الخصم فتأمل ذلك فإنه بين من أمرهم في أكثر المواضع اقول ومن الغريب ان الذين قالوا بأن احكام النجاسة وازالتها تعبديّة ادخلوا فيها القياس كقياسهم بدن الكلب وشعره على اصابه وقياس الخنزير على الكلب في كونه يغسل مما اصابه سبع مرات إحداهن بالتراب

وكان الحامل لهم على هذا التشديد في أمر النجاسة القول بوجوب إزالتها وجعله شرطاً لصحة الصلاة ، وهذا محل خلاف أيضاً . (قال) في بداية المجتهد : وأما الطهارة من النجاسة فمن قال إنها سنة مؤكدة فيبعد أن يقول أنها فرض في الصلاة ويجوز أن لا يقول ذلك . وحكى عبد الوهاب عن المذهب (أي مذهب مالك) قولين أحدهما أن إزالة النجاسة شرط في صحة الصلاة في حال القدرة والذكر ، والقول الآخر أنها ليست شرطاً . والذي حكاه من أنها شرط لا يخرج على مشهور المذهب من أن غسل النجاسة سنة مؤكدة الخ

وقد استقصى الشوكاني في نيل الأوطار كل ما استدلوا به على اشتراط الطهارة من النجاسة في صحة الصلاة وبين أنه ليس فيه شيء يدل على الشرطية ولكن قد يدل بعضها على وجوب إزالتها قال : وكون الأمر بالشيء نهياً عن ضده مذهب ضعيف ، وبين مطلق الوجوب والشرطية بون بعيداه

وجملة القول أن القطعي المجمع عليه هو أن الطهارة مطلوبة شرعاً وإن المفروض منها هو الوضوء والغسل من الجنابة والحيض والنفاس بالماء والتميم عنهما عند فقد الماء أو الضرر باستعماله ، وإن مراد الشارع منها النظافة مع مراعاة اليسر وعدم الحرج كما قال تعالى بعد آية المائدة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وإزالة النجاسة أولى بهذا ولذلك ترك تفصيل أمرها لاجتهاد الأمة فاختلف اجتهاد علمائها بما ذكرنا المهم منه مجملًا فنظر بعضهم إلى الكل ما يحصل به مراد الشارع كالشافعية والحنابلة وبالعوافيه — ونظر بعضهم إلى أدنى ما كلفته الأمة وأيسر ما يطلب من بدوها وحضرها وغنيها وفقيرها كالمالكية — وتوسط بعضهم فشددوا في بعض الفروع وتساهلوا في بعض كالحنفية .

وقد تقدم أن الائمة لم يكونوا يعدون اجتهادهم تشريعا عاما تكلفه الامة كما تكلف العمل بنصوص الكتاب والسنة القطعية الرواية والدلالة ولا سببا للتفرق في الدين - وان بعض مقلداتهم شددوا وعسروا وجعلوا اختلافهم نعمة لا رحمة - حتى قال بعض متفهمة هذا العصر بنجاسة كل ما دخلت فيه مادة الغول - (الكحول او السبرتو) من اعطار وطيوب وأدهان وأدوية وهي كثيرة جدا نعمت بها البلوى في الصيدليات والطب والصناعات، وشبهتهم ان هذه المادة هي المؤثرة في الخمر المحرمة وفاتهم انها هي المؤثرة في كل المخدرات المحللة بالاجماع كخميرة العجين ايضا. على ان هذه المادة اقوى من الماء في التطهير وازالة عين النجاسة وصفاتها كما شرحناه في مواضع من المنار

وانما غرضنا هنا أن نبين ان يسر الشريعة وحكمة التشريع وكون الاجتهاد رحمة للامة انما يعرف من مجموع كلام المجتهدين ويفوت من قصر نظره على مذهب واحد من مذاهبهم وأن طلاب الاصلاح الامة الاسلامية مازالوا يترحون تأليف جمعية من علماء المذاهب المتبعة كلها تضع الامة كتابا في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيها اليسر ورفع الحرج ودرء المفاسد ومراعاة المصالح ومراعاة العرف وغير ذلك من القواعد العامة . وهذان الكتابان من اعظم الوسائل لذلك فهو الفائدة السابعة لما تقدم من فرائدهما. وما وضعناه عليهما من التعليقات فبهذه النية، ونسأله تعالى ان يعيد لهذه الامة وحدتها وهدايتها وعزتها، وان يصلح آخرها الا ما يصلح به أولها والحمد لله أولا وآخرا.

« تصحيح في س ١٥ ص ٢٨٤ من هذا المقال كلمة هارون الرشيد وصوابها المنصور العباسي »

الخطر على الحجاز

وعلى الاسلام

(١)

في أوائل هذا الصيف ألت بالقاهرة رجل سوري كان يشغل عملا مهما في حكومة الشريف علي بجدة فشرح لنا ما وصلت الحال هنالك من القلة والعسرة واليأس من كل شيء الا من الانكليز ، وقال انه علم أن الشريف علي بن الحسين احتجث بالمعتمد الانكليزي وعرض عليه أن يطلب من دولته مساعدته على سلطان نجد على أن يكون الحجاز كله تحت الحماية الانكليزية ... وان المعتمد وعده بالكتابة الى حكومته بذلك ، وكتب بالفعل ، قال الراوي : وقد سافرت قبل مجيء الجواب ، فان جاء بعدم القبول فلا شك عندي في أن الملك عاليا يفر من جده مبعرا الى حيث يعلم الله تعالى وتسقط في أيدي الوهابيين ، وان جاء بالقبول تدخل المسألة في طور جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى

وأقول قد سبق لشريف علي مثل هذا العرض كما علمنا من الوفد الهندي الذي كان عنده في جدة في العام الماضي ، ولكن المعتمد قال له يومئذ ان حكومته على الحياد

ثم حدثني رجل آخر من الثقات أنه سمع من لسان الشيخ عبد الملك الخطيب في الاسكندرية يوم ألت بها الملك فيصل ان وزارة الداخلية المصرية بلغت أنها قررت إلغاء الحجز على الدخائر الحربية الهاشمية المحجوزة في السويس ، وان الحجز عليها كان بإيعاز من الانكليز لوزير الداخلية امما عيل صدقي باشا (كان) فعلت أن هذه الحكومة الماكرة عادت الى التدخل في أمر الحجاز بمساعدة صنائعها وملوكها حسين بن علي وأولاده علي سلطان نجد ، بل على الشعب العربي والامة الاسلامية وأما السبب في هذا فليس رضا الشريف علي بجمل الحجاز تحت الحماية الانكليزية على قواعد والده حسين التي سماها « مقررات النهضة » فقط ، بل

السبب الاول المباشر هو بيعه للاتكليز أم منطقة حجازية حرية ، وهي منطقة العقبة ومطان المجاورة للمدينة المنورة مع اليأس من سلطان نجد أن يسبح بأن يكون لم أدنى نفوذ في الحجاز أو غيره من بلاد العرب ، وهذا أمر قد أصبح قطعياً ، إذ صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود في منشوراته الرسمية ، ومنها المنشور الذي صدر بمكة المكرمة في آخر ذي الحجة الحرام الماضي ، ونشر في جريدة أم القرى ونقلته عنها أكثر الجرائد المصرية ، وناهيك بتصريحه فيه وفيما سبقه بأن حكومة الحجاز تدار بالنظام الشرعي الذي يقرره المؤتمر الاسلامي العام الذي اقترحه هو منذ تصديده لا تقاذ الحجاز من سلطة حسين الشخصية التي عرف فسادها العالم كله ، حتى ان ولي عهده الشريف علياً وأنصاره القليلين الذين بايعوه هربوا الى العالم الاسلامي بزعمهم « أنهم خلعوا حسيناً ونصبوا علياً ملكاً دستورياً على الحجاز » وهم كاذبون ومخادعون في دعوى الخلع وفي دعوى الحكومة الدستورية

لم يكتف الانكليز بالعود الى مساعدة هذا البيت المسخر لهم بالحال والسلاح كما بدؤوا في زمن الحرب الكبرى ، بل أنشأوا بمساعدته على العناية بالفسادية في العالم الاسلامي لتنفيذه من الوهاية ، وعطفه على البيت الحجازي الذي استولوا بمساعدته على القدس الشريف والعراق وأنشأوا برائتهم في قلب الجزيرة العربية ، وبدؤوا يلتهمون الحجاز لقمة بعد لقمة

أعلن ابن السعود بأنه أرسل جيشاً الى المدينة المنورة لاجراء الحامية الهاشمية التي فيها بالحصر دون القتال ، ولما كان يعلم أن خصومه يتهمون جيشه بأنهم اذا استولوا على المدينة المنورة يهدمون الروضة المشرقة وقبة الحرم المعظم ، سبق الى نفي هذه التهمة والتبرؤ منها فقال في آخر منشوره الرسمي الذي نشره عند إرسال الجيش المذكور مانعه :

« إن أعداءنا يشيعون اتنا اذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاشا أن تحدث نفس مسلم بذلك ، إني أفتديها بنفسي وولدي ومالي ورجالي » الخ

ولكن هذا الاحتياط لا يزيد خصومه الا جرأة على الكذب والاختلاق ، فكما أنهم اخترعوا للنجديين عقائد يتبرؤن منها ، كذلك يختلقون لهم أعمالا يتبرؤن منها ، ولذلك قلت في تعليقي على هذا المنشور في منار آخر شهر المحرم : وأصدر هذا المنشور ليعلم العالم الاسلامي بفرضه الشريف ، وليحتاط لبهتان دعاية الشريف علي ويتقي اتهامه بضرب المدينة أو حرمانها المنيع لو دخلها قائماً — وقد يكون هذا الاحتياط مغرياً لا مانعاً من التهمة بل يستحل علي وقواده فعل ذلك لينهموا الوهابيين به كما فعل والده (حسين) إذ أمر بضرب الكعبة المشرفة بالنار واتهم بذلك الترك اه

إنني لست أريد بهذا المقال الانتصار لسلطان نجد على الشريف علي ولا الطمن بهذا والدفاع عن ذلك ، بل أريد تنبيه العالم الاسلامي الى الخطر الاكبر وهو استيلاء الاجنبي على مهد دينهم وقبلة ومشاعره وحرمة الله ورسوله ، واستعانة على ذلك بعوام المسلمين وبعض خواصهم الديويين المسخرين لخدمته ، والذين لولا أمثالهم لم يستول على الهند ، ولا على مصر ، ولا على القدس والشام والعراق . واني لا عرض نفسي بهذا التنبيه والتذكير لبلاء عظيم على ضعف أُملي باستفادة جماهير المسلمين من نصحي وتذكيري كما يجب . فالعامة قتلها الجهل والخرافات كعبادة القبور ، ومعظم خاصة أهل الدنيا قتلهم جهل شر من جهل العامة ، وفساد شر من فسادها ، فأصبحوا آلات بأيدي الاجانب يسخرونهم لهدم مجد دينهم ودنياهم ، كما سخروا أمراء الهند وملوكها في فتحها لهم ، ثم سخروا بعض كهراء المصريين في احتلال مصر وشركتها في السودان ، وفي استمرار هذا الاحتلال والاستئثار بالسودان ، ثم سخروا الملك حسين والملك فيصل والامير عبد الله ولا يزالون يسخرونهم في سبيل املاكهم لبلاد العربية ، وكما تسخر فرنسا سلطان مراكش اليوم في هدم قوة أبناء جلده ووطنه ودينه الريفيين ، وهي ما فتحت سلطنته الاسلامي الجزائر ، وما فتحت الجزائر من قبل الا بمساعدة سلفه الطالحين من سلاطين مراكش

إن لدى سلطان نجد جنداً يفوق جند الريف المغربي أضواء مضاعفة في

العدد ، ولا يقل عنه في الشجاعة والصبر على القتال بل ربما يفوقه فيهما أيضاً ، وإنما يتقصه النظام الحديث والأسلحة المصرية ، وماها عن متناوله بعيد لو فطن سلطانه لذلك وأقدم عليه . وهذا هو الذي يخشاه الإنكليز الطامعون في امتلاك جزيرة العرب بعد استيلائهم على ما جاورها من البلاد العربية الخصبة ليقتلوا الاسلام وقوم محمد عليه الصلاة والسلام في عقر دارهم ومهد دينهم . وقد أعيان استخدام سلطان نجد وإمام اليمن في هذه السيل كما استخدموا الشريف حسين وأولاده ، فهم يكيدون لها المكائد

وقد كان آخر خدمة عملية خدمهم بها البيت الهاشمي جعله هذه المنطقة الحربية من أرض الحجاز (العقبة ومكان) تابعة لما يسمونه الانتداب البريطاني ، وآخر دعوة لهم الى التدخل في أمر الحجاز ما كتبه الشريف حسين من قبرص الى الحكومة لانكليزية يطالبها بالتدخل الفعلي في أمر الحجاز واخراج النجديين منه وقاد بوعدها له — كما لخصته جريدة كوكب الشرق في هذا الاسبوع عن بعض الصحف الانكليزية — فأني مسلم يؤمن بالله ورسوله ، ويغار على قبلته وشعائره دينه يرضى ان يكون لا أحد من أهل هذا البيت أدنى سلطة في الحجاز ؟ قلت ان الانكليز عادوا الى مساعدة البيت الهاشمي حتي في نشر الدعاية للدواعي العالم الاسلامي . وقد بدئت هذه الدعاية بفرية نشرها وكيل الشريف علي بمصر في المقطم وهي ان الوهابيين قد جعلوا قبة الحرم النبوي الشريف والروضة الطاهرة هدفاً لرمصاص . ولم تقل هذه الدعاية على ما نعهد من امراقها في الكذب انهم رموها بالدافع ولا انهم أصابوها بسوء —

وقد ثبت رسمياً انه ليس معهم مدافع . ومن المعقول ما قاله انا ضابط مغربي كان في مدفعية الجيش الهاشمي بالمدينة وهو ان رمصاص بتادق الوهابية يستحيل أن يصل الى قبة الحرم الشريف لانهم يمسكون في مكان بعيد عن العمران لئلا تصيبهم مدافع حصون المدينة . على انهم مأمورون رسمياً بعدم اطلاق النار على شيء منها ، ويعلمون ان رميها يضرهم ولا ينفعهم .

ولكن شركة روتر البريطانية نشرت هذه الفرية في العالم الاسلامي كله وكبرتها

تكبيراً، وكان ممارسة الانكليز في كل قطر بشرحونها ويشيرون بها القتن، فيصدقهم كثير من المسلمين الثقافيين الجاهلين، فأوهوم أن الوهايين يريدون تدمير الحرم النبوي بمداقمهم بل أذاعوا في بعض الاقطار البعيدة كإيران أنهم دمروه بالفعل

فقد علمنا مما جاء من أخبار الهند العامة في جرائدها والخاصة بنا وبعض معارفنا أن وقد الشريف علي الذي كان أرسله لبث الدعاية في الهند قد اتفق مع جماعة أغا خان رئيس الاسماعيليه وغيرهم من الشيعة الباطنية والظاهرية كالخوجة طابره... على إثارة الفتنة في المساجد، واستخدموا بالهرام بعض المحدثين لذلك في كل مكان، فأعدوا لها الخطب والادعية والاستغاثات، وساعدتم بعض الوجهاء المناوئين لجمعية الخلافة كأمين صندوقها السابق الذي أكل مئات الآلاف من أموالها وصار بعد ذلك عدوا لها، وتربص بها الدوائر الطمن في رئيسها وأعضائها وتشويه سمعتهم كما شوهدوا سمعته بخيائته لها.

وقد كتب إلينا أديب سائح من (بمباي) أنه تعجب من وجود هؤلاء الباطنية في المسجد ومشاركتهم للمسلمين في الصلاة والدعاء على الوهاية، مع أنهم لا يصلون صلاتنا ولا يتوجهون إلى قبلتنا، ولا يحجون، ولا يزورون قبر الرسول (ص) مع عبادتهم لمن يزعمون عصمتهم والوهيتهم من آل بيته - ولكن لا عجب فإذا كان معبود هؤلاء (آغا خان) عبداً للانكليز قضى حياته في خدمتهم فكيف يكون عبيد العبد ؟

ومما يدل على أن الفتنة إنكليزية ما نشره أحد دعاة الشريف علي في المقطم عن تأثير الدعاية في عدن وما حولها من تهامة اليمن واحتجاج السلاطين البريطانيين هناك فقد قال الكاتب في أول رسالته : إن الأخبار التي وصلت عن أحوال بلدة نيينا (ص) قد تركت إخواننا في عدن اليمن وفي هياج عظيم فقد احتج عظمة سلطان الحج (؟) والشيخ فضل بن عبد الله سلطان العقارب (؟) وسلطان الحواشب (؟) وسلاطين يافع والمواقع (؟) - ما أكرأ أمما السلاطين عند الانكليز - وجميع أمراء العرب على الفعل الشنيع الذي ارتكبه رجال ابن سعود في حصارهم

المدينة المنورة ، ولا عبرة بتكذيب وكيل ابن سعود بل ان هذه عقيدتهم الخ
تقول : أين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام والملوك العظام عند
ما انتهك الشريف حسين حرمة حرم الله عز وجل وقاتل الترك في بطن بكة
مع قول الرسول الاعظم (ص) يوم فتح مكة إنها أحلت له ساعة من نهار ولن
يحمل لأحد من بعده؟ أظن أن خدمته الانكليز بذلك نسخت هذا الحديث عندهم
وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عند ما حاصر الشريف
حسين وأولاده المدينة المنورة والترك فيها كما يحاصرها الوهايون اليوم ؟ أيجلون
له ذلك لأنه كان يحارب الترك بأمر الانكليز وسلاحهم ومالهم ؟ ويحرمونه علي
ابن السعود لأنه يريد أن تكون هي وسائر الحجاز بمنجاة من النفوذ الانكليزي
تحت رعاية العالم الاسلامي ؟

وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عند ما هدد الشريف
علي كل من يقصد أداء فريضة الحج في الموسم الاخير بالقتل ، وزعم أن أساطيله بالمرصاد
لكل سفينة تحمل الحجاج الي ثغور الحجاز الخاصة بالوهابيين : القنفذة والبيث ورابع ؟
فهل كان المنع من أداء فريضة الحج واقامة ركن الاسلام مباحا في دينهم فلم
يحتجوا على منعه أم مرضاة الانكليز الذين سعوا لمنع الحج مرجحة عندهم
على مرضاة الله تعالى ؟

وأين كان هؤلاء السلاطين البريطانيون العظام عند ما أصدر الشريف علي
(إرادته السنوية) من عهد قريب يجعل أعظم منطقة حرية من الحجاز تحت الانتداب
الانكليزي ؟ لماذا لم يحتجوا على هذا ولا ذاك ؟ أم يريد هؤلاء السلاطين العظام
أن تكون المدينة المنورة ومكة المكرمة تحت الحماية الانكليزية مثاهم ؟
واذا كان الامر كذلك فما لهم وللإسلام ولاسم الاسلام ؟

إنهم يدعون اتباع مذهب الشافعي رضي الله عنه ، فما لهم لا يهتمون من
أمر الحجاز الا بهدم بعض القبور المشيدة المشرفة التي تعبد من دون الله تعالى وتؤتي
عندها للمعاصي المجمع عليها ؟ وقد ذكر الامام الشافعي في كتابه الأم ما نقله عنه
صحة الشافعية الامام النووي في شرح صحيح مسلم ان أئمة مكة كانوا يهدمون

٤٩٥ وجوب هدم القبور المرتفعة المغطاة وفعل الساف لذلك النار : ج ٦ م ٢٩

في عصره ما رفع من القبور عملاً بحديث علي كرم الله وجهه « ان لاتدع عمالاً الا طمسته ولا قبراً مشرقاً الا سوته » أي بالتراب ، فهل كان الشافعي وأولئك الائمة من الوهاية ؟ أم الوهاية هم المقتدون بهم ، والمتصمون بسنة الرسول مثلهم ، وأنتم وسادتكم من أمراء مكة الذين يتقربون اليكم بتعظيم القبور وما يقترف حولها من اعمال الوثنية أعداء السنة والمخالفون لجميع الائمة ؟

لو لم يكن من فتنة جهال المسلمين بقبور الصالحين التي اتبعوا فيها سنن من قبلهم الذين لعنهم رسول الله (ص) على اتخاذ قبور أنبيائهم وصلحاتهم مساجد وعلى اتخاذ السرج والمساجد عليها الا جعلهم اتباع السلف الصالح بهدم بعضها أهم من منع فريضة الحج ويبيع أرض الحجاز للانكايكز لكفى ذلك موجياً لهدمها لازالة هذا الاعتقاد القاسد ، فقد كان علماء الصحابة يتركون بعض السنن المتفق عليها لتلا يظن العوام بالتزامهم إياها وجوبها ككروبي عن ابن عباس (رض) في ترك التضحية في عيد النحر على كونه كان يذبح الذبائح كل يوم لا طعام الناس . ولذلك نظائر فصل القول فيها الامام الشافعي في كتابه (الاعتصام) فما القول في بدعة مخالفة لسنة الصحيحة ترتب عليها من الضلالات والمعامي والشرك ما هو معروف كتشيد القبور وتثريتها وبناء المساجد وايقاد السرج عليها وقد صح لعن النبي (ص) لمن فعل ذلك قبل حدوث افتتان الناس بالطواف بها ودعاء أصحابها من دون الله تعالى لكشف الضر وقضاء الحاجات ورفع المصائب ، ونذر النذور لم وذبح القرابين باسمائهم ، والحلف بهم الى غير ذلك من أنواع العبادات . وقد بلغ من شركهم ان صاروا يصلون لم لا الى قبورهم فقط كما حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا : قال رأيت رجلاً توجه الى قبر ابن عباس (رض) في الطائف وشرع في الصلاة فظننت انه أعشى فأردت تحويه الى القبة فامتنع ورأيت انه بصير وأنه يعتمد الصلاة الى القبر مستقبلاً له دون القبة لانه يصلي لابن عباس لا لله تعالى فقلت لخدم أخرجوا هذا المشرك من هنا بالقوة ففعلوا مروح بعض فقهاء الحنابلة وغيرهم من أهل السنة بوجوب هدم القبور المشرقة التي لعن النبي (ص) من شيدوها وعظفوها وذلك قبل وجود الوهاية بمدة قرون ، كما كان يفعل الائمة في مكة في زمن الامام الشافعي . وقد أمر عمر ابن الخطاب

(رض) بقلع الشجرة التي بايع النبي (ص) أصحابه تحتها لانه علم ان بعض الناس يزورونها قدامت وعفي أثرها ، وذلك قبل أن تصل فئة المسلمين بمثل هذه الآثار الى عشر معشار ما وصلت اليه الآن ، فهل كان عمر رضي الله عنه وهابيا ؟ وقد فصلنا القول في هذه البدع من قبا وليس من غرضنا إعادته الآن بل غرضنا أم من ذلك وهو بيان الخطر على الحجاز من الانكيز الذين سموا لمنع إدخال السلاح الى بلاد العرب كلها تمهيدا للاستيلاء عليها ، وأكبر أعوانهم على ذلك بيت الشريف حسين بن علي فهو الذي قرر جعل الحجاز وسائر البلاد العربية تحت الحماية البريطانية وجرى هو وأولاده على هذا بالفعل وآخر جناباتهم إعطاء أعظم منطقة حربية من أرض الحجاز للانكيز وهي منطقة (العقبة - معان) التي تمكنهم من الاستيلاء على بقية الحجاز أو جعله بحيث لا يقدر أهله ان يعيشوا فيه الا تابعين للانكيز لاحاطتهم بهم من البر والبحر ، وسنبين في الفصل التالي من هذا المقال حال الحجاز بين سلطان نجد والشريف علي ، وما يجب على المسلمين من درء الخطر عن مهد دينهم ومشاعره العظام ، وكون بقاء سلطة بيت الشريف حسين على الحجاز مفضيا الى جعله تابعا للامبراطورية البريطانية حتما ، وكل من يسعى الى بقاء سلطتهم فيه فهو يخدم الانكيز ويحارب الله ورسوله والمسلمين قصد ذلك أم لا . وقد أعذر من أنذر

(٢)

الموازنة بين سلطان نجد والبيت الهاشمي

لما زحف جيش ابن السعود لا نقاذ الحجاز من سلطة الشريف حسين كان ضلع الرأي الاسلامي العام معه ، فلم يندب شعب من شعوبه ، ولا جماعة من جماعاته ، ولا فرد من كبار رجاله للدفاع عنه ، بل صرح المعروفون من رجاله بظلمه وفساد سياسته ، وزعموا أنهم خاضوه خلعاً ، وكذلك فعلت الحرائد التي كانت تمدحه وتدافع عنه كالمقطم ، واتخذوا ذلك وسيلة لاقتناع سلطان نجد بإمكان الاتفاق بينه وبين ولده الشريف علي الذي مدوه ملكا دستوريا ، ولو

أن سلطان نجد بادر في ذلك الوقت الى الاستيلاء على جده والمدينة المنورة لقم
كنوز الملك حسين واستعان بها على إصلاح الحجاز ، وامتد المؤتمر الاسلامي
وتقرر فيه نظام الحكم في الحجاز بما يرضي جميع المسلمين : ولكنه قاس الحجاز
على إمارة ابن الرشيد التي استولى عليها بالحصار الطويل دون المناجزة اختياراً لخسارة
المال على خسارة النفس ، فأعطى البيت الحسيني فرصة طويلة للاستعداد الحربي
وللدعاية الافسادية ، ولما هو شر من ذلك وهو العود الى إقناع الانكليز بأنه
قادر على تمكينهم من سائر بلاد العرب ، فمادوا الى مساعدته بالمال والدعاية كما
تقدم في الفصل الاول من هذا المقال ، فطلقوا يهيجون العالم الاسلامي على الوهابية
وسلطانهم ، فوجب أن نقيم الوزن بالقسط بين الفريقين

سيئات جند ابن السعود في الحجاز

إن مانسب الى جند ابن السعود من السيئات في الحجاز كان ينحصر في
أمرين (أحدهما) أنهم قتلوا في الطائف بعض الاهالي غير المقاتلين (ثانيهما)
أنهم هدموا بعض المباني الاثرية التي يتبرك بها الناس — فكل الدعاية الهاشمية
في الطمن فيهم لا تعدو هذين الا الى ما يذكر في هذه الأيام من ذم الادارة في الحجاز ،
ولم يثبت من ذلك الا منع شرب الدخان كنع الخمر والحشيش وأمثال ذلك مما كان
يلوث به الحرم الشريف ، ولا نبحث في هذا فانه لا يتعلق بما نقصد من السياسة العامة
ومستقبل الحجاز والاسلام

فأما الاول فيقع مثله في كل حرب وفي الغالب يكون خطأ وقد يكون بعضه
لضغائن وأسباب شخصية . فإذا كان قد وقع من الوهابية ، فقد وقع قبلهم من خير جنود
البرية ، وهم الصحابة رضي الله عنهم فقد روى البخاري في صحيحه وغيره عن عبد الله
ابن عمر (رض) أن النبي (ص) بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة (داعياً لمقاتلة)
فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا اسلمنا فجعلوا يقولون صباأنا صباأنا فجعل
خالد يقتل منهم ويأسر ودفع الى كل رجل منا أسيره حتى اذا كان يوم أمر
خالد أن يقتل كل منا أسيره قتل والله لا تقتل أسيري ولا يقتل رجل من اصحابي
أسيره حتى قدمنا على النبي (ص) فذكرناه له فرفع النبي (ص) يديه وقال لا لهم

إني أبرأ إليك مما صنع خالد — مرتين —

وهذا ذنب مضى لا يضر البلاد ولا الأمة واثمه على من قتله لا يبرئهم منه وأما الثاني فإذا عقد المؤتمر الاسلامي الذي يدعو اليه السلطان ابن السعود وقرر انه خطأ امكن اعادة تلك المباني أو الاثرى منها ، بشرط مراعاة احكام الشرع في اجتناب كل منكر يتعلق بها والمنع منه بالقوة المنفذة للشرع

سيئات البيت الهاشمي

وأما سيئات الشريف حسين واولاده فلا تعد وقد ألفنا كتابا في ذكر بعض سيئات الاول جعلناه خطابا للعالم الاسلامي وفيه شيء من ظلم ولي عهده والشريف علي بالمدينة ولكننا لا نذكر هنا إلا ما هو خطر على الحجاز وحصنه من جزيرة العرب وهو : (١) وضع الشريف حسين عند شروعه في الثورة باغواء الانكليز صورة اتفاق معهم مما (مقررات النهضة) صرح فيها بأنهم الذين هم يؤسسون الحكومة العربية وتكون البلاد تحت حمايتهم في داخلها وخارجها — واعطاهم فيها حق إشغال ولاية البصرة الخ ويؤكد إصراره على ذلك انه رفع استقالته من الملك مكررة الى الحكومة البريطانية في لندن ونشر ذلك في جريدته التي كانت تسمى (القبلة) وقد عاد الان الى مخاطبة الحكومة الانكليزية بانجاز وعدها له واخراج ابن السعود من الحجاز كما أشرنا اليه في الفصل الاول

(٢) لا يزال والده الشريف فيصل يهد لهم سبيل امتلاك العراق بالصور والاساليب التي يأمرونه بها ، وكان قد اتفق مع فرنسة على وصايتها الانتدابية على سورية وعجز عن تنفيذ ذلك

(٣) مهد لهم والده الشريف عبد الله سبيل امتلاك شرق الاردن واخضاع قبائله وعشائره وماجاورها فأسسوا فيها حظيرة للطائرات الحربية وجعلوها برضاها تابعة لفلسطين في الانتداب وكانت مستقلة واعطاهم وثيقة رسمية بحق اقامة الحديده الحجازية التي تمر منها وباسمه وسعيه أخذوا المنطقة الحجازية يريدون اخذ منطقة الجوف النجدية باسمه أيضا وهم اذ شاؤوا إخراجهم في أي وقت قامهم يخرجونه كما اخرجوا والده طوعا أو كرها

(٤) الشريف علي هو الذي اعطاهم المنطقة الحربية الاخيرة من ارض الحجاز بمحض ارادته (التي يصفها بالسنية تقليداً لسلطين آل عثمان) كما تقدم ومن المعلوم بالضرورة أن أهل هذا البيت متضامنون في خدمة الانكليز ، ومما لهم الصورية يعدونها منحة من الانكليز ، ويعلمون أن الشعب الحجازي يعقدهم وانه لا سبيل الى تمتعهم بمظلة الامارة والملاكة إلا بحماية الانكليز بل في ظلمهم ، فاذا ظلوا متمتعين بها فلا تمضي إلا سنين قليلة ويستولي الانكليز بالفعل على بلاد العرب وفي مقدمتها الحجاز

وقد علم من اعمالهم الرسمية انه لا يردعهم عن ارتكاب أعظم الجنايات الموبقة ولا سيما خدمة الانكليز خوف من الله ولا حياء من قومهم ولا من أهل الدين الذي ينتسبون اليه حتى إن الذي سمي نفسه ملكاً دستورياً وهو علي يعطي بعض ارض الحجاز المقدسة للانكليز بمقتضى « ارادته السنية » قاين الحكومة الدستورية التي ادعاهما ؟ وابن الحزب الوطني الذي بايعه عليها ؟ بعد ادعاء خلع الملك حسين لاستبداده ... ؟

الدعاية الهاشمية

ليس هنالك احزاب حجازية ، ولا مبايعة شعبية دستورية ، ولا خلع لمن ادعى الخلافة الاسلامية ، وسمى نفسه ملك البلاد العربية ، وإنما هنالك أفراد رباهم حسين لنفسه قاموا ولا يزالون يقومون بهذه الدعاية التي يعتمد عليها حسين واولاده كما يعتمدون على الانكليز ولا يقيمون لغيرهما من العلم والعمل ولا من الناس وزناً . منهم عبد الرؤف أفندي الصبان الملقب بمندوب الحزب الوطني الحجازي بمصر وحسين أفندي الصبان مدير جريدة القبلة ، وكل ما ينشر في مصر من الدعاية فهو منهما ومن الشيخ عبد الملك الخطيب الملقب بوكيل الحكومة العربية ومنهم الوفد الذي ارسل الى الهند فأحدث فيها فتنة لا يستهان بها ، وزعيما محمد طاهر الدباغ والطبيب السامي وهما من المقاربة المقيمين بالحجاز وثانيهما كان مستخدماً في ادارة جريدة القبلة الحسينية

ونرى هؤلاء الدعاة ينفقون الاموال بالوف الجنيهات على الجرائد وغيرها من

حيث تواترت الاخبار بعجز ملكهم الشريف علي عن أداء رواتب الجنود التي استأجرها من فلسطين وسورية وغيرها لاقامة ملكه حتى انقضت أكثرها من حوله وعادت الى بلادها، ومن أخبار الهند الخاصة أن وفد الهند بذل للشيخ أبي الكلام أحمد الزعيم الشهير عشرة آلاف جنيه ليثبت دعوتهم ويأتي خطبة في الطعن في الوهابية، فكان ذلك دليلاً على كذبهم... وما هو ممن يعبد المال مثلهم، فلذلك رد طلبهم. وقد أنشأ هذا الوفد جريدة اسبوعية في بمبي هي أسفه من جريدة القبلة قبلاً، وأضل سبيلاً. فاعتز بهذه الدعاية كثيرون وأخذ الزعماء العارفون بالحقائق على غرة فتريثوا في الرد على هذه الدعاية حتى خاطبوا ابن السعود في الآراء بلسان البرق كما فعل ملك مصر، ولما وقفوا على الحقيقة، وإن جيش الإخوان لم يضرب قبلة المسجد النبوي بقبلة ولا رصاصة، حملوا حملة عظيمة على دعاية وفد الشريف علي حتى اضطر الى مغادرة الهند

افتراض الانكليز للفتنة

في أثناء هذه الضجة أمر الانكليز حكومة العراق بمطالبة سلطان نجد بإعادة عقد المؤتمر الذي كان قد اجتمع في الكويت لوضع الحدود بين العراق ونجد وشرق الاردن والحجاز، وأرسلوا هم من قبلهم وفداً الى الحجاز لمفاوضة سلطان نجد في هذه المسألة، وجل ما ينفونه منه أن يعترف لهم بالحدود الجديدة لمنطقة شرق الاردن بعد أن ضموا اليها من بلاد الحجاز ما علمنا، وأن يضموا اليها (الجوف) الذي كان تابعاً لامارة ابن الرشيد، وصار بعد ذلك جزءاً من سلطنة نجد وانهم يتوسلون الى إقناعه بما يخوفونه الآن من تأليب العالم الاسلامي عليه، وإغراء مصر وإيران وغيرها من الاقطار الاسلامية به، حتى الهند التي كانت مشابهة له، فأصبح كثير من أهلها عليه كالاسماعيلية و فرق الشيعة، وبعض عوام أهل السنة، بحيث اذا عقد المؤتمر الاسلامي الذي يطلبه يسمون بنفوذهم السياسي والمالي وخداعهم الى جعل الاكثرية الساحقة فيه عليه لا له، ومؤيدين لخصمه الشريف علي عليه. وذلك أن أكثر مسلمي الارض خاضعون لسلطانهم و سلطان حليفهم فرنسة بالفعل. بل يوهونه أنه يسهل عليهم خداع سائر الشعوب الاسلامية بموافقة مندوبي هؤلاء، بدليل أنهم هيجوا بعضها بالفعل كالشعب

الايراني ولكنهم لا يصرحون بهذه الاتهامات
فان هو خاف من ذلك واعترف لهم بهذه الحدود يكون كمن شحذ مديته
ويمنع بها نفسه بيده ، ويكون كل هؤلاء المسلمين الذين هاجوا عليه ، وطفقت
جرائدكم تطعن في جنسده ، شركاء له في هذه الجناية على الحجاز وعلى الاسلام ،
نعم ان الانكليز ربما يكافؤونه على اعترافهم له بهذه الحدود مكافأة سلبية سخافة ،
وهي مالا يزالون يدعونه من التزامهم موقف الحياد في التنازع بيده وبين الشريفة علي .
وماذا يفعل بعد ذلك - وهو محاط به من البر والبحر ، ولا سيما بعد مد الانكليز
لسكة الحديد الحربية من فلسطين الى العراق مارة بأرض الحجاز ونجد ؟
الواجب على السلطان عبد العزيز شرعا وعقلا وسياسة أن لا يخاف من
تهديد الجنرال كليتن وخداعه ، ولا يبالي بوعده ولا بوعيدده ، فان دولته المرسله
له لا تقدر الا أن على ايذاء نجد وغيرها من بلاد العرب بأكثر مما فعلت من الدسائس
ومن مساعدة الحجازيين بما أجهلناه في هذا المقال ، أعني أنها لا يمكن أن تسوق
عليه جيوشا بر يطانية تقاتله بها . فان فرضنا أنها يمكنها أن تحمل دولة اسلامية على
قتاله لاخراجها من الحجاز - وما ذلك بالامر السهل - فممافة ذلك خير له
من السماح للانكليز بشبر من أرض الحجاز أو من أرض نجد يأخذونها باختياره
ثم لا تكون عاقبة أمرها الا القضاء على كل من الحجاز ونجد بعد زمن قليل ،
ولأن يضيع الحجاز بيد غيره أشرف له وأسلم من خزي الدنيا والآخرة من أن يضيع بيده
اذا أحدث الانكليزي فتنة حرية في الحجاز بأيدي دولة اسلامية فلا ينتظر
من ابن السعود الا أن يترك الحجاز لهذه الدولة اسلامية ، ويحملها تبعة حفظه أمام
الله والمسلمين ، ويزحف بكل قوته على شرق الاردن وفلسطين والعراق ، فهو
إن فعل ذلك يجد الترك قد انتهزوا هذه الفرصة وزحفوا على الموصل ، واذا أنقذ
العراق وقلب جزيرة العرب من الانكليز ذهب تسعة أعشار الخوف على الحجاز
ونجد . ولن ترضى الامة البريطانية من حكومتها الماكرة أن تحملها أعباء حرب
جديدة في بلاد العرب تضحي فيها مئات الالوف من الانكليز ، وتقتل مئات
الملايين من ذهابهم بعد أن كادت الديون وبطالة المال وكساد التجارة تنضي على ثروتهم

ولئن كانت الحكومة الهندية تظن أنها يمكنها الاعتماد على مسلمي الهند في إيقاد نيران الحرب في الحجاز بإيهاهم عوامهم أنها تنقذ بذلك القبور والقباب من الوهاية ، فهي لا تأمن لهم ولا لاهندوس في إيقاد نيران الحرب في بلاد العرب لقتال العرب والترك دفاعاً عن تاج فيصل وعقال أخيه عبد الله بل هي لا تأمن عاقبة إرسالهم إلى الحجاز أيضاً ، لأن العارفين بكيدها للحجاز من ضباطهم وجندهم كثيرون إن الدولة البريطانية لا تثير حرباً جديدة قط ، وما لديها إلا الخداع ، فلا يكون سلطان نجد من المخدوعين

لا يتوهم أحد من ذكرنا لزحف الترك على الموصل أننا نعتقد أن لهم الحق في ذلك أو أننا نفضل جعل هذه الولاية تركية على جعلها عربية ، كلا ، وإنما نعتقد أن طمع الترك قد يقف عند حد الموصل من بلاد العرب وأما طمع الانكاز فلا يقف عند حد ، وهم عازمون قطعاً على امتلاك جميع البلاد العربية ، وإزالة سلطان الإسلام وشريعته من الأرض ، فإذا ظفروا بقوة ابن سعود وهي أكبر قوة عربية في الجزيرة فقل على العرب وعلى الإسلام السلام ، ونعتقد أن ابن سعود إذا زحف لا تقاذ العراق لاهله يقوم معه معظم العرب . واقناع العراقيين بذلك سهل

(٣)

دسيسة الصلح بين الحجاز ونجد

نحن من المصدقين بأن سلطان نجد كان ولا يزال قادراً على أخذ جدة والمدينة المنورة عنوة كما حكى عنه ، ثم صرح به هو رسمياً . ومن المصدقين بأنه اختار الحصر بالمطاول على المناجزة ، كراهة لسفك الدماء ، وتخريب العمران ، ويعتقد مع هذا أن هذا الاجتهاد كان خطأ ، ضرره على سياسة السلطان وعلى الحجاز أكبر من نفعه ، فلو أنه بعد أن علم بما كان من تحصين جده أعد للهجوم عليه عدته وأخذها عنوة لانتهمت المسألة الحجازية ، وأقبل الحجاج على مكة من جميع الآفاق ، فانسع الرزق على أهل الحجاز ، وشاهد وفود مسلمي الأرض كلها لفرق العظيم بين عدل ابن سعود ، وتأمينه لبلاد ، ومنعمه للظلم والامداد ،

ونعفه عن أموال الحجاج ، وإقامته لأحكام الشريعة ، وبين ظلم حسين بن علي وإلحاده في حرم الله — ولقد المؤتمر الاسلامي العام ، وقرر شكل حكومة الحجاز وما يجب من الإصلاح الديني والعمراني فيه (كما تقدم آنفا) — واستراح المسلمون عامة والعرب خاصة ، وأطمأنوا بذلك على حرمهم وقبلتهم ومشاعر دينهم ، وروضة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمنوا نفوذ الاجنبي أن يفسد عليهم أمر دينهم ، ويذلهم حيث أعزم الله تعالى

لقد آن لسلطان الذكي العاقل أن يدرك الفرق العظيم بين حصره لابن الرشيد في جبل شمر ، وبين حصره للشريف علي صنيعه الانكاز وابن صديعتهم في أمر بحري يتصل فيه بهم وبين شؤنا وشاء من العالم ، وقد علم بعض ما في ذلك من الضرر ، ومنه أن رجال العرب وكثيراً من زعماء الاسلام الاعاجم وكثيراً من الاجانب كانوا يقدرون قوته الحربية قدرها ، وينتظرون أن تتضاءل هذه القوة بادخال النظام المصري فيها ، وتسايحها بالاسلحة الجديدة التي كانت فاقدة لها ، وكانوا ينتظرون أن تتجدد بذلك دولة عربية قوية تهبط بالاتحاد مع قوة الامام يحيى مهد الاسلام وجزيرة العرب من النفوذ الاجنبي ، وتجدد شباب هذه الامة فلما مرت سنة كاملة ، بل قبل أن تنتهي هذه السنة على حصار جدة التي يحميها أوشاب من متطوعة بلاد كثيرة استوَجروا للدفاع عنها بمحشو بطونهم من المايج العيش (المايج بالفتح أدنى ما يؤكل) ظن الا كثرون أن هذه قوة بدوية لا غناء فيها ولا استعداد ولا قابلية فيه لمناجزة أضعف الجنود المنظمة مهما يكن نظامها ناقصاً وضعيفاً ، وذهبت بهذا الظن هبة الوهابيين من أنفس أولئك الظانين ، وانقطع حبيل الرجاء بكثير من أولئك الراجين ، وزالت مهابة الخوف من كثير من الخائفين ، وصار لطلاب الصالح بين المتحاربين أنصار كثير من حتى من العارفين بفساد بيت حسين وظلمهم وكونهم صنيعه الانكاز ، وشبهتهم على هذا ، أن القوتين متكافئتان لا يرجح حقن الدماء وأمن البلاد وحرية المايج الا بالصالح بينهما ولم يكن ينطق بكلمة الصالح بينهم وبين سلطان نجد قبل هذه الايام إلا صنائعهم ودعاة فتنهم ، ولم ترد هذه الكلمة إلا الصحف القليلة التي تنشر عابثاً

وفي مقدمتها المقطم فهي التي مازالت تنشر هذه الدعوة الى الصالح حكاية عن بعض دعاة الشريف علي وباسم بعض محرري المقطم، وزعمت أن الوفد المصري الذي سافر الى جدة فمكة بأمر جلالة ملك مصر المعظم برئاسة الاستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا لم يذهب إلا للوساطة بعقد الصلح بين الشريف علي وسلطان نجد لما كان من استغاثة الشريف علي بجلالة الملك في البرقية المشهورة التي نشرت في الصحف المصرية ونشرناها نحن في الجزء الخامس من المنار، وإنما يقول المقطم هذا رأيا لا رواية ونحن نخالفه في هذا الرأي ونرجح أن الوفد أرسل لاختبار حالة الفريقين لا للتدخل في شؤونهما بالفعل، اذ لا يعقل إقدام هذا المقام الجليل على مثل هذا التدخل إلا بعد العلم باستعداد الفريقين لقبول وساطته، والعلم بأن الصلح بينهما على قاعدة بقاء الحكم في الحجاز للشريف علي موافق المصلحة الاسلامية العامة، وأي مصلحة للاسلام في توطيد السلطة في الحجاز لمن يدعون أن البلاد ملك لهم وأنه يباح لهم التصرف فيها حتى يبيع ماشاؤا منها للاجانب كما وقع بالفعل؟ ولهذا نعتقد أن دعاة الفتنة الذين يحرضون الدولة المصرية على قتال الوهابيين وفلك هذه البقية الضعيفة من قوي المسلمين بعضها ببعض لا تشر لهم دعوتهم الا الخزي في الدنيا والآخرة

إننا نعتقد بما لنا من الاختبار الواسع أن عقد الصلح بين الشريف علي وسلطان نجد على قاعدة جعل الاول ملكا في الحجاز يفضي الى المفاسد الآتية

(١) عودة الشريف حسين الى مكة مدعيا للخلافة الاسلامية تحت حاية الانكليز عملا بمقررات النهضه فقد علمنا علم اليقين أن أولاده الملوك البريطانيون على العراق وشرق الاردن والحجاز لا يزالون متمسكين بخلافته وقد صرح ولي عهده الشريف علي في (الارادة السنية) التي أصدرها بجعل منطقة العقبة وشرق الاردن الحجازية تابعة لشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني بالتعبير عن والده بالخليفة الاعظم، واذا هو عاد الى مكة يعود اليها الظلم والاحاد والافساد والشقاق بين الحجاز وسائر حكومات الجزيرة ولا سيما نجد، اذ يعود هو الى مطالبة سلطنة نجد وإمام اليمن بوجوب اتباعه من حيث هو خليفة الرسول وأمير المؤمنين،

والى التصدي لتنفيذ ما وضعه من النظام لوحدة البلاد العربية التي يسميها «الممالك الهاشمية» ومنها أن تكون كلها تابعة له في السياسة والحرب والادارة العامة وحينئذ يسمح لامرائها بالاستقلال الاداري بشرط رد إمارة ابن الرشيد وإمارة أولاد عايض التين استولى عليها سلطان نجد!! (راجع: خطاب عام الى العالم الاسلامي) فاي اصلاح وخير يرجو الداعون الى صالح هذه أولى نتائجها ؟

(٢) ان الشريف حسين صرح بالقول والكتابة والنشر بكفر الوهاية وانه يجب على ولي أمر المسلمين اقامة شرع الله فيهم أى بقتالهم الى أن يعودوا الى الاسلام الذي يدعيه هو كما يفهمه أو ينقضوا . وقد اتهم هو الوهاية بمثل هذه التهمة بالتبع لانهم سلفه الشريف غالب لسلفهم عند مبدأ ظهورهم وثبت انه كاذب كسافه وخلفه ، فقد استولوا على بلاد الحسا التي كانت تحت سلطة الدولة العثمانية ولم يعاملوا الشيعة من أهلها معاملة الكفار في شيء مع أن الخلاف بين الوهاية المتعصبين لسنة وبين الشيعة شديد جداً ولا لك نجد شيعة إيران والهند والعراق وسورية أشد الناس تحاملاً عليهم ، حتي ان صديقنا السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كنا نعدّه من دعاة الجامعة الاسلامية ومن المعتدلين في التشيع ألف رسالة في صد المسلمين عن الحج مع وجود الوهاية في الحجاز . وأما أهل الحجاز فقد اجتمع علماءهم بمكة ونجد عقب احتلال ابن السعود لها وقرروا بعد المذاكرة انه لاخلاف بينهم في العقيدة وأنهم كاهم على السنة كما جرى مثل ذلك عند احتلال الامير سعود لمكة المكرمة منذ قرن وسنين حذو القذة بالقذة ، فاي مصلحة في عقد صالح يفضي الى إعادة تكفير من يدعي الخلافة لا أقوى شعوب الجزيرة دينا ونجدة وقتاله لهم ان قدر ولو بمساعدة الانكليز لاجل اكرامهم على ترك السنة وعبادة القبور ؟

(٣) إن الشريف حسين وأولاده ليس لهم قوة ولا عصبية في بلاد الحجاز

ولا في غيرها من بلاد العرب كما كنا نقول وثبت قوائنا بالفعل بما علمه القاصي والداني من كون جميع قبائل الحجاز القوية مشايعة اساطان نجد عليهم ولولا ذلك لم يستطع الوهايون البقاء في الحجاز - ومن كون الجند الذي يدافع عن جدة قد جمعه الشريف علي وأعوانه من فقراء اليمن وفلسطين وسورية المحتاجين الى

القوت الضروري ولاجل هذا بنى الشريف حسين ثورته وبما سماه (مقررات النهضة) العربية على تأسيس الانكليز الملكة العربية وحمايتها لها من الداخل والخارج . وكان أول من نشر هذه المقررات الامير فيصل في سورية . ومن المعلوم بالضرورة أن الشريف حسين وأولاده متكافلون متعاونون في سياستهم ، وأن الحجاز لا يستغني عن مساعدة حكومتي شرق الاردن والعراق مع عداوته الراسخة لنجد وطمعه في اخضاعها هي واليمن وتهامة كما تقدم ، ومن المعلوم بالضرورة أن هاتين الحكومتين برطانيتان فان تكون حينئذ الحجاز غير برطانية غرض الانكليز حماية الحجاز

وجملة القول وخلاصته أن الدولة البريطانية طامعة في ضم جزيرة العرب الى الامبراطورية البريطانية المنة وفي القضاء على الاسلام وعلى سلاطين المسلمين فيها كغيرها من أقطار الارض ، وقد كانت طريقتهافي الفتح والاستعمار خفية ، فأصبحت ظاهرة جليلة ، فهي تصطنع الزعماء ورؤساء الامم بالمال والاعواء والاعراء ، وتضرب بعضهم ببعض كالسيل يقذف جلوداً بجلود بل مثلها كمثل جنة الادواء (المكروبات) في إفساد الاجسام ، وجنة (١) الشياطين في إفساد الارواح ، من حيث لا يشعرون أولئك ولا هؤلاء ، وانما العالمون بأمر تلك اللجنة أطباء الاجساد النطاسيون ، وبأمر هذه اللجنة أطباء الاجتماع السياسيون ، وأكثر المسلمين لا يزالون يعتمدون على أطباء الخرافات الدجالين .

وهي لم تحدث هذه الجلبة والضوضاء في تخويف الشيعة وجهلاء المنتسبين الى السنة من قوة الوهابيين التي هي مع قوة إمام اليمن حصنان منيعان في وجه طمعها في جزيرة العرب الا لثبون على العالم الاسلامي ماتبعي من التصريح بحماية الحجاز فالشيعة يساعدها على حد المثل « لاحبا في علي ولكن بغضا في معاوية » وجهلاء المبتدعة من المنتسبين الى السنة يوافقونها لاعتقادهم أنها تحمي لهم القبور والآثار التي صارت معبودات لهم ، وهناك آخرون مستدلون تحت حمايتها يوافقونها على كل شيء جبنا وجهلا ونفاقا ، والله أنها لشر على الجميع وخطر على دينهم ودنياهم

كلهم ، والله ان قضاء ما على قوة العرب في جزيرتهم ، وجعل مهد دينهم وقبلته
وشعائره تحت حمايتها لقضاء على الاسلام كانه مؤذن بزواله وإذلال جميع أهله ،
والله انه لا يرجي بعد ذلك أن يبقى لايران ولا لمصر ولا لغيرهما استقلال ،
وقد عرف المصريون عاقبة حامية عرش أميرهم من العراقيين كيف كانت

ان من الممكن السهل تناول انشاء قوة عسكرية في جزيرة العرب تحفظ استقلالها
ومجد الاسلام فيها والانكليز يحاولون التعجيل بالاستيلاء على الجزيرة كلها قبل ان
يعقل العالم الاسلامي هذا الامر ويسمى مساعدة ابن السعود وامام اليمن عليه ، ولذلك
حملت ربيبتها جمعية الامم على تقرير منع السلاح عنها ، فان تم لهم ذلك وصار البحر
الاحمر انكليزيا محضا وصار للانكليز قوة برية في فلسطين ممتدة الى العراق
لا تباورها قوة تحسب لها أدنى حساب ، فأني مصري أو ايراني يسفه نفسه ويخلع
عقله فيزعم ان بلاده يمكن ان تستقل وقد أحاط بها الانكليز من البر والبحر ؟
وقد ظهر كالشمس في رابعة النهار ان الشريف حسين وأولاده هم اكبر
أنصار الانكليز على الاستيلاء على بلاد العرب ماتم منه وما لم يتم ، ولما كان المصريون
يعلمون من هذه الحقيقة مالا يعلم شيعة ايران والهند لم تؤثر فيهم الدعاية الهاشمية
البريطانية الاخيرة حتى صرحت جريدة التيمس بالتعجب من ذلك (١) وقد آن
للإيرانيين ان يفقهوا هذا ويركو التعصب الضار الذي لم يعد له عذر في هذا العصر
وقد عرف عقلاء الشيعة في العراق كنه الملك فيصل البريطاني وليرجعوا الى منشآت
السيد جمال الدين موقظ مصر وايران والشرق ويتدبروا ما كتبه في الانكليز

علاوة مؤيدة لما تقدم

كنت بدأت بكتابة هذا المقال لجزء المزار الخامس الذي صدر بتأريخ سلخ
صفر فلما لم يتيسر له أرجات إتمامه وقد جاءني بعد نشر بعضه في الجرائد المزار وقبل
ختمه كتاب من قلب الهند أكد عندي كل ما رأيته وكتبته من الارجيف التي ذاعت
في الهند بسمي وقد طاهر الباغ ورسائس الانكليز . ومما جاء فيه « فتأثر كثير من
الناس بهذه الارجيف وأخذوا يشترون ابن سعود بل بعض من أصحاب الاغراض
أخذ يقول : يجب أن تتدخل الدولة البريطانية في الامر فتخرج ابن سعود

بقوتها العسكرية « (? تأملوا تأملوا ، هذا بيت القصيد ، وهو أعظم خيانة صدرت من أحد يدعي الاسلام)

وجاء فيه أيضاً أن الشيخ عبد الباري الفرنج محلي الكهنوتي (وهو نصير الانكليز والبيت الهاشمي والمبايع الوحيد من علماء الهند الفاضل لحسين بن علي بالخلافة) ومجتهد الشيعة وحزب الحكومة الانكليزية قد أجمعوا أمرهم وعقدوا في لکهنو مجلساً كبيراً لکيد النجديين . فعارضهم في مبادئهم اثنان من أفضل أهل السنة العارفين بدسائس الحكومة ومقاصدها السيئة في الحجاز وجادلهم بالحجة فلم يكن لهم عليهم من سلطان الا السب والضرب ، واخراجهما جراً على الارض . وقد ذكر ذلك في أكثر الجرائد الهندية

(ثم بشرنا الكتاب بانتشار الحركة الاصلاحية بعد هذه الدعاية بسرعة) (قال) حتى إن عاد القبور والقبب يرجعون الى التوحيد الخالص بمئات الألوف (ورأينا جرائد المسلمين الكبري في الهند تنشر الاحاديث الصحيحة وأقوال العلماء في بدع القبور ووجوب هدم المشيدة المعظمة منها

نقول : يا حسرة على المسلمين لا يزال يوجد فيهم ألوف وملايين يتصرف فيهم أعداؤهم ويسخرونهم كالانعام ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي خصومهم كما وصف الله أهل الكتاب في عصر التنزيل ، ومنهم بعض المعصيين الجامدين النفعيين (كالشيخ عبد الباري) يسير هؤلاء العلماء في الطريق التي يسوقهم فيها أعداء دينهم وديناهم وهم لا يشعرون بخطره وسوء عاقبه

ما يجب على المسلمين للحجاز

فالواجب على أهل الغيرة والاخلاص والوقوف على الحقائق من المسلمين أن يتداركوا هذه الفتنة الانكليزية ، ويحولوا بينها وبين حرم الله وحرم رسوله ، وسياجها من جزيرة العرب ، مادامت قوة سلطان نجد مائلة مانعة للنفوذ الانكليزي أن يستحوذ عليها . وليذكروا وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان . وقوله « إن الاسلام بدأ غريباً وسيمود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم عن

ابن عمر . والترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني مرفوعا « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعتقن لدين من الحجاز معقل الروية (١) من رأس الجبل . انت الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً ، فطوبى للقرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من ستي » فليعتقن المسلمون كافة وأهل السنة خاصة هذه الاحاديث ، وليتقوها وحكمتها ، ويعملوا بما راد نبيهم (ص) منها ، ويتعاونوا على إبعاد الانكلاز عن الحجاز تنفيذاً لهذه الوصية ، وليعلموا ان كل من يقر بهم من الحجاز فهو عدو لله ورسوله والمسلمين . وفي مقدمة هؤلاء الاعداء حسين بن علي وأولاده وانصارهم أجمعون اكتبون ايتمون ابصمون

يجب على المسلمين المتخلصين بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ان يبادروا الى عقد المؤتمر الذي دعا اليه سلطان نجد ويقرروا إبعاد الانكلاز عن الحجاز واتّزاع منطقة العقبة - معان وسكة الحجاز منهم ومن فرسة ووضع نظام لحكومة الحجاز من قواعده ان لا يكون لغير المسلمين أدنى نفوذ فيه ولا وجود بأي اسم من الاسماء . وليعلموا انه لا يتم لهم عقد المؤتمر الا بقوة سلطان نجد الذي أقام الحجة عليهم بتفويض أمر حكم الحجاز وحفظه اليهم ، فلم يبق لاحد منهم عذراً للشيعه ولا لابتدعة القبور ولا لغيرهم ، فهما يكن أمر هذا السلطان في نفسه وأمر قومه في أنفسهم فهو يعان رسمياً أن الحرمين الشريفين ليسا له ولا لحسين بن علي وأولاده ، بل يجب تفويض أمرهما الى زعماء المسلمين كافة ، فن يرغب عن هذه الخطة الى جعلها مملكة موروثه في بيت الشريف حسين يتصرفون فيه كما شاؤا حتى يجعلها تحت حماية أعداء الاسلام والطامعين فيه ، ويبيعون ما شاؤا من أرضهما ، فهم أعدى أعداء الاسلام ، ويجب ان يظهر نفاقهم لجميع المسلمين

وتقترح على سلطان نجد ان يجدد الدعوة الى عقد المؤتمر لذلك بصفة رسمية بالكتابة الى ملوك المسلمين ورؤساء حكوماتهم المستقلة ومنها دولة ايران - والى جماعات الشعوب الاسلامية المروفة بخدمة الاسلام ، وان يذكر في كتاب الدعوة الموضوع الذي يحدث فيه المؤتمر بالتفصيل ، وأهمه أن لا يكون لاجنبي ملك ولا نفوذ

(١) الروية بضم الهمزة وتشديد الياء كالاتية الوعل

ولا مقام في الحجاز وأن تكون حكومتها حكومة شورية شرعية ، ولا يتسع هذا المقال لبيان رأينا التفصيلي فيه وسنشرحه عند الحاجة إليه ان شاء الله

أيها المسلمون ، الامر جد ، والخطب اذ ، وليس بعد اليوم كوفة ، فاذا استولى الأجنبي الطامع على مهد دينكم ، واستعبد قوم رسولكم ، وهم أعرق شعوب الارض في الحرية والاستقلال ، فماذا يبقى لكم ؟ واذا لم تظهروا الغيرة على حرم ربكم وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فأني شعور يحترم الطامع لكم ؟ وأي مقاومة يخشى منكم ؟ لا تسمعوا كلمة لدعاة حسين وعلي وعبد الله وفيصل ، فقد ثبتت خيانتهم للإسلام والعرب بالفعل ، ولم يتجراً أحد منهم على تكذيبنا في جعل ملكهم علي منطقة عظيمة من الحجاز تحت الانتداب الانكليزي لأن جريدة شرق الاردن الرسمية نشرت الخبر كما نشرته صحف سورية والعراق (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون) - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون)

احوال العالم الاسلامي

﴿ ابن سعود وانكثرة (تأخر نشرها) ﴾

ترجمت جريده ألف با الدمشقية عن جريدة « لاسيري » الافرنسية أن السلطان ابن سعود كتب الى انكثرة طالبا التصديق على المطالب الآتية :
(ا) أن تترك انكثرة ابن السعود ينهي أمره بأسرع ما يمكن مع الملك علي وجدة
(ب) أن تعترف بصورة رسمية بسيادته على الحجاز واستقلال نجد استقلالاً تاماً ذلك الاستقلال الذي حذف بعض مواده في الاتفاق الذي عقده مع انكثرة عام ١٩١٥

(ج) أن تقبل انكثرة بوضع الماحجاز تحت سلطته بعد انتصاره التام على الملك علي . ويتمدد لقاء ذلك أن يشكل بصورة دائمة في مكة حكومة وطنية

نُعترف انكلترا باستقلالها التام . ويكون لابن السعود السلطة التامة في تعيين من يشاء لمكة . أما فيما يتعلق بدستور الحجاز الاداري والديني فانه يترك أمر تقريره الى ممثلي الدول الاسلامية الذين ينتخبون لجنة يعهد اليها أمر تطبيق الدستور المذكور (د) ان تترك انكلترا له حق تعيين ممثلي حكومة لوندرة في العراق وشرقي

الاردن وفلسطين والبصرة والكويت

(هـ) أن تعترف له باطلاق لقب الجلالة عليه نظيراً لاعتراؤها بلقب أمير الافغان والملك فيصل .

(و) أن تضم حداً لنشر الدعاية ضده في الهند والعراق والبلاد الاخرى الواقعة تحت النفوذ الانكليزي والتي تمثل الوهابيين كزنادقة .
فردت عليه انكلترا مقدمة له المطالب التالية : —

(ا) بقاء الحالة على ما هي عليه في شبه جزيرة العرب وببديل جهودها في الحصول عليه خلا ما يتعلق بالحجاز طبعاً . ويتعهد ابن السعود ان لا يقسم شبه جزيرة العرب الى منطقتي نفوذ يختص المنطقة الشمالية بنفسه والمنطقة الثانية بصديقه الامام يحيى امام اليمن وأن لا يعقد مع الامام يحيى مخالفة ما . بل يجب عليه بالعكس أن يعقد مخالفة مع خصم الامام يحيى أي مع سعيد بن علي الادريسي امام العسير وأن يدعه عند الحاجة

(ب) أن يعدها ابن سعود بأن لا يهاجم شرق الاردن ولا معان والعقبة وتبوك وهي الاراضي التي انضمت مؤخراً الى شرقي الاردن أي ان يحترم البلاد الواقعة تحت الانتداب الانجليزي .

(ج) أن يحترم وأن يحمي السكة الحديدية التي تصل شرقي الاردن بالمدينة ليؤمن طريق الحج

(د) أن لا يقوم بأي حركة عدائية على حدود العراق الجنوبية

(هـ) أن لا يهتم مطلقاً بالمسائل المتعلقة بامارات خابج فارس وبنوع خاص بامارات الكويت والبحرين

(المنار) نقل هذا الخبر بعض الصحف الوردية والمصرية بما فيه من تحريف

وغلط ، فالتحريف كالتعبير عن الكويت بالكوفة ، والغلط كالتعبير عن الادريسي وامارته بسعيد بن علي امام العسير ، والصواب السيد علي بن محمد علي أمير تهامة اليمن ، فان منطقة عسير تابعة لسلطنة نجد بمقتضى اتفاق سابق مع المرحوم السيد محمد علي الادريسي وساطان نجد . ومنها مطالب حرف (د) والظاهر أن المراد منه ان يكون لنجد ممثلون في تلك البلاد

وقد اُثبتت بعض الجرائد في صحة هذا الخبر ، ولكن المطالب المعزوة الى الفريقين هي التي تتبادر الى الاذهان وان اعلن سلطان نجد لا ينبغي ضم الحجاز الى بلاده . فالظاهر ان الكاتب الفرنسي صورها بما ذكر اذا لم يكن للخبر أصل . وقد بينا في مقال آخر ما ينبغي الانكليز من ساطان نجد ونزيد على ذلك موافقة الكاتب على انهم يودون لو يعادى امام اليمن ، لتتمكن انكلترة من تهديد كل منهما بالآخر أو حملهما على القتال لتفني هذه القوة الباقية في جزيرة العرب بأيدي أهلها . وقد قيل : إن دسائسهم فعلت هذه المرة فعلتها في امام اليمن ، فأغرته بالتحرش بساطان نجد ، بعد أن عجزت عن إغراء هذا به ، وانه تصدى بدسائسها للتدخل في مشكلة الحجاز وفاقا لما كان يزعم المقطم من قبل . فان صح هذا ولا نخاله صحيحاً يكون الامام يحى قد فقد أكبر فضيلة له عند العالم الاسلامي ، وهي عجز انكلترة عن خداعه ، وجعله آلة لمطامعها في جزيرة العرب . وطالما صرح المقطم بأنه صارح ساطان نجد بالعداء وانه سيرسل جنوده لمساعدة الشريف علي على اخراج الوهابيين من الحجاز — وكنا ومازلنا نسخر من هذه الدعاية لما عندنا من الادلة على كذبها ، وكونها ليست من مصلحة الامام في شيء ، فان من أنس سياسة الملك حسين جعل اليمن تابعة له كما صرح به في جريدة القبلة وساطان نجد لا يطلب الحجاز ولا اليمن نفسه ، وهو أقدر على مهاجمة اليمن من جهة عسير وجهة الطائف من مهاجمة الامام له في الحجاز التي لا فائدة له من تركها له ، وأما مشاركة الامام لغيره من أحكام المسلمين وزعمائهم في تقرير أمر الحجاز وفاقالما دعا اليه ساطان نجد فمعتقول ، ولا بد للامام من ارسال وفد لحضور مؤتمر مكة وقد كان كتب اليه بزمه على ذلك فهذا امر يقيني عندنا لا نصدق غيره عنه

﴿ زيارة زعماء الهند لمصر ﴾

ابتدعت مصر في صيف هذا العام بزيارة بعض أكابر زعماء الهند لها : كما
ابتدعت في الشتاء الماضي بالمام وقد الهند الحجازي بها، وأسفت لعدم تمكنه من إطالة
المقام فيها، وكان لصاحب هذه المجلة الحظ الاوفر من تلك الالماءة تمتع فيها بقاء صديقه
العلامة السيد سليمان الندوي ورفيقه الكريمن مولانا الشيخ عبد الماجد العبد ايوني
والشيخ عبد القادر القصورى

وأما ضيوفها في هذا الصيف فهم الحكيم محمد أجمل خان الدهلوي الملقب بـ: شيخ
الملك ، والنواب أمير الدين حاكم ولاية لاري المستقلة في إدارتها، والدكتور احمد
مختار الانصاري، وكانوا قد سافروا من الهند الى أوربة ثم افترقوا فيها فجاء الحكيم
محمد أجمل خان والنواب أمير الدين بمصر فأقاما فيها أياما ثم سافر النواب الى
الهند والحكيم الى سورية الجنوبية (فلسطين) فالتمالية فاقام فيها مدة متنقلا بين
مدنها وفي بعض قرى جبل لبنان ذات الهواء النقي والماء العذب الصافي ، وأما
الدكتور احمد مختار الانصاري فذهب من أوربة الى بلاد الترك ومنها الى سورية
فصر فالهند، وبعد سفره من مصر عاد اليها الحكيم محمد أجمل خان فاقام فيها
بضعة أيام ثم عاد الى الهند .

وقد رحبت مصر ب هؤلاء الضيوف الكرام ، والزعماء الاعلام ، ولا سيما
الجماعات والاحزاب التي تخدم الشرق والاسلام ، وفي مقدمة المرحبين المرحبين
مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية ومجاس إدارة
مؤتمر الخلافة العام ، ومولانا الاستاذ العلامة مفتي الديار المصرية ، والاستاذ
العلامة الشيخ حسين والي السكرتير العام الازهر والمعاهد الدينية ومؤتمر الخلافة ،
وغيرهم من كبار العلماء الاعلام ، وبلي جماعة العلماء جمعية الرابطة الشرقية فقد قام
رئيسها صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري الصديقي (شيخ مشايخ الصوفية)
ووكيلها صاحب السعادة أحمد شفيق باشا بما يجب من المفادة والاكرام ، ومن
الاحزاب السياسية الحزب الوطني وهو الحزب المصري الذي يعني بشؤون العالم

الاسلامي ولا سيما مسلمي الهند دون غيره من الاحزاب المصرية كل جماعة من هذه الجماعات قد رحبت بالزعماء الكرام وأقام كبراؤها لهم المآكب الخافلة ودارت بينهم المحاورات في شؤون الاسلام والمسلمين ومسألة الخلافة وغير ذلك من المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية ، وكذلك كان شأن هؤلاء الزعماء المخلصين في سائر البلاد الاسلامية التي زاروها في هذه الرحلة المباركة أي البحث مع العقلاء من رجال الدين والتمرسين بالسياسة في حاضر الاسلام ومستقبله

وأهم المسائل التي كانت موضوع أبحاث الزعماء مسألة استقلال جزيرة العرب وحفظها من كل نفوذ أجنبي ولا سيما الحجاز ، ومسألة الخلافة ، ومسألة فشل الاتحاديين النابتة الاسلامية المتفرجة ، ومسألة تغلب العصبية الجنسية على الوحدة الاسلامية وقد كان لكاتب هذه السطور شرف تعريف العلماء وغيرهم بمكانتهم ، وحظ خاص من لقائهم والبحث معهم والتكريم لهم لاسباب (أحدها) العلاقة القديمة الراسخة بينه وبين مسلمي الهند عامة والصدائقة الشخصية بينه وبين بعض الزعماء (ولا سيما الحكيم محمد أجمل خان) تلك العلاقة التي كانت سبب دعوة جمعية ندوة العلماء إيانا سنة ١٣٢٠ هـ ١٩١٢ م الى تولي الصدارة والرياسة لمؤتمر الندوة العام (وثانيها) أنه منذ بضع وعشرين سنة يبحث في هذه المسائل التي اشد اهتمام زعماء مسلمي الهند بها في هذه الايام وله فيها المقالات والمباحث الكثيرة في ١٦ مجلدآ من المنار وكان لهذه المباحث شأن عند الزعماء وجمهور المفكرين في الهند نشكره لهم وله مؤلف مستقل ، في مسألة الخلافة قد وعى كل ما يحتاج المسامحون اليه في أمرها وكل ما يتعلق به (وثالثها) أنه في مصر عضو عامل في الجماعات التي تشغل بهذه المباحث الاسلامية كمؤتمر الخلافة وجمعية الرابطة الشرقية وغيرها — أقول : فلهذه الاسباب كان حظي من لقاء الزعماء مما أشكره لها أمام قراء المنار في العالم كله وإن كنت مع هذا قد عاتبتهم بادلال المحبة على قلة حظي منهم ، وأقنعتهم بمقتضى المصلحة بالحاجة الى زمن أوسع لتفصيل بعض المسائل لهم وتمحيصها معهم ،

الاسلام في جاوه ١١

نقلت جريدة الوفاق العربية عن جريدة (هندية باروا) التي تصدر في (بتاوي) عاصمة جاوه الهولندية باغة البلاد نبأ غريباً مغزاه : أن الحكومة الهولندية قد بلغ من اضطهادها المسلمين أن تراقبهم في صلاتهم وتجهلها متوقفة على اذنها ، ذلك أن (الامستين رصدين) حاكم مدينة جكجه دعا اليه الزعيم المسلم الحاج فخر الدين رئيس الجمعية المحمدية وبعض أعضائها وناقشهم الحساب على إقامتهم لصلاة العيد وخطبته في زكاة الفطر وقال لهم : إنه كان يجب عليهم أن يطلبوا رخصة من الحكومة بالاجتماع للصلاة وإلقاء الخطبة (؟) وقد ذكرت الجريدة المحاورة التي دارت بين الحاكم ورئيس الجمعية بالتفصيل ، ثم علقت عليها تعليقا قالت فيه : لماذا لا تعارض الحكومة المبشرين المنتشرين في البلاد والشوارع وهم يعنون بدعوة التبشير لتنصير المسلمين ويخطبون حيث شاؤوا وطالما اغروا العامة وأدخلوا المئات من المسلمين في النصرانية .

ثم قالت (الوفاق) : إيه ايها الاخوان اني أشاطركم الحزن بصفتي مسلم (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ولا أظن أن مثل هذه الحادثة جرت في عموم الاقطار الاسلامية حتى في أوروبا ، بل لا نستطيع الدول الغربية منع المسلمين الصلاة أو تشترط عليهم طلب الرخصة بها لما يترتب على ذلك من غليان شعور المسلمين والتأثر بما طغى الدين ، ومقابلة الدول الحرة الاسلامية ذلك بالمثل والتدخل في أمور دينهم بالهوة . . . الخ

وأما (المنار) فيقول : ان دول أوروبا لا تحسب للدول الاسلامية حسابا ، ولا تخاف لصلاة أحد من المسلمين في البلاد الاوروبية عاقبة ولا مآبا ، فان اصحاب المستعمرات الاسلامية منهن متواطئات على السعي لارجاع المسلمين عن الاسلام بالتبشير والتعليم وبالظلم والاضطهاد ، ومن رفع رأسه وشكا من سوء معاملتهم فليس له جزاء الا السيف والنار ، وخراب الديار ، ولكن بعضهم يختار في ذلك سياسة التحذير والخداع ، فهل يعتبر المسلمون بذلك ويتداركوا الخطر بالعلم والعمل والتمارف والاتحاد ، قبل أن يخرج من أيديهم كل ما بقي فيها الى الآن

(قبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الألباب)

الملك

١٣١٥

(يؤتي الحكمة
من يشاء ومن
يؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً
كثيراً ، وما
يذكر إلا أولو
الألباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ ٢٣ برج الجدي سنة ١٣٠٥ هـ ١٤ يناير سنة ١٩٢٦

﴿ فتوى المنار في حضر ترجمة القرآن ﴾

نشرت في ص ٢٦٨ - ٢٧٤ م ١١ ج ٤ منه المؤرخ ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٢٦

(س ١) من الشيخ أحسن شاه افندي احمد (من روسيا)

حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجو أن تعبروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

والحج والزكاة ، والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة التي وصفها بأنها مملوءة بالنفاق والشقاق ، وزعم أن العمل بها غير جائز — ثم قال في صفات (قوم جديد) مانصه :
« وأما القوم الجديد فانهم لا يبالون بمثل هذه الخرافات القديمة ، بل استخرجوا من الأحكام القرآنية والحديثية الأركان الدينية الآتية (١) العقل (٢) كلمة الشهادة (٣) الأخلاق الحسنة (٤) الجهاد مالا وبدناً والحرب (٥) السعي لأعداد لوازم الحرب . . . الخ . ثم بسطنا هذه المسائل من وسائل ومقاصد في المجلد التاسع عشر . وقد صدق كل ما قلناه وارتأيناه من مقاصد ملاحدة الترك ما فعلته الحكومة الكمالية من الغاء الأحكام الشرعية كلها ، وجعل جميع سياستها وأحكامها حتى الشخصية مدنية أوربية ، والغاء المحاكم الشرعية ، والأوقاف الإسلامية ، والمدارس الدينية — دغ إلقاء ما عمل باسم الدين من المبتدعات كتكايا أصحاب الطرق مقادة المتصوفة الخ : صدقوا بالفعل كل ما قلناه من مقاصدهم ، وكان بعض المسلمين الجاهلين بحال الدولة التركية وتأثير التفرنج فيها ينكرون علينا ما نقوله عن علم وخبرة وغيره على الاسلام ظنا منهم أنه إضعاف للدولة حامية الاسلام ، وانما كان حرصاً على تقوية الدولة بالاسلام وتقوية الاسلام بالدولة ، لأننا نعلم ما لا يعلمون من إفشاء هذه الضلالات والعصبية الجنسية الى اضعاء هؤلاء المتعصبين المفتوين للاسلام والدولة معاً — وكذلك كان وقد كان بعض الترك الروسين استفتانا في مسألة الترجمة قبل أن نعلم بهذا الغرض الفاسد فأفتيناه فيها لذاتها اذ لم يكن يخطر ببالنا ان أحداً من المسلمين يتوسل بذلك الى اخراج شعب اسلامي من الاسلام — وهذا نص السؤال والجواب :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشائر صدق نبوت » ما ترجمته :

إن ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة ، وذلك لوجوه (الأول) أن ترجمته بالتمام غير ممكنة لا يحازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) أن فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها ، فيضطر المترجم إلى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير . ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغيير أيضاً وهلمّ جرّاً ، فيخشى من هذا أن يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب ، فابدالها بالترجمة يسد هذا الطريق ، مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البضاوي عند تفسير سورة الفاتحة أنه اذا أخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي أول القرآن ، وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين قال : وفي ذلك اشارة الى مدة سني النبوة المحمدية — فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشائر صدق نبوت » أما أدباؤنا معشر الترك الروسيين ، فانهم مصرون على ترجمته ويقولون : لا معنى للقول بأنه لا تجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم ، فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته ، وهو الآن يترجم في مدينة قزان ، وتطبع ترجمته تدريجاً ، وكذلك تشبث بترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز ، فترجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة

حرره الامام الحقير أحسن شاء أحمد

الكتاب الديني السماوي

(جواب المنار له) إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم أن لا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ، ولو بترجمة بعضه^(١) لأجل دعوة من ليس من أهله

« ١ » بالترجمة هنا المعنوية التفسيرية لا اللفظية الحرفية

اليه، وإرشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وإن من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا إلى أمم تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ، ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسوله ، المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته ، المتعبد بتلاوته ، اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم

هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا أن نتفرق وننقسم إلى أجناس ، ظاننا كل جنس منا أن في ذلك حياته ، وما ذلك إلا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ، ولكننا نذكر شيئاً مما يخطر في البال من مفاسد هجر المسلمين للقرآن المنزل (بلسان عربي مبين) - استغناء عنه بترجمة أعجمية يغنيهم عنها تفسيره بلغتهم ، مع المحافظة على نصه المتواتر ، المحفوظ من التحريف والتبديل - مع مراعاة الاختصار فنقول :

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية . والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن ، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن ، وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ، ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي ، بل هو الدين كله ، إذ السنة ليست ديناً إلا من حيث أنها مبنية له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لأنفس القرآن المنزل من الله تعالى على رسوله محمد (ص) والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص ، والترجمة ليست نصاً من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستنداً . فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من أصول الاسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه ، فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها

(٤) يلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به

المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وأمثالها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما أنزل الله^(١) (٥) كما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم ، لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجوراً بالعمل بما يفهمه من القرآن وان أخطأ في فهمه ، لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم ، اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ، ومثله معاملته لهم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة ، ولذلك شواهد أخرى ولا أخال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية (٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ، ولا تفتأ

تتجدد هدايته ، وتفيض للقارىء على حسب استعداده حكته ، فربما ظهر له تأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله ، تصديقاً لعموم حديث « فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » وترجمته تبطل هذه المزية ، اذ تقييد القارىء بالمعنى الذي صورده المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك أن المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) من المجاز بالاستعارة أي أن اتصال الريح بالسحاب ، وحدث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين . فاذا هو جرى على ذلك بأن فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام (لواقح) العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا أطلق فان القارئ يتقيدون بهذا الفهم ، ويمتنع عليهم أن يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه ، وهو كون الرياح لواقح بالفعل . إذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكر الشجر الى إناثه ، فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية ترجمة

(١) أعني كقوله تعالى في أول سورة الاعراف (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) والمنزل اليك من ربك هو القرآن العربي كما صرحت به الآيات . فاتباع الترجمة مخالف لكل من الامر والنهي في هذه الآية

حرفية ، فان هناك أمثلة أخرى ، وحسبنا ان يكون هذا موضحاً . والترجمة تقف بنا عند حدٍّ من الفهم يعوزنا معه الترقى المطلوب

(٨) ذكر الغزالي في كتاب « إلهام العوام عن علم الكلام » أن ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة ، واستدل على ذلك بما هو واضح جداً . وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ويين أن الخطأ في ذلك مدرجة للكفر^(١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ ، وهو إن شرحها بحسب فهمه ربما يقع قارئ ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن؟

(١٠) قد ذكر في ذلك أيضاً : أن من الألفاظ العربية مالا فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها لها » فاذا أطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤديا المعنى الحقيقي للفظ العربي . وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ، ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من منزلات الأقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) ذكر أيضاً في هذا المقام : أن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركا في العربية ، ولا يكون في العجمية كذلك فقد يختار المترجم غير المراد لله من من معني المشترك ، ولا يخفى ما فيه ، وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء أنه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهة والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن

(١) راجع ص ٧٢٨ م ٩ او ٢١٤ من الجزء الثالث من التفسير

٤٩٠ ترجمة القرآن ابطال لحجته وسبب للخلاف والطعن فيه المنارج ٢٦م

ينقل بالترجمة ، واذا فات يفوت بفوته خير كثير ، فيا طالمال كان جاذبا إلى الاسلام ، حتى قتل أحد فلاسفة أوربا وهو فرنسي نسيت اسمه : ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع الى الايمان به ، فكان تأثيره أشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمر مرة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة ، فافتتح الاحتفال تلميذ بقراءة آيات من القرآن ، فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس . ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به ، فكيف نحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ ، فلا بد أن يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى ^(١) وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا نقرأها ونحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها ، فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا؟

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين . وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغير والتبديل ، والتحريف والتصحيف ، بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك

هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي ، واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض - وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح - فان هناك وجوها أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن ، بل منها ما تركناه مع تذكره وأما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم إيجاب بقاءه غير مفهوم فهي ممنوعة ، فالتنا نقول إن فهمه سهل ، ولكن ليس لأحد أن يجعل

(١) بل يكون الخلاف عندنا أشد لمعجز جميع البشر عن ترجمة القرآن دون التوراة والانجيل

فهمه حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمته . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين . — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها ، بلغتهم كما جرى عليه كثير من الأعاجم حتى ببلاد الصين — ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب أن يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا أن للاسلام لغة خاصة به لا بد أن تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ، ويعبدون الله بتلاوته ، ولتحقق بينهم الوحدة المشار اليها بقوله فيه (٢١ : ٩٢ ان هذه أمتكم أمة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو جبل الله فلا يتفرقوا ، ولتكل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (٤٩ : ١٠ أما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غربية مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أساتذة للتعليم ، واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الأتلانتيك) الى بلاد الهند ، فهل كان هذا إلا خيراً عظيماً تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة للأرض ، وضياء ونوراً لأهلها ؟

ثم هنا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشؤا يتراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصاً بالعرب ، بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن .

فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن أن يجتهدوا في إعادة الوحدة الاسلامية الى ماكانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام ، وأن يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم ، فيجعلوا تعلم العربية اجباريا في جميع مدارس المسلمين ، ويحيوا العلم بالاسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بأراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في أحوالها المدنية والسياسية . ولكننا نرى بعض المفتونين منا بسياسة أوربا يعاونونها على تقطيع بقية ماترك الزمان من الروابط الاسلامية بتقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير وقى الله المسلمين شره . فهذا ماأقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع بقائه إماما لهم ، ودون ترجمته لدعوة غيرهم به إلى الاسلام مع أن المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو . انتهت الفتوى

وملخص هذه الفتوى أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذر ويترتب عليه مفسد كثيرة فهو محظور لا يبيحه الاسلام لأنه جناية عليه وعلى أهله . ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا ولا كتاب الله ولا أن يسند شيء منها اليه تعالى فيقال قال الله كذا لان كتاب الله وقرأته عربي بالنص القطعي والاجماع الشرعي من سلف أهل الملة كلهم وخلفها لا الاجماع الاصولي المختلف فيه ، ولأنها ليس لها شيء من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية كالاعجاز ، وهي لا بد أن تكون مخالفة له في المعنى كخالفها في اللفظ فاسنادها اليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه . بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ المصحف بلفظ آخر يرادفه من اللغة العربية ككلمتي شك وريب في قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وأما الترجمة المعنوية التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم وإنما تتبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها

﴿ أقوال الفقهاء في المسألة ﴾

﴿ ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية ﴾ (*)

المعول عليه عند الأئمة وسائر العلماء أنه لا يجوز كتابة القرآن ولا قراءته ولا ترجمته بغير العربية مطلقاً ، إلا فيما نقل عن أبي حنيفة وصاحبيه من جواز قراءة القرآن بالفارسية في خصوص الصلاة ، وإليك بعض النصوص في ذلك :

قال شيخ الاسلام ابو الحسن المرغيناني الحنفي في التجنيس : ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالاجماع ، لأنه يؤدي الى الاخلال بحفظ القرآن ، لأننا أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى فانه دلالة على النبوة ، ولأنه يؤدي الى التهاون بأمر القرآن اه وقال في معراج الدراية : من تعدد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق ، والمجنون يداوى ، والزنديق يقتل ، وروي ذلك عن أبي بكر محمد بن الفضل البخاري اه

وفي الدراية : ان القرآن اسم للنظم والمعنى جميعاً بالاجماع ، وقد أنزل حجة على النبوة ، وعلماً على الهدى ، والهدى بمعناه ، والحجة بنظمه . وكما ان الاخلال بالمعنى يسقط حكم القراءة ، كذلك الاخلال بالنظم ، ولأن حفظ القرآن واجب في الجملة ليكون حجة على الحكم ، ولا قراءة تجب الا في الصلاة ، فعلم أنها متعلقة بعين ما أنزل ليقع الحفظ بها اه

وروي عن الامام أبي حنيفة كما في الهداية وغيرها : جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة مطلقاً ، وعن الصاحبين : اذا كان لا يحسن العربية ، أما اذا كان يحسنها فلا يجوز ، وتفسد صلاته اذا قرأ بغير العربية

رروي أبو بكر الرازي : رجوع الامام الى قولهما وعليه الاعتماد — وقال الامام الزاهدي في الجامع الصغير : ان ما نقل عن أبي حنيفة وصاحبيه من أن القراءة بالفارسية تفسد الصلاة لمن قدر على العربية ، أما عند العجز فلا فساد

﴿ نقلناه هذا الفصل من رسالة الاستاذ الشيخ محمد حسنين المدوي أحد كبار علماء الازهر

(محله) اذا قرأ بالفارسية كل لفظ بما هو في معناه من غير أن يزد فيه شيئاً .
أما اذا قرأ على سبيل التفسير فتفسد علاته بالاجماع اه
وهو تقييد حسن ، لانه حينئذ يكون متكلاماً بكلام غير القرآن من كلام
الناس وهو مفسد للصلاة

وأصل الاختلاف في ذلك كما بدائع الصنائع وأحكام القرآن لحجة الاسلام
الخصاص قوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) حيث أمر بالقراءة ، والأمر
للولجوب ، ولا موضع لوجوب القراءة غير الصلاة ، فوجب أن يكون المراد
القراءة في الصلاة ، فذهب الصاحبان الى أنه اذا قرأ بالفارسية وهو يحسن
العربية ، فقد قرأ ما ليس بقرآن ، فقد خرج عن عهدة الأمر ، لأن الفارسي
ليس قرآنًا ، والقرآن هو المنزل بلغة العرب ، قال تعالى (إنا أنزلناه قرآنًا
عربيًا) وأيضًا فالقرآن هو المعجز ، والاعجاز من جهة اللفظ يزول بزوال النظم
العربي ، فلا يكون الفارسي قرآنًا لانعدام الاعجاز ، ولهذا لم تحرم قراءته على
الجنب والحائض ، غير أنه اذا كان لا يحسن العربية ، فقد عجز عن مراعاة لفظه
فيجب عليه مراعاة معناه ليكون التكليف بحسب الامكان اه — والمراد مطلق
المعنى ، وإلا فمعنى النظم المعجز لا تؤديه الترجمة كما هو ظاهر
ولا يعيننا الآن بيان وجه استدلال الامام بالآية على ما ذهب اليه بعد أن
صح رجوعه الى قول الصاحبين

فظهر أن قول الثلاثة بجواز قراءة القرآن بغیر العربية في الصلاة لمن لا يحسنها
ليس مبناه أن الترجمة تصير قرآنًا عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض عليه
ذلك في هذه الحالة ، بل المفروض عليه حينئذ تعلم العربي ، لأنه القرآن المأمور
به في الصلاة ، وإنما هو مبني على الاكتفاء بالمعنى في حقه لعجزه ، ولأنه الميسور
له من معنى القرآن الذي هو مجموع النظم والمعنى المأمور به في الصلاة . ولما
كان أداء المفروض موقوفًا على النظم العربي ، وليس ذلك ميسرًا له أتى
بالترجمة بدلًا عنه لتقوم مقامه في أداء المعنى المفروض ، مع أنها ليست قرآنًا ،
لأن القرآن هو كلام الله ، المنزل بلغة العرب ، والترجمة ليست كذلك — وفي

الدراية : قراءة غير العربي تسمى قرآناً مجازاً . ألا ترى أنه يصح نفي القرآن عنه فيقال : ليس بقرآن وإنما هو ترجمته ، وإنما جوازناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى ، لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالأتيان به أولى من الترك مطلقاً ، إذ التكليف بحسب الوسع اهـ

وظاهر أن مسألة القراءة في الصلاة شيء ، ومسألة ترجمة القرآن وقراءته بغير اللغة العربية مطلقاً شيء آخر . والكلام في الثاني دون الأول ، ولا يلزم من جواز الأول على فرض تسليبه جواز الثاني ، حتى ينسب إلى الإمام وصاحبيه القول بجواز ترجمة القرآن وقراءته خارج الصلاة ، وكتابه بغير اللغة العربية ، وكيف ذلك وقد أجمعت كتبهم على أن الخلاف في خصوص الصلاة . وأصله أن الأمر بالقراءة إنما هو في الصلاة دون غيرها كما أطبقوا على أنه المراد في قوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) والقرآن المعروف هو اللفظ المنزل بلغة العرب خاصة وفي شرح أصول البزدوي للإمام عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي : والقرآن إسم للنظم والمعنى جميعاً في قول عامة العلماء ، وهو الصحيح من قول أبي حنيفة ، إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً في جواز الصلاة خاصة ، وإنما هو لازم فيما سواه من الأحكام الأخرى ، كوجوب الاعتقاد ، وحرمة كتابة المصحف بالفارسية ، وحرمة المداومة والاعتیاد على القراءة بها اهـ

وقد نقل أن الإمام رجع عن هذا القول في الصلاة أيضاً إلى القول بعدم جواز الصلاة بالفارسية مطلقاً ، فيكون النظم ركناً لازماً عنده في كل حالة كما ذكره العلامة الألوسي في تفسيره عند قوله (وإنه لفي زبر الأولين) بناء على عود الضمير إلى القرآن باعتبار معناه . وفي رواية عنه تخصيص الجواز بالفارسية لأنها أشرف اللغات بعد العربية . وفي أخرى إنها إنما تجوز بالفارسية في الصلاة للعاجز عن العربية ، وقد صحح رجوعه عن القول بجواز القراءة بغير العربية مطلقاً جمع من الثقات المحققين لضعف الاستدلال بهذه الآية عليه كما لا يخفى ، فإن الظاهر عود الضمير في الآية على القرآن بتقدير مضاف أي وإن كان في الكتب المتقدمة . وهذا كما يقال إن فلاناً في دفتر الأمير اهـ ملخصاً

ومن هذا يعلم ما في استدلال بعضهم بقول الامام على جواز ترجمة القرآن بأي لغة خارج الصلاة وداخلها للقادر والعاجز ، لأنه على رواية التخصيص بالفارسية لا تجوز غيرها مطلقاً ، وعلى رواية رجوعه الى قول صاحبيه لا تجوز خارج الصلاة مطلقاً ، ولا للقادر في الصلاة ، وعلى رواية الثقات عنه : لا تجوز مطلقاً بغير العربية في الصلاة وغيرها للقادر والعاجز . والمعول عليه رأيه الأخير الذي صح رجوعه اليه كما هو رأي الجماعة ، فكيف يصح الاستدلال بقوله على جواز ترجمة القرآن مطلقاً ؟ اهـ (ص ٣١ - ٣٦) (للبحث بقية)

فتاوى المنار

تمة فتوى اللباس والزي

وفد نشرت إحدى جرائد مصر مقالا لكاتب ألماني كبير بخطيء فيه مصطفى كمال باشا في إكراهه لقومه الترك على تغيير زيهم الوطني ، وخاصة ترك القبلق ، واستبدال البرنيطة به ، وإنما خطأه تخطئة صديق ناصح ، لا عدو كاشح ، وقال : إن هذا ينافي غرضه وهو تكوين القومية التركية ، معللا له بالقاعدة التي بينها آتفاً ، وشرحناها من قبل مراراً ، ومما قاله : إن القبلق يفوق البرنيطة جمالا ومهابة . .

ونحن نظن أن مصطفى كمال باشا — وإن لم يكن من علماء الاجتماع والأخلاق وطبائع الشعوب — لا يجهل أن المحافظة على الشخصيات القومية مما يقوي تكوين الأمة ، وأن تقليد شعب لا خير يراه أرقى منه يضعف قيمة المقلد في نظر نفسه ، ويحقرها في قلوب أهلها ، ويرفع منزلة الشعب الذي قلده بقدر ذلك ، ونعتقد أنه يعتمد هدم جميع مقومات الشعب التركي ومشخصاته — ماعدا اللغة لأنها إسلامية ، أو مستندة إلى الاسلام ، وهو يريد أن يسله من الاسلام

كما تسلب الشعرة من العجين إن أمكن ، وإلا انتزعهم منه كما ينتزع الحسك فو
الأضلاع من الصوف ، أو انتزعه منهم كما تفرنج الروح من الجسد . وقد بحث
الذي هو هذه الدعوة في الترك من ملاحظة الروسيين وغيرهم عن مقومات
ومشخصات تركية أو تورانية يستبدلون بها بالاسلام ، حتى عبادة الذئب الأبيض
الذي عبده سلفهم من هجج الوثنيين فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، فاختروا التشبه
بالأفرنج ، ولا سيما أفسد ديناً وأدباً كاللاتين بحجة الحضارة والترقي العصري ،
وسموا التفرنج ، ونحن نسميه التفرنج ، حتى أن بعضهم يستحسن استبضاع
نسائهم من الأفرنج بالحلال وبالحرām لادخال دمهم (الشريف المدني) في دم الشعب
التركي (الفاسد) لاصلاحه ،

فظهر بمجموع ذلك أن هؤلاء الزعماء اللخلاء يريدون إفساد هذا الشعب التركي
بكل نوع من أنواع الفساد الجسمي والعقلي والنفسي ، وتكوين شعب آخر في
بلادهم مذبذب بين أمشاج الشعوب ، روحه غير روحه ، ودمه غير دمه ، وأخلاقه
غير أخلاقه ، وعقائده غير عقائده . فيكون كلفته التي يسمونها التركية ، هي لغة
هذبتها الاسلام كما هذب أهلها بما دخل في مادتها من الاسماء والافعال العربية
وكذا الفارسية . وهم يريدون الآن أن يفعلوا بهما ما يفعلون بأهلها ، وإن لم يبق
فيها من لغة قدماء الترك بعد أن تفرنج وتغرب معهم ، وتكتب بالحروف اللاتينية
كما هو مقرر عندهم إلا قليل ، وما يدرينا بعد ذلك لعلمهم يغيرون اسمها أيضاً ؟
ومن الثابت في سنن الاجتماع أن تغيير اللغواتين والنظم والأزياء لا يغير
طبائع الأمم . كما يقول الدكتور غوستاف لوبون ^{سكان} اللاتين الجمهوريين كاللاتين
الملكيين في تشابه حكومتهم وطباعهم ، حتى إن الذين مرقوا من الدين منهم
لا تزال التربية الكاثوليكية الموروثة هي الحاكمة على قلوبهم وأرواحهم بعصبيتها ،
وإنما فقدوا من الدين فضائله فقط . وكذلك السكسونيون تشابهت حكومتهم
الملكية في بريطانية ، وحكومتهم الجمهورية في الولايات المتحدة كما تشابه أهلها

— فالترك يفقدون بهذا التفرنج اللاتيني ما بقي فيهم من فضائل الاسلام ورابطته المالية ، وما كان لهم من الزعامة في مئات الملايين من البشر . ثم لا يقدرّون على التفصي من الوراثة القومية التي طبعتها الأجيال والقرون في أنفسهم . فالغرض الأول لهم الآن التفصي من الاسلام بحجة الترقى العصري . وما في الاسلام شيء مانع من الترقى الذي يطلبونه ، وأساسه القوة العسكرية والثروة والنظام ، بل الاسلام يهدي الى ذلك ، ولولاه لم ينل العرب عقب اهتدائهم به من القوة والحضارة ما فاقوا به جميع الأمم ، وظلوا كذلك إلى أن سلبهم الأعاجم سلطانهم بالقوة الممجيّة ، ونال الترك وغيرهم به حضارة وملكاً لم يكن لسلفهم مثلها ، ولا ما يدانيها ، ولو أنهم فهموا الاسلام فهما استقلالياً باتقان لغته ، والاجتهاد في شريعته ، للكبوا به الغرب مع الشرق ، ولسبقوا جميع شعوب الافرنج إلى العلوم والفنون والصناعات ، وسائر أسباب القوة والسلطان كما فعل العرب من قبلهم ، وهذا ما يطلبونه الآن بترك ما بقي لهم من تقاليد الاسلام . ويتوسلون اليه بتقليد الافرنج في زيهم وفجورهم ، قبل إتقان شيء ما من علومهم وفنونهم ، والوصول الى مثل قوتهم وثروتهم .

أما الذي فقد علمت مما بيناه في أول هذه الفتوى أن ما ورد في السنة وعمل السلف فيه هو الذي اتبعه المسلمين فيه أرقى أمم أوربة — وأما إباحة الفسق والفجور فهي التي أهلكت جميع أمم الحضارات السابقة ، وستهلك أوربة به أيضاً كما يتشام جميع حكماؤها وعقلائها . وسيعلم العالم مصير الترك بمحاولة مصطفى كمال جعلهم خلقاً جديداً بهذه الطرق التي سلكها . ونسأل الله تعالى أن يقيهم سوء عاقبتها .

وجملة القول في لبس البرنيطة وغيرها من أزياء الافرنج أنه مباح لذاته ، وإنما يحرم بما يكون وسيلة له من ضعف الرابطة المالية وتفضيل شخصات خصوم الامة الطامعين فيها على شخصاتها كما يقصده المتفرنجون في بلاد الترك وأمثالها كسورية ومصر ، وإذا قصد به ما يقصده ملاحدة الترك مما شرعناه في هذه الفتوى من التوسل به الى الكفر كان كفراً

جواب س ٦ السكروة

اختلف أكثر الناس في هذا التسيج الذي يروى من الشرق الأقصى ما أصله ؟ كما أشير إليه في السؤال . وقد سألت عنه في العام الماضي السيد محمد ابن عقيل ، إذ كان ممن أجريه ؟ فأجابني بأنه رديء الحرير وخشيشه ، وظاهره أن دوده عين دود الحرير المعروف عندنا ، فإن كان له دود آخر كما روي عن آخرين من مجاره ، ففي جملة من الحرير نظر ، لأن الديدان والخشرات التي تبني لأنفسها بيوتاً من لعابها كثيرة . ومنها المنكبوت ، وقد اتخذ الأفرنج من بيوتها قناراً لليدن كما روي لنا ، على أنني كنت غارماً قبل سؤال ابن عقيل عنه على استجداد ثياب منه إذ كنت ألبسها في الصيف لخطتها في الحر ، ثم تركت ذلك بعد جوابه بما ذكر .

وأنتي بعد كتابة ما تقدم وقبل نشره جاءني كتاب من الأخ المحب في القيب خادم الإسلام الأمين ، ومدير المعارف في الصين (سعيد سليمان) ذكر فيه أنه مرسل إلى قليلا من الحرير الصيني هدية مودة ، ثم جاءت الهدية فإذا هي من هذا التسيج الذي نسميه (السكروة) فعلما قطعاً أنهم يسمونه حريراً (ج ٧ و ٨) حكم التعليل بلبس الرجال الحرير

قد ثبت نعمي النبي (ص) عن لبس الحرير والوعيد عليه بعدم لبسه في الآخرة كما في حديث الصحيحين عن عمر وأنس (رض) وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً « إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة » وما ثبت من لبس النبي (ص) له محمول على أنه كان قبل النبي عنه . وما قاله أبو داود من أنه لبس الحرير عشرون نفساً من الصحابة أو أكثر ، منهم أنس (الذي روى خبر الوعيد) فيحتل أن بعضهم لم يبلغه النبي ، أو أنهم حملوه على الكراهة كما قال به بعض العلماء ، وقوره بأنه لو كان حراماً لم يلبسه مثل هذا العدد الكثير ، ولا سيما مثل أنس (رض) ولا يذكره عليهم آية الصحابة ، ولم ينقل ذلك . وحديث التحريم فيه من العلل ما يمنع الاحتجاج به . والجهون على أن الخالص منه حرام على الرجال ، وكذا ما أكثره حرير خلافاً للإمامية ، وعلى

حل ما أكثره قطن أو صوف مثلاً وكذا المتساوي . واختلفوا هل هو من الكبائر أو الصغائر ؟ فجمهور الشافعية على أنه من الصغائر ، وناهيك بتشددهم . وقال بعضهم : بل هو من الكبائر . ورجحه ابن حجر المكي في الزواجر بناء على ما اعتمدته مؤلف أصله من تفسير الكبيرة الذي جعل به الكبائر ٤٦٧ كبيرة ، وقد عدّ منها ما هو مكروه عند الجمهور تنزيهاً . وقد علمت أن بعض العلماء قال بجله ، وبعضهم قال بكرهته . وأما لبسه لحاجة كحكة فقد صح الاذن به

(ج ٩ و ١٠ الكبائر والصغائر وعذابهما)

اختلف العلماء في تعريف الكبيرة والصغيرة من الذنوب قليل : إن الذنب الواحد يكون كبيرة في بعض الأحوال وصغيرة في بعض ، إذ من الناس من يرتكب المعصية بجهالة من غلبة غضب أو شهوة وهو خائف وجل ، ولا يلبث أن يتوب ويصلح عملاً ، ومنهم من يرتكبها بغير مبالاة بالدين ، ولا خوف من الله . فالكبير والصغير يرجع إلى حال العاصي لا إلى الذنب في نفسه ، وقيل : إن مناط الكبر والصغر ما يترتب على الذنب من الضرر الذي حرم لأجله ، وقيل : إن الكبيرة ما ورد في الكتاب أو السنة وعيد شديد عليه ، وهو ما اعتمدته صاحب كتاب الزواجر . والتحقيق أن من المعاصي ما هو كبيرة في نفسه كالتي وردت بها النصوص في الصحاح ومنها ما يختلف باختلاف حال فاعله ويراجع التفصيل في الزواجر

وأما كون العقاب على الكبيرة أشد من العقاب على الصغيرة فهو ضروري

(ج ١١-١٣) مسائل عذاب القبر

المشهور عن جمهور أهل السنة أن عذاب القبر على الروح والجسد معاً. والمراد بعذاب القبر ما يسمونه عذاب البرزخ أي ما بين الموت والحشر يوم القيامة سواء دفن الإنسان في قبر أم لا . ففي هذه المدة يشعر الأختيار بنوع من النعيم والاضرار بنوع من العذاب ويقول الجمهور إن النفس وإن كانت هي التي تشعر بالألم وباللذة لا مانع يمنع أن يكون لها نوع اتصال بالبدن يوضح كون العذاب واقعاً عليهما معاً

مادام البدن موجوداً . ومن المعلوم أن الراجح عند متكلمي الاشاعرة أن الجسم ينعدم فلا يبقى منه شيء أو إلا عجب الذنب كما قال في الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن علم وقيل عن تفريق

وتقل السفاريني في شرح عقيدته عن شيخ الاسلام ابن تيمية أن بعض أهل السنة يقولون كالمعتزلة إن عذاب البرزخ على الروح فقط وإنما يكون العذاب على الروح والجسد معاً بعد البعث . قال : وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة (قال) وليس هذا من الأقوال الشاذة ، بل هو مضاف الى من يقرّ بعذاب القبر ويقرّ بالقيامة وثبت معاد الأبدان والأرواح الخ (ص ٢٢ ج ٢)

ثم نقل السفاريني (في ص ٢٤ منه) أدلة ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والتعلل على امتناع حياة الانسان بعد موته قبل يوم القيامة وتعقبها بما لابن القيم فيها من التفصيل والتحقيق الذي يؤيده جمهور أهل السنة .

وأما كون ذلك العذاب مستمراً دائماً أو منقطعاً فظواهر بعض النصوص تدل على انه غير دائم منها قوله تعالى في آل فرعون (النار يغرضون عليها غدواً وعشياً) قالوا هي في عذاب البرزخ بدليل ما بعدها وما ورد من دوام عذاب جهنم ، ومنها ما جاء في الصحيحين من خبر اللذين يعذبان في قبورهما وأن وضع النبي (ص) جريدة خضراء شقها وغرزها على كل قبر منهما مما يرجي أن يكون سبب التخفيف عنهما وهذا من أمور الغيب التي لا تعرف إلا بنص من الشارع وأقرب منه ما ورد من الأمر بالاستغفار لليت والدعاء له بالتثبيت عند دفنه اذ هو داخل فيما صح من نفع الدعاء عند الله تعالى ..

ورد في بعض الأحاديث أن بعض الأعمال الصالحة في الدنيا تنجي فاعلها من فتنة القبر وعذاب القبر كالرباط في سبيل الله وقراءة سورة (تبارك الذي بيده الملك) رواها الترمذي . وقد أوجزنا في هذه المسائل لأن ما صح من أخبار عالم الغيب لا ينبغي البحث في صفته وكيفيته ولا الزيادة فيه على الوارد ولا يجوز قياسه على المعهود لنا في حياتنا الدنيا . وقد ضرب أبو حامد الغزالي لمنكري

عذاب القبر مثلاً ما يراه النائم أحياناً من ألم يمسّه أو تعباً يلمسه ولا يرى عليه أثر للألم بحيث يعرفه من في حضرته.

(ج ١٤ - ١٦) العقاب على حقوق العباد

من مات وعليه حقوق للعباد من قتل عند وديون ومظالم وخيانات وسرقات وكذب وغش لا تأمن لم يسامحوه بها في الدنيا - يعاقبه الله تعالى عليها في الآخرة وإن عذبه في البرزخ فإن عذاب الآخرة هو الجزاء الأوفى الذي يكون بعد الحساب ، وأما عذاب البرزخ فهو دون ذلك ولعله مبني على ما تشعر به النفس من دنسها وخبثها وسوء تأثير الشرور والفساد والعصيان فيها . والتوبة قد تستقط عن اللائب حقوق الله عز وجل ولكنها لا تستقط حقوق العباد . والعقاب على حقوق العباد نوعان بينهما النبي (ص) بقوله « للنفس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة .

(ج ١٧) تفسير حديثين

أما حديث « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » فقد رواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة بزيادة القسم في أوله « والذي نفسي بيده » ورواه من حديث أبي أيوب الأنصاري بلفظ « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون يعفروهم » ويلفظ « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يعفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يعفرها الله لهم » وكان أبو أيوب رضي الله تعالى عنه يكرم هذا الحديث طول حياته خوفاً من تهانون بعض الناس بالذنوب انكلا على المغفرة ثم حدث به حين حضرته الوفاة لئلا يكون كأنما للعلم . والمراد من الحديث ترغيب المؤمنين في الرجوع إلى الله وطلب المغفرة منه ، وعدم اليأس من رحمة الله فهو دواء لمن يطلب عليه الخوف من عقاب الله تعالى حتى يخشى عليه

القنوط من رحمته تعالى . ومعناه أن المغفرة من صفات الأفعال لله عز وجل ومن أسمائه الغافر والغفار والغفور ، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود مذنّب يغفر ذنبه . كما أن من شأن الإنسان أن يذنب جاهلاً أو ناسياً أو مغلوباً لغضبه أو شهوته ومن شأن المؤمن أن يندم إذا أذنب ويستغفر ويكفر عن ذنبه ، ومن شأن الرب الغفور الرحيم أن يقبل التوبة ويستجيب للمستغفرين قال تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال عز وجل (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)

ويقابل ذلك أن من أسمائه تعالى المنتقم أي المجازي بالحق والعدل . ويجمع بين الأمرين قوله تعالى (نبي عبادي إني أنا الغفور الرحيم * وإن عذابي هو العذاب الأليم) ومن عقائد أهل السنة الإيمان بوعده الله ووعيده وإن الوعد لا يتخلف بجملة ولا تفصيلاً ، وإن الوعيد ينفذ في الكافرين ، وفي طائفة من عصاة المؤمنين ، وهم الذين لا تدركهم المغفرة ، وأنه يجب على المؤمن الخوف من الله والرجاء في الله ، إذ لا يعلم المغفور لهم إلا الله . ولأبي الحسن الشاذلي من أئمة الصوفية كلمة جامعة في ذلك وهي « وقد أبهت الأمر علينا نرجو ونخاف ، فأمن خوفنا ، ولا نخيب رجائنا »

وأما حديث « كل شيء بقدر ^(١) حتى العجز والكيس » أوقال « الكيس والعجز » فقد رواه أحمد ومسلم كما قال فهو صحيح السند . والكيس وزن البيع مصدر كاس يكيس وهو الخدق وحسن التصرف في الأمور ويقابله العجز عن حسن التصرف والقيام بالواجب ومنه حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم ومصحوه . ومعنى الحديث المسئول عنه أن الفرائض والصفات النفسية للبشر مخلوقة بقدر الله تعالى الذي أقام به نظام الكون وليست من المصادفات أو من الجزاف ، وذلك أن القدر هو النظام الذي سبق في علم الله

(١) كان من غلط الطبع في السؤال أن جملة الباء الموحدة ياء مشناة هكذا « وقدر »

تعالى خلق الأشياء ، فلم يقع شيء في العالم الا بخلقته تعالى وقديره السابق في علمه ، ومنكرو القدر يزعمون ان الله تعالى يخلق الأشياء جزأاً كما يريد عند خلقها لا بحسب ما قدره ودبره وسبق به علمه الأزلي وهو ما يعبرون عنه بقولهم « الأمر آت » أي جديد مستأنف . ولفظ القدر يناق هذا المعنى وهو ثابت بنص القرآن كقوله تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) وقد فصلنا هذه المسائل من قبل مرارا

تنبيه مهم

يظن الكاليون أنهم بازردادهم عن الاسلام يعاملهم الاوربيون كأ أنفسهم وسيطون أنهم انما يكرهون منهم الاسلام لانه قوة لهم وان يعاملوهم معاملة الأ كفاء وان تنصروا كما يريد بعضهم . ولكن ماذا يطلب اللادينون في مصر وسورية من قائله الترك فيما يفعلون ؟ أ يظنون كما يظن الكاليون ؟ أم لا يدرون مغتبا يصنعون ؟

(تصحيح غلط في الجزء السادس للماضي)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠١	٣	فأمنوا	فآمنوا
٤٦٢	٨	منهم	منهم
»	٩	التي	زال ذلك لانها
»	٢٠	الكتاب	أهل الكتاب
»	٢٥	مخاضات	مدخضات
٤٢٣	٢	القومية قوة	القومية - قوة
»	٩	أذريجان	بأذريجان
٤٢٤	٩	لاحوال	الاحوال

أسرار البلاغة أو فلسفة البيان

(تابع لما نشر بالجزء السادس)

واذا كان هذا ثابتاً موجوداً، ومعلوماً معهوداً، من حال الصور
المصنوعة، والاشكال المؤلفة، فاعلم انها القضية في التمثيل واعمل عليها
واعتقد صحة ما ذكرت لك من أخذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس،
وبتفصيل عنه من حيث ظاهر الحال، حتى يكون (١) هذا شخصاً بطلاً المكان،
وذلك معنى لا يتعدى الافهام والاذهان، وحتى ان هذا انسان يعقل،
وذلك جماد أو موات لا يتصف بأنه يعلم أو يجمل، وهذا نور شمس يبدو
في السماء ويطلع، وذلك معنى كلام يوهى ويسمع، وهذا روح يحيا به
الجسد، وذلك فضل ومكرمة تؤثر وتحمد، كما قال :

ان المكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجساداً
وهذا مقال متعصب منكر للفضل حسود، وذلك نار تلهب في عود،
وهذا مخلاف، وذلك ورق خلاف (٢) كما قال ابن الرومي :

بذل الوعد للاخلاء سمحاً وابى بعد ذلك بذل العطاء
فقدنا كاخلاف يورق للعي ن ويأبى الانمار كل الابهاء
وهذا رجل يروم العدو تصغيره والازراء به فيأبى فضله الا ظهوراً،
وقدره الا سمواً، وذلك شهاب من نار تصوب وهي تملو، وتتحفض
وهي ترتفع، كما قال أيضاً :

ثم حاولت بالثقیل تصني ري فإزدتني سوى التعظيم

(١) قوله حتى يكون : غاية في الانفصال «ش» (٢) الخلاف بالكسر
شجر المنصفاف

كالذي طأطأ الشهاب لينقى وهو أدنى له الى التضريم
وأخذ هذا المني من كلام في حكم الهندوهر أن الرجل ذا المروءة والفضل
ليكون حامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروءته وعقله حتى يستبين
ويعرف كالشعلة من النار التي يصوبها صاحبها وتأني الا ارتقاها .

هذا هو الموجب للفضيلة والداعي الى الاستحسان . والشنيع الذي
أعطى التمثيل عند السامعين ، واستدعى له الشغف والولوع من قلوب
العقلاء الراجحين ، ولم تألف هذه الاجناس المختلفة المتمثل ، ولم تتصادف (١)
هذه الاشياء المتعادية على حكم المشبه ، الا لانه لم يراع ما يحضر العين ،
ولكن ما يستحضر العقل ، ولم يمن بما تنال الروية ، بل بما تعلق الروية (٢)
ولم ينظر الى الاشياء من حيث نوعي فتحويتها الامكنة ، بل من حيث
نعيمها القلوب الفطنة ، ثم على حسب دقة المسلك ، الى ما استخرج من
الشبه ولطف المذهب ، وبعد التصديق الى ما حصل من الوفاق استحق مدرك (٣)
ذلك المدح ، واستوجب التقديم ، واقتضاك العقل أن تنوه بذكره ، وتقضي
بالجني في نتائج فكره (٤) نعم وعلى حسب المراتب في ذلك وأعطيته في
بعض منزلة الحاذق الصنع (٥) والملمم المؤيد . والالهي المحدث (٦)
الذي سبق الى اختراع نوع من الصناعة حتى يصير اماما ويكون من بعده

« ١ » تتلاقى « ٢ » الروية النظر والتفكر وتعلق بفتح التاء والعين وتشديد
اللام أصله تعلق اي تهوى ويقال علق بالمرأة « كتعب » وتعلقها اذا هوىها
(٣) ضبطه شيخنا بصيغة اسم المفعول من أدرك « ٤ » الجني بالفتح مصدر
جنى الثمرة ، والثمره نفسها وكل ما يجنى ما دام غضا (٥) يقال صنم اليدين
وصنمهما بكسر النون وبالتحريك أي حاذق ماهر « ٦ » الالهي الذي المتوقد
والمحدث بالفتح والتثقيب الصادق الحدس كأنما حدث بما ظن ، والمحدثون
بالفتح الملهمون وكان عمر بن الخطاب منهم كما صح في الحديث

تبعاله وعيالا عليه ، وحتى تعرف تلك الصنعة بالنسبة اليه ، فيقال صنعة فلان وعمل فلان . ووضعته في بعض موضع المتعلم الذكي والمقتدي المصوب في اقتدائه الذي يحسن التشبه بمن أخذ عنه ، وبجيد حكاية العمل الذي استفاد منه ويجهد ان يزداد .

واعلم أي لست أقول لك انك متى ألقت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسن ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الامر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للعائلة والتأليف السوي بينهما مذهبا واليهما سبيلا ، وحتى يكون امتثالا فهما الذي يوجب تشبيهك (١) من حيث العقل والحس ، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فاما ان تستكره الوصف وتروم ان تصوره حيث لا يتصور فلا . لانك تذكرن في ذلك بمنزلة الصانع الاخرق يضع في تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولا يقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة وتجيء فيها تنو (٢) ويكون للمعنى عنها من تفاوتها "نبو" ، وانما قيل شبهت ولا تعني في كونك مشبها أن تذكر حرف التشبيه أو تستعير ، انما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتبينه ، ولا يمكنك بيان مالا يكون ، وتمثيل مالا تمثله الاوهام والظنون .

ولم أزد بقولي إن الحدق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الاجناس أنك تقدر أن تحدث هناك مشابة ليس لها اصل في العقل ، وانما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك اليها فإذا تغفل فكرك فادر كهافقد

(١) يوجب التشبيه : يكون منشأ له والاعتبار الذي صوغه (ش) (٢) قوله « فيها تنو » حال من ضمير تجيء وهو بتعديد الواو وأصله بالهمز تنوء

استحقت الفضل ، ولذلك يشبه المدقق في المعاني كالفائض (١) على الدر .
ووزان ذلك أن القطع التي يجيء من مجموعها صورة الشنف (٢) والخاتم
أو غيرها من الصور المركبة من أجزاء مختلفة الشكل لو لم يكن بينها تناسب
أمكن ذلك التناسب أن يلائم بينها الملائمة المخصوصة ويوصل الوصل
الخاص لم يكن ليحصل لك من تأليفها الصورة المقصودة

ألا ترى أنك لو جئت بأجزاء مخالفة لها في الشكل ثم أردتها على أن
تصير إلى الصورة التي كانت من تلك الأول طلبت ما يستحيل ، فأنما
استحقت الأجرة على النوص وإخراج الدر ، لأن الدر كان بك ، واكتفى
شرفه من جهتك ، ولكن لما كان الوصول إليه صعباً وطلبه عسيراً ثم
رزقت ذلك وجب أن يجزل لك ويكبر صنيعك

ألا ترى أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعين في الجنس
ثم لطف وحسن لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن إلا لاتفاق كان ثابتاً
بين المشبه والمشبه به من الجهة التي بها شبهت ، إلا أنه كان خفياً لا يتجلى
إلا بعد التأنيق في استحضار الصور وتذكرها وعرض بعضها على بعض ،
والتقاط النكتة المقصودة منها ، وتجريدها من سائر ما يتصل بها ، نحو أن
يشبه الشيء بالشيء في هيئة الحركة فتطاب الوفاق بين الهيئة والهيئة ،
والهيئة مجردة من الجسم وسائر مافيه من اللون وغيره من الأوصاف كما
فعل ابن المعتز في تشبيه البرق حيث قال :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وانفتاحاً

(١) كالفائض حكاية للتشبيه ، ولعل أصله بالفائض لأنه لا يحتاج إلى

التقدير (٢) الشنف بالفتح القرط الأعلى ج شنوف

لم ينظر من جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين له عن انبساط يعقبه انقباض ، وانتشار يتلوه انضمام ، ثم فكر في نفسه عن هياآت الحركات لينظر أيها اشبه بها فأصاب ذلك فيما يفعله القاريء من الحركة الخاصة في المصحف اذا جعل يفتحه مرة ويطبقه اخرى ولم يكن اصحاب هذا التشبيه لك وايناسه اياك لان الشيثين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط بل لان حصل بازاء الاختلاف اتفاق كاحسن ما يكون وأتمه فبمجموع الامرين — شدة ائتلاف في شدة اختلاف — حلا وحسن ، وراق وقتن

ويدخل في هذا الموضع الحكاية المعروفة في حديث عدي بن الرقاع قال جرير انشدني عدي : * عرف الديار توها فاعتادها * (١) فلما بلغ الى قوله : * تزجي أغن كأن ابرة روقه * (٢) رحمته وقلت قد وقع ، ما عساه يقول وهو اعرابي جلف جاف ؟ فلما قال : * قلم أصاب من الدواة مدادها * استعالت الرحمة حسداً (٣) فهل كانت الرحمة في الاولى والحسد في الثانية

« ١ » تمام البيت : * من بعد ما شمل البلى ابلادها * والابلا دقطع الارض طامرة أو غامرة او الآثا في قول بعضهم والقصيدة في مدح الوليد ابن عبد الملك ، ومنها :

ولقد أراد الله اذ ولاكها من أمة اصلاحها ورشادها
« ومنها » تأتيه اسلاب الاعزة عنوة قسرا ويجمع للعروب عتادها
وعلت حتى ما أسائل عالما عن علم واحدة لكي أزدادها

« ٢ » الازجاء السوق والاغن ذو الغنة وهي صوت يتردد بين الالهة والافئ كنون « منك » وكذلك صوت الطي ولذلك غلب عليه لقب الاغن والروق القرن وابرتة رأسه وتكون سوداء « ٣ » يقال إن الفرزدق كان حاضراً انقاد القصيدة وانه عند ما بلغ عدي قوله : تزجي أغن الخ قال اي الفرزدق

الآلة وآه حين افتتح التشبيه قد ذكر مالا يحضره في أول الفكر وبدية
المخاطرة في القريب من محل الظن شبه (١) وحين أتم التشبيه وأداه
صافه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف ، وعثر على خبيء مكانه
هير معروف؟ وعلى ذلك استحسنوا قول الخليل ، في انقباض كف البخيل ،

كفك لم تخلقا للندى ولم يك . بخلها بدعه
فكف عن الخير مقبوضة كما نقصت مائة سبعة
وكف ثلاثة آلافها وتسع مئتيها لها منعه (٢)

وذلك انه أراك شكلا واحدا في اليدين مع اختلاف العددين ومع
اختلاف المرتبتين في العدد أيضا لان أحدهما من مرتبة العشرات
والآحاد والآخر من مرتبة المئين والالوف . فلما حصل الاتفاق كاشد
بما يكون في شكل اليد مع الاختلاف كابلغ ما يوجد في المقدار والمرتبة

لجرب ما تراه يستلزم بهذا تشبيها فقال جرير : * قلم أصاب من الدواة مدادها *
قالها رجم الجواب حتى قال عدي ذلك ، فقال ويحك لكان سمعك في فؤاده
مخبوء ! فقال جرير : اسكت فقد شغاني سبك عن جيد الكلام (ش)

(١) شبه فاعل محضر (٢) الأليات من المتقارب وفي الأول الخرم ومعناها
انه قابض كلنا يديه وبياناه في حل مسألة العقد وهي ان الينى التي يعقدون
بها للآحاد والعشرات اذا اردت ان تعقد بها ٩٣ وهي المائة تنقصها سبعة
تقبض الخمصر والينصر والوسطى بحيث تكون الاظافر في باطن الكف وهي
عقدة الثلاثة وتقبض السبابة وتجعل ظفرها ظاهراً (لان ظهور الاظافر للعشرات
واخفاءها للآحاد) وتضم الابهام على ظهرها وهي عقدة التسعين فتلك ٩٣
ما حصلت الا من قبض الكف . واما اليسرى التي يعقد بها للمئين والالوف
فتكون مقبوضة بعقد ٣٩٠٠ وذلك أن قبض الخمصر والينصر والوسطى
وهي عقدة ٣٠٠٠ وتقبض السبابة وتخلق عليها بالابهام (كمقدة ٩٠ في الينى)
وهي عقدة ٩٠٠ فتلك ٣٩٠٠ حصلت بقبض اليد اليسرى أيضا

من العدد كان التشبيه بديما . قال المرزباني : وهذا مما ابداع فيه الخليل
لانه وصف انقباض اليدين بحالين من الحساب مختلفين في العدد متشاكلين
في الصورة . وقوله هذا اجمال مافصلته

ومما ينظر الى هذا الفصل ويدخله ويرجع اليه حين تحصيله الجنس (١)
الذي يراد فيه كون الشيء من الافعال سببا لفضده كقولنا : احسن من
حيث قصد الاساءة ، وتقع من حيث اراد الضر . اذا لم يقنع التشاغل
بالعبارة الظاهرة ، والطريقة المعروفة ، وصور في نفس الاساءة الاحسان ،
وفي البخل الجود ، وفي المنع المطاء ، وفي موجب النعم موجب الحمد ،
وفي الحالة التي حقها أن تمد على الرجل حكما يعتد له ، والفعل الذي هو
بصفة ما يباب وينكر ، صفة ما يقبل المنة ويشكر ، فيدل ذلك بما يكون فيه
من الوفاق الحسن مع الخلاف اليبين على حذق شاعره ، وعلى جودة طبعه
وحدة خاطره ، وعلو مصعده وبعد غوصه ، اذا لم يفسده بسوء العبارة ، ولم
يخطئه التوفيق في تلخيص الدلالة ، وكشف تمام الكشف عن سر والمعنى
وسره (٢) بحسن البيان وسحره . مثال ما كان من الشعر بهذه الصفة
قول أبي التماهية :

بجزي البخل على صالحة	عني لحفته على ظهري
أعلى وأكرم عن يديه يدي	فعلت ونزه قدره قدري
ورزقت من جدواه عافية	أن لا يضيق لشكره صدري
وغنيت خلوا من تفضله	أحنو عليه بأحسن العذر
ما فاني خير امرى وضعت	عني يداه مؤنة الشكر

(١) الجنس مبتدأ وقوله قبله : ومما ينظر الى هذا الفصل خبره (٢) السر والفضل

ومن اللطيف مما يشبه هذا قول الآخر :

أعتقي سوء ما صنعت من الر م ق فيا بردها على كبدى
فصرت عبداً للسوء فيك وما أحسن سوء قبلي الى أحد

الحكومة الإسلامية

كان رفيق بك العظم المؤرخ المشهور « رحمه الله تعالى » شرع في تأليف كتاب باسم « تاريخ السياسة الإسلامية » لم يكتب منه الا مقدمته وهي في ملخص السيرة النبوية وقد طبعت في هذه الايام مع بعض رسائله وخطبه فراينا ان تقتبس منها هذا الفصل بمناسبة نشر الكتاب السخيف الذي نشر في هذا العام ، في الظن في حكومة الاسلام ، وهو

هو ذكر شيء مما كان على عهده (ص) او نصت عليه شريعته

وترتب عليه نظام السلطنة الإسلامية

اعلم أن ما ظهرت آثاره في الاسلام من ترتيب الدول ، وتنظيم شؤون الحكومة ، واتخاذ شعائر الارتقاء ، انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما لم يكن في عهده فمخصوص عليه في شريعته الطاهرة ، وسنته الباهرة . وذلك كالامامة والوزارة والولاية وإمارة الجيش والقضاء والخطابة والكتابة والسفارة والترجمة والحسبة والمعاهدات والاعطيات — أي مرتبات الجند — والحجابة والحراسة وإمارة الحج والرسائل والاقطاع والديوان والزام وكتابة الجيش والفرود والفرائض أي قسمة الموارث ، وغير ذلك من آثار الفضل في ترتيب الحكومات الإسلامية مما كان على عهد صلى الله عليه وسلم ، واقتنى أثره به الخلفاء الراشدون . ثم أخذ يتوسع به من بعدهم من الخلفاء والسلاطين ، ويقررونه على أوجه مضبوطة وقبيل وتراتب لا تخرج عن صفة ما سبق الا بنوع الترتيب أو بما فيه الاستزاد

من أبهة الملك وسطوة السلطان . ولكن لما بلغت دول الاسلام أقصى غايات الرقاه ، واختلطت على الخلفاء والسلاطين الامور باختلاط العناصر الداخلة في الاسلام ، أخذت تتحول تلك الأنظمة والتراتيب الى أعجمية تارة ، وهمجية أخرى ، حتى اختل بسبب ذلك نظام الملك . واستحال حال الدول في بعض العصور الى ما يشبه ضلال الساري في ليلة مظلمة ، يود سلوك الطريق المنجية فلا يجدها ، والعاقبة للمتقين

وها نحن (أولاء) نورد لك طرفاً من تلك الوظائف والتراتيب بوجه إجمالي، مفرزاً بما يؤيده من الكتاب والسنة . ونبدأ من ذلك بالامامة ، لأنها المنصب النبوي المهم فنقول :

الامامة

الامامة هي رئاسة عامة في الدين والدنيا ، تنتهي الى صاحبها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثقل عليه المرض وقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وصلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالناس نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذها الصحابة دليلاً على استنابة أبي بكر في الخلافة العامة ، فأقاموه خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استمر الحكم في الخلافة هكذا ، حتى اذا استغرق الخلفاء بالتurf ، واستكاثوا وراء الحجب ، واستثقلوا الظهور للناس والاختلاط بعامةهم، استنابوا عنهم بالصلاة أولى الكفاءة من أئمة الدين ، واكتفوا بمباشرة أمور السياسة . وقد ثبت أن نصب الامام واجب على الامة بالشرع وجوباً كفاً ، أي هو فرض كفاية اذا قام به البعض — وهم أهل الحل والعقد — سقط عن الباقيين وقد اختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من قال : تنعقد البيعة للامام بمن حضرها من أهل الحل والعقد

ومنهم من قال : لا تنعقد الا برضا عامة الناس — ولهم بهذا الصدد أبحاث طويلة ليس هذا موضع ذكرها ، فليرجع اليها في كتب العقائد (وكتاب الاحكام

(السلطانية)

للماوردي *

ومما لا اختلاف فيه وجوب الطاعة للامام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فان طاعة الامام العادل واجبة ليمكن من الأخذ بمقتضى العدل في تنفيذ الأحكام، وتوزيع الضرائب، وفصل الخصومات، وإقامة الحدود، وتجهيز الجيوش، وسد الثغور، وقهر المتغلبة، وبالجملة سائر ما يعود على المجتمع الاسلامي بالخير والمصلحة

قالوا: ومتى استقرت الخلافة العامة لمن هو لها أهل فلا بد من استنابته في بعض الوظائف الموكولة اليه أناساً ذوي كفاءة وعلم ودين، كالوزارة والامارة والجبابة والقضاء، وغير ذلك من الوظائف التي لا يمكن مباشرة جميعها بنفسه، والاستنابة فيها أصح في التدبير، وأدفع للخلل، وأجمع للنظام. وأهم الوظائف التي يستنب فيها هي الوزارة

الوزارة

إعلم أن الوزارة مرتبة جليلة من مراتب الدولة التي ينتظم بها الملك، وتشاد عليها دعائم الدولة، لهذا اشترط العلماء في الوزارة ما اشترطوه في الخلافة من الأحكام الجامعة لأوصاف العدل، كالأهلية والكفاءة والعلم والصحة والعقل وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإذا ذكر لم يعنه» وقالوا: إن الوزارة على ضربين، وزارة تفويض (للحكومات المعتدلة) ووزارة تنفيذ (للحكومات المطلقة)

فأما وزارة التفويض فهي: أن يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الامور

* المنار: ان كتابنا «الامامة او الخلافة العظمى» هو اجمع ما كتب فيها وفيما يتعلق بها من المسائل والمباحث الشرعية السياسية والتاريخية وغيرها وما يجب على المسلمين في هذا العصر على اختلاف حكوماتهم وشعوبهم

برأيه وامضاءها على اجتهاده . وهذه بمثابة ما يسمونه الآن الوزارة المسئولة في الحكومات المتسلسلة ، لأن الوزير فيها - متى استكملت فيه الشروط المعتبرة في وزارة التفويض - أن يحكم بنفسه ، وأن يقلد المحاكم ، وأن ينظر في المظالم أو يستيب فيها ، وأن يتولى الجهاد بنفسه ، وأن يقلد من يتولاه ، وأن يباشر الأمور التي حرمها أو يستيب فيها (١)

والجاءت قد قالوا في هذه الوزارة : إن كل ما صح عن الامام صح عن الوزير . ثلاثة أنبياء (أحدهما) ولاية العهد (والثاني) أن للامام أن يستعفي الامة من الإمامة ، وليس ذلك للوزير (والثالث) أن للامام أن يعزل من قلده الوزير ، وليس للوزير أن يعزل من قلده الامام . وما سوى هذه الثلاثة فحكم التفويض اليه ينقض جواز فعله على شرط أن يطالع الامام بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية فلا يستبد بالأمور دون الامام . وللإمام أن يتصفح ما يعرضه عليه الوزير ليعر منه ما وافق الصواب ويستترك ما خالفه ، إلا الحكم في حق فانه يتفد على وجهه ، أو في ملك وضع في حقه فانه ليس للامام استرجاعه

ورجاء جواز هذه الوزارة في الاسلام مأخوذ من قوله تعالى في القرآن **فَكَانَ مِنْ مَّوَسَى (واجعل لي وزيراً من أهلي : هرون أخى ، اشدد به أوزري وأشركه في أمري)** فإذا صح مثل هذه الوزارة في النبوة فاتها في الخلافة أولى . وأما وزارة التنفيذ فان النظر فيها مقصور على رأي الامام وتديره بحيث يكون الوزير كالواسطة بين الامام والرعية ، ينقل اليه ما وقع ، ويؤدي عنه ما أمر ، ويحكي عنه ما حكم ، وينفذ ما ذكر ، وهذه الوزارة بمثابة ما يسمونه الآن الوزارة القيدية في الحكومات المطلقة ، ومعنى تقييدها رجوعها في كل عمل إلى رأي السلطان ولعمري فيها براه ، وبشرط في هذه الوزارة أوصاف الأمانة والصدق والفطنة كي لا يكذب فيما يبلغ ، ولا يخون فيما يؤدي ، ولا يدلس عليه ، ولا يعبد الصواب

وهذا الحكم في الوزارة جار الآن عند دولتنا العثمانية فان الخليفة أيده الله يبين الوزير الأول للقب بالمصدر وهذا يستيب في الوظائف الوزارية كالحربية والداخلية والولاية وغيره من شاء . وهذا ما قلنا عدة أيضاً في جميع الوزارات عند الحكومة الأوربية الآن

عنه ، وينسب التساهل في أمور الناس اليه ، وقد رأيت كيف أن موسى السكايم عليه السلام طلب أن يجعل الله له وزيراً من أهله وهو أخوه هرون . وأما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . فقد أشار الى فضل الوزارة وما فيها من الموازنة بقوله عليه الصلاة والسلام «وزيراي من أهل السماء جبريل ومكائيل ، ووزيراي من أهل الارض أبو بكر وعمر» (١) أي أن الملائكة توازره بالوحي من السماء ، وأبو بكر وعمر يوازانه في الارض . وأما بعد النبي صلى الله عليه وسلم . فقد كان أبو بكر يرجع في المشورة الى عمر وعلي وأكابر الصحابة رضوان الله عليهم . ولما كانت الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام أشبه بالحكومة الديمقراطية هذا حذو أبي بكر — في الرجوع الى استشارة أهل العلم والرأي من أكابر سائر المسلمين — الخلفاء الراشدين ، ومن آتى بعدهم من الخلفاء الامويين ، دون اتخاذ وزير مخصوص يسمى بهذا الاسم ، أو يعطى شارة الوزارة ، حتى قيام الدولة العباسية . وكان أول خليفة منهم السفاح فاتخذ له وزيراً أباسلمة حفص بن سليمان ، فكان أول من لقب بالوزير في دولة الاسلام . ومن ثم أصبحت الوزارة من الرتب الخاصة التي تجري عليها القوانين ، وتدون لها الدواوين ، على أشكال شتى كانت تترقي بترقي الدول الاسلامية وتتدنى بتدنيها

القضاء

إن ولاية القضاء خطة سامية ، تتلو الوزارة في الاهمية ، ولها في الشريعة الاسلامية شروط وأحكام ، أفردت لها أبواب مخصوصة في كتب الفقه ، لا مجال لایزادها في هذا المختصر . وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وقلد القضاء لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهم . وقد مر في هذه المقدمة ذكر الحديث الوارد بتقليد معاذ القضاء ، ولم يرد في شريعة من الشرائع ماورد في الشريعة الاسلامية من البيان ، بشأن القضاء وشروطه وآدابه وأحكامه وحدوده ، لهذا كان الخلفاء الراشدون يجلسون للقضاء بانفسهم

(١) خرج هذا الحديث أبو بكر العربي اه من حاشية الاصل

ويستنيون أحياناً من عرف بالعلم والنزاهة ، وتحققت فيه الاهلية والكفاءة ، وكذا من جاء بعدهم من الخلفاء الأمويين ، وبعض الخلفاء العباسيين .
ولما كانت المنازعات في صدر الاسلام ، إنما تنشأ عن أمور مشبهة ، يترافع فيها الخصمان الى القضاء ليوضحها الحكم ، وتعين فيها جهة الحق . فقد اقتصر خلفاء السلف على فصل المنازعات ، والتشاجر بين الناس بالحكم والقضاء ، لا لزوم الناس جهة الحق ، واثقيادهم اليه ، ولما تجاهر الناس بالظلم ، وتغالبت النفوس ، وتغلبت الأهواء ، واحتيج في رد الحق وتنفيذ الأحكام الى القوة الاجرائية ، تفرعت عن القضاء ولاية المظالم ، فكان الخلفاء من بني أمية ، منهم من جلس لرد المظالم بنفسه ، كعمر بن عبد العزيز ، ومنهم من أفرد وقتاً مخصوصاً للنظر في رقايع المتظلمين ، ومنهم عبد الملك بن مروان ، وهو أول من أفرد يوماً للنظر في الظلمات ، وتصنف قصص المتظلمين ، فما احتاج فيه الى حل مشكل أو حكم منقذ رده الى قاضيه أبي ادريس الأزدي ، فكان هذا المباشر ، وعبد الملك لا مرة ، ثم مع التماذي والتدريج ، احتاج الخلفاء الى جعل ولاية المظالم ولاية خاصة تفرع عن ولاية القضاء (١) فكانوا يختارون لها ذوي الهبة وأهل السياسة ، لتنفذ بواسطتهم قوانين العدل ، وتستقيم طرق التناصف ، وكان آخر من جلس بنفسه لرد المظالم من الخلفاء العباسيين المأمون . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه ورجل من الانصار وحضره صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الولاية وإمارة الحرب والجيش

قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإمارة كثيرين ، منهم عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، استعمله على مكة أميراً سنة ثمان من الهجرة وولاه إمارة الموسم والحج بالمسلمين . وذكر البخاري في الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال « انطلق » (١) وهي تشبه الآن مأمورية انضباطية إمامة من حاشية لاهل

فقد استعملتكم على أهل بيت الله ، فكان شديداً على المريب ، لنا على المؤمنين ، ومنهم باذان استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وكان أميراً عليها من قبل ملوك الفرس . وذكر المؤرخون أن باذان أول أمير أسلم من المعجم ، وأول أمير في الإسلام على اليمن

مطلب إمارة الجيش

وأما إمارة الجيش فقد استعمل لها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرين أيضاً في سراياه التي كان يبعث بها لقتال المشركين ، وأولها في السنة الأولى من الهجرة سرية عبد الله بن جحش فقد ذكر المؤرخون وأرباب السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فلما أراد المسير بكى صباية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش ، وآخرها جيش أسامة الذي أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير إلى الشام وعليه موله أسامة بن زيد وتوفي صلى الله عليه وسلم قبل مسير الجيش ، فنيهره بعده أبو بكر رضي الله تعالى عنه

مطلب اللواء

وأما اللواء فقد قال أرباب السير : إن أول راية عقدت في الإسلام عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدة بن الحارث بن عبد المطلب بن قصي في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد . وعن حمل راية النبي عليه الصلاة والسلام ليقاتل بها أبو بكر وعمر وعلي ، وحمل رايته عليه الصلاة والسلام عام الفتح الزبير بن العوام . وذكر أهل السير في أخبار غزوة بدر الكبرى أنه كان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والأخرى - وهي راية الانصار - كانت مع سعد بن معاذ . وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم الخصوصية سوداء تسمى العقاب . وكان يحملها بعد النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد . فلم يحضر بها حرباً الا وكان الظافر فيها

مطلب تقسيم الجيش

وأما الجيش فقد كان على عهد صلى الله عليه وسلم يقسم إلى خمسة أقسام المقدمة ، والمجنبتان اليمنى واليسرى ، والقلب والساقة . وكان لكل قسم رئيس يسمى صاحباً ، كصاحب المقدمة ، وصاحب الساقة الخ . فقد تولى الساقة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أبو عبيدة بن الجراح ، ويوم حنين خالد بن الوليد ، وتولى بقية الأقسام غيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وكان في وقت المصاف يقدم على الفرسان رئيساً ، وعلى الرماة وعلى المشاة رئيساً فمن ذلك ما رواه البخاري أن عبد الله بن جبير كان في غزوة أحد المقدم على الرماة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انضح الخيل عنا بالنبل (١) لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا . فثبت مكانك لا تؤتين من قبلك »

مطلب الحرس

كان يتولى جيشه عليه الصلاة والسلام في الليل بعض الحرس . فمن ذلك ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة بلغه أن رجلاً من المشركين أصيبت امرأته فحلف ليتبع أثر الجيش ليهرق دماً من المسلمين فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فقال « من يكلؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر »

مطلب حرسه الخصوصي (ص)

وكان له صلى الله عليه وسلم حرس خصوصي يحرسونه إذا نام أو كان في الغزو وكان من حرسه سعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله وهذان حرساه يوم بدر على باب الغريش الذي بني له يومئذ ، ويوم أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري . ويوم الخندق حرسه الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص

(١) هذا اللفظ عزاه شراح البخاري إلى ابن اسحق ، والوصية في رواية البخاري للرماة كلهم وأولها « لا تؤرخوا » الخ وكعبه مصححه

وعباد بن بشر، وحرسه غيرهم من الصحابة . فلما نزل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ترك الحرس .

مطلب العرفاء

وكان عند العرب عرفاء للأجناد ، وهم دون الرؤساء ، بهم يتعرفون أحوال الجيش ، واستمر ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك من حديث طويل رواه البخاري . وذلك في قصة وفد هوازن حين جاءه مسلمين وقد كان للجيش في عهده صلى الله عليه وسلم عيون تأتي بأخبار العدو ، وطلائع تمهد له الطريق ، وحملات سلاح ، وغير ذلك من مشغلات الحروب مما لا يسع هذا الموجز بسطه ، فليراجع في كتب السير والحديث .

كتابة الجيش والديوان والعطاء

قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يكتب الناس وجرى العمل بذلك في عصره صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس » فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل فقلنا نحاف ونحن ألف وخمسمائة فلقدر أيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي ووجهه وهو خائف

وأما العطاء فقد وردت في ثبوتها أحاديث كثيرة . فمنها ما رواه أبو داود عن غوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه النبي قسمه في يومه فأعطى الأهل حظين ، وأعطى الأعراب حظاً فدعينا ، وكنت أدعى قبل عمار فدعيت فأعطاني حظين وكان لي أهل ، ثم دعا بعبي عمار بن ياسر فأعطى حظاً واحداً — ثبت مما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الناس في الجيش ، وأنه كان يعطي العطاء ويقسم النبي .

وأن نوع الديوان كانت موجوداً على عهده صلى الله عليه وسلم . وهذا لا يخالف ما أطبق عليه أهل الآثار من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أول من دون الدواوين ، ورتب الاعطيات في الاسلام ، فانما كانت كتابة الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم باحصاء من تعين منهم في بعث البعث ، ولم تكن في وقت معين ولا بمقدار معين حيث لم يكثر الناس كثرتهم أيام عمر ولا جيت الاموال ، ولا تأكدت الحاجة الى ضبطهم — وأما عمر فقد رتب الناس في الدواوين ، وقدر لهم الاعطيات ، وأجرى عليهم الارزاق على حدود معينة ، وتراتب مقرر ، بعد أن نصب الكتاب ، ومنح البلاد والسواد ، ونظم اصول الجباية ، لاتساع الحاجة باتساع الفتوح على الاسلام

الكتابة والرسول والسفارة والترجمة

كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما ، فان غابا كتب ابي بن كعب وزيد بن ثابت ، فان لم يحضر أحد من هؤلاء الاربعة كتب من حضر من الكتاب وهم معاوية ابن ابي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي وحنظلة بن الربيع . وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب الوحي أيضاً فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ، فلما فتحت مكة استأمن له عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وأما كتاب الرسائل والاقطاع فزيد بن ثابت وأبي وعبد الله بن الارقم الزهري ، وهذا كان مواظباً على كتابة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك وأما العهود والمصالحات فكان يكتبها له صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

الرسول والسفارة

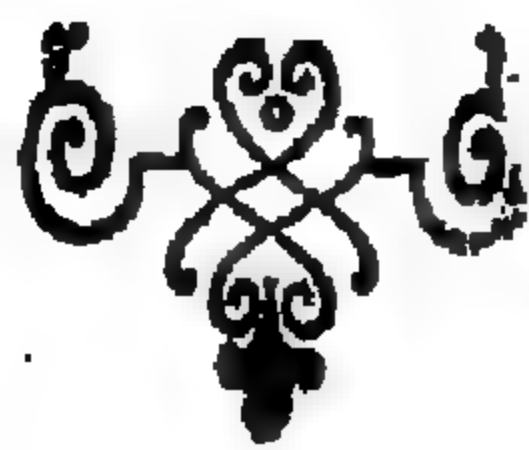
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل الرسول الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، فمن أرسله دحية الكلبي أرسله الى قيصر وكتب له كتاباً يدعو فيه الى الاسلام كما رواه البخاري . وأرسل حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس ، وغيرها

لغير هؤلاء الملوك أيضاً . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى ملك الحبشة ليعث من عنده في بلده من المسلمين

وأما ترجمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر أرباب السير : أن زيد ابن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه كان يكتب للملوك ويحيى بمحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن . وذكر ابن هشام في البهجة نحواً منه

وكانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية ، فأمر زيد ابن ثابت بتعلمها فتعلمها في بضعة عشر يوماً — وخرج الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم كتاب يهود فاني والله ما آمن يهود على كتاب قال : فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال : فلما تعلمت كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم

وفي هذا دليل على وجوب تعلم اللغات اذا كان في تعلمها فائدة للمسلمين هذا ما أردنا إيراده في هذا الفصل ملخصاً من (كتاب الایجاز في سيرة ساكن الحجاز) للعلامة المرحوم رفاعه بك المصري ، وكتاب الاخكام السلطانية للماوردي . وقد رغبتنا حب الاختصار في هذا الموجز بالاكتفاء بما تقدم وترك ذكر أشياء كثيرة كانت على عهده صلى الله عليه وسلم كاللحجبة والخطابة والمحاسبه والحيابة والحسبة التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من وسائل الترقى في الاسلام ، فليرجع اليها في كتب السير والحديث اه



لباس الفتوة والخرقه عند المتصوفة |

(تابع لما في الجزء الرابع ص ٢٦٥)

فصل

وأما المؤاخاة فإن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين
والأنصار لما قدم المدينة كما آخى بين سلمان الفارسي وبين أبي هريرة وبين
عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة
حتى أنزل الله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)
فصاروا يتوارثون بالقرابة وفي ذلك أنزل الله تعالى (والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصيبهم) وهذا هو المحالفة واختلاف العلماء هل التوارث
يمثل ذلك عند عدم القرابة والولاء محكم أو منسوخ؟ على قولين (أحدهما)
أن ذلك منسوخ وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد في أشهر الروايتين
عنه ولما ثبت في صحيح مسلم عنه أنه قال «لا حلف في الإسلام وما كان
من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة» (والثاني) أن ذلك
محكم وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في الرواية الأخرى عنه

وأما المؤاخاة بين المهاجرين كما يقال أنه آخى بين أبي بكر وعمر وأنه
آخى علياً ونحو ذلك فهذا كله باطل وإن كان بعض الناس ذكر أنه فعل
بمكة وبعضهم ذكر أنه فعل بالمدينة وذلك نقل ضعيف إما منقطع وإما
بأسناد ضعيف والذي في الصحيح هو ما تقدم ومن تدبر الأحاديث
الصحيحة والسيرة النبوية الثابتة يتقن أن ذلك كذب

وأما عقد الأخوة بين الناس في زماننا فإن كان المقصود منها الالتزام

الاخوة الايمانية التي اثبتها الله بين المؤمنين بقوله (إنما المؤمنون اخوة) وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظله » وقوله « لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يستام على سوم أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه » وقوله « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » ونحو ذلك من الحقوق الايمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن . فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان ، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ماوجب الله ورسوله ، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن ، وان لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة ، وان كان المقصود منها اثبات حكم خاص كما كان بين المهاجرين والانصار ، فهذه فيها للملء قولان بناء على أن ذلك منسوخ أم لا ، فن قال انه منسوخ — كمالك والشافعي واحمد في المشهور منه — قال : إن ذلك غير مشروع .. ومن قال انه لم ينسخ — كما قال أبو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى — قال انه مشروع

وأما الشروط التي يلتزمها كثير من الناس في السماع وغيره مثل أن يقول : على المشاركة في الحسنات ، وأينا خاص يوم القيامة خاص صاحبه ونحو ذلك . فهذه كلها شروط باطلة فان الامر يومئذ لله ، هو (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) وكما قال تعالى (ولقد اجتمعونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد قطع بينكم وصل عنكم ما كنتم ترعون)

وكذلك يشترطون شروطا من الامور الدنيوية ولا يفون بها وما اعلم أحد آمن دخل في هذه الشروط الزائدة على ماشرطه الله ورسوله

وفيها بل هو كلام يقولونه عند غلبة الحال، لاحقيقة له في المال واسعد
الناس من قام بما اوجبه الله ورسوله فضلا عن أن يوجب على نفسه زيادات
على ذلك - وهذه المسائل قد بسطت في غير هذا الموضع والله أعلم
(قاله احمد بن تيمية الحراني)

﴿ كتاب ابن تيمية الى الشيخ نصر المنبجي الصوفي ﴾

(قال الراوي) : كتاب كتبه الشيخ الامام وحيد دهره ، وفريد
عصره ، علامة زمانه ، ناصر السنة ، مؤيد الشريعة ، شيخ الاسلام ، تقي الدين ،
أبو القباس احمد بن تيمية الحراني ، فسح الله تعالى في مدته ، وأعاد علينا
من بركته ، الى الشيخ القدوة أبي الفتح نصر المنبجي سنة اربع وسبعمئة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد بن تيمية الى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي
الفتح نصر ، فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب اوليائه ،
ونصره على شياطين الانس والجن في جهره واخفائه ، ونهجه به الطريقة
المحمدية الموافقة لشرعته ، وكشف به الحقيقة الدينية الميزة بين خلقه وطاعته ،
وارادته ومحبه ، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات
الدينية ، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين ، ومن تشبه بهم من المنافقين ،
كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته

(أما بعد) فان الله تعالى قد انعم على الشيخ وانعم به نعمة باطنة
وظاهرة في الدين والدنيا ، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون

علوا في الارض ولا فسادا منزلة عليه ، ومودة اليه لما منحه الله تعالى به من حسن المعرفة والقصد ، فان الدلم والارادة ، اصل لطريق الهدى والعبادة . وقد بعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم باكمل محبة في اكل معرفة ، فاخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصل الاعمال ، المحبة التي فيها اشراك واجمال ، كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واهخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فترابصوا حتى يأتي الله بأمره)

ولهذا كانت المحبة الايمانية هي الموجهة لذوق الايماني والوجد الديني كما في الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الايمان في قلبه ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ، فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم وجود حلاوة الايمان معلقا بمحبة الله ورسوله الفاضلة وبالمحبة فيه في الله وبكرامة ضد الايمان

وفي صحيح مسلم عن العباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، فجعل ذوق طعم الايمان معلقا بالرضى بهذه الاصول كما جعل الوجد معلقا بالمحبة ليفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين الذوق والوجد الذي هو أصل الاعمال الظاهرة وثمرة الاعمال الباطنة وبين ما امر الله به ورسوله

وبين غيره كما قال سهل بن عبد الله التستري: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، اذ كان كل من أحب شيئاً فله ذوق بحسب محبته ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) قال الحسن البصري ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فطالبهم بهذه الآية فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله ، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده. وقد ذكر نعت المحبين في قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين • يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فثلث المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذي نعت الله به رسوله الجامعين معنى الجلال والجمال المترق في الملتين، قلنا (١) وهو الشدة والمزة على اعداء الله ، والذلة والرحمة لاولياء الله ورسوله ، ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب يحمل منطلق كما قال فيه كبير من كبرائهم : مشرد عن الوطن • مبعد عن السكن • يبكي الطلول والدمع • يهوى ولا يدري لمن ؟

فالشيخ أحسن الله اليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والارادة ما تتميز به المحبة الایمانية المحمدية المنفصلة عن الجملة المشتركة ، وكما يقع هذا الاجمال في المحبة يقع ايضا في التوحيد، قال الله تعالى في ام الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة في كل صلاة أن يقول (اياك نعبد و اياك نستعين) وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله يقول : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عبدي

عبدى واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اننى على عبدى ، واذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدى عبدى أو قال فوض لى عبدى ، واذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) قال فهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال فهو لاء لعبدى ولعبدى ماسأل ، ولهداروي أن الله أنزل مائة كتاب واربعة كتب جمع معانيها في القرآن ومعاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في ام الكتاب ومعاني ام الكتاب في هاتين الكلمتين (اياك نعبد واياك نستعين) وهذا للمنى قد ثناء الله في مثل قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفي مثل قوله (عليه توكلت واليه انب) وقوله (عليه توكلت واليه متاب) وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في ذلك « اللهم هذا منك واليك » . فهو سبحانه مستحق التوحيد الذى هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء المباد بالحب والانابة والطاعة والاجلال والاکرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من معاني تأله وعبادته ودعاء المسئلة والاستعانة بالتوكل عليه ، والاتجاه اليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو سبحانه الاول والاخر والباطن والظاهر

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال باسم الرب فيقول المصلي والذاكر الله اكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله وكلها الاذان الله اكبر الله اكبر الى آخرها ونحو ذلك

وفي السؤال (ربنا ظلمنا انفسنا) (رب اغفر لي ولوالدي) (رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للجرمين) (رب ظلمت نفسي فاغفر لي)

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا * رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) ونحو ذلك. وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الاعدان والصفات، وهذه الامور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيز بها فيقول «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا وبرا، ومن شر ما ينزل من السماء وما يمرج فيها، ومن شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يارحم» فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضا ومطلوبه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الالهي الذي هو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، والامر بما أمر به، والنهي عما نهى عنه، والحب فيه، والبغض فيه، ومن اعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالاول فهو يشبه القدريه المشركية الذين قالوا (لو شاء الله ما شركنا ولا آباؤنا) ومن أخذ بالثاني دون الاول فهو من القدريه المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة ويقع في (كلام) كثير من المتكلمة والمتفقه. والاول ذهب اليه طوائف من الاباحية المنحدين عن الاواسر والنواهي، وانما يستعملون ذلك عند احوالهم والافهولا يستمر، وهو كثير في التألمة الخارجين عن الشريعة يخفرون العدو (١) وغيرهم فان لهم زهاديات وعبادات فيها ما هو غير مأمور به فيفيدم أحوالها فيها ما هو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعباد

البدود (١)

ولهذا قال الشيخ عبدالقادر **رحمته الله** ووجه: كثير من الرجال اذا دخلوا الى القضاء والقدر اسكروا **وأنا اتمنت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا له** وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان الحمدي (٢) أي ان المسلم مأمور بأن يفعل ما امر الله به، ويدفع ما نهى الله عنه، وان كانت اسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتابه الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «ان الدعاء والبلاء يلتقيان بين السماء والارض»، وفي الترمذي قيل يا رسول الله: «أرأيت ادوية تتداوى بها: ورقتي نسترقى بها وتقى نقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: «من من قدر الله» (٣) والى هذين المعنيين أشار الحديث الذي رواه الطبراني أيضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال: «يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع: واحدة لي، واحدة لك: واحدة بيني وبينك، واحدة بينك وبين خلقي؟ فاما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئا، وأما التي لك فعملك اجزيك به اخرج ما تكون اليه، وأما التي هي بيني وبينك فنك الدعاء وعليّ الاجابة، وأما التي بينك وبين خلقي فأت الى الناس بما تحب أن يؤتوه اليك»

- (١) الظاهر أن البدود هم بد بالضم وذكروا أن جنة بددة وابداد وبوت بالفتا زسية الصم
(٢) كذا ولما، اصله الشريعة الحمدي
(٣) ومنه أثر مر في الطاعون: تفر من قدر الله الى قدر الله

ثم ان التوحيد الجامع لتوحيد الالهية والربوبية أو توحيد أحدهما للعبد فيه ثلاث مقامات (أحدها) مقام الفرق والكثرة بانعامه (?) من كثرة المخلوقات والمأمورات (والثاني) مقام الجمع والفناء بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده ، وبمعبوده عن عبادته ، وبموحده عن توحيدده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمحبوبه عن حبه . فهذا فناء عن ادراك سوى وهو فناء القاصرين وأما الفناء الكامل الحمدي فهو الفناء عن عبادة سوى والاستعانة بالسوى وإرادة وجه سوى ، وهذا في الدرجة الثالثة وهو شهود التفرقة في الجمع ، والكثرة في الوحدة ، فيشهد قيام الكائنات مع تفرقها باقامة الله تعالى وحده وربوبيته هو يرى انه ما من دابة إلا ربي آخذ بناصيتها ، وانه على كل شيء وكيل ، وانه رب العالمين ، وان قلوب العباد وانما يصيبهم بيده ، لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع ولا حافظ ولا معز ولا منزل سواء . ويشهد ايضا فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات (١) مع كثرتها لله وحده لا شريك له

وهذا هو الدين الجامع العام الذي اشترك فيه جميع الانبياء والاسلام العام والايمان العام ، وبه انزلت السور المكية واليه الإشارة بقوله تعالى (نزلنا من الدين ما وصى به نوحا ، الذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أبجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ولهذا ترجم البخاري عليه « باب ما جاء أن دين الانبياء واحد »

وقد قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم اجرم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فجمع في الملل الاربع (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) وذلك قبل النسخ والتبديل وخص في أول الآية المؤمنين وهو الايمان الخاص الشرعي الذي قال فيه (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) والشرعة هي الشريعة ، والمنهاج هو الطريقة ، والدين الجامع هو الحقيقة الدينية، وتوحيد الربوبية، هو الحقيقة الكونية، فالحقيقة المقصودة الدينية الموجودة الكونية متفق عليها بين الانبياء والمرسلين فاما الشرعة والمنهاج الاسلاميان فهولامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (خير امة اخرجت للناس) وبها اتزلت السور المدنية اذ في المدينة النبوية شرعت الشرائع وسنت السنن ونزلت الاحكام والفرائض والحدود فهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ونزات به الكتب واليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين، لكن بعض ذوي الاحوال قد يحصل له في حال القناء القاصر سكر وغيبة عن السوى ، والسكر وجد بلا تمييز فقد يقول في تلك الحال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الاصحاء. وكلمات السكران تطوي ولا تروى ولا تؤدي اذا لم يكن سكره بسبب محذور من عبادة أو وجه منهى عنه

فاما اذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا، لا فرق في ذلك بين السكر الجسماني والروحاني فسكر الاجسام بالطعام والشراب، وسكر النفوس بالصور، وسكر الارواح بالاصوات. وفي مثل هذا الحال

غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول المعنى في مثل دعوى النصارى في المسيح ، ودعوى الغالية في علي واهل البيت ، ودعوى قوم من الجهال الغالية في مثل الحلاج أو الحاكم بمصر أو غيرهما ، وربما اشتبه عليهم الاتحاد النوعي الحكمي بالاتحاد المعنوي الذاتي

فالاول كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « يقول الله : عبدي ! مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وانت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت انه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده . عبدي ! جئت فلم تطعنني ، فيقول ربي كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي » فسر ما تكلم به في هذا الحديث أن جوع عبده ومحبوه لقوله « لوجدت ذلك عندي » ولم يقل لوجدتني قد أكلته ولقوله « لوجدتني عنده » ولم يقل لوجدتني إياه وذلك لأن والمحب يتفق هو ومحبوه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ويأمر بما يأمر به وينقض ما ينقضه ويكره ما يكرهه وينهى عما ينهى عنه

وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم وينضب لغضبهم ، والكامل المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال تعالى فيه (ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقد جاء في الانجيل الذي بأيدي النصارى كلمات مجملة ان صبح أن المسيح قالها فهذا معناها كقوله « أنا وأبي واحد . من رآني فقد رأى أبي » ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا التشابه كما ذكر الله عنهم

في القرآن لما قدم وفد نجرا ر علي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ناظروا في السبع
وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من عادى لي وليا فقد اذني
بالحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي
يبصر فبي يبطش وبي يمشي » فآخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه
إذا قرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض
أحبه الحق على هذا الوجه

وقد قلت من زعم أن هذا قرب النوافل وان قرب الفرائض أن
يكون هو إياه فان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فهذا القرب
يجمع الفرائض والنوافل. فهذه المعاني وما يشبهها هي اصول مذهب أهل
الطريقة الاسلامية اتباع الانبياء والمرسلين

وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية
وكنتم قد كتبت الى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرك فيه
إشارة لطيفة الى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحداً بعينه وإنما
الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلياً أن نسينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به
وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل الى الداعي من طلب كشف حقيقة امرهم
وقد كتبت في ذلك كتاباً ربما يرسل الى الشيخ وقد كتب سيدنا
الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل والله تعالى يدلم وكفى به عابداً لولا أني
أرى دفع ضرر هؤلاء من أهل طريق الله تعالى السالكين اليه من

اعظم الواجبات - وهو شبيه بدفع النار عن المؤمنين - لم يكن له مؤمن بالله
ورسوله حاجة الى أن تكشف أسرار الطريق وتهتك أسرارها، ولكن
الشيخ احسن الله تعالى اليه يعلم أن مقصود الدعوة النبوية بل المقصود
بخلق الخلق وانزال الكتب وارسال الرسل أن يكون الدين كله لله هو
دعوة الخلائق الى خالقهم بما قال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً * وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً) وقال سبحانه (قل هذه
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال تعالى (وإنك
لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في
الارض ، ألا الى الله تصير الامور) . وهؤلاء هم هؤلاء على السالكين
التوحيد الذي انزل الله تعالى به الكتب ، وبعث به الرسل بالآحاد الذي
سموه توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع وجمود الخالق . وانما كنت قدما
من يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل
كلامه في كثير من الفتوحات والكنة والحكم المربوط والدرة الفاخرة
ومطالع النجوم ونحو ذلك ولم تكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم
نطالع القصص ونحوه وكنا نجتمع مع اخواننا في الله نطلب الحق
وتدبره ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الامر عرفنا نحن ما يجب علينا
فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الاسلامية
والدين الاسلامي وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان ، وكذلك كتب اليها
من اطراف الشام رجال سألوا عن أهل صدق وطلب أن اذكر الله
الجامعة لحقيقة مقصودهم والشيخ أيدى الله تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه
وحق قصده من نصحه للاسلام واهله ولاخوانه السالكين يعمل في ذلك
ما ربحه ، من الله سبحانه ، فقد توفاه الآخرة .

الشرق والغرب

رأي الشيخ محمد عبده أيام المجاورة بالازهر في المسألة الشرقية ودسائس اوردية في الشرق قد أدرك الاستاذ الامام في بدايته منذ كان مجاورا في الازهر من حقائق السياسة ودسائس الافرنج في بلادنا من طريق الدين والسياسة وتفرق كلمتنا وتمصبنا الديني ما لم يدركه بعد نصف قرن أو أكثر إلا الافراد من المتمرسين بالسياسة في الشرق فقد كتب في آخر سنة ١٢٩٣هـ الموافق لآخر سنة ١٨٧٦ م مقالا طويلا في أعداد من السنة الاولى لجريدة الاهرام الاسبوعية جاء فيه بعد كلام في فضائل الاوربيين ومزاياهم مانصه:

« إلا إن منهم من يتخذ هذه الفضائل اسما، ويتقلدها رسما، لتكون آلة لأعمالهم، وسلما لسوء آمالهم، خصوصا الملك الكبير ذا الارض الواسعة، والاقطار الشاسعة، التي قد منح أهل مملكته تمام الحرية، حتى إنه لا يبيع لهم أن تدرس العلوم الفلسفية، في مدارسهم الرسمية، بل الأهلية، بل إن أراد أحدهم أن يتبصر، اتخذ له كمينًا وتسترًا، وأولى أهل ملته من مقتضيات الحنو والشفقة، ماتتفلط منه قلوب أهل الرأفة والرقّة، خصوصا أهل دينه الكاثوليك الذين مزقهم كل ممزق، ونفى كثيرا منهم الى حيث لا يخاف ولا يفرق، وماترك وسيلة الى الاسترقاق الا أقامها، ولا ذريعة الى استعباد غيره إلا قص قصصها، كيف لا وقد تقلد رتبة البطركية، التي هي مقدمة ركب الألوهية، فقام بأموريته المقدسة ليؤدي بعض مآسسه، وكتبته على نفسه من القيام بحقوق الانسانية والتهافت على تقويم الحق، على الوجه الاحق الأليق، فاوقد نيران الفتنة في بيوت أهل دينه الفقراء المحتاجين إلى رعاية دولتهم ليجردهم من ذل الشوكة والقوة، ويلبسهم عز الضعف والمهنة، وينقذهم من رتبة الحرية التي قد نالوها حيث هم على حفظ عهودهم ها كفون، وعلى إصلاح أحوالهم الداخلية متألبون، يتدللون على

حولتهم تدل المعشوق على العاشق ، ويثابرون منها ما ينال الولد من والده ، أو الحبيب من محبه الصديق ، وليستخلصهم من كل ذلك إلى قضاء عدله الذي قد بسط غطاءه على أنفاس أهل مملكته ، وبمحبوحة الحرية التي قد استعيد بها أبناء ملته ، وقد صادق على ذلك جل الممالك القاسطة ، لما لكل واحد منهم من ساقطة ، ينتظر بها الالتقاط ، وبذلك الملك المقدس في نيلها يكون الارتباط ، وهم في ذلك ينادون يا للإنسانية ، وباللحقوق المدنية ، وترغم منهم الخطيئة على منابر الظلم والاجحاف ، بتلاوة آيات الاقلاع عن الامداد واقتناء شرف الانصاف

«وإني لست الآن معهم في ميدان المحاكاة حتى أنبتهم أنه قد فعل ذلك بأبناء دينهم بل أبناء أوطانهم ، وهم يبرأى من ذلك ومسمع ، مالا يصح في مثل هذه الأيام أن يسمع ، وقد سودت بذلك وجوه الصحف ، ومع ذلك لم يتحرك فيهم عرق الحماسة ، ولا فتحوا في ذلك سبجات السياسة ، وإن أمثال أولئك الكمل لا يليق بهم مع هذه الدعوى التي بها منعوا بيع الرقيق قضاء لحق المساواة أن يجعلوا تلك الرأفة والرقعة خاصة ببعض المقاطعات ، أو منحصرة في جهة من الجهات ، بل كان من الواجب أن ينظروا من وراء حجاب إلى خيوط ونخوقه ، كما نظروا جواراً إلى الحرب والجبل الاسود ، فأني لو تكلمت في هذا يطول أو يهين محبب بأنهم إلى الآن لم يبلغوا حد الكمال ، حتى يفعلوا أفعال الرجال ، ولا يتعرشون بحرش القتال ، وللإنسان كمال سوى ما هم فيه ، وتلك التي تتوسم فيها العظم مباديه ،

ولكن أعجب لجعل المسئلة شرقية وغربية ، فإن العاقل يتفرس في ذلك أسراراً خفية ، تدبثنا عنها التواريخ القديمة والحديثة ، ويحكى ما كانت تفعله القياصرة بالاكسرة ، والاكسرة بالقياصرة ، حيث كل من الشرقيين والغربيين مع سعة أوطانه ينتهز الفرصة للوثوب على الآخر ، فهذا حقد بالميراث ، جدير بالاكتراث ، إلا أنه لما جهت الشوكة أسبابها وتوجت نحو المغرب ، وتركوا الشرقيين يحمى يثرب ، قويت من الغربيين المهاجرة ، وبطلت من الشرقيين آثار

نبات عدو بلا معادي ، ومبارز لا تصده الدواعي والعوادي ، فحقى
الأمس على غير بصير ، وذهب على غير خير

وما أوصل الشرقيين الى هذا الحد سوى تفرق الآراء ، واختلاف الآهواء ، حتى
إن بعض الناس ممن لا يبالي بهم ، يهملون بسوء أحوالهم ، ويتهجون اذا بشروا بتسلط
أعدائهم ، وما ذاك الا من تداني الهمم ، وتراكم الظلم ، والوقوع في حفرة الحيوانية ،
والإنحطاط عن درجة الانسانية ، حيث فقدت منهم الغيرة والحمية . وذلك بذل أن ينبذوا
في مثل هذه الاوقات جميع التعصبات الدينية ، والاختلافات المذهبية ، لحماية أوطانهم
ووقايتها من وطأة أعدائهم ، الذين لا يرومون من الاستيلاء علينا معاشر الشرقيين
الا توسعة ممالكهم ، والتمكن من استعبادنا بالدخول تحت حوزتهم ، لنكون لهم
خزينة عند الافتقار ، وترسا يقون به أوطانهم ورجالهم مما عتني يبرزه الاستقبال
وبعد ذلك يكون عاراً علينا أي عار ، يذهب بهاؤكم ، يتشقى منكم عدوكم وينبهم
بناؤكم ، وينقطع من العزة رجاؤكم ، أنتم يا معشر الشرقيين أبناء وطن واحد ،
تشاركون في المنافع والمضار وسائر المقاصد ، لا يمس أحدكم خيراً الا نال الآخر
منه مثل ما نال صاحبه ، ولا توجه اليه خير الا وهو الى الآخر يتعاقبه ، فما
لهمكم تضاءلت ، وخطباؤكم تمثلت

فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قرء علينا بالأياب المسافر

ولم تخاطبوا عدوكم من صميم قوادكم

بما السيف أسطار البلاغة وانتحى | اليك ليوث الغاب من كل جانب
واذكروا إذ تسطر أحوالكم في صحف الرجال ، ويستقبل بها ما يأتي من
الاجيال ، فان أنتم أبرزتم حميتكم ، ورعينم حق وطنكم ، الذي منه ابتدئتم ، وفيه
سكنتم ، ودافعتم عنه يبذل الارواح فضلاً عن حسن المقال ، وبالجمل سلكتم مسالك
الرجال لا تهوس الأطفال ، ، فلك ما أثر انسانية ، تنالون بها مجدكم وفخاركم ،
وتمتلكون سجدكم ، وحلية يختال فيها من تعقبونه بعدكم ، وإلا فالعار والشنار لاحق
بكم ، وليس إلا أن يحشى تراب التل في وجوه أعقابكم ، وانظروا الى أحوال سلفكم
لتكون منارة لأخوالكم ، فان قال قائل

ان الديانات ألقت بيننا إحنا وأودعتنا أفانين العداوات
فكل واحد منا يتوقد من صاحبه ، لمخالفته له في مذهبه ، ومناوآته إياه في
مشربه ، فكيف تميل تلك القلوب لرفع الشقاق ، وجمع كلمة الاتفاق ، والتخلص
من خسة النفاق ؟ فنحييه : إن مثلنا في ذلك مثل أخوين تولدا من بطن واحد
وأصل واحد قد يقع بينهما بعض المنازعات المنزلية ، والمناوشات المعاشية ،
فيأخذ كلا منهم ماشاء من الغيرة والحمية ، ويكاد أن يقتك كل بالآخر ومع كل
ذلك انهما عند اقتراح أجنبي على أحدهما يقوم الآخر بنصرته ، ولا يحجم
عن رد تبعته ، فتلك العداوات الجزئية ، لا يصح لدى العاقل أن تضر بمصالحنا
الكلية ، وعلى فرض أن لو عدت تلك المزاحمات شيئا يذكر ، وأمرأ يصح إليه
التنظر ، فما أشنع حال من ينتقم بيد الغير ، ويلحق نفسه وغيبه عار السفاهة والضيعة ،
أين أنتم من (تيمستكليس) اليوناني الذي بعد ماصنع المكاييد مع (دارا) وهزمه ،
وجاهد ماجاهد في حماية وطنه ، أقصاه اليونانيون وطرده ، وأجمعوا أمرهم على
أن يقتلوه ، فالتجأ الى (دارا) يستعجده مما اعتراه فاعظم منزله وأكرم مثواه ، ثم
إن (دارا) طلب منه أن يحشد جيشا على اليونانيين فقال وجهني الى أي مكان ،
قاص أو دان ، سوى بلاد اليونان ، فانها وطني ومقر تربيتي ، لا ترضى همتي ،
بأن أقدمها لغير أمي ، وإنه وإن كان أهل اليونان طردوني ولكن تراب اليونان
ما صنع معي قبيحا . فلما أغلظ عليه (دارا) في الطلب ، نادته هواتف الانسانية إن
ذلك من الموت أصعب ، فاختار الموت على الحياة ، وتناول السم ومات ، ألا
فانتبهوا من سنة الغفلة ، واتخذوا لكم من الانسانية ظلة ، ومن الفضائل خلة
واحذروا ، وبالحمية الوطنية اتقوا واعتصموا اه

(المنار) ليتأمل القراء وخاصة أهل سورية ولبنان آراء هذا الرجل التي كتبها
منبستين سنة وهو مجاور في الأزهر يحدها عين ما انتهى إليه بحث الحقتين ،
من عقلاء الشرقيين ، بعد مكابدة الاخذات واعتبار أوربة ولا يزال الكثيرون
من أهل بلادنا مخدوعين وراضين بأن يكونوا آلات بأيدي الأجنبي

العالم الاسلامي

الدعوة الرسمية الى مؤتمر الحج

قد جدد السلطان عبد العزيز آل سعود الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة ولكن بصورة رسمية لاني الجرائد كما فعل أول مرة فارسل مكاتبات باسمه بختمه بختمه الى الملوك والامراء ورؤساء الحكومات الاسلامية كمصر وايران والترك والافغان واليمن وتونس والى اشهر الجماعات العلمية الاسلامية في الهند وسورية وفلسطين ومباولة هذه المكاتبات واحدة لافرق فيها الا عناوين الرسالة اليهم . واننا نشر نص ما ارسله الى امام اليمن تخطيطا للمقطع الذي زعم تأييداً لهواه ان هذه الدعوة لم ترسل اليه . وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملكياتها

مكة المكرمة ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هجرية

عدد ٢٢١

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرة الحبيب
التسيب الأخ المكرم الامام يحيى حميد الدين حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فاننا نرجو لكم ولشعبكم النبيل
كل خير وسعادة ويعن وتقدم ، واني لسعيد أن امد يدي ليدكم الكريمة بالتعاون
على خدمة الاسلام والمسلمين والبلاد الطاهرة ، واني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على
الخير سيكون السبيل السعيد لجميع الشعوب الاسلامية

يا صاحب الشهامة إني لست من المحبين للحرب وشروورها ، وليس لدي شيء أحب من السلم والسكون والصنماء والهناء والتفرغ للإصلاح ، ولكن جبرائنا الأشراف أجبروني على امتشاق الحسام ، وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا في سبيل شيء سوى الطمع على ما بأيدينا . لقد صدونا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي يفصله الله للناس سواء العاكف فيه والباد ، ودنسوا البيت الطاهر بكل نوع من الموبقات مما لا يتحملة مسلم

لقد رفعنا علم الجهاد لتطهير بلد الله الجرام وسائر بلاد الله المقدسة (*) من هذه الغائلة التي لم تترك سبيلا لحسن التقام وحسن النية ، ولما اقترفت من الشرور والآثام . وإني والله في نفسي بينه لم أرد التسلط على الحجاز ولا تملكه . وإنما الحجاز وديعة في يدي إلى الوقت الذي يختار المجازيون لبلادهم واليا منهم يكون خاضعا للعالم الاسلامي ، وتحت إشراف الأمم الاسلامية ، والشعوب التي أبدت غيرة تذكر كالفنود .

إن الخطوة التي عاهدنا عليها العالم الاسلامي ، التي لا تزال نحارب من أجلها بجملة فيما يلي :

(١) إن الحجاز للمجازيين من جهة الحكم ، والعالم الاسلامي من جهة الحقوق التي لهم في هذه البلاد

(٢) سنجري الاستفتاء التام لاختيار حاكم الحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الاسلامي ، ويحدد الوقت اللازم لذلك فيما بعد . وسنسلم الوديعة التي بأيدينا لهذا الحاكم على الأسس الآتية :

(١) يجب أن يكون السلطان الأول ، والمرجع للناس كافة هو الشريعة الاسلامية المطهرة

(٢) حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة في داخليتها ، ولكن لا يصح لها أن تعلن الحرب على أحد . ويجب أن يوضع لها النظام الذي لا يمكنها من ذلك إذا أرادت

(*) وفي بعض المخطوطات البقياع المقدسة

(٣) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقات سياسية مع أية دولة كانت
 (٤) لاتعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير اسلامية
 (٥) تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والادارية
 للحجاز موكل للمندوبين المختارين من الامم الاسلامية، وسيحدد عددهم باعتبار
 المركز الذي تشغله كل دولة في العالم الاسلامي والعربي . وسيضم هؤلاء ثلاثة
 مندوبين من جمعية الخلافة وجماعة اهل الحديث وجمعية العلماء في الهند
 هذا ما نوبناه لهذه البلاد، وما سنسير عليه في المستقبل إن شاء الله تعالى .
 وإنا لنا الأمل العظيم في أن تسرعوا في إرسال مندوبيكم ، وإخبارنا عن الوقت
 المناسب لعقد هذا المؤتمر . هذا ما لزم بيانه ، وفي الختام تقبلوا ما يليق من
 التحيات والاحترام

(ختم السلطان)

خطبة الحكيم محمد أجمل خن في الهند

فيما استفاده في رحلته الاخيرة

قالت جريدة الخلافة الهندية الغراء

« انعقد في عاصمة الهند (دلهي) اجتماع عظيم حضره آلاف مؤلفة من
 علية القوم ، وأهل العلم والفضل ، من الزعماء والرؤساء وقواد الأمة وساستها ،
 ورجال الأمة ومديري شؤونها ، لسماع كلمات الزعيم الجليل مسيح الملك الحكيم
 محمد أجمل خان بعد عودته من سياحته التي استغرقت ستة أشهر كاملة »

وهذه ترجمته ما ألفاه عليهم

(قل) إتي بعد أن قضيت عدة أشهر ستة في زيارة بلاد العرب ، ومعظم
 الممالك الشرقية ، عدت الآن بفضل الله تعالى الى وطني ووطنكم المقدس
 إن قلبي لمفعم بما رأيته أثناء رحلتي في بلاد تتطلعون ذاتها الى مفارقة شؤونها

والأخاطة بأفكار أبنائها ، وآراء زعمائها السياسيين ، ورؤسائها الدينيين ، وما يتكفهم من الأحوال والأهوال ، وما هم عليه من الرقي والانحطاط ، ولكن سبق الوقت بحمائي على طرق باب الاختصار ، فأكتفي ببيان استتاجي مما سمعته ودأيت في رحلتي هذه . وأما تفصيل الرحلة بأكلها فيذهب بأوقاتنا العزيزة سدى ، ونحن أخوج الناس إلى الوقت لتصرف أمورنا

زرت كثيراً من الممالك الغربية ، وألمت بأفكار عربية . ثم عدت إلى البلاد الشرقية المحبوبة كالشام ومصر وفلسطين وغيرها ، قابلت أبناء هذه البلاد واختلطت بهم ، ومكثت بين ظهرانيهم مدة تتبادل الآراء والأفكار ، صادف من أطراف الأحداث في مختلف الشؤون ، فإذا روح النهضة القومية منتشرة فيهم ، وإذا الشعوب الشرقية المضطربة يكادون يعرفون ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وإن في العالم الإسلامي اليوم حركة عظيمة جديدة ، تنسج على النتيجة المنشودة ، وتخلص الشرق يوماً من الأيام من برأين الغرب . قتال كل مملكة من ممالكه وكل شعب من شعوبه حرته ، ويسترد استقلاله . ولكن أيها السادة لا يمكنني تحديد ذلك اليوم المنشود ، وإنما هو موقوف على مجهوداتكم الصادقة ، وتضحياتكم واستهدافكم لأشد مما ذقتموه من المذاب والآلام في هذه السبيل ، والله يحرركم بعين عنايته إذا أخلصتم إليه وصدقتم العزيمة

أيها السادة : أتيت وأرأيت ولا حظت في رحلتي هذه — وبالمول ما شهدت ورأيت — رأيت منظرأ مرعباً ، ومشهداً فظيماً ، وسيشاركني كل ذي خبرة على قومه ودينه في الأسف على هذا المصاب الأليم ، مصاب الطبقة المتعلمة ، رجال المستقبل المعقودة عليهم آمالنا ، والذين سينتربون غنا في الجهاد الديني والوطني ، وسيتولون قيادة شعوبهم وصون كرامتهم وحفظ كيانهم . هذه الطبقة أخذت تبتعد الدين وراء ظهرها ، وتترك صراط الله العزيز الحميد ، أخذت تنحوي نحو اللادنيين ، وتميل إلى التفرج أكثر مما تميل إلى عوائد قومهم ، واتباع سنن من قبلهم . فإذا استمر أفراد هذه الطبقة على هذه الحالة فوعدوا في تجميع كأس

اللا دينية واساغته ، فعلى الوطن والوطنية والدين والمستقبل السلام - فويل للأمة ، ثم ويل لها اذا تركت أبناءها في ظلمات الجهل بالدين وديجور الاتحاد . فالدين هو أمضى سلاح في يد الشعوب والأثم يمكنهم أن يشقوا به غمام الظلم ، ويثلوا به عرش الاستبداد والاستعباد . ومن الأسف الشديد أن هذه الحالة أخذت تنمو بسرعة شديدة في شبان الترك ومصر ومتعلي البلاد العربية ، وإبادة هذه الجرثومة القتالة في جسم الشرق المحبوب هينة في المبدأ . ففرض علينا منع تيارها الجارف . ويجب أن نقيم أمامه سدًا منيعًا من التعليم الديني الحقيقي حتى لا ترتفع رايته السوداء فتكتسح البقية الباقية

إن مسلمي العالم الاسلامي يكادون يكونون كتلة واحدة ، وتتحد كلمتهم في مسألة الخلافة ، وضرورة مقامها لاصلاح أمورهم الدينية والسياسية . وخير وسيلة لهم لنيل مطلوبهم هذا اعتقاد مؤتمر اسلامي عام ، يجمع مندوبي العالم الاسلامي ، فيبحثون فيما ينفعهم وما يضرهم ، ويمهدون طريق سعادتهم الدنيوية والاخروية . — إن أكثر الشعوب الاسلامية يرجعون عقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة ، وإن خالفهم بعض آخر في رأيهم هذا

وبما اطلعت عليه أثناء رحلتي أن الشعوب الاسلامية تعترف بما للهند من الخدمات البريئة عن الهوى . وتمتاز الامة المسلمة الهندية في هذا الميدان بنزاهة أفرادها في الاغراض ، وبراعة مجهوداتهم من المقاصد الخبيثة الذاتية ، وأيضًا بما يتحلىونه من أتراع المصائب وصنوف التضحية ، وبذل النفس والنفس في سبيل الاصلاح

فقد سمعنا الآن أيها السادة أخباركم وسيرتكم من أفواه إخوانكم الشرقيين لإخوانكم في الدين والوطن ، الآن علمتم فيسكنكم تقدير أعمالكم ، يمكنكم بكل سهولة أن تستنبطوا منها أن صدوركم الواجفة بأنواع العذاب وضروب الآلام ، وأن أيديكم البيضاء ، وغيبتكم السماء على الدين والوطن ، ومساعدتكم لإخوانكم . كل هذه قد أنتجت ثمرة وستجنون ثمرها بقلب مطمئن وإيمان ثابت . وبالفعل في ذلك يرجع الى التفانيكم حول جمعية الخلافة التي لاتألو جهداً في

الوصول الى نيل مقاصدها الشريفة ، وحقوقها الشرعية . وكفانا برهاناً على خدمات هذه الجمعية ، واعتراف الشعوب الاسلامية بخدماتها العظيمة ، أنهم بدأوا يقتفون أثر مناهجها ، ويختارون مبادئها ، ويرسمون خطاها

أيها السادة

إننا لا يمكننا يوماً من الأيام التخلص من برائن أعدائنا ، أعداء ديننا ووطننا ، أعداء الانسانية الحرة ، أنصار الظلم والاستبداد ، أنصار الاستعباد والاستعمار، الا اذا أصلحنا حال تعليم أبنائنا وورثتنا، تربية صحيحة، وجعلنا محور التربية التعليم الديني، فاذا هم عرفوا الدين الحقيقي عرفوا الوطن وحقوقه وواجباته فاسترخصوا كل تضحية دونه ، وصانوا عرضه ، وحفظوا بيضته ، وإني ليسرني جداً أن هذه الفكرة سائدة في جميع الممالك الاسلامية ، إلا أن التنفيذ لا يزال في حيز العدم »

ثم ختم الخطيب كلامه بالثناء على الجامعة المليية الكبرى في دهلي وعلى أساتذتها، وبالثناء بالنجاح والفلاح

خطبتان لعالم سوري في الهند

أرسل الينا صديقنا ووطنينا الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عارف سلهب الطرابلسي هاتين الخطبتين اللتين ألقاهما في عليكره بالهند - فنشرهما اجابة لطلبه

الخطبة الاولى - ألقاها بعد قصة المولد

أيها الاخوان

سعادة الدارين تكون بامثال الاوامر الالهية ، وبحسن إيفاء الوظائف الاجتماعية ، و... المنافع العمومية على المنافع الذاتية ، وبانشاء المستشفيات والمدارس العلمية ، وبيت النصائح والحكم ، وبيان أسباب تقدم الأمم ، وبالاحتراز والتوقي ، مما يعوق التقدم والترقي ، فالعلوم الرياضية ، وعلم الكيمياء والحكمة الطبيعية ، لا تخالف الحقائق الدينية ، بل لها نفع عظيم في الاطلاع على الحقائق العلوية ، والاسرار الربانية ، فان الديانة الاسلامية ، كافلة لأنواع الاحتياجات البشرية ، ومتكفلة ببقاء انتظام الهيئة الاجتماعية ، وقد جاءت بالمصالح الدنيوية

« المنار : ج ٧ » « ٦٩ » « المجلد السادس والعشرون »

والآخروية ، فمن تمسك بها نال السعادة العظمى ، والشرف الاسمي .
أيها الاخوان

من أراد سعادة الدارين فليثق بالله فيما أمر ، ولينته عما نهى عنه وزجر ،
وليشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ، لنشر العلوم وإسعاد العباد ، فياستعادة من
استعمر الأرض ، وقام بالواجب والفرض ، ونال حياة طيبة وشكر مولاه ، على
مأولاه ، وجعل دنياه مزرعة لعقابه ، وبإخساره من كانت بضاعته كاسدة ،
وأخلاقه فاسدة ، محروما من النعم الوافرة الفاخرة ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة
جاء في الرواية عن الامام زوج البتول ، وابن عم الرسول ، باب مدينة
العلم والمواهب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنه وكرم الله
وجهه أنه قال : الداعي بلا عمل ، كالرامي بلا وتر ، يعني أن الدعاء بلا سعي ولا
اجتهاد ، لا ينفع العباد ، وجاء في الحديث الشريف ، عن النبي ذي القدر المنيف ،
صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، أنه قال : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه
ولا دنياه لآخرته » (١) يعني لا ينبغي ترك الآخرة لأجل الدنيا ، ولا ترك الدنيا
لأجل الآخرة ، بل يلزم السعي للدنيا والآخرة . وقال الله تعالى في كتابه
المسكنون (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي ليعرفوني فيمثلوا أوامر
يعني ما خلق الله الجن والانس إلا لايفاء الوظائف الاجتماعية والدينية (٢)

الخطبة الثانية

قال بعد الحمدلة: أيها الاخوان

إن الله جلت حكته ، وعلت قدرته ، أمر برفع أعلام التمدن (٢) في أقطار

« ١ » المنار : تمته « ولم يكن كلا على الناس » رواه الخطيب من حديث المس
وأشار في الجامع الصغير الى صحته . وقال ابن الجوزي لا يصح في استاده نعيم بن
سالم قال ابن حبان كان يضع الحديث اه والمشهور انه ضعيف متروك . ورواه ابن
عساكر عنه بلفظ « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى
يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس »
اشار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه ولكن الشيخ محمد الحوت قال في كتاب
ضعاف الجامع ان المصنف سكت عليه

« ٢ » المنار : أراد بالتمدن فما يظهر الحضارة الاسلامية التي يعنىها بمدى قوله قالدنية .

الارض ، في طولها والعرض ، فمن حسنت ديارته ، طابت مدنيته ، التدين هو عين التمدن ، كل شخص متدين فهو متمدن ، وبالحض على التعاون الاجتماعي ، وبذل الهمم والمساعي ، جاءت الاحاديث النبوية ، والآيات الجليلة القرآنية ، لاسيما احترام العلوم النافعة ، والمعارف الجليلة الرافعة ، قال عليه الصلاة والسلام « ارتعوا في رياض الجنة » قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال مجالس العلم « وقال عليه السلام « اذا لقيتم شجرة من اشجار الجنة فاقعدوا في ظلها واكلوا من ثمارها » قالوا وكيف يمكن هذا في دار دنيا يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام « اذا لقيتم صاحب العلم فكأنما لقيتم شجرة من اشجار الجنة » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها » (٢) المراد من الحكمة كل علم مفيد ، وكل صنعة مفيدة .

فالمدينة الاسلامية استنادها على العلوم النافعة ، والاعمال الجليلة الرافعة ، ومدارها على التقوى وعلى اكتساب الكمالات والتزين بالصفات العاليات ، فهي درة تاج المدينت ، قال الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الحياة الطيبة ، وما أدراك ما الحياة الطيبة ؟ هي المعيشة في المدينة ، بحالة مرضية ، طوبى لمن كانت نعم الله عليهم وافرة ، وديارهم بالعلوم والآثار النفيسة عامرة ، طوبى لمن كانت مساعيهم عند الهيبة الاجتماعية مشكورة ، وسيرهم الحسنة في صحف التاريخ مسطورة ...

(١) لا اذكر انني رأيت هذا الحديث في شيء من دواوين السنة ولا غيرها والذي نعرفه من رواية الحديث « إذا مررت برياض الجنة فارتعوا » ولما سأله عنها قال « حلق الذكر » رواه احمد والترمذي عن انس بسند حسن وقال السيوطي صحيح وعند الترمذي عن أبي هريرة انه قال « المساجد » وقال انه حديث غريب . وعند البيهقي عن ابن عباس انه قال « مجالس العلم » وفي سنده رجال لم يسم « ٢ » رواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »

اللا دينيون في تونس ومصر

وكتاب علي عبدالرازق

مافتتت جريدة السياسة مصرّة على ضلالها في التثويه بهذا الكتاب والثناء عليه وعلى مؤلفه فذكرت أخيراً انه جاءها من مراسلها الخاص بتونس انه كان للضجة التي قامت حولها بمصر وة استياء بين طبقات الأحرار والأدباء والمفكرين (أي اللادينيين) وكذلك كان لموقف حزب الأحرار الدستوريين وجريدة « السياسة » الذي وقفاه انتصاراً لحرية الرأي وحرية النقد العلمي، الزيه أثر حسن ووقع جميل لدى الطبقات التي عدته تسليه عما أصاب الاسلام خاصة والشرق عامة من آثار الموقف الاول الحزن وعماء يلحق الدين القيم دين التسامح من هذه النظرة الخاطئة التي سينظر اليها الغرب بعد تلك الضجة

(قال المراسل) لكن بعض الجامدين من علماء وطلبة جامع الزيتونة ومن الذين يتبعون خطه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » قد نظروا إلى المسألة من وجه آخر واستصوبوا وخطرت ملائهم الأزهرين. وكان كتاب الاسلام وأصول الحكم حديث نوابهم طول هذه المدة، بل ان بعضهم قد عزم على الكتابة في الموضوع، وكان أول من بدأ منهم الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كبير علماء المالكية ورئيس مجلسهم الشرعي (محكمة الاستئناف الشرعية) فتشر سلسلة مقالات في جريدة « النهضة » اليومية لم تتم إلى اليوم ردّ فيها ردّاً مطولاً على تفصيلات ما جاء في الكتاب، وستتشر « النهضة » — على ما اتصل في من بعض محرريها سلسلة مقالات أخرى بهذا المعنى للاستاذ الشيخ محمد بن يوسف وكيل المجلس الشرعي الحنفى ووكيل كبير علماء الحنفية أيضاً

وقد نشرت جريدة « الصواب » في أحد أعدادها كلمة تنقلها القراء « السياسة » لأبيها أعبر عن الرأي المستنير (؟) في قضية هذا الكتاب قالت الرصيفة

« ... أخذ ... »

بحث فيه صاحبه بمخالفات فلسفيا ونظريا بين يديه من الحجج فاستخدمها بحرية وصراحة قلمه ، وقد تعرض فيما حبر الى مسألة الخلافة وصرح بأنها ليست من الدين في شيء . قامت قيامة رجال الازهر وحاكمت مشيخة هذا المعهد الديني الشيخ المذكور . وبعد مرافعات ومناضلات جردته من رتبته العلمية ورفسته من كافة الوظائف التي كان يشغلها بدعوى انه مرق من الدين ولم يقولوا في حقه بحسب العادة انه اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » اهـ

هذا وقد منيت مصر بكثير من الحوادث على شاكاة كتاب الاسلام وأصول الحكم وظهرت فيها أفكار شتى من هذا القبيل ، وناهيك بما وقع للشيخ محمد عبده رحمه الله وما اتهم به من مخالفة روح الدين الاسلامي بمناسبة فتوى البرنيطة (القبعة) والتذكية بالبلط وشركة جرشام الانكليزية لتأمين الحياة ومسألة حمل المطلق على المقيد في آيات الربا . ومع ذلك فقد اقتصر المعارضون على نقد ما قيل وتبعه بالرد ان مخطئا وان مصيبا

وعلى هذا يظهر ان مصر قد سارت إلى الوراء ليس في الحرية السياسية فقط بل حتى في حرية القول في الشؤون الدينية التي هي ملك مشاع بين المسلمين بشرط ان يكون ذلك ضمن دائرة المعقول وبمقتضى منطق ومفهوم النصوص الواردة على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه

أما سر هذه المصاولة والمقاومة العنيفة والتعامل من مشايخ الأزهر على ما يشاع — **قنا هو نيل** وضا نواح معينة ذات مطامع في تبويء منصب الخلافة وسواء **كل ذلك حقيقة** لا ريب فيها أو هو من باب اللفظ والإلحاف الذي كان وما زال شنة العامة والبسطاء ، فالذي يسؤنا في هذه الحادثة بنوع خاص إنما هو تدخل أحد أعيان علمائنا في الأمر ووقوفه موقف الخصم العنود لهذا الشيخ الذي أراد — وان أخطأ — خدمة الاسلام وتخليصه من وصيات طالما ألصقها به الغربيون والله في خلقه شئون » اهـ

(المنار) ان لجريدة السياسة غرضين في الانتصار لهذا الكتاب وصاحبه (أحدهما) سياسي وهو ما أشار اليه مراسلها بتونس — الناطق بلسانها — في ظفنه

باخلاص علماء مصر وتعرضه بذلك المقام العالي وهو ما يتجنب المنار الخوض فيه (وثانيها) ديني اجتماعي وهو أنها لسان حال اللا دينيين في مصر وأكبر مقاسد هذا الكتاب أنه يحاول هدم الشريعة الإسلامية من طريق الدين الإسلامي فهي لهذا تنصره ولم تجد من يخازيه أهون من مسألة الخلافة فجعلت جل خوضها فيها . وجميع اللا دينيين في مصر وتونس على رأي أمثالهم من الترك يرون أن الخلافة سياج للشريعة معها يكن حال المتولي لأمرها فلا يسهل هدم الإسلام مع وجودها ولو بصفة ضئيلة ونرى مراسل هذه الجريدة قد شايعها على المغالطة في التحزب له بدعوى المدافعة عن حرية الرأي فزعم أن مصر رجعت فيها القهقري والصواب أنها زادت فيها قوة بل غلوا . فجريدة السياسة طعنت في الدين وفي كبار علماء الإسلام ولم ينلها عقاب ولا حجز

وقد أخطأ المراسل في تسمية الطعن في الدين وانكار الجميع عليه من أحكامه وأصوله اجتهدا فيه وتبع في هذا جريدة الصواب ، وكان كل منهما أفضل من جريدة السياسة باعترافهما أن صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم أخطأ في اجتهداه ولكن ما ذكره المراسل من شروط حرية الرأي في الإسلام ينافي كون الرجل اجتهد فأخطأ لأنه خالف النصوص القطعية والاجماع الصحيح والمقول ولم يدفع شيئا من شبه أعداء الإسلام عنه بل كان طعنه فيه أقبح من طعنهم ولذلك أثنوا عليه ونوهوا به

ومن أغرب ما تجرأ عليه هؤلاء اللا دينيون بمصر وقلدهم فيه مراسل جريدتهم في تونس تشبيهه شر الجناة على الإسلام بخير أنصاره في هذا العصر الأستاذ الامام قدم الله روحه . ولم ينجلوا من جعل أنفسهم أولى بالأستاذ الامام من أشهر مريديه وأنصاره بمصر وتونس حتى في المسألة التي ذكروا إنكار بعض المامدين على الامام فيها وهي الفتوى في ذبائح أهل الكتاب ولبس البرنيطة — فكما أن صاحب المنار كان أول مردي الأستاذ الامام الذين قاموا بنصره وتأيد فتواه في مصر — كذلك كان العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس فقد كتب في ذلك رسالة نفيسة أرسلها إلي في وقتها ونوهت بها ولا تزال عندي بخطه ، ولا ينجل

اللا دينيون اليوم من جعل مراسل السياسة المجهول وصاحب جريدة الصواب بتونس أولى بالاستاذ الامام من صاحب المثار ومن العلامة المذكور والعلامة الشيخ محمد يوسف وهما أشهر علماء المالكية والحنفية العارفين بحال العصر القادرين على خدمة الاسلام في تونس ، فاذا كان هذان الاستاذان العصريان يطعنان في كتاب الشيخ علي عبد الرازق فما القول في مآثر علماء تونس الجامدين المتعصبين لكل مافي كتب الفقه والكلام ورد كل ماخالف قبحاء مذاهبهم من غير نظر في الادلة

وكأني بجريدة السياسة تفرق بهما قرينهما في العلم والفضل ومعرفة شؤون العصر العلامة الشيخ محمد الخضر بن الحسين نزيل مصر لأنه ألفت كتابا من أنفس الكتب في إظهار جهل الشيخ علي عبد الرازق بالاسلام وجنائته عليه سلام (تقض كتاب الاسلام وأصول الحكم)

فليها الشيخ علي عبد الرازق وجريدة السياسة بانتصار جريدة الصواب لها على هؤلاء العلماء الأعلام وهي كأمثالها من الجرائد الأسبوعية في مصر ليست مما يعتد بفهمها ورأيها في مثل هذا الكتاب ولعل صاحبها لو قرأه لما اغتر بخلاصة ألفاظه وشعرياته ولعلم أنه خان على الاسلام متعمدا للتفجير عنه لا مخطيء في اجتهاده مع إرادته تخليصه مما ألصقه به الغربيون من الوصيات . والظاهر لنا انه اغتر بكلام جريدة السياسة فكتب ما كتب ، ولكنه على عدم قراءته للكتاب لم يتهور كما تهورت جريدة السياسة فكانت جريدته أرقى منها

تفسير المنار

تقريظ للاستاذ الفاضل الشيخ محمد أحمد العدوي من علماء الازهر.

تفسير المنار فيما أعلم هو أمثل تفسير يتناسب مع روح العصر الحاضر؛
يتجلى فيه للقارىء عظمة التشريع الاسلامي بأسلوب جذاب، يفيض على قارئه
هداية، ويبحث فيه روح الحياة العملية، ويعدله لأن يكون عالماً دينياً، وباحثاً
اجتماعياً، وأستاذاً أخلاقياً، يريه أسباب تفرق الأئمة، ثم يعرفه كيف يجتمع
شملها، ويبين له ما أدخله أعداء الدين عليه من البدع والمحدثات، ثم يرسم له
طريق تطهيره منها

زد على ذلك ما يصدر به الآية من عقد صلة بينها وبين ما سبقها من الآيات، وبحث
مستفيض في بيان لغة الآية واشتقاق كلماتها، **فكلامه من مصادر اللغة الموثوق بها**
إذا تكلم على آية من آي الأحكام استوفى ما يتعلق بها من أصول، وما
يرتبط بها من آيات وآثار، يوفق بينها وبين ما عساه أن يتعارض معها من أدلة،
ثم يتكلم على ما أخذ الفقهاء بقلم ممنوع، ويتخلص منها بما يتفق والآيات الواردة
في موضوعها وترضاه السنة الصحيحة، ويتناسب مع سوقها العربي

وإذا تعرض لآية من آيات الاجتماع وجدته **أهيب وأغرب**، تراه قد بني
فلسفته على سنة الله في الكون، ونواميسه في الخليقة، ونظامه في الأمم والشعوب،
فيصدق في نظرياته، ويسلمه من العطب في منطقة شأن كل كاتب يحول على أساس
صحيح وحجة ناهضة

وإذا مرت به آية من آيات الأصول والعقائد بينها على وجه يؤيده سلف
الأئمة الصالح، والدليل الراجح، وتشهد له القرون الأولى، ووقف عند
مارسه الله له فلا يخوض في أمور غيبية إلا بإذن من الله تعالى ويرى في ذلك
السلامة للدين، والبعد عن مواطن الشبهة.

وإذا تكلم في تاريخ الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم ، وما كان من قونهم معهم ، أبان للقارىء أن سنة الله تعالى مع كل من عصاه أن يصب عليه سوط غضبه ، ويحل به عاقبة انتقامه ، وسنة من أطاع ربه ونصر داعيه أن يستخلفه في أرضه ، ويبدل ضعفه قوة ، وذله عزاً

وإذا كتب في آية من آيات الاخلاق ترى منه الوجدان الصادق والناقد البصير ، يرغب في الفضيلة ، وينفر من الرذيلة ، يوازن بين الخلق الاسلامي والخلق العصري (الغربي) بما لا يدع للشك مجالاً ، وللريبة موضعاً ، ويرى القارىء أن الخلق الصحيح إنما هو الخلق الاسلامي الذي أتى به القرآن الكريم ، وبينه الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم ، ولعل القارىء لو قرأ كما قرأت ، لوجد من مزاياه أكثر مما وجدت

وحسبه أنه على طريقة شيخه الاستاذ الامام في التفسير الذي كان يلتقيه على تلاميذه بالازهر ، جزاه الله وجزى تلميذه عن الدين خير الجزاء

القضايا الدينية في المحاكم

ونتايج الحرية

إن ما أحدث في مصر منذ عهد اسماعيل باشا من الحرية في الاعتقاد والقول والعمل قد كان سبباً لمفاسد كثيرة ومصالح قليلة : استباح الكثيرون به الفسق والفجور ، وراجت أسواق البدع ، وتجرأ المناقون على إظهار الكفر والطعن في الدين ، وجبن علماء الدين وقبعوا في كسور بيوتهم وزوايا مدارسهم ومساجدهم ، فلم يبرزوا للانكار على الفاسقين ، ولا لنضال المرتدين ، لأن الحرية ومخازيها جاءت من قبل الأمراء والحكام . وقد كان أول صوت سمع في الانكار على مفاسد الحرية التي يجب أن تتقى ، وفي بيان منافعها التي يجب أن تهتدى ، شيخنا الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في إثر توليته إدارة المطبوعات ورياسة تحرير جريدة الحكومة الرسمية (الوقائع المصرية) إذ دخلت البلاد في عصر جديد من الإصلاح في أول عهد إمارة توفيق باشا بتولي رجل مصر الأكبر مصطفى باشا

رياض للوزارة ، كان الأستاذ الامام وإخوانه ومريدوه خطباء منبره ، وفرسان حلبته ، حتى اذا قضت الثورة العراقية على ذلك العهد المسعود ، وانتهت بالاحتلال البريطاني المتحوس ، وصلت حرية الفساد والشر الى آخر حدود الاسراف ، ولم تكن حرية الصلاح والاصلاح محظورة ، ولكن الاستبداد السابق ، والفساد اللاحق ، أضعفا الاستعداد ، وقللا أهل الرشاد والارشاد ، حتى اذا ما انتهت مدة نفي الأستاذ الامام وعاد إلى مصر ، طفق يطرق أبواب الاصلاح في جميع المصالح الرسمية وغير الرسمية ، فلم يجد على شيء منها أعوانا حتى قال لي : إن هذه الحرية المطلقة للأمة (دون الحكومة) في القول والعمل لشخصي والاجتماعي كانت كافية لاصلاح البلاد ، والنهوض بها الى ذروة الفلاح والاستقلال ، لولا فساد الأخلاق الذي بذرت بذوره في عهد إسماعيل باشا

ولما شرعنا في الاصلاح الديني والاجتماعي بانشاء المنار وجدنا من كثير من العلماء الجامدين ، وشيوخ الطريق الخرافيين ، مقاومة عنيفة ، ودسائس كثيرة . ومن أمير البلاد وأحزابه تحريضا شديداً ، سببه تنويه المنار بالاستاذ الامام ، وثنائه عليه ودفاعه عنه ، ولكن لم تستطع تلك الدسائس والتحريضات أن تسكت المنار ، ولا أن تقطع عليه طريق الاصلاح ، فانتشرت الدعوة حتى في الأزهر بالرغم من عصبية العلماء الجامدين ، أعداء أنفسهم ، وأعداء الكتاب والسنة ، الذين يعاندون أنفسهم بالمحافظة على فقه الأئمة ، وهم لم يستطيعوا بهذا الفقه الذي لا يعرفون منه الا أماني من كتب المتأخرين والمقلدين أن يدفعوا عن الاسلام شبهة ، ولا أن يميثوا به بدعة ، ولا أن يحيوها به سنة ، ولا أن يحيوه هو أيضا فهو يموت بين أيديهم وأيدي حكاهم فيدفنونه ويهيلون عليه تراب القوانين وآخرها قانون الاحكام الشخصية الذي ساعد الحكومة عليه بعضهم وسكت الباقون . بل لم يمنعهم من نصر البدع والظعن في دين المنكرين على أهلها ونبزهم بالألقاب ، ثم السعي لحكم الحاكم عليهم إما بالعقاب واما بالكفر ، وما يترتب على الردة من الأحكام كالتفريق بين المرء وزوجه

وقد رفعت عدة قضايا للمحاكم الشرعية والأهلية ، في قضايا تتعلق بالردة

عن الاسلام ، وبمخالفة تعاليمه وإهانة شعائره بعضها حق وبعضها باطل (أهمها) قضية رجل ابتحل دين الباطنية البهائية ، وزعم أنه لا ينافي الاسلام ، فحكمت المحاكم الشرعية ابتداء واستئنافاً بردته ، والتفريق بينه وبين امرأته ، وحكمها هذا حق ووددتنا لو اطلعنا على صورته وأسبابه لنشرها في المنار . وقد ذكرنا من قبل حكم محكمة دمنهور الشرعية بردة الشيخ محمد أبي زيد بالباطل وتبرئة محكمة الاستئناف له بالحق .

قضية الشيخ عبد الظاهر

(ومنها) قضية بعض أنصار البدع والخرافات على الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمع أحد دعاة السنة وأعداء البدع ، قانهم بعد ضروب من الاتهام والإيذاء له ونيزه بلقب الوهابي أي المتبع للسلف حملوا النيابة العمومية على مقاضاته على ما اتهموه به ، فرفعت عليه قضية في محكمة العطارين بالاسكندرية فحكمت ببراءته ، ولدى استئناف الحكم حكمت محكمة الاستئناف بتأييده ، وهذا نص حيثياته :

حيث إن النيابة العمومية اتهمت المذكور بأنه في سنة ٩٢٣ وما قبلها بدائرة قسم الرمل دنس رموزاً لها حرمة بأحدى المساجد بأن صعد المنبر وأخذ البراقين (١) وألقى بهما في الأرض وبأنه أيضاً في الزمان والمكان المذكورين تعدى على الدين الاسلامي وعرض بصاحب الشرع بأنه كان يخطب في المساجد والمجتمعات وينشر تعاليم مينة لا آداب المذهب ومناقضة لتعاليمه المعروفة وطلبت عقابه بمقتضى المادتين ١٣٨ و ١٣٩ عقوبات . والمتهم حضر أمام الجلسة وانكر التهمة وأجاب بما هو مدون بالمحضر

وحيث إن التهمة المنسوبة هي القاؤه البراقين في المسجد وتعديه على الدين الاسلامي . وحيث إنه بالنسبة لآلاته براقين في المسجد ففضلاً عما هو ثابت من أن هذا العمل حصل من مدة تزيد عن الأربع سنوات فإن القاءه لالعقاب عليه قانوناً الا اذا كان قصد المتهم من القاؤه إهانة الدين — وثابت من اقوال المتهم

(١) المراد بالبراقين العلمان اللذان جرت المادة بوضعها على جانبي المنبر

لأن قصده كان بعيدا عن هذه الالهانة اذ علل القاءه لمذنبين البراقين بنفي نسبتها
الى السلف الصالح وعليه فيتمين براءته من هذه التهمة.

وحيث انه بالنسبة لتعدي المتهم على الدين الاسلامي وتعرضه بصاحب
الشرع بنشر تعاليم مهينة ومناقضة للدين قدم المتهم مذكرة بدفاعه عنها تاريخها
٢٦ يناير سنة ١٩٢٤

وحيث إن المحكمة ترى من الاطلاع على هذه المذكرة ما يؤخذ منها صراحة
أن المتهم ما كان يطمح ولا يقصد التعريض بالدين بل إنه كان يفسر القرآن
والاحاديث بما يراه ويستفاد صحيحا - وحيث إن المحكمة لا تثق بما جاء عن
لسان الشهود مما زادها جاء بهذه المذكرة اذ لو كان لا قول هؤلاء الشهود صحة
لانقض من حوله من يستعملون الدروسه الذين شهدوا أن المتهم لم يحصل من طعن في الدين
وحيث انه لذلك تكون التهمة المنسوبة الى المتهم غير صحيحة ويتمين
براءته منها عملا بالمادة ١٧٢ ج

فلهذه الاسباب

وبعد رؤية المادة السالفة الذكر حكمت المحكمة حضوريا براءة المتهم مما اسند
اليه واعفته من المصاريف

هذا الحكم حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة في يوم ١٢ أغسطس
سنة ٩٢٤ و ١١ محرم ١٣٤٣

وبعد أن صدر هذا الحكم بالبراءة استأنفته النيابة يوم صدوره
وبجلسة ٦ ديسمبر سنة ٩٢٤ و ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ نظرت له المحكمة
الاستئناف الالهية وأيدته تحت رئاسة حضرة حسن بك زكي محمد القاضي وبحضور
حضرتي محمد بك حسن عزت وحليم بك برسوم القاضيين وحضور حضرة حسن
افندي لطفى وكيل النيابة وأحمد زكي أفندي السيدي كاتب المحكمة وهذا نص
حيثيات الحكم

المحكمة - بعد سماع التقرير الذي تلاه حضرة محمد بك حسن عزت ومطالبات
النيابة العمومية وبعد الإطلاع على الاوراق والمداولات قانونا

حيث إن الاستئناف مقدم في الميعاد القانوني فهو مقبول شكلاً - وحيث إن الحكم المستأنف في محله للأسباب الواردة به والتي تأخذ بها هذه المحكمة فيتميز تأييده فلهذه الأسباب

وبعد رؤية المادة ١٧٢ ج حكمت المحكمة حضورياً بقبول الاستئناف شكلاً وفي الموضوع برفضه وتأييد الحكم المستأنف بلا مصاريف

تقريظ المطبوعات الحديثة

مجموع أدبي تاريخي (*)

(١) رواية آخر بني سراج

(٢) (خلاصة تاريخ الاندلس) الى سقوط غرناطة

(٣) كتاب أخبار العصر ، في انقضاء دولة بني نصر

(٤) أثار تاريخية ، في أربعة مرسومات سلطانية اندلسية

نشر في هذه الايام مجموع مطبوع مشتمل على هذه الآثار التاريخية الاربعة المتعلقة بتاريخ الاندلس ، ذلك الفردوس الارضي الذي كان أبدع مظهر للحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية ، والموازنة بينهما وبين ما بقا بلهما وما قاومهما من الحضارة الاوربية التي وسموها بالمسيحية ، ولم تكن قبل ولا هي الا ن من المسيحية في شيء . فاما الرواية فهي تاريخية غرامية أدبية ألفها بالفرنسية الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير فأجاد ، وراعى فيها حق العرب والمسلمين وشعور الاسبانيين على سواء ، بما أورد من تنازع سلطان العرب في كل من العاشقين العربي المسلم والاسبانية المسيحية ، وسلطان الدين والنفرة الجنسية فليأت بشيء نستنكره نحن ولا بشيء يستنكره الآخرون

وقد ترجمها باللغة العربية الامير شكيب ارسلان الشهير في أول هذه الترجمة والتأليف وطبعت الطبعة الاولى في مطبعة الاهرام سنة ١٨٩٧ م وترجمتها تشهد له بالاجادة ومقانة الانشاء وسعة المادة لغوية متدبرفت أمامه الاقلام

(*) كتب هذا التقرير منذ أربعة أشهر

وموضوعها سياحة شباب من بقايا آل عمر اج من سرورات الفريسيين في الاندلس
 حين الى ذلك الوطن الذي عمره آباؤه وملكه قومه ضمة قرون فشد رحالهم تونس
 الى غرناطة ، قال المترجم « و بينما هو يجول في غرناطة مسكرا أهله قبل الحلاء الاخير ،
 وثالث ما كان بقي في يد الاسلام من ذلك النعيم الملك الكبير ، كانت منه لفتة وقع
 بصره فيها على فتاة من سريلات الاسبانيول فعلق قلبه ، ووقع نظرها منه على مثلها
 فتماشقا وتوزعت القصة بين حبها وحبها ، وحال دون اقترانهما إعجاب كل منهما
 بدينه و اخلاصه له ، ثم مائنين لابن سراج بعد طول العشرة من كون معشوقته سلافة
 من آل ينفار الفاتكين لئن الجلاء بأبائه ، فرأى اختلاط دم القاتل بدم المقتول غير
 خلاق بأبائه ، ولا بمنزج بشبهة وفائه ، بل مضى كل من الماشقين بحبيبه صبا ، قد
 اختلطت مهجتهما حبا ، ولم يفرق بينهما الا الدين والا المودة في القرى »

ثم ذكر ماسب ترجمته إياها : ما تضمنته من آداب المحبين ، وما فيها من
 وصف مكارم الاخلاق ، ومزايا الاشراف من الفرسان ، والاطلاع على كثير من
 الصفات الملكية متزججة عن افق الملا العلوي الى عالم الانسان ، استدلالا على
 يدع صنع الله حين يجمع بين الحسن والاحسان ، — ثم ذكر منها التلذذ بذكرى
 السلف ، والاستقراء لآثار العرب ،

وهذا السبب الاخير وهو الاجتماعي التاريخي ، له الشأن الاعلى في قلب كل مسلم
 وكل عربي ، لان لحضارة الاندلس وآدابها من شعور اللذة المعنوية في هذه القلوب
 ما لا يقل عن شعور آدم عليه السلام بذكرى جنته ، ثم ان لنكبة الاندلس وما كان
 من تعصب الاسبانيين واكرههم المسلمين على التنصير وقسوتهم في استئصالهم من
 الاندلس آلاما في هذه القلوب كبارا ، لا يزال جرحها نقارا

خلاصة تاريخ الاندلس

واما خلاصة تاريخ الاندلس فهو من تأليف الامير ، قصدا ولا ان يكون ذبلا
 وجيزا لهذه الرواية تفهم منه وقائضا وتفاير مقاصدها ، فما زال يسيل مداد القلم عما
 بعده به ذلك العلم الواسع بالتاريخ حتى كان مؤلفا حافلا لا يوجد له بالغة العربية نظير ،
 وقد راجع فيه أشهر ما كتب مؤرخو الامم الاوربية في هذا الموضوع ، ولم يكتف بما

لخصه صاحب نفح الطيب من أخبار سقوط غرناطة وأصباب زوال ملك العرب من الأندلس ، فإنه قليل ووجيز ، على أنه من أهم ما يجب تدوينه من وقائع التاريخ ، لما فيه من العبرة للمتأخر بسيرة من قبله ولا سيما أسباب قيام الدول وسقوطها ، وارتفاع الأمم وهبوطها ، فعرب الأندلس بهم كل عربي وكل مسلم أن يعرف كيف كان آخر عهد بتلك المملكة الأوربية التي أضسوا حضارتها ، وكانوا أساتيد أوربية بها

وقد نشرنا في الجزء الثاني من هذا المجلد (٢٦) نموذجاً من هذا التاريخ وهو معاهدة صلح غرناطة بين مسلمي العرب ونصارى الأيبانيين وما كان من نقض هؤلاء للمعاهدة عروّة عروّة ، وإكراههم المسلمين على التنصر أو الجلاء عن البلاد حتى لم يبق منهم أحد ، وفي الكتاب من أخبار المارك واستبسال المقاتلين ما هو من غرائب التاريخ كما أن فيه من غرر القصائد ووصف المعاهد ما يعدم من أطف الآثار الأدبية الأندلسية وأما كتاب أخبار العصر ، وتاريخ وجيز لا آخر عهد المسلمين بتلك الديار لمؤلف شهد المارك بنفسه ، ولم يذكر في الكتاب اسمه

وأما الأثر التاريخي . في المراسيم السلطانية الأندلسية ، فهو نموذج تاريخي أدبي من انشاء ذلك الوقت ، وفي الحالة السياسية الروحية التي حلت السلطان الأندلسي على كتابة تلك المراسيم لبعض قواد الأيبانيين

زادت صفحات هذا المجموع على أربع مائة صفحة من قطع المذخر قد طبع الطبعة الثانية بمطبعة المنار على صنفين من الورق وجعل من النسخة من الورق الحيد ٢٠ قرشا مصريا صحيحا ومن الورق المتوسط ١٥ قرشا وأجرة البريد ٣ قرش في مصر . و ٤ قروش في الخارج

﴿ الدعاية إلى سبيل المؤمنين ﴾

الاستاذ الشيخ ابو اسحق ابراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري من علماء المسلمين المصريين الذين يلقبهم المنار بحزب الإصلاح المعتدل أي الذين يسهون إلى الجمع بين هداية الدين الحق اعتقاداً وأدباً وعملاً وبين مائة فقه معها من مدنية العصر المبنية على قواعد السيادة والاستقلال والقوة العسكرية والثروة ، وإن بين هذا الفريق من عقلاء الأمة الإسلامية وبين مقلدة الجامدين من دجلة العائم وسكنة

الاثواب العياض « نزاعاً مستمراً وقتلاً مستمراً » ، ميدان العز و « واحد » الاقلام ،
وان كتاب (الدعاية الى سبيل المؤمنين) هو اول اثر من آثار هذا الاستاذ الفيور
في هذا الجهاد ابرزته المطابع انابع هجرته الى مصر وإقامته هناك السير فيها ، ورو
فيه على رسالة لأحد المتطوعين على التأليف من أولئك الجامدين ، الذين أصبحوا
فتنة للكافرين ، وحبوة على الدين ، الذي يدعون من علمائه بغير حق ، فهم يمارضون
المصلحين في كل قطر ، لحشم المسلمين على العلوم والفنون والصناعات التي تتوقف
عليها القوة والسيادة في هذا العصر ، وقد كان هؤلاء سبب ارتداد أكثر من ارتد عن
الاسلام في هذا الزمان من الترك والعرب والفرس وغيرهم ، ولم يذكر المصنف اسم
هذه الرسالة ولا اسم مؤلفها ولا بلده لئلا يكون دالا على الضلالة للمستعبد لها ، وقد
وصلت اليها رسائل من قبيلها لبعض خطباء الفتنة في الشام ، ومدعي الغيرة على الدين
عند العوام ، فأرجأنا الرد عليها الى فرصة نقرأها فيها

وقد خص مديقنا المؤلف مسائل ثلاث الرسالة التي رد عليها في عشر (منها) دم الفلسفة
والعلوم المصرية والاسلوب المصري والتعليم والفصاحة والبلاغة ، ومدح الخول
والقل والامتكانة ١١

وقد استورد المصنف في الرد الى مسائل إصلاحية كثيرة تقتضيها حالة العصر
وترجمة بعض علماء الاباضية - وهم منهم - في الشرق والغرب . وقد بلغت صفحات
كتابه هذا ١٧٦ من قطع رسالة التوحيد والاسلام والتعريفية وطبع في المطبعة
السلفية في سنة ١٣٤٢ على ورق جيد ونعم النسخة منه

﴿ أسرار البلاغة ﴾

فيشرط الطلاب علوم البلاغة وآداب اللغة العربية باننا قد اعدنا طبع هذا الكتاب
المنقظم النظير في هذا الباب بالحاج وزارة المعارف بطلبه في كل عام مصححاً
على نسخة الاستاذ الامام التي قرأها لعلها والطلاب في الجامع الاظهر
واودعنا حواشيه جيم تعليقاته عليها وجعلنا ثمن النسخة منه على حسن ورقها
وفائدة مادها ٢٥ قرها بدلا من ٣٥

(يؤتي الحكمة
من يشاء ومن
يؤتي الحكمة
فقد أوتي خيراً
كثيراً ، وما
يذكر إلا أولو
الآل باب)

المعجزة
١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الآل باب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان لاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ رجب سنة ١٣٤٤ ٢٤ برج الدلو سنة ١٣٠٥ هـ ١٣ ش ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

والتنازع بين الشرق والغرب

حدثت في أوائل الصيف من هذا العام الشمسي (١٩٢٥ م) ثورة في سورية لم يسبق لها نظير ، اقتدح زنادها زعماء دروز حوران ، وتولى القيادة العامة لها سلطان باشا الأطرش الشهير ، وقد سبق لهم ثورة أخرى كان هو قائدها أيضاً ، ولكنها كانت ثورة صغيرة موضعية . وأما الثورة الأخيرة فهي ثورة سورية كبيرة ، لا يزال يمتد لمبيها ويتطاير شررها ، ولم تكن قسوة السلطة العسكرية الفرنسية وشدها في مقاومتها إلا كمحاولة إطفاء النار بزيوت البترول والبنزين والبارود أي لم تزدها إلا قوة واشتعالا . وقد أسرفت السلطة في القسوة حتى إنها دمرت المئات من القرى والمزارع على رؤس أهلها ، وأطلقت المدافع وقذائف الطائرات على الأحياء الإسلامية خاصة من دمشق ، قبرت أهم أحياء المدينة عمرانا وثروة وآثارا قديمة ، وقتلت عدداً كثيراً من النساء والرجال والأطفال ، وخرج كثير من المحذرات من بيوتهن مع أطفالهن ما بين حافيات وناعلات هائبات على وجوههن ، وأجهض كثير من الحوامل ، وجن من جن من القتائل . وفعلت السلطة نحواً من ذلك في مدينة حماة التاريخية أيضاً قتلت من قتلت ثم عذبت من عذبت من الأبرياء كما ثبت بمحاكمهم في محكمة عسكرية فرنسية ليس من موضوع المنار استقصاء الحوادث التاريخية ، ولا من دأبه الوصف الشعري ولا المبالغة في تصوير حقوق أمته ومصالح قومه ، أو هضم حقوق خصومهم ، ولا سيما إذا كان بالباطل . وإنما موضوعه الذي يعنى به قبل كل شيء بيان الحقائق وفلسفتها ووجه العبرة فيها ، وبذل النصيح لكل مستعد لقبوله ، وتقرير المعروف لترغيب فيه ، وإنكار المنكر للزجر عنه . وإني أذكر هنا من الحقائق ما يعترف به المنصف وإن كان من خصومنا أنفسهم

جناية رجال فرنسة على سورية وعليها

(١) إن ما عمله رجال فرنسة في سورية في بضع سنين قد حمل حكومتهم ثقلات باهظة تقدر ببضعة ألوف الملايين من الفرنكات، قيل : إنها لو قسمت على هذه السنين لاصاب كل سنة قراب ألف مليون، وخسرت به صيتها الأديبي وسمعتها السياسية والادارية، حتى إن أشد الناس كرهاً للترك وطعنا فيهم صار يرفعهم فوق الفرنسيين درجات كثيرة.

وقد كان ما نشر من أنباء موبقاتهم في هذه المدة من المقالات في الجرائد وما نظم فيها من القصائد، مشوها لسيرة فرنسة في المشرق والمغرب، وهادماً لما شيده لنفسها من حسن الصيت في عدة أجيال، أو من عهد ثورتها الكبرى إلى الآن، تلك الثورة التي ثل شعبها فيه عرش ملوكهم الظالمين، وينكرون مادونها على السوريين، فهم يفخرون بمقاومة الفرنسي للظالم المولود من قومه، ويندسون بمقاومة السوري لظالمه الأجنبي عنه !!

ولو كان ما فعلوه في سورية خيراً لم وموافقاً لمصلحتهم، لما كان لنا ان نتكلم فيه معهم، ولكن ثبت به ان احتلال فرنسة لسورية كان شراً لسورية، وشراً لحكومة فرنسة وشعبها جميعاً. وأن حكومة فرنسا هي الظالمة لشعبها بما تحمله من أعباء هذه النفقات الثقيلة في هذه السنين الجذسات، وهي أحوج إليها في عبرتها الحاضرة. وبما تحمله على سفك دمه فيما ليس له منه فائدة مادية ولا أدبية، بل فيما فيه خياع الفائدتين معاً وأما الظالم للحكومة الفرنسية نفسها في هذا وأمثاله فهم الرجال الذين توليهم أمر البلاد، وتطلق لهم فيها العنان، فيعيشون فيها فساداً، ويسمون إفسادهم إصلاحاً، ويتخذون لهم شهداء من أنفسهم ومن صنائعهم وهما لهم في البلاد، ومن المشاركين لهم في غنائمهم من أرباب رؤوس الأموال وأصحاب الصحف ورجال الأحزاب في فرنسة - يكذبون على الحكومة، ويرزونها الباطل حقاً، والمفسدة مصلحة، ويعطون لها في الأخرار الصادقين، اذا تظلموا أو احتجوا عليهم ويوهونها أن ما يتظلمون منه ما هو بظلم، بل هو عين العدل والفضل.

ولكنهم ينكرون الجليل ويفضون الحق، إنما ليقضهم لفرسة تلخث طباعهم أو تعصبهم، وإما لمطامع لهم باطلة لم يجدوا مع العدل الفرنسي وسيلة إليها، وإما خدمة لدولة أخرى أجنبية يعملون لها.

تفسير الانتداب الفعلي والقولي

(٢) كل هذا التقتيل والتعذيب، والتخريب والتبليغ، والتدمير والتبوير، وما يتبعه من المغارم والمآثم، وموتقات الفضائح والمخارم، كلمة تفسير وتفسير بالفعل لكلمة جديدة وضعت في معاهدة الصلح بعد حرب المدنية في قانوس السياسة وهي كلمة (الانتداب)

وضعت هذه الكلمة دول الحلف البريطاني الفرنسي الذين كانوا يسعون قتالهم للحلف الجرمانى بقتال الحق والعدل والحرية والاضارة للباعل والجور والمهجة واستعباد الأمم، وفسروه بأنه عبارة عن مساعدة الشعوب المحركة من العبودية الجديرة بالاستقلال على النهوض بأعباء استقلالها، إلى أن يزول ما يحول دونها من فقرها وضعفها، وتصبح قادرة على السير وحدها، وزعموا أن الباعث على الرأفة والرحمة، لا مجرد العدل، والمكافأة على مساعدتهم في تلك الحرب. وأن الانتداب لم والداعي إلى هذه المكرمة الانسانية والضامن للدول المنتدبة الرقيب عليها في تنفيذها كما فسرت إنما هو جمعية الأمم المؤلفة من خمسين أمة وثيق قبل يجوز إذا في شرع الرحمة والمحبة أن تترك الدولة المنتدبة هذه الفضائل الانسانية كلها وتخفف عهد هذه الأمم والدول كلها، لأن بعض الشعوب التي تبذل لها هذه المساعدة لتتفع بما نالت من الحرية والاستقلال تثألم منها، وتأتى أن تقوى من ضعف، تغنى من فقر، وتعز بعد ذل، وتحرر بعد رق؟ فإن الفضائل الانسانية؟ وأين العهود الدولية؟

تلك إشارة إلى مسالة الحلف من أقوال منفذي الانتداب وأنعالمهم، ثم إتهم بطلبون منا أن نصدق وعودهم، وثق بعهودهم، وهم يعلنون أن هذا غير استطاع، ولكنهم يريدون إكراهنا بالقوة على أن نمجد مساوئهم أو نسكت عنها

لثلاثي الأحزاب المعارضة في مجاسي نوابهم وشيوخهم حجة يسلبون بها منهم هذا السلطان الاستبدادي المطلق الذي هو أعظم الازدات التي قن بها البشر ، فهم لا يبالون بما نعتقد نحن فيهم ، وإنما يبالون بمن يقول الحق ويطالب بالعدل في بلادهم ، وقليل ما هم

الفرق بين الشرق والغرب في احترام القوة

(٣) إن شعوب أوربة شعوب دموية مازالت تعتمد في جميع شؤونها على القتال وسفك الدماء حتى صار غريزة فيها ، فكل اعتمادهم على القوة المادية الحربية ، بل لما صار ذم القتال وسفك الدماء مما يذم عندهم بالكلام ، ويتبرؤن منه بزيار القول ، ويدعون أن ما ينفقونه في كل عام من قناطير الذهب المنطرة التي تحتاج معظم كسب شعوبهم على الاستعدادات الحربية من برية وبحرية وجوية لا يراد به إلا السلم . على أن هذه الدعوى على ما فيها من كذب ورياء حجة قطعية على أنهم لا يمكن أن يرتدعوا عن ذلك إلا بالخوف من القتال . لأجل هذا يقيسون طباع الشرقيين على طباعهم ، بل قلبوا الحقيقة وعكسوا القضية فصاروا يزعمون أن الشرقيين لا يخضعون إلا للقوة ، ولا يطيعون إلا وأمر إلا بالاذلال والاهانة ، ونتيجة هذا أنهم لا يقبلون ما يسدونه اليهم من نعم الحماية والوصاية والانتداب إلا إذا حمل اليهم وحملوا عليه بقوة الحديد والنار ، وأقنعوا به **بعضه قنات المدافع والعبارات** ، وتدمير السيارات والدبابات ، فهم يكررون هذه الأقوال **كلما صالوا على شعب شرقي فدافع عن نفسه** ولو بالحجج القولية المنطقية ، فكيف إذا حمل السيف مستتبلاً لتخمينه ما لا يطبق يائساً من إنصافه كما يقولون اليوم في قضية **مصر** وفي قضية سورية . والحق الذي يشاهد اليوم ويحفظه التاريخ **من قبل أن يفرق بين** يخضعون للدلائل العقلية ، وللوجدانات القلبية ، وينقادون **بالمسلات الحربية والتجارات** الشعرية ، فتغلب عليهم المعنويات ، كما استحوذت على **الأوربيين اللاديات** ، وان المبالغة في الأمرين ، مما يعد من عيوب الفريقين

وقد كان مما انتهى إليه فساد ضعف الشرقيين الاجتماعي والسياسي واستذلال الاستبداد لهم أن تحول عشقهم للفضائل واليكالات والمجد الصحيح إلى الرضا عنها

بالمجد الكاذب والكمال الصوري أو الوهمي ، وقد نبه بعض عشاق فرنسة من وجهاء الموارنة بعض مندوبيها السامين الى هذا النقص ونصحوا لهم بأن يراعوه في إدارة البلاد لئيم لهم أمر السيادة فيها بسهولة وتكون راضية منهم

حدثني حبيب باشا السعد المشهور عن نفسه أنه قال للجنرال غورو : إننا نحن الشرقيين نحب المجد الكاذب فولونا أعمال البلاد الرسمية واكتفوا بوضع مستشارين ومراقبين منكم معنا، يرشدون رؤساء الموظفين الى ما يريدون منا ونحن ننفذه لكم بأحسن ما ننفذوه لانفسكم . وقد نصح لهم بمثل هذا صديقهم عبدالله باشا صغير وهو مؤسس الحزب السوري الفرنسي بمصر ، وأقام لهم الدليل عليه بسياسة الانكليز بمصر التي نجح فيها لورد كرومر آثم النجاح ، وقد ذهل سعادة الباشا عند إسداء هذه النصيحة قولا وكتابة عما بين الفرنسيين والانكليز من التباين في الاخلاق والفرائض وأساليب الاستعمار ، وهي لا تخفى على مثله وقد بينها الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون في كتبه التي وضعها لمباحث علم الاجتماع ، على أن الانكليز لم يسلموا من شذوذ الغرور بالقوة وقسوة المظنة واحتقار الشرق وأهله كما فعلوا في (حادثة دنشواي) وفي العراق والهند أخيراً ، ولكنهم لم يبلغوا فيه عشر معشار الفظائع الفرنسية في سورية ، وقد أيقنوا أنهم كانوا فيه من الخاطئين المخطئين ، وما رجع بعض كتابهم في هذه الأثناء قول الفرنسيين إن أهل الشرق لا يدينون ولا يخضعون إلا لقوة النار والحديد إلا خداعاً وتغريباً لهم ليتبادوا في بغيتهم

عظمة فرنسة وقوتها الحربية

(٤) مما يعتد به الفرنسيون عن أعمالهم القسوة ، والإمعان في التخریب والتدمير ، والتصميم على حل مشكلة الثورة الثورية بقوة الجند ، واشتراط تسليم الثائرين سلاحهم بلا شرط ولا قيد — أن كل ما عدا هذه الطريقة من إدارة البلاد ومعاملة أهلها يذهب بكرامة فرنسة ، ويزيل مهابتها من القلوب ، ويؤهم أهل البلاد أن الثوار أقوى منها . وهذا الاعتذار خطأ محض مبني على النظرية التي ينادي بها آتفا وهي أن هؤلاء الناس أنفسهم لا يعترفون بفضيلة ولا كرامة للدول

والأجم إلا لقوة والقدرة على التحمل والتخريب ، والحق الواقع يقند رأيهم ويؤيد رأيها ، فأنهم كلما اشتدوا في القوة اشتدت مقاومة الثائرين واستسلموا في القتال ، واستسلموا بالموت . ومن المعلوم بالضرورة أنهم يقاتلون مختارين ، يتناغمون على أخلاقهم وما في أنفسهم من قتال الجند الفرنسي وكل جند نظامي ، فإن الجند النظامي إنما يقاتل مكرهاً ومضطراً ، إذ هو يعلم أن القار من الحرب جزاءه القتل قطعاً ، وأن الذي ثبت يجوز أن يبقى وأن ينال مكافأة على نظره . وقد كان موقندو نار هذه الثورة خاضعين لفرنسة قبل إهانتهم واحترامهم ومضيق حقوقهم ، وهنئين بعود رجالها ، ولم يبق أحد يصدق لهم قولاً ولا يثق منهم بوعده

وأنا لنعلم أنه لا يوجد أحد من قواد الثورة ولا من مساعديهم يعتقد أن الثوار أقوى من فرنسا وأقدر على الحرب ، ولا أن سورية كلها تساوي فرنسا أو تقاربها في القوة الحربية . وإنما يخاربونها لأن رجالها ألجؤهم إلى القتال الجأداً واضطروهم إليه اضطراراً ، إذ أقنعهم فعلاً بأن سلطتها لا تطاق ولا تحتل ، وأن القتل الشريف في سبيل الاستقلال ، أفضل من الحياة في الذل والفقر والنكل ، ولأن في السوريين من لا يزالون يظنون أن في فرنسا فضيلة غير فضيلة القتل والقتال يرجى أن تنتصر جايها — وأعني فضيلة الحق والعدل والعمران — وأن الثورة هي التي يمكن أن توصل إلى محي الحق والعدل والعمران صوت سورية الذي عجز عن إيصاله اليهم أحرار السوريين بالحجج والبراهين التي يدلون بها كل عام ، وعند كل حادثة عظيمة وخطب قاذح بما يخاطبون به جمعية الأمم وكبريات الدول وفي مقدمتهم فرنسا ، وما ينشرونه في جرائد العالم فيتصدى لتكذيبهم والظعن فيهم أنصار الأحزاب المالية والعسكرية والجزويتية الذين يستغلون سورية بما قدمنا أنه ضار بفرنسة حكومتها وأمتها لا بالسوريين وحدهم ، ويظنون أن هؤلاء يمكن أن يؤمنوا مع طلاب الاقتصاد والأحزاب المعارضة قوة في مجلسي النواب تجير الحكومة الفرنسية على إنصاف سورية ، والاعتراف بحقها في الحرية والاستقلال . فإن صدق ظنهم هذا أمكن أن تستفيد

فرنسة بعض ماقدت من حسن صيتها السابق وكان خيراً للشعب الفرنسي والحكومة لجمهورية الفرنسية من اعتقاد سورية أن فرنسة فقدت كل نضية إنسانية ، وصارت كالوحوش المقترسة ، ليس لها صفة تفخر بها الا القتال والتخريب ولو فقدت به ثروتها وشرفها الأدي

حظ الانكليز من ثورة سورية

(٥) قيل : إن الثورة السورية الحاضرة هي من دسائس الانكليز ، وإنهم هم المحركون لها ، والممدون لئارها بالوقود ، ولثوارها بالسلاح والنفود ، وقد خاضت في هذه التهمة بعض الجرائد الفرنسية والمصرية ، وهي تهمة باطلة سببها اعتقاد جميع الشعوب ان الانكليز هم شياطين الانس ، لا تقع فتنة الا بدسائسهم ووساوسهم ، وهم يستفيدون من هذه التهمة لأن فرنسة تضطر بتصديقها لذلك الى استعابهم واسترضائهم بمساعدة تبذلها لهم ، أو مصلحة لها تنزل لهم عنها ، كما نزلت لهم عن الموصل حتى لا يعارضوها في احتلال دمشق . وما يدرينا أنهم يحتاجون الآن الى مساعدتها على البرك في مسألة الموصل أيضاً ، وأنها ستبذل لهم هذه المساعدة كما بذات لهم الموصل نفسها ، وكانت من نصيبها في معاهدة سايكس بيكو

ان الانكليز لا يمكن أن يساعدوا الدروز ولا غيرهم من السوريين على قتال فرنسة ، لأنهم يعلمون أن الذي يتجراً على قتال فرنسة يتجراً على قتال انكلترة ، فانها ليست أعظم من فرانسة قوة عسكرية بل دونها ، وكيف يساعدونهم على ذلك وهم يطعمون في أخذ بلادهم كما قال أحد كبار رجالهم العربي يثق باخلاصه لهم وقد سأل : كيف تكون سورية لفرنسة وهي بين فلسطين والعراق ؟ فقال له : هل رأيت انكليزيا يلبس ثوباً مرقعاً ؟ قال : لا قال فافهم أنا أومن بأن الانكليز يعتقدون أن مال سورية لهم ، كما أومن بأنهم ليسوا هم المحركين للثورة السورية ، وأنهم لم يساعدوها ، وأنهم لا يرون من مصلحتهم غفر الثوار بفرانسة ، ولا أن يتفوتوا معها ، وأنهم يتمنون لو قتل عدد

المسلمين والدروز في سورية ، ولا يكرهون أن تستبدل الارمن بالدروز في حوران ثم لبنان ، كما تفعل هي في تغليب اليهود على العرب في فلسطين . وأومن مع هذا بأن الثورة تمهد لهم السبيل لما يعتقدون من المآل الذي ذكرناه ولما هو أبعد منه لأنه يورث العداوة ويورث الحقد بين فرنسة والسوريين وكذا سائر العرب والمسلمين . فإذا يأس السوريون من الاستقلال الصحيح فانهم لا يرون بداً من توطين أنفسهم على الانضمام الى العراق وفلسطين لما في ذلك من الفوائد الاقتصادية والأدبية والقومية ، فإذا اتحدت سورية الكبرى مع العراق يكون للمجموع دولة عربية غنية . فأني سوري أبلة يفضل على ذلك ما تفعله فرنسة من جعل سورية الصغرى عدة شعوب ، لكل شعب منها حكومة تسمى دولة ، وهي مخزية لا يجمل عوام الحراث والعمال سببها والغرض منها

إن للانكاييز جزبا في سورية يستطيعون دفعه للعمل في كل وقت ، ولا يوجد أقوى منه في البلاد الا حزب الاستقلال المطلق ، وهم لا يدفعونه إلى العمل الا عند ارتفاع المائتم ووقوع المقتضي ، وهم مشهورون بانتظار الفرص والوثوب عليها عند بنوحها ، وفرنسة تقرب لهم الزمن ، وتمهد لهم السبيل ، وما هذه بالاولى لها في ذلك ولا بالثانية ولا بالثالثة ولا بالرابعة

كنت مرة أتكلم مع أحد فضلاء المصريين منذ بضع عشرة سنة في خداع الانكاييز للفرنسيين فقال لي : كان يعلمنا التاريخ في المدرسة الحديوية عالم فرنسي باللغة الفرنسية قبل تحويل التعليم الى الانكاييزية ، فذكر مرة مسألة تاريخية من هذا القبيل ، وقال عقب ذكرها : قد خدعنا الانكاييز في ذلك فأنخدعنا ، ثم ذكر في سبة أخرى مسألة مثلها وقال هذا القول ، فذكرته بالمسئلة الاولى وقلت له : وكيف أنخدعتم لهم ثانية وقد علمتم أولا أنهم يخدعوك ؟ قال : وهل وقف الامر عند هذا الحد ؟ كلا ، إنهم سيخدعوننا أيضاً فتخدع

لا يحسن أحد أتني أقول هذا للايقاع بين اللوثسين كما هو دأب كتاب السياسة ، إني لست مغروراً بنفسي الى هذا الحد ، انما أنا أكتب ما أعتقد ، ولست أستنبط اعتقادي هذا من الثورة السورية الحاضرة ، بل أنا أعتقد منذ

علت نبأ معاهدة (سايكس بيكو) في اقتسام الدولتين لبلادنا ، وقد قلته لكثيرين أذكر منهم شاهدين سوريين وشاهداً فرنسياً :

إتني عقب هدنة الحرب الكبرى وبعد احتلال فرنسة لسواحل سورية ابتعت طائفة من الأقمشة لأرسلها الى أهل بلدنا (القلمون) بجوار طرابلس الشام لكسوة من تركتهم الحرب فيها عراة لا يجدون ما يكتسبون به ، فقبل لي : ان فرنسة تمنع ذلك ، ولا بد من ادتها ، فذهبت الى دار معتمدها السياسي لطلب الاذن ، فلقيت عند السكرتير الشرقي للمعتمد (وهو فرنسي يعرف العربية) حتي بك العظيم و خليل افندي زينية المشهورين ، فجرى بيننا حديث في موضوع سورية أفضى الى أن قلت للثلاثة : انكم تعلمون اتني داعية استقلال لوطني ، لا أرضى بحماية ولا وصاية من فرنسة ولا انكلترة . وأقول لكم الآن اتني أعتقد اعتقاداً مبنياً على طول التفكير والتروي أرجو أن تسمعه وتكتبوه في مذكراتكم ، وتدعوه للزمان يصدقه أو يكذبه ، وهو أن سورية لن تكون في المستقبل لفرنسة ، بل هي ستكون مستقلة خالصة لأهلها ان شاء الله ، أو لانكلترة لا سمح الله

ولا يستطيع أحد من الفرنسيين ولا من أشياعهم أن يتهمني بأتي من حزب الانكليز أو أثبت الدعوة لهم ، فانهم جميعاً يعلمون أتي خلفت أستاذنا الا كبر السيد جمال الدين في الجهر بمعارضة السياسة البريطانية في المسألة العربية والمسألة الاسلامية بما يعلمون من الشدة . واتي ما اشتدت في معارضة سياسة الشريف حسين وأولاده لجهلهم وظلمهم وسوء تصرفهم فقط ، بل ذنبهم الا كبرأتهم صنعة الانكليز ويعلمون لهم — وقد صرحت لكل من كلمته في هذه المسألة من كبار رجال فرنسة كغيرهم بأننا نعلم كغيرنا من الواقفين على أحوال الدول والأثم أن انكلترة ألين ملسا وأحسن سيرة في الاستعمار من فرنسة كما يشهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون أكبر فلاسفة الاجتماع والتاريخ في فرنسة نفسها ، وكنا نعلم هذا قبل أن نقرأ كتب هذا العالم الكبير ، وقبل أن نرى في بلادنا شراً مما كنا نسمع ونقرأ من اخبار مستعمراتها الافريقية ، فماذا تقول اليوم ؟ وقد عملوا في

الشام ما لم يسمع بشر منه في تاريخ الشعوب الممجبة كلها الا ان تكون فظائع التتار ؟ ولقد ثار أهل العراق وأهل مصر في وجوه الانكليز، وقتل العراقيون في ثورتهم من الجنود البريطانية أكثر مما قتل السوريون من الجنود الفرنسية اضعافاً ، ولم تفعل جنود انكلترة في القاهرة ولا في بغداد مثل ما فعلت جنود فرنسة في دمشق وحماه ، دع تدميرها لقرى الفلاحين المستجبن على رؤوس أطفالهم . نعم إن الانكليز فعلوا نحرأ من هذا في الهند ، ولكنهم لم يبلغوا شأو الفرنسيين ولا قاربوا وجهلة القول في هذه المسألة ان فرنسة تمهد لانكلترة في سورية اليوم كما مهدت لها في مصر من قبل بطبعها لا بطوعها ، وانها لن تستطيع أن تبقى في سورية الا تحت رحمة الانكليز ولهذا الرحمة اجل وغاية ، وانها لا بد أن تؤدي لهم على سكوتهم عنها الى متهى ذلك الاجل أجراً أو جعلاً أو مكافأة كلما أرادوا ذلك منها (أو كلما دق الكوز بالجرة) وان ما اشير عليها به من الاقتداء بعمل الانكليز في العراق لن يجعلها إن فعلته مساوية للانكليز في نظر السوريين بحيث يفضلون بقضاءها في سورية على اتحاد سورية الكبرى بالعراق ، ولو تحت وصاية الانكليز أو رعايتهم ، وانما الذي يمكن أن يفضلها به السوريون ويتبعهم فيه جميع العرب وكذا جميع المسلمين هو شيء آخر معقول عندنا ويمكن أن يعقله الفرنسي في فرنسة لا في سورية ، فان الفرنسي اذا جاء سورية تبدل عقله وشعوره لانه يصير ملكاً مطلقاً يتمتع بجميع ما يشتهي في هذه الارض فينسى مصلحة فرنسة لا مصلحة سورية فقط ، وقد ذكرته لأحد كبار رجالهم في مصر فوافقني عليه ، ولكن أمر تنفيذه ليس اليه ، الذي يرضون به هو الاستقلال الحق المطلق مع مساعدة كالمساعدة التي بذلوها لمحمد علي باشا وهم يبدلون لفرنسة من الجزاء المادي والأدبي عليه ما هو خير لها من هذا التحكم الجائر بسلطانهم القومي والتصرف القاسي الذي يتلذذ به موظفوها المعدادون وتخسر هي من أموالها ورجالها وصيتها الادبي ما ذكرناه في أوائل هذا المقال (للمقال بقية)

انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك (٥)

(واعتمدوا بنجل الله جميعاً ولا تفرقوا)

إن للمسلمين شدة في دينهم ، وقوة في إيمانهم ، وثباتاً على يقينهم ، يباهون بها من عدام من الملل ، وإن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ، ومما رسخ في نفوسهم أن في الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفاية لسعادة الدارين . ومن حرم الإيمان فقد حرم السعادتين ، ويشفقون على أحدهم أن يبرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء ، وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم ، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الأرض عالماً كان أو جاهلاً أن واحداً ممن وسم بسملة الإسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل إليه هذا الخبر في تحرق وتأسف ، يلهج بالحوقة والاسترجاع ، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به ، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئتين من السنين لا يتألك قلبه من الاضطراب ، ودمه من الغليان ، ويستفزه الغضب ، ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب ، أو يحكي عن عجيب .

المسلمون يحكم شريعتهم ونصوصها البصرية مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان ، وكأهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه ، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كانت على الجميع أعظم الآثام . ومن

• نشرت في العدد الخامس من جريدة العروة الوثقى الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٠٣١ و ١٠ أبريل ١٨٨٤ وأشرناه الآن ليعجدا الحاجة إليه كيوم نشر ومنه بيان رأي حكيمي الأمة السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده في مقام الخلافة الإسلامية الناقض لرأي الشيخ علي الرازي السخيف ، وإنما خدم الحكيمان برأيهما الإسلام والمسلمين ، وخدم الشيخ علي عبد الرازي أعداء الإسلام المستعمرين

فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح، وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطر، ولا يباح لهم المسئلة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم، وبالفيت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التماس من سلطة غيره، لوجب عليه الهجرة من دار حرب — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق، ولا يغير منها تأويلات أهل الأهواء وأعوان الشهوات في كل زمان.

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة، وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه، ومع كل هذا ترى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكاز في أفغانستان على مواقع أنظارهم، ولا يجيش لهم جاش ولا تكون لهم نعة على اخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكاز في بلاد فارس، ولا يضجرون ولا يتسلمون، وإن جنود الانكاز تضرب في الاراضي المصرية ذهاباً وإياباً تقتل وتفتك، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دماهم، بل السامعين لخبرها من حلاقيمهم، الذين احرب أحداقهم من مشاهدتها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن أيماهم وعن شائهم تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو إلى الحيرة، ويسبق إلى بيان السبب فخذ مجلأ منه: إن الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدرجات والوجدانيات النفسية وإن كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم، لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها، حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق، وتترتب عليه الآثار التي تلائمها.

نعم إن الانسان انسان بفكره وعقائده إلا أن ما ينعكس الى مرآة عقله من

مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير ، فكل شهود يحدث فكراً ، وكل فكر يكون له أثر في داعية ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل إلى الفكر ، ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الأعمال والافكار ، مادامت الارواح في الاجساد ، وكل قبيل هو للآخر عماد .

إن للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات ، وتلجى اليه الحاجات ، عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع ، وتضافرهم على دفع المضار ، وبعد كرور الايام على المضافة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب ، أخذاً يضرفه في آثارها بقية الاجل ، ويكون انبساط النفس لعون القريب ، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة ، جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية ، كالحساس بالجوع والعطش والري والشبع ، بل اشبه أمره على بعض الناظرين بقده طبعياً . فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات إلى ما يمكن تلك الصلة ويؤكددها ، أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألجأته ضرورة الى ذلك ، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ، ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثل ما ذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض : اذا لم يصحب العقد الفكري ملجى ، الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتغمر عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلاً من أشكالها ، فلن يكون منشأ لآثاره ، وإنما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول الينة ، والنظر فيها بعين الحكمة ، يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم ، والعلة في تباطؤهم عن نصره اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم ، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ، وانه قطع التعارف بينهم

وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس إليها لا تواصل بينهم ولا ترامل ، فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلاً عن يبعد عنهم ، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الأفغاني وهكذا ، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولا صلة تجمعهم ، إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر . أما في هيتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لأنساب بينهم ، وكل ينظر إلى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذلك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا لمرا كش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات مهيحة مع الأفغانين وغيرهم من طوائف المسلمين في الشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صبح أن يقال لأعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم ، وربما يعرفون مواقع أقطارهم بالصدقة إذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحج العام ، وهذا النوع من الاحساس هو الداعي إلى الأسف واقباض الصلح إذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته ، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته . كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية مهيح المزاج ، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال ، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة إلى حطلم يسبق له مثل في دين من الأديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانتسملت إلى أقسام خلافة عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف

الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس ، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيز خان وأولاده ، وتيمورلنك وأحفاده ، وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلوهم عن أنفسهم ففرق الشمل بالسكينة وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً ، وانفرد كل بشأنه وانصرف الى ما يليه ، فتبدد الجمع الى آحاد ، واقترب الناس فرقا كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب ، فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ، وتبعث على اشتباك الوشيجة ، وصار ما في العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلاحظها انذا كرة عند عرض ما في جزائن النفس من المعلومات ، ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان ، وما هو الا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الاموات من الأقارب ، لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوزائفة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لآخياء الزابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتعكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ، ويجعلوا معاهد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبط الروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ في جميع أنحاء الارض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وخدمتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدون التنزيل وصحيح الأثر ، ويجمعون أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك شد أزر الدين وحفظه من قوارع البدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل وخطرق الاجانب للتداخل فيها

بما يحيط من شأنها، ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع، فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة، وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كرامتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل

الا إنا نأسف غاية الأسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وان التفت اليها في هذه الالام طائفة من أرباب الغيرة، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحية والحق أن يؤيدوا هذا الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم، فقد دارسهم التجارب ببيان لا مزيد عليه، وما هو بالعسير عليهم أن يثبوا الدعوة الى من يعد عنهم، ويصالحوا بالأكف من هو على مقربة منهم، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يسبب ضرر، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة، والرمق باق والآمال مقبلة، والى الله المصير

أنموذج التربية

تربية أمراء العرب قبل الاسلام

وكيف نستفيد منها في هذه الايام ؟

(وجدت هذه الرسالة فيما لدي من أوراق شيخنا الأستاذ الامام، فرجوت أن يكون الانتفاع بنشرها الآن أعظم مما كان في عهد من كتبها، وهو كما أظن أستاذ التربية والتعليم البصير حسن افندي توفيق المصري رحمه الله وهذا نصها):

السؤال

ما الذي كانت عليه أمراء العرب قبيل الاسلام ، حسبما تفيد أوصافهم المشروحة في قول الخطيئة ؟ :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدّ والبكان الذي سدّوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا أو فوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
مطاعين للبيجا مكاشيف للدجى	بشي لهم آباؤهم وبني الجد
ويعذلني أبناء سعد عليهم	وما قلت إلا بالذي علمت سعد

وكيف يستفاد من هذه الآيات أنواع التربية ؟ وما هي الطرق العمومية لأجل الوصول الى مثل هذه التربية وتكليفها في أمتنا بواسطة المدارس خصوصاً

الجواب

كانت تربية أمراء العرب قبل الاسلام كما ترشد اليه آيات الخطيئة على أن يتخرج أولئك الامراء متوفرة فيهم الشروط التي تؤهلهم الى سدّ الأمكنة التي يشغلونها من المجتمع الانساني في عصرهم وتلك الشروط أوجبتها حالة اجتماع القبائل الذي كان قد أخذ يتقدم تقدماً عظيماً في ذلك الوقت . وذلك لأن من شأن المجتمعات لما تكبر أنها تكون موجهة لجملة أمور :

(الأول) كما تكون ذريعة لاتساع الحضارة والعمران ، تكون سبباً لازدياد العلوم وانتشار المعارف ، ضرورة تبادل الافكار بين أفراد الجمعية ، وتجدد الأمور التي يقتضيها الترقى في المدنية . ومن المعلوم أنه لا يتم نظام جمعية قلت أو كثرت ، إلا إذا كان على رأسها سادة يرجع اليهم الأمر في الحبل والعقد، والنقض والابرام، وأنه لا يتبها لها نجاح في أمورها إذا تولى رئاستها من لا علم لديه

« المنار : ج ٨ » « ٧٦ » « المجلد السادس والعشرون »

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا
 فاقضت حالة الاجتماع التي كانت عليها العرب قرب الاسلام أن يكون
 لجماعاتها المتنوعة رؤساء يقومون بالمصالح العامة ، وأن يكون أولئك الرؤساء
 لديهم كفاية من المعلومات يتنورون بها في تصرفاتهم ، ويهتدون بها في سائر أحوالهم
 ومن أجل ذلك لزمّت تربيتهم تربية فكرية ، لا ثقة بمنزلتهم بين أبناء
 جنسهم ، ومناسبة للمعروف الجليل في عصرهم

(الثاني) لما كانت الكبيرة مسببة لعظم الاختلاط بين الناس، وداعية الى
 كثرة العلاقات بينهم، وتولد عنها الفرص العديدة التي يتمكن فيها الانسان —
 اذا أهل وطبيعته — من الاسترسال في الأهواء المستبدة ، والشهوات المهلكة،
 ومن التستر على أحواله الخارجة عن حدود الاعتدال ، وكان ذلك من دواعي
 الاختلال في نظام الاجتماعات ، وجب اتباعاً للحكمة، ورقاً للمصلحة، أن يعود
 أفراد الجمعيات على محاسن الأعمال ، وخصائص الأخلاق

ولما كانت الخاصة أسوء العامة في السلوك الانساني ، وكان رؤساء كل
 جماعة أول مطالب باستئصال عروق الشر والفساد ، وتمكين أسباب الخير
 والصالح ، اقتضت حالة الاجتماع العربي قبيل الاسلام أن يتصف أمراء القبائل
 بأكل ما يرام من الآداب التي يستحقون بها أن يكونوا قدوة لمرءوسيههم ، وأن
 يكون لديهم ما يتمكنون به من حمل أقوامهم على الانتظام في الأمور ، وحسن
 السير في المعاملة . ومن ثم كانوا يرون من المتحتم عليهم أن يكونوا مترين
 (تربية أدبية) لا ثقة بمقامهم ، وموافقة لمألوفات قومهم

(الثالث) عظم المجتمعات ينشأ عنه زيادة حاجات المعيشة، وبسبب تعاون
 الأيدي ، واشتراكها في تحصيل النافع ، تكثر الخيرات ، وتتوفر أمتعة الحياة ،
ويضع من ذلك أن أهل الدعة ، والمحين لأنفسهم ، الساعين في منافعهم الشخصية،
 يأخذون في تسخير الناس لقضاء حوائجهم من غير أن ينفعوهم بشيء ، وأن
 الأقوياء والمساكرين يطمحون بأطماعهم الى ما في أيدي الناس واغتصابه منهم
 بالقوة إذا أمكن ، أو انتزاعه منهم بالحيلة ، وممانعتهم عنه بكل ما يمكنهم من

الطرق . ولهذا كان من الضروري للعائش بين قوم أن يكون صحيح الجسم ، قوي البدن ، ذا بأس شديد ، حتى يتأتى له أن يعمل ما ينفع وينتفع به ، ولكي إذا اضطرته الحالة يمكنه المدافعة عن نفسه ونفيسه ممن يتعدى عليه ، وكان من أقصى الواجبات على من يرضدون أنفسهم لتولي أمور الجمهور أن يتخذوا الوسائل التي يكونون بها من الأصحاء الأقوياء الأشداء ، ليقوموا بواجب حماية الضعفاء ونصر المظلومين ، وحفظ حقوق الناس ، ومنع أسباب التعدي من بينهم — وقد علم أمراء العرب بالتجارب هذه الغاية ، فأوجبوا على أنفسهم (تربية جسمية) لعدم حماية أقوامهم ، وتمكين الأمن بينهم

فذلك ما كانت عليه تربية أمراء العرب قبيل الاسلام حسبا ترشد اليه

آيات الخطيئة

فكانت إذن على أنواع ثلاثة :

(١) تربية فكرية

(٢) تربية أدبية

(٣) تربية جسمية

فأما التربية الفكرية

فقد جلى نورها في قوله :

(مكشيف للدجى)

إذ هو عبارة عن أنهم عارفون بالأمور معرفة تامة ، مبينون لها تبينا كاملا ، فالواحد منهم فضلا^(١) عن أنه نير في نفسه منور لغيره

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدا ولا هزلا

(١) : فضلا عن كذا : يستعمل في سياق كقولك لا يملك الدرهم فضلا عن

الدينار . النفي ويستغنى عنه هنا بمثل : نير في نفسه وهو على ذلك منور لغيره

لأن العلم المتمكن أشبه بالضوء الساطع الذي يشرق على الأشياء فيجعلها في غاية الظهور حتى للضير ، والجهل المطبق أشبه بالظلام الذي يتراكم عليها فيصيرها في نهاية الخفاء حتى على البصير. كما قيل :

* العلم نور ، والجهل عمى *

وقد لخص خلاصتها في قوله :

* أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا *

حيث هو عبارة عن أنهم لا يشرعون في أمر من الأمور إلا أحكموه تمام الأحكام ، فإن الأمر المحكم الذي لا يقبل النقض مدى الأزمان ، كالبناء المتقن الذي لا يتهدم على توالي الأيام ، ولا شك أن إبرام الأمور على أحكم نظام ، يحتاج إلى علم راسخ وتبصر تام

وأما التربية الاديية

فقد أودع ثمرتها في قوله :

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد وفي قوله

وان كانت النعماء فيهم جروا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
حيث أفاد أنهم يسلكون مع الناس على مقتضى العقل ، ويعاملونهم بالحلم ، ولا يفضبون عليهم إلا في الجدة ، ويشرف فيهم المعروف ، ويحلون منهم الجليل
تخالهم للحلم صما عن الخنا وخرمسا عن الفحشاء عند التهاثر
ومرضى اذا لا قوا حياء ومبة وعند الحروب كالليوث الكواسر^(١)
لهم عز انصاف وذل تواضع بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كانت بهم وصما يخافون ناره وليس بهم الا اقاء المعار^(٢)
أليست هذه مكارم الأخلاق وخصائص الآداب؟

(١) وفي نسخة ويوم النوى مثل الليوث الكواسر

(٢) المعار أنواع العثار أو مواضعه ويجوز أن تكون محرفة عن المعابر من الدار

وأما التربية الجسدية

فقد أجمال أثرها في قوله : ﴿ مطاعين للهبجاء ﴾ لأنه لا يجيد الطعان عند احتدام القتال الا من كان له جسم شديد ، وقلب من حديد .
وترى الفوارس من مهابة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجل

الطريقة

التي كانت متخذة في التربية العربية

كانت طريقة تربية العربي طبيعية عملية، بمعنى أن العرب بنوها على مقتضى طبيعة الانسان ، وطبيعة الأشياء التي يمكنه أن يعلمها . وسنأتي على تفصيل هذا المعنى بعد إن شاء الله تعالى

وكانت تلك الطريقة متبعة في جميع أنواع التربية
﴿ أما في التربية الفكرية ﴾

فكان العربي يدرس الأشياء على نفس الأشياء، تتمثل له بذاتها، ويتصورها بنفسه ، ويحكم فيها بعقله ، ويجربها بشخصه ، فيصفها عن مشاهدة ، ويقضي فيها على بصيرة ، ويستعملها عن تجربة

وكان يمشي في طول الأرض وعرضها ، فيصعد الجبال والآنكام ، ويجوب البراري والقفار ، يعبر الأنهار ، ويشرف على البحار ، وينزل في القرى والأمصار ، فكان يعرف البلاد في مواضعها ، ويطلع على الأواضي في مواقعها . وكان يحضر النوادي ، ويسمع فيها أخبار الأولين ، ويسير الماضين ، من أفواه المعمرين والعالمين بأيام الناس ، ويشاركهم برأيه في استحسانها أو استقباحها وكان يحصي عدّة الأشياء بعقله ، ويحسبها جمعاً وتفریقاً في نفسه ، وكان يرسم أشكال الأشياء في ذهنه ، ويقدر الأبعاد والمسافات بنظره

وكان يتلقى اللغة حية صحيحة عن أهلها ، فكان يسمع الكلمات بأذنه ، ومعانيها حاضرة لحواسه ، أو متمثلة لعقله . وكانت تصوره له الأشياء البعيدة

عن حسه ، أو الفريية عن عقله ، بمشابهاتها المحسوسة له ، أو المعروفة لديه ، وتطرق مسامحه الأساليب الكلامية البديعة ، التي يرى تأثيرها في الناس ولطف مأخذها بقلوبهم ، وحسن مدخلها على أفهامهم ، فكان يتلقن اللسان العربي الممين عن أرباب البلاغة العظيمة ، فيحاكيهم في البيان ، ويجادلهم في القول ، ويسابقهم الى الإبداع والاختراع
 ﴿ وأما في التربية الأدبية ﴾

فكان يتأدب بأدب القوم الذين يعيش بين ظهرانيهم على وجه التآسي بهم ، فكان يرى القناعة غالبه عليهم فيتخلق بها ، ويمجد العفة سائدة فيهم فيتحلى بها ، وينظر الى الكرم وهو منتشر فيهم فيتخذ شيمه له ، وهكذا في سائر الأخلاق والشيم ، كان يوجبها على نفسه اقتداء بأفعالهم وأحوالهم ، واتباعاً لما يصدر عنهم من الحكم الساطعة ، وعملاً بما يضربونه من الأمثال السائرة
 ﴿ وأما في التربية الجسمية ﴾

فكان نفس أقليم العرب وأحوال معاشهم حاملة للنشئ بينهم على مباشرة الأعمال التي تكسبه قوة الجسم ، وصلابة الأعضاء ، وخفة الحركات ، ما بين انتجاع المرعى ، وارتياح الماء ، وسفر لمبادلة المنافع ، وما يقتضيه الحل والترحال ، من تحميل الأثقال وتنزيلها ، ونصب البيوت وتقويضها ، وسلوك السهول والأوعار ، في برد الليل وحر النهار ، ولا يخفك ما يلزم من البأس الشديد لمن يعيش بين الحيوانات الضارية ، والسباع الكاسرة ، ومن يكون عرضة في كل وقت للاغارات التي تسوقها الأطماع . ولذلك كان العربي دائماً في التمرن على المجالدة أو المصارعة ، أو المجازاة أو المطاردة ، أو الفروسية وركوب الخيل ، أو غير ذلك من الأعمال التي تجعل الجسم كالحديد ، والأعضاء في حركاتها أسرع من الريح الشديد ، ثم إنه كانت تربي له من كثرة مشاهدة الحروب ، وطول مجاورة الليوث ، جراءة وبسالة وقوة نفس ، لا يخاف معها لامن مخالب الأسود ، ولا من أسلحة الصناديد

﴿ الطريقة التي كانت متبعة في التربية العربية ﴾

﴿ وبيان أنها طبيعية عملية ﴾

من نظر في طبيعة الانسان ومعلوماته ، وكان له معرفة بالتجارب الانسانية يجد بين ذلك وبين الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية تمام الموافقة ﴿ أما في تربية العتول ﴾

فلأن الانسان بالطبع إنما يحصل على المعارف الأولية من طريق الحواس وعقله دائماً في احتياج الى التغذية بالمعلومات التي تصل اليه بواسطتها فكلما كانت حواس المرء أكثر تناولا للأشياء ، وأعظم تمييزاً لأوصافها وأسرع وصولاً الى دقائقها ، كأن المرء أوسع علماً ، وأحد ذهنًا ، وأكمل نباهة — ومن أجل ذلك كان العربي يطلع بقدر استطاعته على الأشياء بذاتها ، ويتمرن على اكتشاف أسرارها بنفسه ، فكان ينشأ غزير المعرفة ، قوي التصور ، شديد الفطنة ومن (القواعد المقررة) أنه كلما كان العقل أكثر عملاً بنفسه في تصور الأمور والحكم عليها ، كان أقوى حصولاً على المعارف ، وأمضى نظراً في المعلومات ، وأقرب إصابة للحقائق ، وهذه هي الحكمة في اتخاذ العرب طريقة الارشاد في تربية أبنائهم ، فكان العربي يقدر على استعمال عقله دائماً في كل ما يريد معرفته ، وبسبب هذه العادة كان ينفر عن تلقي المسائل تلقيناً صرفاً وقضايا مسئلة . وإذا مشى مع آراء الناس فلحد ما يعرف سيرها وغايتها ، فان وجدها مصيبة ، وإلا اتبع الصواب . ولذلك كان ينشأ متوقفاً القريحة ، ثاقب الفكر ، صائب الرأي . وزيادة على ذلك أنه لما كان يشغل عقله كان يجد سروراً من وقوفه بنفسه على الحقائق ، ولذا كان عظيم الشوق الى المعارف

﴿ وخلاصة الكلام ﴾ أنه لما كان من طبيعة العقل الانساني العمل بنفسه ، واكتساب المعلومات ، إما بواسطة الحواس ، وإما بشغله الذاتي . وقد علم بالتجربة أنه يقوى بالتمرّن والتدرب رأى العرب من الواجب أن نكون الطريقة في تربية عقولهم اطلاعها على الأشياء ، وإرشادها الى كيفية العمل في الحصول على

المعارف ، وتمارينها ما أمكن على الشغل بنفسها . وبما أن اللغة بطبيعتها عبارة عن ألفاظ موضوعة بالاصطلاح للدلالة على المعاني التي يمكن أن تتناولها الأفكار — فمن الضروري لمن يريد التكلم بأحدى اللغات أن يقف على أنواع ألفاظها المفردة والمركبة ، وما تدل عليه من المعاني المتنوعة ، وبالطبع لا يحصل المرء على النجاح في اللغة إلا بثلاثة شروط

(الأول) أن يلقن مبانيها على وجه الصحة والصواب ليجنب الأغلط اللسانية (الثاني) أن يلقن ألفاظها عند قيام معانيها بذهنه ، حتى يكون عنده الارتباط محكمًا بين الدوال والمدلولات ، فيأمن اللبس الناشئ عن استعمال المفردات أو التركيب في غير ما تستعمل فيه

(الثالث) أن يتمرّن كثيرًا على محاكاة ما تلقاه لتتربى له ملكة النطق على الهيئة المعروفة فيها ، وأن يتعود اختراع الأساليب الكلامية ، ليكون محاكيًا للغة بعقل ، متصرفًا فيها بفهم ، غير محتاج إلى تلقين مستمر ﴿ فالطريقة ﴾ إذن في تعليم اللغة هي التلقين الصحيح ، والتعويد على المحاكاة العقلية ، وعليها جرى العرب

﴿ وأما في تربية الآداب ﴾

فقد دلّ النظر في طبيعة الانسان على أنه — خصوصًا في ابتداء نشأته — يتبع أكثر مما يتتبع . وتقليداته أكثر من عندياته ، وذلك أقلّة معرفته بالأمور ، وقصور عقله عن التمييز بين محاسن الأشياء ومساوئها . وأفادت التجارب أن طول التعود على الشيء ملحقه بالطباع — فرأى العرب من الحكمة في تربية الأدب أن يكون للناسئ بينهم أسوة حسنة فيهم ، حتى يتعود من صغره على مكارم الأخلاق ، فإذا شبّ وكبر عقله وجد فيما تعوّد عليه مثالًا واضحًا للنصائح الأدبية التي تتناثر عليه حينئذ من أفوه قومه

﴿ وأما في تربية الأجسام ﴾

فقد رأوا أنه لا طريق لنماء الأبدان وصحتها غير سياسة البطون ، ولا سبيل إلى القوة وشدة البأس غير رياضة الأجسام ، ولا وسيلة إلى اشباع القلوب

بالجراءة الا اقتحام الأخطار ، فعملوا على مقتضى ما علموا .

فقد تبين أن الطريقة التي كانت تستعملها العرب في التربية طبيعية عملية وهذه الطريقة هي التي يؤيدها العقل ، وتشهد بصحتها التجارب ، وقد تكفلت بالنجاح لكل من يستعملها . ومن يفي الوقوف على نتيجة اتباعها في تربية الأخلاق والأجسام ، فليطلع على حال العرب وسيرهم ، ومن يحب أن يعرف نتيجة اتباعها في تربية العقول ، فليطالع المنشآت العربية شعراً ونثراً ، ويتفهمها جيداً ، فانه يجد فيها كثيراً من العلوم العالية ، التي لا يصل اليها إلا فحول أهل المعرفة والدراية ، ولنسق مثالا لهذا الأمر الأخير بعض آيات الشعر الذي هو موضوع كلامنا ، وننظر الى الأفكار التي يتضمنها ، والأساليب التي صيغت عليها معانيها .
قاليك أول بيت منه وهو :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
عبر فيه عن ثلاث صفات للقوم وهي : الحلم المصلح ، والغضب الجدد ،
والعقاب المؤلم . فالصنفان الأوليان من المعاني التصورية التي يعرفها الانسان
(في نفسه) بالوجدان ، ويفهمها (من غيره) بالعلامات التي تدل عليها . فعلاقة
الحلم السكينة والرزانة مع قيام أسباب الاستفزاز ، ومع القدرة على تعجيل
الايقاع والانتقام ، ولا بد من تكرار الأحوال التي تظهر فيها هذه العلامة حتى
يصل العقل بنظره الاستقرائي الى أن ماوراءها هو الحلم لا العجز ، وعلامة
الغضب تبين في الحركات ، وتظهر على الوجه ، وبالأخص في العينين ، ويفهمها
الانسان من أول وهلة . من غير نظر ولا ترو ، غير أنه لا بد من التأمل في
أسباب الغضب في كل مرة يحدث فيه ، حتى يستنتج أنه إنما يحصل للجد والحق
لا للأهواء والشهوات

وأما العقاب المؤلم ، فهو من المعاني العقلية الصرفة باعتبار أنه من قيسل
الفعل الغامز المقابل لبقية الأغراض ، فاذا اعتبر فعلاً خاصاً فتارة يكون معقولا
كحرمان المعاقب من الرضا مثلاً ، وتارة يكون محسوساً كضربه بالسوط مثلاً .

فلنخص أن المعاني الأصلية التي أودعها الحفيظة في ذلك البيت ثلاثة ،

وأن طرق إدراكها مختلفة بين الوجدان ، وبين الفهم مع العقل ، وبين الحس أو العقل الصرف ، غير أن المعنى الأول وهو حلم القوم صاغه الشاعر في قالب تخيلي اختراعي ، حيث صور بهيئة الحكم المحلي الإيجابي ، وحالة القوم المالكين لنفوسهم ، الوطنيين لها على تحمل آلام التعدي أو المخالفات والصبر عليها أزماناً طويلاً^(١) رغبة في السرور الذي تناله بارجاع المخالفين إلى الحسنى بحالة الرائضين للخيل ، الصابرين على حرانها ، طلباً للذة تذليلها والانتفاع بها ، أو بحالة السائسين للرعايا ، المتحملين لتعللاتها ، انتظاراً للفرح بسلوكها الجادة القويمة ، ولا يخفى ما دخل في تركيب ذلك التخييل الاختراعي من المعاني وهي (السياسة) و (الأشخاص) التي نسبت إليهم و (العقول) المسوسة و (طول الثاني) الموصوفة به العقول ، فالأشخاص إدراكها حسي ، وما عداها فعقلي

ثم إن المعنى الثالث^(٢) وهو عقاب القوم المؤلم أفاده ضمناً في قوله (جاء الحفيظة والجد) حيث جعل غضبهم هو الغضب الحقيقي ، والجد الذي لا هزل معه . وهذا يستلزم استتباع حفيظتهم للنكال ، وتلك هي الحكمة في صوغ المعنى الثاني في صيغة الحكم الشرطي الإيجابي — والبيت الثاني وهو :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
وضح فيه مطلوبه من اللاتمين وما يتمناه فيهم ، فتمنى فيهم — ونعوذ بالله —

الخذلان وعدم الناصر ، وهو معنى متصور له عقلاً ، وتمنيه معروف له بالوجدان ، وطلب منهم أحد أمرين : إما ترك لوم المدوحين ، وإما القيام مقامهم ، وكل منهما معنى متصور عقلاً ، وكل من رغبة الأول وكراهة الثاني — لو أمكن حصوله وجدانية — وطلب حصول المعنى الثاني ميين بصورة اختراعية يتناولها الحس

في البناء — والبيت الثالث وهو :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البناء وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

(١) في الأصل طويلاً أزماناً وإعله من سهو النسخ (٢) قوله المعنى الثالث يريد به الثالث من الصفات المودعة في البيت التي ذكرها عقب ذكره وهي الحلم والغضب والعقاب — لا للمعاني التخيلية التي للأول منها

أسفر فيه عن ثلاث صفات : إحكام الأعمال ، والوفاء بالمعاهدات ، والدوام على صفاء المحالقات ، أما الصفة الأولى فهي معنى عقلي قامت لدى الشاعر الدلائل الحسية والمعنوية على اتصاف القوم به ، فصوره بصورة تخيلية اختراعية ضمنها الحكم الشرطي الإيجابي المحتوي على معنى البناء الحسي ومعنى الاحسان المعنوي المنسوب الى الأشخاص المدركة بالحس ، وكل من الصنفين الآخرين معنى وجداني معبر عنه بصيغة الحكم الشرطي السبوتي ، وكلتاها تحتاج الى نظر ودليل في ثبوتها للقوم ، والصفة الأخيرة ويثها الشاعر على أسلوب تخيلي لا يخفى المعاني التي تكون منها الخ

ومن يفهم باقي هذا الشعر كغيره من كلام العرب نظماً ونثراً على الكيفية التي شرحنا بها معاني الآيات السابقة يتضح له أن عقول العرب كانت فيرة ، مدربة على ملاحظة الأمور ، متفطنة لدقائقها ، ماضية في استحضار المعاني ومقارنتها ، مصيبة في النظر بين أطرافها ، وتقرير النسب بينها ، قادرة على كشف خفاياها وإبراز المعقول منها في صورة المحسوس . ولا يخفى أن ذلك نتيجة تربيته الفكرية على الطريقة الطبيعية العملية

بيان الطرق العمومية

﴿ لأجل الوصول الى مثل التربية العربية وتكليفها في أمتنا بواسطة المدارس من خصوصاً ﴾ لا شك أن الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية جذيرة بأن نعمل بها ، غير أن مقتضيات الأحوال في زماننا الحاضر ومكاننا الخاص توجب علينا اتباع تلك الطريقة بعد أن ندخل فيها من التكييفات ما تكون به موافقة لحالاتنا الحالية . وهذه التكييفات تنتظم في سلك جملة أنواع

﴿ الأول ﴾ لما كان النوع الانساني في العصر الحالي بالغاً مبلغاً عظيماً في المدنية المحتاجة إلى سعة المعارف وإتقان ضبط الأمور ، لزم أن تكون الطريقة في تربية الناشئة هي تعليمهم باللسان والقلم معاً ، ليكون الفهم منها ذا أذنين ، والكلام ذا لسانين . ومن أجل ذلك كان من أصول التربية المتحثة في أيامنا هذه تعليم كل إنسان القراءة والكتابة ، لأن محاربة الأمية في عصرنا هي الجهاد

الأكبر ، واختصاصها هو فتح الفتوح

(الثاني) بما أن أحوال الوقت المالي أوجبت أن يكون الطرف الأعظم من التربية حاصلًا في (المدارس) تعين بسبب الاجتماع المدرسي أن يكون كل نوع من أنواع التربية التي شرحناها آنفًا على كيفية خاصة كافلة بالنجاح

الكيفية التي يجب أن تكون عليها التربية الفكرية في المدارس

هذه الكيفية لابد في حصولها من جملة أمور

(الأول) أن قسم التلامذة فرقًا على حسب درجات عقولهم ومقدار معارفهم ، وأن يخصص لكل فرقة المكان المناسب لها ، المستوفي للشروط الصحية ، وأن ينتخب لها من يليق من المربين والمعلمين الذين تحلوا بصفات الكمال (الثاني) أن يعطى لكل فرقة في زمن محدد مقدار من العلوم أو الفنون مناسب لمداركها ، ولاتق بذلك الزمن بحيث يمكن تقريره في مدته تقريراً تاماً (الثالث) أن يعين لكل علم أو فن الوقت المناسب له من اليوم والاسبوع على حسب أهميته ومقدار منفعة

(الرابع) أن تعتبر القراءة والكتابة أساس التعليم فتضمن الأصول التي تنفرع منها العلوم والفنون

(الخامس) أن يكون التعليم على الطريقة العربية التي شرحناها بحيث يتبدى بالمحسوسات ، ثم يعقب بالمعنويات ، ويقدم السهل على الصعب ، والعلوم قبل المجهول ، ويكون في جميع الأحوال إرشاداً جميلاً عربياً لجميع القوى العقلية باعثاً للشوق إلى المعارف

(السادس) أن يكون درس الأشياء على نفس الأشياء بقدر الامكان بحيث لا يعين على صورها أو وصفها وتمثيلها بالكلام الا اذا تعذر احضارها ، وأن يتوجه بالتلامذة حيناً فحيناً إلى الأماكن التي يطلعون فيها على ذوات الأشياء الطبيعية والصناعية (السابع) أن يكون في مقدمات التعليم تنوير عقول التلامذة بنور الدين

الحنيفي وتغذيتها بالحكم العربية

كتاب ابن تيمية

الى الشيخ ناصر المنبجي

هولاء الذين تكلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت
دولة التتار وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين وذلك أن القسمة
رباعية فان كل واحد من الاتحاد والحلول اما معين في شخص واما مطلق،
أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصاري والغالية في الاثمة من الرافضة
وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية فانهم يقولون به في معنى اما
بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة
والقبط، واما بالحلول وهو قول النسطورية، واما بالاتحاد من وجه دون
وجه وهو قول الملائكية

(وأما الحلول المطلق) وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا
تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك
وأما ما جاء به هولاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه الا
من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة؛ وذلك أن حقيقة أمرهم
أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وإن وجود ذات
الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم
أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه
فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم
حقيقة أمرهم لأنه أمر مبهم

(الاول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق قاض على تلك الذوات فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك . ويقولون إن الله سبحانه لم يمت أحدا شيئا ولا أغنى أحدا ولا أسعد ولا أشقاء وإنما وجوده قاض على الذوات فلا تحمد الا نفسك ولا تدمم الا نفسك، ويقولون ان هذا هو سر القدر وان الله تعالى انما علم الاشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجا من نفسه للقدسة، ويقولون ان الله تعالى لا يقدر أن يغير خلة من العالم، وانهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون عليهم وعلم الله تعالى من معدن واحد، وانهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه لانهم يأخذون من المعدن الذي أخدمته الملك الذي يوحى به الرسل، ويقولون انهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وإن عباد الاصنام ما عبدوا الا الله سبحانه، وإن قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) معنى حكيم لا معنى أمر فما عبد غير الله في كل معبود فان الله تعالى ما قضى بشيء الا وقع، ويقولون ان الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو فانه ما عدم من البداية، فيدعى الى الناية، وإن قوم نوح قالوا (لا تدرن ألهتمكم ولا تدرن ودا ولا سواها) لانهم لو تركوكم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم، لان الحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه وينكره من أنكره، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، وإن العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر

حتى عبد، فان الجاهل يقول هذا حجر وشجر، والعارف يقول هذا محل
 الهني ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فان النصراني انما كفروا لانهم خصصوا،
 وان عباد الاصنام ما أخطأوا الا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض
 المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله يعبد أيضا كل شيء لان الاشياء غذاؤه
 بالاسماء والاحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير اليها وهي فقيرة اليه،
 وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويجمالون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة
 وازداف بين الوجود والثبوت وليست امورا عديمة، ويقولون «من أسماء
 الحسنى العلي عن ماذا وما ثم الا هو؟ وعلى ماذا وما ثم غيره؟ فالمسمى
 محدثات وهي العلية لذاتها وليست الا هو، وما نكح سوى نفسه، وما ذبح
 سوى نفسه. والمتكلم هو عين المستمع، وان موسى انما نقب على هارون
 حيث نهام عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه، وان موسى كان أوسع
 في العلم فلم انهم لم يعبدوا الا الله، وان أعلى ما عبد الهوى، وان كل من اتخذ
 الهه هواه فمعبدا لا الله. وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدقه
 السحرة في قوله أنا ربكم الاعلى، وفي قوله ما علمت لكم من اله غيري،
 وكنت اخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن
 حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع حتى
 حدثني بعض عن كثير من كبارهم انهم يعترفون ويقولون نحن على قول
 فرعون (١) وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما
 مات الرجل عليه، والله ينقر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات،

(١) كذا في الاصل وراجع في رسالة الطال وحدة الوجود (ص ١١٧)
 من مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

الاحياء منهم والاموات (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)

والمقصود أن حقيقة ما تضمنه كتاب الفصوص المضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء به وهو ما اذا فهم المسلم بالاضطرار (١) أن جميع الانبياء والمرسلين وجميع الاولياء والصالحين بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يروون الى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله . ونعلم أن المشركين عباد الاوثان والكفار أهل الكتاب يمتدحون بوجود الصانع الخالق الباري المصور — الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور — ربهم ورب آبائهم الاولين — رب المشرق والمغرب . ولا يقول أحد منهم انه عين المخلوقات ، ولا تقس المصنوعات ، كما يقوله هؤلاء ، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والارض زالت حقيقة الله . وهذا مركب من أصليين

(أحدهما) أن المعدوم شيء ثابت في العدم كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والاجماع وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر كفر من يقول بهذا وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها وانها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى

(١) كذا في الاصل وفيه ما ترى والمعنى ان ما في كتاب الفصوص من أمثال ما ذكر يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على السنة جيم رسله وأنه مما يتبرأ منه عوام جيم الملل

كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفترقون بين الوجود العلمي وبين الوجود الميني الخارجي ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم) فذكر المراتب الأربع وهي الوجود الميني الذي خلقه ، والوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه . ولهذا ذكر أن التلميم بالقلم ، فإنه مستلزم للمراتب الثلاثة وهذا القول - اعني قول من يقول إن المعلوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى - وإن كان باطلا ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع في الاسلام من نحو اربعمائة سنة . وابن العربي وافق أصحابه وهو أحد أصلي مذهبه الذي في الفصوص .

(والأصل الثاني) أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه . وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء ، وهو قول بقية الاتحادية ، لكن ابن العربي أقربهم الى الاسلام وأحسن كلاما في مواضع كثيرة ، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الاخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم فيتنفعون بذلك وإن كانوا لا يفقهون حقائقه ، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله

(وأما) صاحبه الصدر الرومي فإنه كان متفلسفا فهو أبعد عن الشريعة

والإسلام، ولهذا كان المهاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول كان شيخني القديم متروحنًا متفلسفًا والآخرفيلسوفًا متروحنًا - يعني الصدر الرومي - فانه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود (١) وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما في ق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين. والمطلق لا يوجد إلا في الخارج مطلقًا لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة. حقيقة قوله انه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالخلوقات . ولهذا يقول هو وشيخه ان الله تعالى لا يرى أصلاً، وانه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعدرة عين وجوده - تعالى الله عما يقولون (وأما) المهاجر التلمساني فهو أعجب القوم وأعظمهم في الكفر فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجود. وان العبد انما يشهد السوى مادام محجوباً فاذا انكشف حجاب رآى انه ما ثم غير يبين له الاصل. ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكي عنه الثقات أنه كان يقول البنت والام والاجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا والناموس الممجوبون قالوا احرام فقلنا حرام عليكم . وكان يقول القرآن كاه شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا. وكان يقول انما امسك شريعة واحدة، واذا احسن القول يقول القرآن يوصل الى الجنة وكلامنا

(١) قوله: في كتاب الخ القلم في معجمه وكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود للصدر الذي تسمى القونوي هذا ما هو في الاسلام نقل مشاهد من كتابه هذا على ضلالتة

يوصل الى الله تعالى . وشرح الاسماء الحسنی على هذا الاصل الذي له . وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه كما قيل : لم خنزير في طبق صيني . وصنف للنصيرية عقيدة . وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه

(وأما) ابن سبعين فإنه في البدو والاحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود وأنه ماتم غير ، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن العربي وهم الى كلام التلمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له البلباني من مشايخ شيراز ومن شعره

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

وأيضا :

وما أنت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من إلهو ذائقه

وأيضا :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لاني في التحقيق لست سواكم

وأيضا :

ما بال عيسك لا يقر قرارها وإلام ظلك لايني متقلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليك اذا بانفت المنزلا

وأيضا :

ما الامر الا نسق واحد مافيه من حمد ولاذم

وانما المادة قد خصصت والطبع والشارع في الحكم

وأيضاً :

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمري والوجد أصدق نهاء وأمار
فإن أظلمك وأعصر الوجد عدت عني عن الميآن إلى أوهام أخبار
فمیں ما أنت تدعوني إليه إذا حقيقته تراه المنهي بإجاري
وأيضاً :

وما البحر إلا الموج لأشياء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد
إلى أمثال هذه الأشعار، وفي النثر مالا يحصى، ويوهمون الجبال أنهم
مشايخ الإسلام وأئمة المهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في
الامة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك
ابن أنس والاوزاعي وإبراهيم بن ادهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض
ومعروف الكرخي والشافعي وأبي - إيمان وأحمد بن حنبل وبشر الحافي
وعبد الله بن المبارك وشقيق الباخي ومن لا يحصى كثرة - إلى مثل المتأخرين
مثل الجنيد بن محمد القواريري وسهل بن عبد الله التستري وعمر بن عثمان
المكي ومن بعدهم - إلى أبي طالب المكي إلى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني
والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ أبي مدين والشيخ عقيل والشيخ
أبي الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونيني
والشيخ القرشي وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا أبا المجاز والنشام والعراق
ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين .

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وإن الله
سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخالقه بل هو سبحانه
وتعالى مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك

جاءت الكتب الاربعة الالهية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن
وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت المقول

وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار
واندراس شريعة الاسلام وان هؤلاء مقدمة الدجال الاعور الكذاب
الذي يزعم أنه هو الله فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ولكن بعض
الاشياء أكبر من بعض وأعظم، وأما على رأي صاحب الفصوص فان
بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم أعظم ذاته الثابتة في العدم .
وأما على رأي الرومي فان بعض المتعينات يكون أكبر فان بعض
جزئيات الكل أكبر من بعض . وأما على البقية فالكل اجزاء منه
وبعض الجزء أكبر من بعض . فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار
العارفين وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وإبراهيم
وموسى وعيسى عليهم السلام فومى قاتل فرعون الذى يدعى الربوبية ،
ويساط الله تعالى مسيح الهدى الذى قيل فيه انه الله تعالى وهو بريء
من ذلك على مسيح الضلالة الذى قال انه الله

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال «انه أعور (١)» وكونه قال «واعلموا أن أحدا منكم ان يرى ربه حتى
يموت» وابن الخطيب انكر أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
هذا لان ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال أبين من أن يستدل

(١) تنمة الحديث « وان الله ليس بأعور » رواه الشيخان من حديث
ابن عمر وهذا لفظ البخاري وهذه الجملة هي محل التعجب الذى حمل ان الخطيب
وهو الفخر الرازي على انكار الحديث

عليه بأنه أعور فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ما وقعت فيه النصراني والخلولية فظهر سبب دلالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامته بهذه العلامة فانه بعث رحمة للعالمين فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر أو يقول انه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعبور دليلا على انتفاء الالهية عنه

وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الاتحاد ثم تاب منه وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه وجاء اليينا شخص كان يقول انه خاتم الاولياء فزعم أن الحلاج لما قال أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجنى على لسان المصروع وان الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا الباب . فبينت له فساد هذا وانه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران وكان من خاطبيه هؤلاء أعظم من موسى لان موسى سمع الكلام الالهي من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناطق . وهذا يقوله قوم من الاتحادية لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب اليه الفاجر التمسائي وذووه وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصراني والغالبة

وقد كان سلف الامة وسادات الائمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وانما كانوا يلوحون تلويحا وقد ان كانوا يصرحون بأن ذاته في مكان وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبت واكفر من ادلك الجهمية ولكن السلف والائمة ألم بالاسلام وبحقائقه فان كثيرا من الناس قد لا يفهم

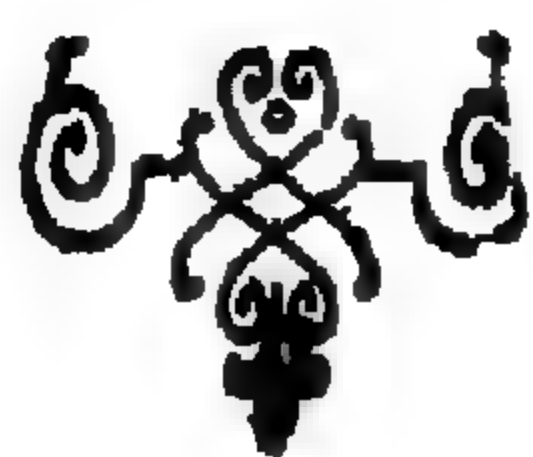
تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ، يرزق نور الهدى فلما اطلع السيف على سر القول نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء . وذلك لان متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات العدم والموات

وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد والقلب لا يقصد الا موجودا لا معدوما فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق وإما بعض المظاهر كالشمس والقمر والبشر والاولئان وغير ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ، وهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى وإنما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات ، فهم برهم يمدلون . ولهذا حدث الشقة أن ابن سبين كان يريد الذهاب الى الهند وقال ان ارض الاسلام لا تسعه ، لان الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان

وهذا حقيقة قول الاتحادية واعرف ناسا لهم اشتغال بالهلسفة والكلام وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا ليس بكذا ليس بكذا ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات كما يقوله المسلمون ، لكن يحددون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام واذا صار لاحد ذوق ووجد تأله وسلك طريق الاتحادية وقال انه هو الموجودات كلها . فاذا قيل له اين ذاك النقي من هذا الاثبات ؟ قال : ذلك وجدى ، وهذا ذوقى . فيقال لهذا الضال كل ذوق ووجد لا يطابق لاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل وإنما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات فان علم القلب وحاله ، تلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد . فالحسن . ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الدين

امروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رساله، واتبعوا طريق السابقين الاولين، لسلوكوا طريق المهدي ووجدوا برد اليقين وقررة العين فان الامر كما قال بعض الناس ان الرسل جاؤا باثبات مفصل ونفي مجمل، والصائبة المعطلة جاؤا بنفي مفصل واثبات مجمل، فالقرآن مملوء من قوله تعالى في الاثبات (إن الله بكل شيء عليم * وعلى كل شيء قدير * وإنه سميع بصير * وسع كل شيء رحمة وعلما) وفي النفي (ليس كمثل شيء * ولم يكن له كفوا أحد * هل تعلم له سميا سبحانه وبك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)

وهذا الكتاب مع اني قد اطلت فيه الكلام على الشيخ ايده الله تعالى بالاسلام وتقع المسلمين ببركة انقاسه وحسن مقاصده ونور قلبه فان مافيه نكت مختصرة، ولا يمكن شرح هذه الاشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ احسن الله تعالى اليه ما اقتضى الحال ان اذكره - وحامل الكتاب مستوفز عاجلان، وانا اسأل الله العظيم ان يصلح امر المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويهديهم الى ما يقربهم، وأن يجعل الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه فيهم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) انتهى



الجامعة الاسلاميه و الجامعة الشرقيه

كتب إلي الاستاذ أبو الحسنات الهندي أحد أعضاء دار المصنفين في
(أعظمكده - الهند) رحمه الله تعالى الكتاب الآتي بعد اصطلاحه **علي قانون**
جمعية الرابطة الشرقيه في المنار وهو من دعاة الجامعة الاسلاميه

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الفضال ولانا السيد رشيد رضا صاحب المنار سلاماً سلاماً
لقد سرتني ما قرأت في صفحات الجرائد الأردويه : أن عصبة من أصحاب
النعرة والغيرة على الشرق من أهل مصر قامت بإصلاح شئونه وترقية شعوبه ،
وإخراج أهله من الذل والانحطاط الذي وصلت اليه هذه الأمم الشرقيه غايته
— وألفت جمعية موسومة بجمعية الرابطة الشرقيه ، تكون مصر مركزاً لها ،
وتكون للجمعية شعب في كل قطر من الأقطار الشرقيه — وزاد فرحي
إذ رأيت اسمكم الشريف من جملة بانيتها ومؤسسيها ، وكان هذا الفرح والسرور
بما أتى أحسن الظن بكم ، فانكم استم كعامة علماء زماننا هذا ، لا يفرقون القشر
من اللباب ، والماء من السراب

بينما كنت في هذا الفرح والسرور إذ وصلتني الأجزاء (الأول والثاني
والثالث) لمجلة المنار الغراء من مجلداتها الثالث والعشرين ، وقرأت في فاتحة
هذا المجلد ما نصه :

« جرينا على منهج الأمامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة ، وجمع كلمة
الأمة ، بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن ألا وأنه قد أتى الأوان
للعمل بما أرشد اليه الامامان ، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من
أهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والأفغان »

فازددت فرحاً على فرح ، وبشرت نفسي كما حررتهم في هذه الفاتحة « بأن ليل الذل

« المنار : ج ٨ » « ٧٩ » « المجلد السادس والعشرون »

والعبودية قد عسس ، وصبح العزة والحرية قد تنفس ، ولكن بالحيلة الا مل ما كان أقصر زمن فرحي وسروري لما طالبت في الجزء الثالث مقاصد الجمعية وأغراضها ، ووجدت الصراحة فيها بأن « غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية وتصميمها ، وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط انتعارف والتضامن بين الأمم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها »

قالاً لفاظ الأخيرة وإن كانت متشابهة بألفاظ السيد جمال الدين الانفاني طاب ثراه . ولكن غرضكم الحقيقي من هذه الجمعية ليس بما كان غرض السيد المرحوم كما لا يخفى على الناظر في مقاصد جمعيتكم بأول النظر

أيها الجبر الاعظم : إن مقصد السيد المرحوم الذي قد وجه اليه أفكاره وبذل في سبيل جهده قواه ، وكتب على نفسه السعي اليه مدة حياته ، وأصابه ما أصابه من البلاء في ضيقه ، هو انهاض ما بقي من الدول الاسلامية من ضعفها ، وتبنيها للقيام على شؤونها ، تحت ظل الخلافة العظمى ، حتى تصير الأمة الاسلامية من الأمم العزيزة ، فيعود للاسلام شأنه ، ولالدين الحنيفي مجد كان له في الأيام السالفة^(١) ولما كان النجاح بهذا العمل الجسيم موقوفاً على تقليص ظل الدول الغربية عموماً عن رؤوس الطوائف الاسلامية ، وعلى تنكيس الدولة البريطانية ، خصوصاً في الأقطار الشرقية — بدأ السيد المرحوم هذا الجهاد الأكبر باصلاح ذات بين الشرقيين عموماً ، والمسلمين خصوصاً ، « وبتقوية الصلات العمومية بين الأمم ، وتمكين الألفة في أفرادها ، وتأيد المنافع المشتركة بينها ، وبالتنبيه على أن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة ، هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية ، وبالتنقيب عن المسالك الدقيقة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات »^(٢)

(١) هذا الغرض مقتبس من ترجمة الاستاذ الامام للسيد المنشور في أول ترجمته لرسالة السيد في الرد على الدهر بين بصرف (٢) هذا ما خوذ من منهج العروة الوثقى بصرف ما (راجع ص ٢٢٢ من الطبعة الثانية للجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)

أيها العلامة المفضل ، هكذا كان سير السيد المرحوم وطريق عمله ، وترويه كما أراه في صفحات مجلته « العروة الوثقى » وهي المجلة التي نفخ السيد المرحوم بها الروح العالية : روح الحياة ، وروح النهضة ، التي ترى ذراتها متحركة وسارية يوما بعد يوم في الطبقة الراقية من أبناء الشرق ، فأين يامولانا مقاصد العلى من مقاصد جمعيتكم التي دعوتكم إليها أرباب العلم والقلم من أبناء الشرق ؟ هل الجهل فقط هو داء الشرق ، ونشر العلوم وتوسيع نطاق المعارف فيه دواؤه ؟ هل تجزمون بأن التعارف العلمي والتضامن الأدبي يؤول على أبناء الشرق بالسعادة الدنيوية والدينية (التي) تسعد بها الأمم ؟ وهل تظنون أن قلوب أبناء الشرق تكون لها الطمأنينة ، وقرينتهم تكون لها السكينة ، ويد الأجانب عاملة في شؤونهم تدبر الأمر كيفما تشاء ؟ لا والله لا

نعم ربما يظن قوم في هذه الأزمان أيضاً - مع أن التجارب تعرض عنه والشواهد تذكره - أن نشر الجرائد ، وتأسيس المدارس ، وبث العلوم ، وتوسيع نطاق المعارف ، أدوية تعالج بها أمراض الأمم المصابة ، وإنها هي أسباب تكفل انهاض الأمم ، وتنبه أفكارها ، وتقويم أخلاقها ، ولكن الحق أنه ليس الأمر كذلك ، المدارس في الشرق كثيرة ، والجرائد تزداد فيه أعدادها يوما بعد يوم ، وللعلوم والمعارف دور كثيرة في كل قطر من الأقطار . فمع هذه كلها ما هذا الذل والفقر والعبودية ؟ هل صارت بوجود هذه الأسباب التي يظن سعادة الأمم نتيجة لها أحسن حالا عما كانت عليه قبل زماننا هذا ؟ هل استنقذت أنفسها من أنياب الفقر والعسرة ؟ هل نجت بها من ورطات الذل والعبودية ؟ هل أحكمت الحصون ، وسدّت الثغور ؟ هل نالت بها المنعة والمنة ^(١) التي تدفع بها غارة الأعداء ؟ لا والله لا

فمع هذا كله إلى أي شيء تدعون الأمم الشرقية عموما والمسلمين خصوصا وإلى أي سبيل مسيركم ؟

« ١ » المنة باضم كالقوة اعظا ومعنى . وهذه المسألة مأخوذة بالمعنى من مقالة العروة الوثقى التي نشرناها بعنوان (ماضي الامة وحاضرها وعلاجها)

واعلموا بالله لا تأن أول أمر يجب الاهتمام به هو معرفة أصل الداء وأسبابه الحقيقية — أي يمكن لطبيب يعالج مريضاً أن يختار له نوعاً من العلاج قبل أن يعرف ما عرض له من المرض ، وما هو سببه ؟ كلا ثم كلا ، نعم يمكن أن يكون هذا سير من ليس له الحظ الأوفى من الخلق والكمال ، ويكون متطلياً لا طبيباً . فلي الطبيب الخائف أن يتم قبل كل شيء بمعرفة أصل الداء وأسبابه ، ثم بطريق علاجه وتعيين ذواته ، لكي لا يكون الداء أصعب والدواء أعز . فان معالجة المرض قبل تعيين أسبابه لا تزيد الا شدة في المرض ، وصعوبة على المريض ، بل ربما تضيي به إلى الموت ، فأقول : (وهذا قول في مسألة الأمة المسلمة . وأما مسألة الأمم الشرقية فليست الآن بصدها ، ويمكن أن أجرد كما فصلنا آخر إن ساعدتني القرصة) :

إن أول مرض لحق الأمة المسلمة هو تشتت أهوائها ، وتخالف أُميالها ، الذي فرق جمعها وبدد شملها ، حتى ذهب كل واحد منها إلى ما قاده إليه هواه من غير أن يراعي جانب الأمة ، ويستحفظ قوائدها ، أو أن يلتفت إلى ما يبسها ، ويهجم بالدفاع عنها

انظروا أيها الفاضل الجليل كيف كان بدء الانحلال والضعف في روابط الأمة الإسلامية من جهة دينها ودنياها عند ما انفصلت الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة على عهد العباسية ، حيث قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يستجمعوا شرف العلم والتقفة في الدين ، فكثرت بذلك المذاهب ، وانفصلت فيها المسالك ، ووقع في الدين الإسلامي تشعب لا مثيل له في دين من الأديان وكان هذا في سنين القرن الثالث من الهجرة النبوية ، وبعد ذلك حمت هذه السبل ، وانفتحت على كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ، حتى ما بقي موضع يسكن فيه الاثنان من المسلمين إلا وهما المختلفان في المذهب ، هذا من جهة دينهم . ولما من جهة دنياهم فاشتد ذلك الخلاف ، وزاد بظهور القول القين لوكثير من المسلمين قتلا وإقلاقاً ، حتى أنهكت الامم من أنفسهم وقطعت الوشائج ،

وانفصمت عرى الاتصال بينهما ، فتفرق الشمل بالكلية ، واقترق الناس فرقا وشيعاً (١)

هذه هي الداهية التي دهمت الأمة المسلمة ، وطوحتهها في غيابة الذل والهوان وقعر الخمول والسكران ، (٢) وما انتهت وصحت إلى يومنا هذا انتباهاً صحيحاً وصحواً كاملاً ، فالأمر واضح ، والطريق ليس بملتبس على من يريد أن يسلك في سبيل إيقاظها وإنهاضها طريقاً مستقيماً غير معوج ، وما هو إلا السعي في سبيل توحيد كلمتها ، وتشديد ارتباط بعضها مع بعض — هذه كلمة صدق قلتها لكم ، وأريد أن أقولها مرة بعد أخرى ، فإن قلبي قد ملئ بها إذعانا وإيقانا ، وخاصة في زماننا هذا ، خير الأمور التي تستحق أن يجهد في سبيله من يريد الجهاد في سبيل الأمة وسبيل الدين ، بل وفي سبيل الله ، هو أن يجاهد في جمع الكلمة المتفرقة لمسلمي العالم حيثما هم ، وفي أي قطر يصبحون ، لأن التشتت والتفرق فقط هو (أدوي) داء حل بهم ، وأهبطهم في هاوية ، وما أدراك ما هي ، إنها هي كون المسلمين عبيداً للأجانب حتى في أوطانهم ، بعد ما كانوا مولى العالم في الشرق والغرب .

وها هي (ذي) حقيقة ثابتة لا يسعها الخلاف ، جديرة بأن تنظر واليها . إن الأمة المسلمة قوية الرجاء بين الأمم ، لا تقنط قنوطاً يحكم عليها بالهبوط الثابت ، وبالسبات الدائم ، بل كما قامت لها قيامة رقدت من نوم غفلتها (٣) وانتهت ققامتها وشارت سير التقدم والرفق . ألا ترون أنها بعد ما صدمت بصدمات غارات التترو والحروب الصليبية جمعت بعد زمن يسير تحت لواء الخلافة الإسلامية العمانية ، وسأقت الجيوش إلى أنحاء العالم ، ودونحت البلاد ، وأرغمت أنوف السلاطين ، حتى دانت لها الدول الأفرنجية ، ونفذت أوامرها في الشرق والغرب ؟ لا ريب في أن هذه الأيام كانت للأمة المسلمة أياماً بيضاء حسناً ، كأنما رجع لها الدهر بأيام الخلافة العباسية التي لا نظير لها في تاريخ الأمة . ثم بعد ذلك بحكم (وتلك

(١) اقتبس الكاتب العبارة في بدء الانحلال والضم من مقالة العروة الوثقى التي نشرناها في تاريخ الأستاذ الإمام (ج ٢) بعنوان (انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك) (٢) السكران بالبحر يك مضار بكر كالسكر بالضم والسكون

الأيام تذاولها بين الناس) قلب لها الدهر ظهر المجن ، فأخذت تنزل من منزلتها الرفيعة ، ودست لها البول الافرنجية الدسائس ، ففرقت كلمتها ، ونمزقت جنيتها ، حتى ما بقيت دار من دور المسلمين الا فيها الأمر والحكم للأجانب الا ما شاء الله

ومع هذا كله أرجعوا البصر إلى ما وقع في زماننا هذا من انتصار الجيوش الاسلامية القاهرة تحت قيادة سيف الله المسلول ، آية من آياته الكلمة ، الفارسي مصطفى كل باشا أيده الله بنصر مزيد ، قائما لما سمعت انتصاره على اليونان ، وانتزاعه الدولة العلية من مخالب الأعداء ، فاهتزت لها نفوسها ، وأحدث هذا الفوز حركة قوية في طباعها ، حتى خافت عواقبها الدولة التي هي أقوى دول العالم وأعدى عدى الاسلام والمسلمين ، وجعل يسي أربابها في تسكين جأشهم بقولهم الزور ان نعوذ بالله ان نكون من اعداء الاسلام والمسلمين (والله يعلم مايسرون وما يعلنون)

نعم قلت ان الأمة المسلمة هي قوية الرجاء ، ولها ميل شديد الى الوحدة كما هي اجتمعت بعد الانتشار تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ، تقويت بها شوكتها ، وارتقت ارقاء أنهارها ، مع هذا كله (تقول بما) لا ريب فيه انه كان ما كان لها من جهة دنياها لا من جهة دينها . والحق أن سر ضعفها الحقيقي كان مضمرأ في دينها . ولأجل ذلك ماضت من ايام شوكتها ايام تذكر ، حتى حصل السبات ونامت ، فكأنما كان لها ذاك الحراك تحولا من شق الى شق آخر في نومها

فأقول لكم يا مولانا قول خير بصير : إنه لانجاح لمن يريد خدمة الأمة المسلمة إلا

بدعوتها الى الاعتصام بحبل دينها ، والاقتداء بأحكام شريعته ، فان الدين هذه الأمة

وشريعته سلطانا على أنفسها لا يماثل سلطان الحية الوطنية والزعرة الجنسية ، فكلمها دعيت اليها تحركت لها جؤوشها ، واهتزت لها نفوسها ، ولبت واجتمعت ، فحينئذ تنزل الملائكة عليها ، ويؤيدها الله بروح منه ، ويتحقق معنى الآية المباركة (إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالشريعة

مورد هذه الأمة ومصدرها ، والمسلمون كلهم بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مجبولون على الوحدة ، والجبلة لا تزول ، وإن كانت الجبال عن مقامها تزول ، وكيف يمكن هذا والقرآن يتلى بينهم ، فيتلون منه صباحا ومساء الآيات المحرزة على الوحدة والوفاق (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وأمثالها كثيرة لاجابة الى سردها هنا فان قال قائل ^(١) مع تلك الآيات البينات المحكمات ، المحرضات على الوحدة والوفاق ، ما في المسلمين من التشتت والافتراق ، وهم هم في شدتهم في الدين ، والتمسك بعقائدهم الدينية ، والاحساس بداعية الحق في نفوسهم فأقول :

إن الأعمال وإن يكن منشؤها العقائد والأفكار ، ولكن يكون صدورها موقوفة على ضرورة وداعية تدعو الانسان الى إصدارها ، فلا يمكن الارتياح في هذا أن عقيدة المسلمين بالأخوة الدينية ، ثابتة موجودة في نفوسهم ، وما طلعت الشمس عليهم يوماً واحداً وهم عنها غافلون ، واما العلل الحقيقية في تباطؤهم عن ارتباط بعضهم مع بعض ، ونصرة إخوانهم في الدين فهي عديدة (منها) زوال كل جامعة بين المسلمين في الأغلب ما عدا العقيدة الدينية المجردة عما يتبعضها من الأعمال ، فهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، وانقطع التواصل ، وانعدم التعارف بينهم ، فسلمو الهند في غيبة عن أحوال مسلمي المملكة العربية والتركية ، وسلمو العرب وفارس في غفلة عن شؤون مسلمي الجزائر ومراكش . (ومنها) إيقاد الأعداء نار التشتت والتخالف في المسلمين وإغرائهم بعضهم على بعض بالحق والضعيفة ، حتى كاشفت الأمة الأفغانية بعبادة الأمة الفارسية ، وبارزت الأمة العربية مبارزة للأمة التركية ، وهكذا جاهرت القبائل منهم مجاهرة ضد قبائل أخرى (??)

فزاد الويل والعويل ، وعقب خطب بعد خطب ، وحدث كرب بعد كرب ،

(١) قوله مع تلك الآيات الخ مضطرب ومراده منه الظاهر والسؤال والجواب مقعسان من مقالة العروة الوثقى التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة ولكن بسوء تصرف وزيادة ونقص

ياغفل أولى الأمر والرأى من المسلمين عن تأدية ما كلفهم الله تعالى من توحيد
كلمتهم حينما يقع التشتت فيها ، وتوثيق روابطهم حينما تنقسم عروتها ، حتى
قضى الدهر على المسلمين بالذلة والمسكنة ، وباؤا بفضب من الله ، فأصبحوا
حقراء بعد ما كانوا أجلاء ، وأمسوا فقراء بعد ما كانوا أغنياء . ولا سبيل
الى تخلص الأمة من هذه الرزايا التي حلت بها إلا بتزحيد كلمتها ، وجمع شتاتها
ونظم شملها ، ولم شعثها ، فهذا ما عندى من الحق واليقين ، وأظن أن لا يرتاب
فيه العقلاء وأرباب الفكر السليم من المسلمين .

واعلموا يا مولانا أن أكثر ما كتبت اليكم في هذا الكتاب هو من آراء
السيد المرحوم الأفغانى نعمده الله برحمة منه . وإن كانت الألفاظ في شيء من
العبارات مترادفة أو متخالفة متباينة . ففي خاتمة الكتاب مع الاطالة فيه
لا يحسنني^(١) أن أختمه ولا أسألكم إرجاع النظر الى عبارة واضحة حسنة كتبها
السيد المرحوم فيما نحن بصددده ، فخذوا هذا نصها :

« فيأيتها الأمة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فلا تريقوها ،
وأرواحكم فلا تزهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثن دون الموت . هذه هي
روابطكم الدينية ، لا تفرنكم الوسوس ، ولا تستهويكم الترهات ، ولا تدهشكم
زخارف الباطل ، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واعتصموا بحبال الرابطة
الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي ، والفارسي بالهندي ،
والمصري بالمغربي . وقامت لهم مقام الرابطة التسيية ، حتى إن الرجل منهم ليألم
لما يصيب أخاه من عاديّات الدهر ، وأن تناءت دياره ، وتقاصت اقطاره .
هذه صلة من امتن الصلات ساقها الله إليكم ، وفيها عزكم ومنعتكم ، وسلطانكم
وسيادتكم فلا توهنوها

ولكن عليكم في رعايتها أن تخضعوا لسطوة العدل ، فالعدل أساس الكون

(١) يريد أن يقول : اننى على اطالة هذا الكتاب لا يحسن منى أن أختمه قبل
أن أسألكم رجوع البصر الى عبارة للسيد الافغانى واضحة في مقصدي وهذا نصها :
وأقول ان هذه العبارة هي آخر مقالة التصعب من مقالات العروة الوثقى

وبه قوامه ، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم . وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم ، ومعرفة الحقوق لأربابها ، وحسن المعاملة واحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم ، وجيرانكم من أرباب الأديان المختلفة ، فان مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم ، كما لا تقوم مصالحهم إلا بمصالحكم ، وعليكم أن لا تجعلوا عصبية الدين وسيلة للعدوان ، وذريعة لانتهاك الحقوق ، فان دينكم ينهاكم عن ذلك ، ويوعدهم عليه بأشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض ، بل تضافروا بها على مباراة الأثم في القوة والمنعة ، والشوكة والسلطان ، ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة ، والفضائل والكمالات الانسانية . اجعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم ، واجتماع شملكم ، وأخذ كل منكم بيد أخيه ليرفعه من هوة النقص إلى شاطئ الكمال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) ة

وفي رسالة أخرى سأعجلكم ببيان جامعة بين المسلمين وطريق اليام بها والدعوة اليها ، فان كتابي هذا قد طال . فقبلوا مني في الختام أحسن التحيات والسلام أنا العاجز أبو الحسنات الندوي أحد رفقاء دار المصنفين شبلى نزل أعظمكده (الهند)

(المنار) كتبت الى هذا العالم المصلح الغيور في مرجوع كتابه هذا بياناً للفرق بين الجامعين الشرقية والاسلامية . ولون احداها آوزز الاخرى ولا تنافيا . وقد دعا موقظ الشرق السيد جمال الدين اليهما معا . ونبيته لا غترار اخواننا مسلمي الهند بالكماليين بعد اغترارهم بالانحاديين ؟ إرغورهم بالسلطان هبد الحميد ، وسوَّغ لي هذا ما بدأ به مصطفي كمال باشا من التمهيد لالغاء الخلافة بالفعل ، من جعلها روحية لاسلطان لصاحبها ولا حكم ، فرد على كتابي هذا بالكتاب الثاني ، وسننشره في الجزء الآتي

جمعية منكبوني الاعانة السورية

ألفت في القاهرة جمعية لتنظيم جمع الاعانات لمنكبوني سورية على أثر الدعوة التي أذاعها الرئيس الخليل سعد باشا زغلول وافتتح باب التبرع لها هو وأهل بيته وأعضاء الوفد المصري . وكان المؤسسون للجمعية قد ارتأوا أن تكون تحت رعاية عالية ، ورياسة سامية ، فطرقوا أبواب بعض كبار الأحرار ، فألفوا آذاناً صبا ، وقلوباً غلقت ، وقد آن للناس أن يعرضوا عن ضخامة الألقاب ، وسمو الألقاب ، ولا يعرّفوا إلا على أولي الألباب ، فإن قيمة النسب الصحيحة لا تعدو حسن تأثير الورثة في لب الإنسان وجوهره وهو العقل والقلب . على ان الجمعية قد ألفت من تجار البيوت المصرية والسورية حسبا وأدبا ، وأما وأبا ، وقد أظهر الأعضاء السوريون لأخوانهم المصريين رغبتهم في اسناد رياسة الجمعية إلى واحد منهم فقال صاحب المعالي فتح الله باشا بركات : بل الأولى ان تختاروا واحداً منكم ، لأن المصطب واقع على شجركم وان كنا نحن والسوريون أمة واحدة باعتبار آخر ، وليس المقام هنا مقام مباراة في رياسة ، بل مقام تعاون على تخفيف آلام نكبة شعربها كلها وأنا مستعد للعمل معهم تحت رياسة أصغركم منا ، فحبذ قوله هذا أصحاب السيادة والسعادة والحرمة عبد الحميد البكري وأحمد شفيق باشا وعبد الحميد بك سعيد فلم يسمنا معشر السوريين إلا اتباع اجماهم فاعتزلنا الجلسة وانتخبنا الأمير ميشيل لطف الله بلال من السابقة الحسنة في أمثال هذه الجمعيات الخيرية نفعيا وإدارة ومساعدة هذا وانت شاعر مصر أحمد شوقي بك الملقب بأميز الشعراء بغير منازع وشاعر الشام خير الدين أفندي الزركلي قد نظم كل منهما قصيدة في كارتة دمشق وثورة سورية أنشدتا في حفلة حافلة للجمعية الاعانة ، فرأينا ان نشرهما في المنار وهذا نص الأولى

ودمع لا يكفكف ياد دمشق
جلال الرزء عن وصف يدق
البك تلفت أبداً وخفق

سلام من صبا (بردى) أرق
ومعذرة البراعة والقوافي
وذكري عن خواطرها قلبي

وبني مما رمتك به الليالي
دخلتك والأصيل له اتلاق
وتحت جنانك الأنهار تجري
وحولي فتية غر صباح
على لهواتهم شعراء لسن
رواة قصائدي فاعجب لشعر
غمرت إياهم حتي تلتفت
وضج من الشكبة كل حر

لجأها الله أنباء توات
يفصلها الى الدنيا بريد
تكاد لزوجة الأحداث فيها
وقبل معالم التاريخ دكت
ألت دمشق للإسلام ظمراً
صلاح الدين تاجك لم يجمل
وكل حضارة في الأرض طالت
سماؤك من حلى الماضي كتاب
بنيت الدولة الكبرى وملكا
له بالشام أعلام وعرس

رباع الخلد ويحك ما دهاها
وهل غرف الجنان منضدات
وأين دمي المقاصر من حجال
برزن وفي نواحي الأيك نار
إذا رمن السلامة من طريق

أحق أنها دراست أحق
وهل لنعيمهن كأس نسق
متهكة وأستار شق
وخلف الأيك أفراخ تزق
أتت من دونه للهوت طرق

يسل للقذائف والمنايا
 ذا عصف الحديد احمر أبق
 ملي من راع غيلك بعد ومن
 والمستعمرين وإن الأنوا
 وماك بطيشه ورمي فرنسا
 إذا ما جاءه طلاب حق

وراء سائه خطف وصحق
 على جنباته واسود أبق
 أبين لؤاده والصخر فرق
 قلوب حكا الجارة لا ترق
 أخو حرب به صلف وحق
 يقول عصاة خرجوا وشقوا

هم الثوار تصرفه فرنسا
 جرى في أرضها فيه حياة
 بلاد مات قيتها لتجيا
 وحررت الشعوب على قناها

وتعلم أنه نور وحق
 كنهل السماء وفيه ذق
 وزالوا دون قومهم لينقوا
 فكيف على قناها تُسرق

بني سورية أطرحوا الأمان
 فن خدع السياسة أن تفروا
 وكم صيتر بدا لك من ذليل
 فتوق الملك تحدث ثم تمضي
 نصحت ونحن مختلفون داراً
 وبجمعنا إذا اختلفت بلاد

وألقوا عنكم الأحلام اقروا
 بألقاب الإمارة وهي ذق
 كما مالت من المصلوب عنق
 ولا يمضي مختلفين فتق
 ولكن كلنا في اللحم فرق
 بيان غير ~~مستقيم~~ وقلق

وقفت بين موت أو حيا
 وللأوطان في دم كل حر
 ومن يسفي ويشرب بالمنايا
 ولا ييني المالك كالضحايا
 فني القتل لأجيال حياة
 وللحرية الحراء باب

فان رمت نعيم الدهر لا تقروا
 يد سلفت ودين مستحق
 إذا أحرار لم يسقوا ويسقوا
 ولا يذني الحقوق ولا يحق
 وفي الأسرى فدى لهمو وعق
 بكل يد مضرجة يدق

وعز الشرق أوله دمشق
 جزاكم ذو الجلال بني دمشق

تصرتم يوم محتته أخاكم
وما كان الدروز قبيلاً شرّاً
ولكن ذادة وقراءة ضيف
لهم جبل أشم له شفاف
لكل لبوء ولكل شبل
كأن من السموأل فيه شيئاً
وكل أخ بنصر أخيه حق
وان أخذوا بما لم يستحقوا
كينبوع الصفا خشنوا ورقوا
موارد في السحاب الجون بلق
نضال دون غابته ورشق
فكل جهاته شرف وخلق

باب المراسلة والمناظرة

الجمعية العلمية للمعارف الإسلامية

أسس بعض المستشرقين من علماء الألمان الاعلام جمعية بهذا الاسم في (برلين) عاصمة السلطنة الألمانية العامة . وقد كان هؤلاء العلماء يبحثون قبل تأسيس هذه الجمعية في العلوم الإسلامية كما أن جماعات أخرى منهم تبحث في جميع العلوم والفنون وشؤون الأمم ، بدقتهم اتفقوا فيها جميع علماء الشعوب الأخرى . ولكن هذه الجمعية لها شأن لم يكن لغيرها من جماعات العلماء يرجى أن يكون فاتحة خير عظيم ، وإنا لم نطلع على قانونها وإنما أحدث هذا الرجاء في أنفسنا ما نشره من الدعوة إلى التعاون مع علماء المسلمين في مصر وغيرها . وقد أرسلوا إلينا نسخة من الدعوة العربية المبنية لأغراض الجمعية . وهذا نصها :

دعوة الألمان إلى علماء الإسلام

أي سادة العلماء

لدراسة تعاليم دين الإسلام وتعقب أحوال المسلمين العامة فما يتعلق بجنسيتهم ومدنيتهم وما هم عليه من حالة اقتصادية وعمرانية أسست جمعيتنا التي لا تتداخل في السياسة قط .

وعملنا في هذه الجمعية كما يرى من أغراضها ليس بالأمر المين إلا أن يصير سهلاً زلاً لآلئ أن اخواننا علماء الدين الاسلامي بسطوا أكنهم للتعاون معنا في مسعانا تعاوناً علمياً حتى تحقق أغراضنا (التي) هي إحدى آمال الأمم الاسلامية الناهضة ولما كانت في طليعة تلك الأمم الناهضة مصر : مصر ذلك البلد الذي بقي حتى اليوم يعد العالم الاسلامي بنور تعاليم تلك الديانة الحنيئة ، فانتا نعتقد فيها بيننا أن أول من يلبي دعوتنا هذه لاشك علماء مصر الاما جد فهم أكثر مناتشبعاً بوجوب العمل لتأييد مانسى اليه .

نعم إن من نتائج هذا التفاهم العلمي أن تنقشع - قريباً كان أم بعيداً - تلك الضبابية الكثيفة التي مازالت حتى الساعة تحجب الشرق عن أعين الغربيين وهو السر الوحيد فيما نراه من بقاء اختلاف كانت له نتائج وخيمة وقاسية لم تتخلص منها الاقطار الشرقية والغربية على السواء .

إلا أن ساعة الخلاص تقرب كلما تثبت للغرب شيئاً فشيئاً وجوب الاهتداء بنور التعاليم الحققة لدين الاسلام ولن يتهاى للغرب ذلك حتى يد بمساعدة علمية محضة . وهذا ميدان عمل فسيح لنا ولكم يا حضرات أعلام الاسلام « ولن يضع الله أجر من أحسن عملاً » والسلام

رئيس الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية

الاستاذ المستشرق كامفماير

العنوان :-

Prof. Dr. G. Kampffmeier

Werderstr. 10

Berlin — Dahlem Germani

(المنار) نرجب ونرحب بهؤلاء الاعلام وبجمعيتهم ونشكر لهم عملهم باللسان والقلم ، والعلم والعمل ، وإنا لما يدعوننا لمستجيبون ، في كل مانحن عليه قادرون ، وننصح لمشيخة الأزهر أن تجيب دعوتهم وتطلب الوقوف على جسيم أعمالهم

وابجائهم ، وان يمد اليهم يد المساعدة في كل ما يطلبون منها ، وبذلك تخدم الاسلام خدمة هي أحق بها من غيرها ، ونحث سائر علماء الاسلام في الشرق والغرب على ذلك أيضا

المجموعة المباركة في الصلوات الماثورة

جاءنا من مشيخة الجامع الازهر الشريف ما يأتي لينشر في المجلة

أرسل حضرة محمود شفيق البكري التاجر بميت غمر بمشيخة الجامع الازهر الشريف مجموعة تدعى « بالمجموعة المباركة في الصلوات الماثورة والأعمال المبرورة تأليف عبده محمد بابا » لا بداء رأيها نحو ما تضمنته تلك المجموعة من الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم

والمشيخة تعلن أن ما جاء في هذه المجموعة من أحاديث الجزاء ظاهره الوضع والاختلاق سيما باسماء مؤلفها حديث عبد الله بن السلطان . وفيه اغراء للعوام على اقتراف المآثم وترك الواجبات ، وعدم المبالاة بها اتكالا على كلمة استغفار أو دعاء يقولها مرتكب ذلك ليخلص من شر ما اقترف . وان هذه المجموعة وأمثالها لا يضعها إلا جاهل أعماء جهل عن الطريق السوي ، أو ضال مضل قصد أن يصرف العوام عن أحكام الشرع الشريف ويجعلهم في حل من عدم الوقوف عند حدوده من طريق شبه شرعي اه شيخ الجامع الازهر

(الختم)

(المنار) دعاء عبد الله بن سلطان أوجديته خرافة مضلة للعامة كان قد طبعها من زهاء ثلاثين سنة دجال من الدجاجلة اسمه عبد الله القباج وبيننا ما فيه من الاضلال وهدم الدين في العدد ٤٠ من المنار الذي صدر في شعبان سنة ١٣١٦ هـ ثم أعاد طبعه دجال آخر فعدنا إلى التحذير منه بعد سنين

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ الذهب الخالص ، المنوه بالعلم القالص ﴾

كتاب في أصول الايمان والاسلام من العقائد والعبادات والآداب من تصانيف أكبر علماء الاباضية واشهرهم في هذا العصر الشيخ محمد بن يوسف إطفيش الجزائري رحمه الله تعالى . وقد طبعه في العام الماضي وعاق عليه بعض الحواشي تلميزة وتحفيد أخيه الاستاذ الشيخ أبو اسحق ابراهيم إطفيش صاحب كتاب (الدعاية الى خبيل المؤمنين) . ويبحث الكتاب مؤلفة من سبعة أركان (الاول) معرفة الله تعالى وسائر المسائل الاعتقادية ومنها الفرز بين كباثر الشرك والنافع والخوف والرجاء الخ وأحكام الولاية والبراءة والوقوف بينهما - والمثل الست وأحكامها (الركن الثاني) في النجاسة والطهارة والصلاة - (الركن ٣ و ٤ و ٥ و ٦) في الزكاة والصيام والحج والعمرة (الركن السابع) في الحقوق . فنحت كبار العلماء الرسميين وجميع العلماء مستقايين على الاطلاع على هذا الكتاب وهو مطبوع بالمطبعة السلفية سنة ١٤٤٣ على ورق جيد وصفحاته ٣٤٠ من قطع المنار ومن النسخة منه ٢٥ قرشا

(المنهاج) مجلة علمية أدبية إسلامية لمنشئها الاستاذ الشيخ أبي اسحق ابراهيم إطفيش الجزائري نزل مصر وقد صدر منها جزآن حافلان بالمسائل الدينية والادبية والتاريخية . وكان من بواكر عمراتها الرد على كتاب الشيخ علي عبد الرازق راوندي هذا العصر في محاربة لاسلام ، ونصر الافرنج على المسلمين ، وؤيد دعاية الملاحدة اللادينيين بشبهات الدين ، واذا كان منشئ هذه لمجلة من كبار علماء الاباضية وخطبة أشهر علمائهم في هذا العصر علما وبيتنا فالمرجوان تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة . والخلاف بينهم وبين الشيعة أشد ، وقد كان هو الذي بادر الى الرد على بعض الكتب التي نشرها بعض دعاة التشيع في هذه السنين لظعن في أئمة حفاظ السنة ونبذهم بلقب النصب وكان رده معتدلا ، فسمى ان مقال ما يكفي اجتهاد منشئها القيور على الامة والملة من الرواج والانتشار ، وقربة الاشتراك فيها ١٠٠ قرش

(يؤتي الحكمة
من يشاء ومن
بؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً
كثيراً ، وما
يذكر إلا أولو
الآل باب)

الحكمة
١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الآل باب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « ناراً » كمنار الطريق

١٥ شعبان سنة ١٣٤٤ ٢٩ برج الحوت سنة ١٣٠٥ هـ ش ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

استفتاء في كلمة للملك فيصل

في الاديان السماوية

(من ٣٧) نشرت جريدة الخلافة (خلافت) التي تصدر في بمبي (الهند) في عددها الذي صدر في ٢٢ صفر من هذه السنة (١٣٤٤) الاستفتاء الآتي . وقد نشر في كثير من جرائد الأقطار الاسلامية ولهج كثير من الناس بعد اطلاعهم على ما قاله الملك فيصل عن الأديان والانبياء بأنه ردة عن الاسلام . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العلماء الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها
(عقيدة الأمير فيصل ملك العراق ابن الملك حسين بن علي المكي في الأديان السماوية)
هذه خطبة للأمير فيصل بن الشريف حسين ، ألقاها في الحفلة التي أقامها اليهود في دار الرئاسة الهاخامية لليهود في بغداد ، ونشرتها جريدة دجلة التي تصدر هناك في عددها الثاني والعشرين تاريخ ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩ ١٩٨ تموز سنة ١٩٢١ نقلها للقراء بحروفها ، ليطلعوا على حقيقة معتقد هذا الأمير في الأديان السماوية ، وأنه كوالله في اعتماده في كل أموره على الانكياز لاعلى الله (الخطبة بنصها)

« إني أشكر مواطني الاسرائيليين العراقيين لاقامتهم هذه الحفلة الكريمة التي أعربت عن شعورهم نحو البلاد ، إني أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى الأعمال التي تزيد ثقتهم بي ، واعتمادهم علي »
« إني لأرى في هذا الاحتفال مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً ، وإني أعتقد (أنه) لو جاء موسى وعيسى ومحمد إلى هذا الاحتفال وشهدوا منا ما نقوله من

يهود والنصارى والمسلمين^(١) لنعصبوا علينا قصباً شديداً ، أنا أريد أن يقول الجميع
الإنسانيون العراقيون ترجع إلى جد واحد ، وما الاختلاف^(٢) الدينية والمذاهب
الإحصائيات دثيرة دسها بعض الأشخاص أو الأمم الخارجية . ومتى عرفنا ذلك
يرجع من بيننا اسم اليهود والنصارى والمسلمين ، وإني لأرى لزوماً لتكرار القول
فإن أولاد جد واحد ، إننا أولاد سام ، وآباؤنا سكنوا العراق مدة طويلة وقاموا
بأمر تعبيره مشتركين — قال أحد الخطباء الآن : إن للأمة العربية أيادي
يضع^(٣) على اليهود في جزيرة العرب ، وأنا أقول : ما قام العرب تجاه اليهود إلا
بالحب المفروض الذي لا يطلبون مقابله حمداً ولا شكرياً . إن البلاء قد نزل
باليهود والمسلمين^(٤) على حد سواء . إني أريد أن يتزايد الاعتماد في هذه الأيام
لتنقذ البلاد من الخراب الذي أنزلته بها أيادي الظلم والاستعمار السابقة التي
ماتت بأرض العراق فساداً

«قاني لم أزل أذكر كلمة لأ كبير رجل في العالم — وهو المستر لويد جورج
زعيم الحكومة الانكليزية — قالها في مانشستر على ما أظن ، وهي قوله : نحن دخلنا
العراق ونرغب أن نرجعها إلى حالها حال جنات النعيم

«نحن لا نستطيع أن نبلغ بالبلاد العراقية إلى درجة جنات النعيم في خمسين
عام^(٥) أو أكثر ، ولكننا نقول : كل من سار على الدرب وصل . إن لي الأمل
العظيم في نجاحنا في هذه المسئلة ، لأننا اليوم بعهد أكبر دولة وأعظم أمة ألا
وهي بريطانيا العظمى . فإن المراحل البعيدة لا نستطيع قطعها ، ولكن بمساعدة
بريطانيا ومعاضدتها ستكون المراحل قصيرة ، فانا نبلغ منانا إذا ساعدتنا بريطانيا
كما هي تساعدنا اليوم . فبسي الانكليز ومعاضدتهم سيكون النجاح قريباً ، إني
أرغب أن أرى هذا النجاح ، ولكن من أين لي ذلك العمر الطويل ، فانا إذا لم
تروا^(٦) فإن أبناءنا سيشهدوه^(٧) ويشكروننا على ذلك العمل ، وفي الأخير أقول : إن

(١) كذا وامل في العبارة حذفاً والمعنى المأموم من السياق سابقه ولا حقه أن الرسل
يعتبرون من انتماء الناس إلى ملههم إنما برضون استبدال الجامعة الجنسية والوطنية
بها (٢) كذا وامل أصلها الاختلافات (٣) أي على العرف القديم لا على عرفة
الذي اقترحه أننا

ليس لي غاية سوى تقدم البلاد ، وليس لي حزب الا الجميع ، وأملني وطيد بأن
أخواني الاسرائيليين **سينزلون** جردم لرقى البلاد العراقية كما هو شأنهم
في البلاد الاخرى اه انتهت بهروفا

فتوجه رجاءنا الى علماء الاسلام ان يفتونا في رجل يعتقد ويصرح على
ربوس الأشهاد بأن الديانات والمذاهب ما هي الا دسائس دنيوية دسها بعض
الأشخاص او الأمم الخارجية ، وانه لو جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة
والسلام وسمعوا كلامه يغضبون عليه غضباً شديداً ، ومع ذلك هو لا يبالي بهم ،
ويريد ان يرفع اسم اليهود والنصارى والمسلمين بين أفراد الشعب الذي يحكمه ،
هل هذا الرجل (يعد) مسلماً ؟ افتونا مأجورين اه الاستفتاء

(جواب المنار)

هذه الكلمة التي قالها فيصل ملك العراق البريطاني هي هجـيرى فريقين
من الناس : دعاة اللادينية ، وأعداء الرابطة الاسلامية ، الذين يرى القارىء
بعض مقاصدهم في مقالنا الخاص بالمسألة السورية — وقد فصلناه من قبل في
مقالات كثيرة — ولقد كان فيصل في غنى عن اتباعهم وعن الحكم بهواه على ما يرضي
رسل الله صلواته وسلامه عليهم وما يغضبهم ، لو كان حريصاً على مظاهر الدين
الذي نشأ فيه . نعم كان يسعه أن يدعو اليهود الى الاتفاق مع المسلمين والنصارى
في التعاون على ترقية العمران في العراق . فان ذلك لا ينافي استمساك كل منهم بدينه
إن كان فيصل يعرف عقائد الاسلام وقواعده التي يكون بها المسلم مسلماً
ويؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى وبما أجمع عليه المسلمون منها ، فعليه إذا
لم يقل بها ويدعو اليها أن يسكت عنها — أو أن لا يصرح بمخالفتها ، وهذا
أقل ما يباح له في مثل ذلك الموقف

إن حكم الاسلام في الاختلاف بين المسلمين واليهود والنصارى في الدين هو أن
دين الله تعالى على ألسنة رسله واحد وهو الاسلام : قال تعالى (إن الدين عند الله
الاسلام • وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)

الآيات . هو واحد في العقائد والمقاصد ، ولكنه مختلف في الشرائع العملية والمناهج ، كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) ومن أصول الاسلام أن محمداً خاتم النبيين (ص) وأن بعثته عامة ، وأنه لا يعتد بدين أحد بلغته دعوته إلا إذا اتبعه ، وأن موسى (ص) لو كان حياً ما وسعه إلا اتباعه ، وكذا غيره من الرسل (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)

إن كان فيصل ملك العراق البريطاني مؤمناً بما ذكر فالواجب عليه أن يقول : لو جاء موسى وعيسى ومحمد - عليهم صلوات الله وسلامه بالرغم من كل منافق وكافر مجاهر - لعضبوا غضباً شديداً من ترككم لوحدة الاسلام ، وعدم اتباع خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، الذي بعث هادياً لازالة الاختلاف والاختصاص ، وناشخاً لما كان من الاختلاف في الشرائع والأحكام ، وداعياً إلى ما يحبه الله ويرضاه من الاخاء الانساني العام ، ومحرمات لعصبيات الأجناس والأوطان . والآيات والاحاديث في هذا الموضوع كثيرة ، والتفرقة بين من يؤمن بخاتم الرسل ويتبعه ومن يكفر به ويخالفه معلومة بالضرورة ، لا يسم مسلماً جاهلاً ، ومن أنكرها وخالفها لا يعد مسلماً ، ولا أن يعامل معاملة المسلمين في ولاية عامة ولا خاصة ولا زواج ولا أرث ولا غير ذلك . ولولا أن أهل العراق خانعون لسلطة أجنبية قاهرة لطالبه علماءهم من السنة والشيعة جميعاً أن يصرح بعقيدته ، ويتبرأ مما تبادر إلى أذهان الناس الذين قرأوا خطبته في كل قطر من مخالفة ما ذكر ، ويعتذر عنه بأنه لم يكن يريد بما ذكر في الخطبة ما يخالف شيئاً من تلك الأصول الاعتقادية القطعية في الاسلام ، ولكن العبارة كانت قاصرة — مثلاً — أو يحدد إسلامه

إذا كان فيصل يجهل ما لا يسم مسلماً جاهلاً من عقائد الاسلام واصله فهو بدين اليهود والنصارى وتاريخهما جاهل ، لأنه لم يتلق علوم الدين ولا غيرها عن العلماء فيتكلم عن علم ، وجل ما يعلمه مقتبس من الجرائد واحاديث المجالس ، ليس له قاعدة يرجع

اليها فيه، فيكون على بينة من مراد قائلها منها . فيظهر انه سسمع او قرأ قول بعض أهل العلم والرأي إن اختلاف المذاهب الذي كان مشار الشقاق والتفرق بين أهل الدين الواحد كالاسلام، انما كان سببه البدع الأهواء، والتنازع على الملك أو الجاه ثم استغلته الأمم والدول الطامعة في ملك أهلها واستعمار بلادهم كما فعل الانكايز في الهند، وكما يفعلون الآن في العراق — ففهم الكلام مقلوبا أو حرفه بهواه فعمله على اختلاف الأديان، جاهلا أو غير مكترث بالاجماع ونصوص القرآن، ولو كان كلامه في الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة بقصد جمع كلمتهم لكان يكون له وجه . وكلامه نص في الخلاف بين المسلمين واليهود والنصارى فلا وجه له، أي في فصل ١ إن الخلاف بين اليهود والنصارى منشؤه عدم ايمان اليهود بالمسيح عليه السلام، وان الخلاف بين المسلمين من جهة وبين اليهود والنصارى جميعا من جهة أخرى هو في التوحيد المحض والايمان بنبوة محمد (ص) والقرآن ولم يكن هذا ولا ذاك «دسائس أجنبية دسها بعض الأشخاص أو الأمم الخارجية» ليقعوا الشقاق بين أبناء سام كما زعمت حتى يصح قولك «ومتى عرفنا ذلك يرفع من بيننا اسم اليهود والنصارى والمسلمين» ؟

ثم ما معنى قولك بعد هذا «وإني لا أرى لزوماً لتكرار القول فانا أولاد جد واحد، إنا أولاد سام» ؟ فهل انتساب الشعوب الى جد واحد يقتضي عقلا أو طبعاً أن يكونوا على دين واحد ؟ كيف وأولاد الأب الواحد القريب قد يختلفون في الدين، ولو صح قولك لما وجد في الأرض دينان، فان جميع أهل الأرض من أولاد نوح أبي سام، ومن أولاد آدم عليها السلام ؟

على أن أهل العراق ليسوا كلهم من أولاد سام كما زعمت، فالمشهور أن الكلدانين — وهم أقدم أئمة الحضارة في العراق — من أولاد كوش بن حام بن نوح . وفي البلاد كثير من سلاسل الفرس الآريين، ويقال: إن الكرد بدوهم، وقيل من عرق آخر وقيل بل هم من العرب، ومع هذا فقد سمح فيصل لهم بأن يحافظوا على جنسيتهم . ثم أي حاجة الى اشتراط انتساب أهل الوطن الواحد الى جد واحد من ألوف السنين . وماذا يقول في الانكايز الذي يهد لهم سبيل السيادة

الدائمة في البلاد بخطبته هذه وسائر أقواله وأعماله هل هم من أولاد سام أيضاً ؟ وهل يقبلون أن يرتفع اسم النصاري عنهم أو عن بقايا الاشوريين والكلدانيين الذين يتخذونهم ذريعة لفصم عروة كل اتحاد في العراق ، كيف وملك الانكليز هو حامى الايمان المسيحي ، وشعبه من أشد شعوب الأرض عناية وبذلاً في سبيل نشر النصرانية ؟ ومما أودعه الانكليز في المعاهدة الانكليزية العراقية حرية دعة النصرانية في العراق ليعملوا ما استطاعوا في تحويل المسلمين فيه عن الاسلام ياحسرة على فيصل وعلى أبي فيصل وعلى اخوة فيصل ياحسرة على أهل بيت ينتسبون الى خاتم الرسل وسيد ولد آدم ثم يكون هذا حظ أمته وملته منهم ؟ ولماذا هذا كله ؟ لأجل التمتع بلقب (ملك) في ظل الانكليز ، ألا بعداً لملك زائل بل لقب باطل ، يتوسل اليه بهذه الوسائل ، وصاحبه لا يملك به الا تنفيذ امر الاجنبي فيما يهدم به سلطان امته وتشريع ملتها

يشر الملك فيصل البريطاني أهل العراق بأن مستر لويد جورج الذي زعم أنه أكبر رجل في العالم قال «نحن دخلنا العراق ونرغب أن نجعلها جنات النعيم» وإن العوام ورعاة الابل والغنم في العراق لترتع فرائصهم من هذه البشارة ، لأنها صريحة في أن الانكليز لا ينشئون هذه الجنات للعراقيين بل لأنفسهم لأنهم يموون امتلاك العراق وعدم الخروج منه . وفيصل يعتقد هذا ويرضاه ، ولكنه لا يعلم أن أكثر أهل العراق يفهمونه ، كما يعلم أنهم اذا فهموه لا يرضونه ، ولذلك بشرهم به ! كأنه لا يقرأ كما يقرؤون يوم ما يفعل الانكليز في السودان وفي مصر ايضا وجملة القول في جواب الاستفتاء أن ما تبادر إلى أفهام الناس في الهند ومصر وغيرها من عبارة فيصل هو عين ما عليه المعطلون للأديان ، المنكرون للوحي ، الداعون الى استبدال الروابط الجنسية والوطنية بالدين ، ولا مخرج له اذا أراد أن يحافظ على ظاهر الاسلام لاشتراطه في ملك العراق أو لذاته الا أن يتأول لنفسه بأنه يجله باللغة العربية لم يستطع أن يعبر عن مراده ويذكر نحوه مما تقدم في كلامنا ، أو يتوب ويمجدد اسلامه ، ويجب على علماء العراق مطالبة بذلك وأن يندروه بخلفه اذا أبى ، ولا يستطيع هو ولا ساداته الانكليز أن يعاقبهم على هذه المطالبة كما علنا سكوتهم فيما تقدم . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

كتاب

المعرفة الاسمية

جاءنا الكتاب الآتي من صاحب الفضيلة ، والمزايا الجليلة ، خادم الملة والأمة ، الاستاذ الكبير ، الشيخ مصطفى نجا مفتي ولاية بيروت ورئيس جمعية المقاصد الاسلامية فيها :

سلام الله تعالى وتحياته ورحمته وبركاته على حضرة العلامة الأجل المحقق المفضل السيد محمد رشيد رضا المكرم زاد الله فضله وعلاه

(وبعد) فقد اطلعت على كتاب الخلافة الاسلامية الذي يبين للأمة حكم هذه المسئلة المهمة، ويرشد إلى صراط الاستقامة، وسبيل السلامة، ويقول: إن الاسلام أعظم قوة معنوية في الأرض ، وانه هو الذي يمكن أن يحيي مدينة الشرق وينقذ مدينة الغرب، فان المدينة لا تبقى إلا بالفضيلة، والفضيلة لا تتحقق إلا بالدين، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدينة إلا الاسلام

فهو أفضل كتاب ألف في هذا الزمان لهداية الخلق ، وتنبيه الغافلين ، واقناع المقلدين ، الذين انحرفوا عن الدين ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، لجهلهم وزعمهم ان الشريعة الاسلامية غير صالحة لكل زمان وانها علة تأخر المسلمين فلحضرتك أيها الاستاذ الداعي إلى الخير، الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر بكتابك هذا ، ومنارك الأسنى ، أقدم بعد الدعاء لك بطول البقاء ، جزيل الشكر والثناء ، على ما هديت لنا من فرائد الفوائد السنية ، وما أبديت من الحقائق المؤيدة بالأدلة الشرعية والبراهين الجليلة ، وأسأل الله تعالى أن يجزيك خير الجزاء على نصحتك للامة ، وبمدك بعنايته وعونه بمنه وكرمه

وبالختام أبث مزيد شوقي إلى ذاتك الكريمة ، وأهديك تحية الاحترام والسلام.

مفتي بيروت

في ٥ رجب سنة ١٣٤٤

التم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مسألة صفات الله تعالى وعلوه بين النفي والاثبات ﴾

﴿ جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾

رحمه الله تعالى

(السؤال) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدبر، في رجلين تباحثا في مسألة
الاثبات للصفات والجزء باثبات العلو، فقال أحدهما لا يجب على أحد معرفة
هذا، ولا يبحث عنه، ويعتقد أن الله واحد في ملكه، وهو رب كل شيء وخالقه
ومليكه. ومن تكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي. فهل هذا القائل
لهذا الكلام مصيب أم مخطيء؟ فإذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب
على الناس أن يعتقدوا اثبات الصفات والعلو ويعرفوه؟ وما معنى التجسيم
والحشو؟ اقتونا وابسطوا القول في هذا مأجورين ان شاء الله تعالى

الجواب

الحمد لله رب العالمين. يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم، فما جاء به القرآن أو السنة المأثورة وجب على الخلق الاقرار
به جملة، تفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما
جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله،
وأن محمدا رسول الله، فنشهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر

به عن الله ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه ، وقد قال الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين)

وفي الجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما اتزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى وما (ارسلنا من رسول الا ليطاع اذن الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ، يسلموا تسليما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول)

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الاولين ، وعن من اتبعهم باحسان الى يوم الدين ، كما قال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)

ومما جاء به الرسول اخباره بأنه تعالى قد اكمل الدين بقوله (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) ومما جاء به الرسول امر الله بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (واترلنا اليك الذكر لنبين للناس ما نزل اليهم) وقال

تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

و معلوم انه قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتف منها شيئاً ، فان كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها.. والامنة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله ، وبين ما أنزل إليه من ربه ، وقد أخبر الله بأنه قد كمل الدين ، وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف إلا بتباينه فلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » وقال « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به » وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملائكة يلقب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً

إذا تبين هذا فقد صح ووجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به من الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة منه كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكأوا يتلمذون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن كعثمان بن عفان وغيره انهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

جميعاً ، وقد قام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة في تعلم البقرة ثمانين سنين وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة وهذا معلوم من وجوه (أحدها) أن العادة المطردة التي جيل الله عليها بني آدم توجب اعتنائهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أو كد ، فإنه قد علم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه ، فكيف من قرأ كتاب الله تعالى المنزل إليهم الذي به مدام الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والنهي ؟

فن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه اعظم الرغبات بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه . بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعرفهم معاني القرآن اعظم من رغبته في تعرفهم حروفه ، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود إذا اللفظ إنما يراد للمعنى (الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى أقدم حضهم على تدبره وتعبه واتباعه في غير موضع كما قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (أفلا يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين على تدبره (١) وعلم أن معانيه مما يمكن فهمها ومعرفة

(١) كذا ولعل أصله مما يمكنهم تدبره

فكيف لا يكون ذلك للمؤمنين، وهذا يتبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم
(الوجه الثالث) أنه قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)
وقال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فبين انه انزله عربيا لان
يعقلوا ، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه

(الوجه الرابع) انه ذم من لا يفقهه فقال تعالى (واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرا) وقال تعالى (فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا
مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به

(الوجه الخامس) انه ذم من لم يكن حظه من السماع الاسماع
الصوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينفق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال
تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ انهم الا كالانعام بل
هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من
عندك قالوا الذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتباعوا أهواءهم) وأمثال ذلك . وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت
الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا ماذا قال آنفا ؟ أي الساعة ،
وهذا كلام من لم يفقه قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتباعوا
أهواءهم) فمن جعل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين
لهم باحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين
فيما ذمهم الله تعالى عليه

(الوجه السادس) أن الصحابة رضى الله عنهم قرؤا للتابعين القرآن كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره أقف عند كل آية منه واسأله عنها . ولهذا قال سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكان ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه (١) من التفسير مالا يحصىه الا الله . والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها

أسباب الاختلاف في التفسير المأثور

فان قال قائل قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيقال الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن أئمة التابعين في القرآن اكثره لا يخرج عن وجوه

(أحدها) أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الاخر مع أن كلاهما حق بمنزلة تسمية الله تعالى باسمائه الحسنى وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم باسمائه وتسمية القرآن العزيز باسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيأما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كل اسم يدل على نعمت لله لا يدل عليه الاسم الاخر ومثال هذا من التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم ، فهذا يقول هو الاسلام

(١) ينظر مرجع الضمير في قوله «عنه» فهذان الصحابييان قد أخذوا عن النبي (ص) ولا ذكر له قبله ولعل فيه حذفا يدل عليه كالتصليية بعد عنه

وهذا يقول هو القرآن أي اتباع القرآن ، وهذا يقول السنة والجماعة وهذا يقول طريق العبودية ، وهذا يقول طاعة الله ورسوله . ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الاسماء كلها ، ولكن كل واحد منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت

(الوجه الثاني) أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض انواعه أو اعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لاعلى الحصر والاحاطة كما لو سأل اعجمي عن معنى لفظ الخبز فأري رغيفا وقيل هذا هو فذلك مثال للخبز وإشارة الى جنسه لالى ذلك الرغيف خاصة . ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى (فمنهم اظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالقول الجامع أن الظالم لنفسه : المفرط بترك مأمور أو فعل محظور ، والمقتصد : (القائم) بأداء الواجبات وترك المحرمات ، والسابق بالخيرات بمنزلة المقرب الذي يتقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق ثم ان كلامهم يذكر نوعا من هذا (فان قال قائل) الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها ، والمقتصد المصلي لها في وقتها ، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم افضل ، وقال آخر الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا تمام (١) زكاته ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والاعطاء في النائية ، والسابق الفاعل المستجب بعد الواجب كما فعل الصديق الاكبر حين جاء بماله كله ، ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا وقال آخر الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لاعت

الا ثام ، والمتصد الذي يصوم عن الطعام والا ثام ، والسابق الذي يصوم عن كل مالا يقربه الى الله تعالى - وامثال ذلك - لم تكن الاقوال (١) متنافية بل كل ذكر نوعا مما تناولته الآية

(الوجه الثالث) أن يذكر أحدهم انزول الآية سببا ويذكر الآخر سببا آخر لا ينافي الاول ، ومن الممكن نزولها لاجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا . وأما ما صرح عن السلف انهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض ، فهذا قليل بالنسبة الى ما لم يختلفوا فيه كما ان تنازعهم في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعلها منقولة عنه بالتواتر

وقد تبين أن الله تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة ، وأمر أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل انه من القرآن ولم تفهمه نحن ، أو قيل ليس في القرآن ، كما أن ما اتفق عليه السابقون الاولون والذين اتبعوهم باحسان فعلينا أن نتبعهم فيه سواء قيل انه كان منصوبا في السنة ولم يبلغنا ذلك أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة

١٠ جواب فان قال قائل

(انتهت المقدمة)

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت - وملك الرعايا القوالين

(إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين)

ابتلي العرب بالترك المتعصبين لجنتهم يحاولون هدم ائمتهم فدينهم أو يكونوا تركافكان من أمرهم ما كان ... ثم ابتلوا بالشرين بن حسين بن علي أمير مكة فقتلوا انهم ينالون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا ، فاذا به وبأولاد يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للافرنج ليكونوا ملوكا في ظل دولتي الاستعمار الكبيرين ، ففقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الاموية والعباسية ، وقد ظل بعضهم مخدوعا باستقلال حسين فولده علي في الحجاز ، من حيث كان يسمى آخرون ن أعظمهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليها قبل أن يفعلوا فيه ما فعل عبد الله في شرق الأردن وفيصل في العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقضيا على خير تراث للعرب والاسلام ، ونسأله تعالى ان يكفيهما الاخرين

ثم ابتلي العرب الآن في مهد أمتهم ، والمسلمون في أرواح دينهم بزعيم هو في نفسه خير مما كان يعرف عنه ويقال فيه ، كما كان أولئك شرأ من كل ما كان يعرف عنهم ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى (وبلوناكم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون) وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتة والينا ترجعون) وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إليه تعالى بإقامة سنته في السياسة والاجتماع ، وشرعه في الحق والعدل والفضل . ولما كان بعض السوريين وغيرهم مرتابا في أمر في السعود إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حسين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك في الطعن بسلفه وقومه المنبوزين بلقب الوهاية . رأيت أن أختم مقالتي الكثيرة في هذا الموضوع بخلاصة من سيرة الفريقين

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشده رأى نفسه مع والده وأهل بيته ضيوفاً عند ابن الصباح صاحب الكويت إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غلبهم بمساعدة الدولة العثمانية على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فماذا فعل هذا الشاب الناشئ ؟

عزم على استعادة ملكهم فاستنفر زهاء ثلاثين رجلاً من قومه ، فركب كل منهم ذلولاً ، وخرجوا من الكويت إلى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وتقرب عن ذكر الحوادث جانباً
فحارب ابن رشيد المجهز بمدافع الترك ورشاشاتها وقهره ، واستعاد إمارة آبائه وأجداده منه — ثم إنه غزاه بعد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الإدارة ، ونظم القوة ، وهجم على عشائر شمر في جبلهم المنيع فحصرهم فيه في أيام الحرب الكبرى وشدة الغلاء ، وكان قادراً على أخذهم عنوة بالمناجزة ، ولكنه على شجاعته يكره سفك الدماء ، فوقف فيه عند الضرورة — وما زال يضيق عليهم الخناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وخضعوا لأمره ، فأزال إمارتهم بضمها إلى إمارته ، وحبسته أن قطراً واحداً يتفق أهله في اللغة والدين والعادات لا يجوز شرعاً ولا مصلحة أن يكون فيه حكومتان تتقاتلان ، وعلمان يتنافسان ، وقد وضع من بقي من أسرة آل الرشيد عنده في الرياض ، يعاملهم فيها معاملة أولاده وأهل بيته سواء

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التي على خليج فارس المعروفة بالحسام من الترك (ويسمى بالترك متصرفية نجد) ففاز بذلك ولكن الترك رأوا أن يصالحوه كما صالحوا إمام اليمن ، ويجعلوه صديقاً لهم بدلاً من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم في بلاد العرب هدرًا من غير فائدة سياسية ولا اقتصادية كما جربوا في القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقاً رسمياً اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة

مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولدويته من بعده بالارث ، واشتروا فيه شروطا هي نافعة له غير ضارة ككونه اذا احتاج الى ضباط ينظمون جيشه أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ

صارت نجد في أيامه إمارة كبيرة أحسن ادارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين والحضارة في قبائلها والقبائل المجاورة لها ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيما كافيا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيما فنيا كجيش دول الحضارة المعروفة ، على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته في البلاد المجاورة له ألف حساب ، وخطبت مودته الدولة البريطانية ، وحاولت أن تستعين به على قتال الترك في العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية . وفي ذلك الاتفاق تقييد لاستقلال نجد الخارجي لا تشعر به حكومتها الا اذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن ألغى فقد صار انفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج الى موادة ملك الحجاز وسلطان نجد اليوم منها الى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولا تزال حريصة عليها في الظاهر ، وان كانت تكيد له في الباطن ، على انه هو قد صرح في مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ولا في بلاده لأجنبي قط

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود — وما هذا بقليل على مثله في هذا الزمن القصير ، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشتة وحكمه ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم ، لم تجنح نفسه للترف والنعيم ، ولا للزينة والزخرف غير المعتاد أو المحظور شرعا ، ولا للعظمة والكبرياء ، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة ، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب ، ولا للانعام عليهم بالرتب وشارات الشرف ، كما فعل الملك حسين ، وكذا ولده عبد الله في امارته الصغيرة الحقيرة التي هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم ، ولا بث دعاية لنفسه ولا اقومه في البلاد العربية ، ولا غيرها من البلاد الاسلامية ، لا باسم الوحدة العربية ، ولا بعنوان الجامعة الاسلامية ، ولا اصطنع جريدة ولا بفل

المادحين ولا للناقدين درهما ولا ديناراً ، وهو لا يبالي بالأقوال ، وإن كان يبالي بها ويهتم بأمورها سياسة الدول الكبرى ويبدلون في سبيلها الملايين ، ومن المعلوم أن حاله غير حالهم ، وماله غير مالهم ، وبيته غير بيتهم ، وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبغيها لا له ، فاغناه عن استئجار الأقلام المناققة وقد ناصبه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له وتحرشوا به مراراً كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الحرم وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت في الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة ، وخروج الجيش التركي منها بانكسار دولته ودول أحلافه ، فكسره الاخوان شر كسرة ، ومن قوا شمل جيشه المنظم ، وفرّ هو منهزماً يحاكي الاخوان من الوهاية في زيمهم وكلامهم ، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية . ولم يكتفوا بخزي هذه الكسرة الشائنة ، فتحرشوا بالنجدين بعد ذلك مراراً ، ومنعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج ، وضيق على تجارتهم حتى منعها من الحجاز ، وأسرف في الكيد والدسائس لسلطانهم ، والسعي لاعادة إمارة ابن الرشيد في نجد وإمارة آل عايض في عسير وضمهما إلى الحجاز . بل وضع بناء سياسته في جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطنة النجدية والبلاد اليمنية إلى عدة إمارات ، تابعة لملك واحد (أي له) في السياسة والعسكرية ، والشؤون العامة ، وبالف هو وأولاده في احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود ، حتى أن أضعفهم أجبر الانكليز في مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد ، دع طعنهم في دينه ودين قومه على حدّ تعبير مآدر لحاتم الطائي بالبخل ، ...

وقد عاملهم هو بالحلم الواسع فلم يزد هم حمله إلا بغياً وغروراً ، حتى اذا قامت عليه الحجة بوجوب اتقاذا الحجاز من ظلم حسين وإلحاده في الحرم على ما أفتينا به بناء على الأخبار التي تواترت برواية الكثير من الحجازيين والافقيين من الحجاج وغيرهم ، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد أمر بالزحف على الطائف التي هي أمنع معاقل الحجاز ، ومركز أكبر قوته العسكرية ، فزحف الاخوان من متدنية الحجاز ونجد ، فأخذوا الطائف عنوة ثم

ماوراءه من المعادل الحصينة ، وأعظمها الهدى وكرى ، وفر الشريف علي القائد العام وولي عهد الحسين كما فر أخوه قبله من بأس الاخوان ، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لؤي أحد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف بمن معه على مكة المكرمة وغيرها ، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها ، وانتهى أمر الحجاز كله في شهر أو شهرين

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الاخوان في الطائف شذوذ مخالف للشرع بقتل بعض الأهالي غير المقاتلين ، وسلب بعض الأموال ، فخاف أن يقع مثل ذلك في أرض الحرم — ولأنه لا يستحل القتال في الحرم على ما فيه الخلاف كما بيناه في الفتوى المشار إليها آنفاً ، فأمر بانتظاره حتى يحضر هو بنفسه ، وكان يمكن الزحف على جده ، أو قطع الطريق على الملك حسين بينها وبين مكة المكرمة ، ولكنه لم يأذن بذلك أيضاً ، وقد شرحنا ذلك من قبل

ثم انه — أي السلطان — جاء بنفسه وأهل الملك حسيناً حتى فر بأمواله وذخائره الى جدة ، فاستولى على مكة سلماً ، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة ، ثم أفرط في التآني والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف علي لجمعة ، ووضع حامية في حصون المدينة المنورة ، وكان قد تألف فيها حزب وطني نصبة ملكاً دستورياً على الحجاز باذن والده ، وقد اختار السلطان عبدالعزيز حصار جدة على مناجزتها خلافاً لأكثر أنصاره وأوليائه من النجديين وغيرهم ، وصابرها أكثر من سنة حتى سقطت من تلقاء نفسها ، وكان قد حاصر حامية المدينة المنورة أيضاً ، فاستسلمت قبل استسلام جدة بأيام كما علمه الخاص والعام ، فكانت العاقبة حسنة على ما كان في الوسائل من الأغلاط ، وتم « شيخ عشائر نجد » الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير ، وصار ملكه ممتداً من البحر الأحمر الى خليج فارس ، ولم يزد هذا كله الا خشية لله تعالى وتواضعاً للناس ، وتزها عن الدعوى والتفج والتبجح الذي عهدناه من غيره :

(٢)

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن علي شريف مكة وأميرها فملكها فمدعي ملك العرب فمتغل الخلافة الاسلامية فقد قن هو وأولاده بحب المجد الكاذب ، والملك الصوري في ظل الاجانب ، فأجروا أمرهم على جعل البلاد العربية تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء وملوكا في ظلها ، لعلهم بأنهم من حيث هم هم ، كاهباء أو كاعدم لا ظل لهم ، وأنه ليس لهم عصبية قومية يملكون في ظلها ، وأنه لم يكن لهم ولا لسلفهم من أمراء مكة حسنة في الحرمين الشريفين في علم ولا عمل يستميلون بها أهل الحجاز ولا غيرهم من العرب أو المسلمين بتمنياتهم العود إلى مشله ، بل لا يحفظ التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم والاحقاد في الحرم . وإنما كان أمراء مكة ينصبون من قبل الدولة المصرية ثم الدولة العثمانية ويظالمون الناس من حجاج وحرميين في ظلهم ،

وقد انتفخوا في هذا الزمن كبراً وعتواً وغروراً بما كان من ميل الانكيز الخادع لهم ، حتى لم يبق في أدمغتهم ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحننا ونصح غيرنا لكبيرهم ولصغيرهم بأنه لا رجاء لهم في حفظ سلاطنتهم في الحجاز إلا بقوة أمتهن واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الاتحاد لا يمكن حصوله في جزيرة العرب إلا على قاعدة الحلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمنا لهم إقناعهما بذلك إذا رضي به حسين ، ولكن حسيناً لم يرض أن يتنزل درجة من عرش سماء عظموته وجبروته ، ولأن يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية وفي مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، وإنما كان قصارى واضعه أن يعد بالسماح لكل من إمامي اليمن ونجد باستقلال إداري في بعض البلاد الخاضعة لها الآن وهو ما كان خاضعاً لها قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدعوى لم يتخذ للملكة قوة عسكرية تكفي لحفظ الحجاز من التعدي عليه . ولم يقدر أن يخضع

قبائله لطاعته، بل اكتفى من عظمة الملك بالألقاب والرتب الدولية وأسماء الوزارات
الصورية، والموسيقى الملكية، فكان كما قال الشاعر:

* كاهن يحكي انتفاخاً صولة الأسد *

غرحسيناً وعود الانكايخ الخادعة لأنه يجمل تاريخ الهند، وما هو أقرب منه
إليه وهو تاريخ مصر الحديث

ثم غرحسيناً مبايعة جمهور من الفلسطينيين والسوريين بالخلافة العظمى فظن
أنه صار إمام المسلمين الأعظم، وكان قبلها يحقر إمام اليمن وسلطان نجد، فصار
بعدها يحقر مصر والهند، ويقول فيها ما قال مالك في الخبر، بل صرح بتكفير
المصريين وشبههم بالأنعام، وصدّ حكومتهم عن إرسال ركب الحج وما يتبعه من
الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز، وألف لجنة لتضع له المطاعن في بعض
الكتب الإصلاحية ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليبلغ العالم الإسلامي الامتناع
من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة؟ ولدعاوي
العريضة التي كان يتمتع بها نفسه بما ينشره في جريدته (القبلة)

ومما زاد حسيناً غروراً بنفسه تلك الكنوز التي كنزها من مال الرثى الذي
أفاضها عليه الانكايخ وعلى أولاده في عهد الحرب فقد بلغ كما روي عن (مستر
لورانس) المستشرق الذي كان يدير دقة سفينة الشرفاء في لجج الصحراء ثمانية
وأربعين مليوناً من الجنيهات الذهبية، وما كان يترزقه من مال السحت في كل
عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعاً، وقد بينا أنواعه في الخطاب العام الذي
نشرناه في المنار

ومما زاده وزاد أولاده غروراً تزلف كثير من المنافقين لهم، واصطناعهم
لبعض الجرائد العربية التي تطريهم وتدافع عنهم، وتفش الناس بهم، وتجعل
سيئاتهم حسنات، وتهون أمر خصمهم، وتنفر العرب والمسلمين منه، ولا سيما
سلطان نجد وقومه، وفي مقدمة هذه الجرائد المقطم الذي ثبت على إمداد حسين
فعلي في النفي والغرور، ونصيره دعايتها بالافك وقول الزور، فصبرا وصابرا
إلى أن قضى الله عليهما، وأدال لخصمهما منهما، ولم يستفيدا من هذه المصابرة

الا خساراً لقناطير المقنطرة من الذهب التي جمعها من السحت والظلم . وفضيحتهما
فيما اختلعا واختلق لهما أنصارهما من الطعن في ابن السعود وقومه ،

دعاية المقطم لحسين وأولاده

أسرفت جريدة المقطم في الدعاية الحجازية ، وسسحت لأحد محرريها بلقبه
المنوط به التوسع في المسائل الشرقية أن يرخي لنفسه العنان في هذا الميدان ، فيقول
ما شاء من أنباء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة ، ولم تعد تحسب
لها يكشفه المستقبل حساباً . فكانت في الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم على
ما أوتي أصحابها من علم وخبرة وتجارب ، ولا نبحت هنا عن علة ذلك وسببه
من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم

دع ما أذاعوه عن موت ابن السعود بالسل ، ودع تأويل أ كذوبتهم بعد ظهورها
بأنه مسلول في الدرجة الأخيرة التي لا تطول معها الحياة ، فإن هذا وذاك مما
عدناه نحن محتملاً للصدق ، حتى كذبت له لنا أنباء البرق ، وتذكر ان كنت
تاسياً ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك علي الحربية ، من جيوش نظامية
وبدوية ، وأسلحة لا تقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ،
ودبابات مروعة ، وطائرات مسلحة تحلق في الجواء ، وأساطيل مواخر في الدماء ،
وجعاقل تترى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سبي الملك علي
المستوري (١) تارة للصلح على ما أوتي من قوة وبأس شديد ، كراهة لسفك الدماء ،
وايثاراً للوادة على البغضاء ، واحتراماً لأرض الحرم المقدسة ، وعزمه تارة
أخرى على مطاردة الوهابيين وانتزاع الحرم منهم بالقوة ، ثم الزحف على بلادهم ،
أو يدخل بلدة الرياض عاصمة سلطنتهم ،

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة ومن جهة أخرى » — كتعبير المقطم —

أن ماعليه الاخوان الوهابيون من الفقر والعوز ، وقلة السلاح والذخيرة ، والحرمات
من النظام والدربة ، ومن وقوع الشقاق بينهم ، وخروج بعض القواد على سلطاتهم ،
واشتعال نيران الفتنة في عقردارهم ، والأخطار التي تساورهم من القبائل التي في جوارهم ،
كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة سعيهم .

ومن جهة ثالثة - وإن لم تكن من هجيري الكاتب - إن ولي عهد امام
اليمين قد خطب قومه يفرهم بالوهابيين المخالفين في الدين ، والمناذرين للزبيديين ،
وأن هبوات الزحف اليمانية ، وقسطل سنايك الخيل الزيدية ، ستغشى بلاد
الحجاز من الجنوب ، فتتلاقى مع جمحافل الحجاز من الشمال ، وتلتف حول هؤلاء
الشراذم من الاخوان ذات اليمين وذات اليسار ، فتحيط بهم من كل مكان ،
حتى لا يتفلت منها إنسان - ومن مزاعم المقطم في هذه الجهة أن سلطان نجد
لم يدع الامام يحيى الى مؤتمر الحجاز ، والحق أنه دعاه ، وأنه أول من أجاب الدعوة
ومن جهة رابعة أن العالم الاسلامي سيكون إلباً واحداً على هؤلاء الوهابية
تشيماً للأسرة الهاشمية ، كما تقتضيه معارف محوري المقطم الاسلامية ، ولا سيما
بعد أن اتهمهم الصادق المصدق الصديق الملك علي الهاشمي الدستوري وكتب
دعايته بهدم القبة الخضراء ، المظلة لقبر سد أفضل من أظلت السماء ، وأقلت
الغبراء ، صلوات الله تعالى عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأولياء ، وبهدم
قبر سيد الشهداء ، (حمزة رضي الله عنه) الخ

ومن جهة خامسة أن مما انفرد به المقطم دون أجراء دعاة البيت الهاشمي
على الاختلاق تلك المواد التي صورها للمؤتمر الذي عقد بين السلطان والجنرال
جلبرت كلايتن ومن معه من مندوبي العراق لتسوية الحدود بين نجدوين العراق
وشرق الاردن ، فقد ادعى المقطم أنه وقف على ماقرر فيها ونشر مواد تنفر
العالم الاسلامي من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية ، ولكن
بعد أن صدقها الكثيرون في الشرق والغرب وقتلتها عنه صحف كثيرة لا يحظر
في بل أعجابه ان المقطم تكذب كذبا صريحاً في أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية
ويشبه هذه المواد في ظهور كذبتها بعد نشرها تلك المواد التي لقتها ، والشروط
التي زورتها ، في شأن تسليم الملك علي للسلطان ابن السعود في جدة ، وكانت
إحدى الجرائد ظنت أن المقطم تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها الى
الوكالة فنفاها الشيخ عبد الملك الخطيب وتبرأ منها ثم جاءت جريدة أم القرى
المكبة ناشرة للشروط الرسمية فلم تكذب شروط المقطم الفاضح ، وأنا لا أعتقد

أنها لفقت في إدارة المقطم وإنما الراجح أن رجال الملك علي الذين فروا من جدة لقنوم هذه كما ان مندوب الملك فيصل في مؤتمر بحره هو الذي اختلق لهم شروط مؤتمر بحرة . وذنوب المقطم انه أباح لهم صفحاته على ما يعلم من كذبهم وحمل تبعته بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده

ومن جهة سادسة — والجهات الحسية ست — انه كان مثلهم يجمع بين النقائص والأضداد فينشر لهم ما يغشون به أمتهم العربية وملتهم الاسلامية من ايهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الأمة ، واذم الوهاية ، وسلطانهم ثم ينشر بعض الأخبار ولا سيما الرسمية المكذبة لهم ، ويكتم ما يمكن كتمانها من التصاقهم بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى ان حسيناً لم يترب بخروجهم من الحجاز منذ ما مدحوراً ، ثم من العقبة ملوماً محسوراً ، واتبأذه في قبرص مغمولاً مشهوراً ، وخذلان «العظيمة البريطانية» له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، لم يترب بهذه العاقبة السوءى فظل يأوي إلى ظل ماسماه «مقررات النهضة» من حماية الانكليز لملكته الوهمية من الداخل والخارج ولا سيما بعض «الأمرء الحاسدين» فكتب الى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه ويطلبه باخراج ابن السعود من الحجاز ، وقد رد عليه الوزير رداً شديداً ونشر المقطم كتاب الملك المحدث ورد الوزير عليه . فأين هذا مما كان قد نشره من تصريحه بأن استيلاء ابن السعود على الحجاز أثر عنده من تدخل الانكليز في شؤونه ؟ وكذلك كان فعل ولده علي صرح بمثل هذا التصريح ونشر له المقطم وغيره أقوالاً توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب وتفضيل ابن السعود عليهم ، كما انه قد ثبت انه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية الانكليز رسمياً بشرط ان يخرجوا ابن السعود منه ، سمعنا هذا أولاً من الوفد الهندي الذي كان في جدة وقد عرفوه من قنصل الانكليز فيها . ثم سمعناه ممن قدم بعد ذلك من جدة كالدكتور خالد الخطيب الذي كان رئيس مصلحة الصحة عند علي . وثبت أيضاً انه كان يسعى لرهن جمر كجدة لدولة أجنبية تقرضه مليون جنيهه لمتابعة قتال ابن السعود . وثبت أيضاً ان أخاه الملك فيصل سعى له هذا السعي لدى الدولة البريطانية ثم الدولة الفرنسية عند زيارته لهما في الصيف الماضي . وقد خاب السعي

لديهما ولدي الدولة الايطالية أيضا ، ولو تم لكان سببا لعبث الدولة المستولية على الجمر كباستقلال الحجاز ، واحتلالها لثغره الأعظم الذي هو مدخل أكثر الحاج ، وقد كان كل انتصار لها خذلانا ووبالا عليهما ، ونكالا وفضيحة لها ، وسببا لخسارتها أكثر مما جمع من مال سحت والخيانة .

ونذكر هنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسا التي طردته من سورية أقبح الطرد في الوقت الذي كانت مدافعها تدمر فيه مدينة دمشق وغيرها لأجل اقناع حكومتها بنصب أخيه زيد ملكا عليها واقناعها بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطانها الاستعماري فيها ؟

هذه جملة موجزة من سيرة الملك العربي الفعال ، وسيرة ملوك الدعاية القوالين ، وسياسة الاستعمار الاوربي في البلاد العربية ، ولما نشره المقطم من الدعاية الباطلة لهم ، لخصتها وأوردت بعضها بعبارة شعرية أو كالشعرية لثلاث مج الأسماع قراءتها ، إذا هي ذكرت بعبارتها ، بعد ان اطلعوا عليها في أوقاتها ، ونحن نحفظ قصاصات المقطم الحاوية لها . وإنما كتبناها للعبرة بها ، والتحذير من مثلها ، فأننا نرى ان دعاية الافساد الهاشمية لم تنته بانتهاء أمر الحجاز ، وبلغنا أن رئيس حكومتي حسين وعلي الساقطين نقل ذلك عن دار المندوب السامي بمصر ، وان الملك عليا أعطي بعد وصوله الى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة ، فتصبح لمن يعينهم أمر الحجاز من العرب وسائر المسلمين أن يكونوا على حذر ، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهد أمنهم ودينهم من الخطر ، وأن يقرنوا بين تينك السيرتين بالأعمال ، فأنها لا تقبل التضليل كالأقوال ، ويفكروا فيما يجب في المال ، لحسن العاقبة والمآل

(خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني الكاتب الشهير)

وهي خلاصة اختباره الشخصي سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

» ابن سعود » ونحبه

» الامام يحيى » دون حب ودون خوف

» الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهه

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسود العرب ؟

استيلاء ابن السعود على جميع الحجاز

ونائب تاريخية

(١)

(تسليم المدينة المنورة)

جاء في العدد الحادي والخمسين من جريدة أم القرى الذي صدر بمكة المكرمة في ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ مانصه: لقد كان أكبر ثم عظمة السلطان أبده الله في حربه مع الشريف حسين وأولاده أن ينزل كل وسعه ومجوده لمنع حدوث أي حادث مكدر بجانب البلدين المقدسين مكة والمدينة ، وكان لما تم أمر مكة ، ودخل جند عظمة السلطان لها ، قدم بعض أهل المدينة يطلبون الأمان على المدينة وما حولها ، ويطلبون إرسال عدد قليل لاستلام البلدة المقدسة ، فأرسل عظمة السلطان قوة قليلة من جنده بقيادة صالح بن عدل إلى حوالي المدينة ، ولما وجد الحامية التي فيها لا تنوي الاستسلام سلماً أصدر أمره الكريم بعدم مهاجمة المدينة ، والاكتفاء بحصارها عن بعد ، ولكن ذلك الحصار لم يكن شاملاً حتى لا يعظم الضيق على تلك البلدة المقدسة ، ولما طال أمد الحرب ، ووجد أن ترك أمر المدينة بدون تدبير مرتب يطيل الأمر ، بعث عظمة السلطان قوة تحاصر المدينة ، فتمنع وصول الأرزاق لحاميتها ، وأرسل لأهلها أن يخرجوا من البلدة ، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم ، واستقبلهم جنده أحسن استقبال ، وسدّ عوزهم ، وحمل قسماً منهم إلى مكة ، وأكرم مشيى الباقين ، وإذ ذاك بدأ الضيق الشديد في المدينة على الحامية ، وبدأت فكرة التسليم تسري إلى رجال الحامية ، وقد بعث فريق منهم مصطفى عبدالعال يكتب لعظمة السلطان ، يطلبون التسليم على شروط اشترطوها ، فأجابهم

عظمة السلطان اليها اذا وفوا بشروط التسليم ، وعلى ذلك أمر نجله سمو الأمير محمد بالتوجه لاستلام المدينة ، فلما وصلها لم يوف الذين كاتبوا بالأمان عهدهم في حينه ، فازداد الحصار شدة على الحامية . وهذا نص البرقيات التي تبودلت بين جدة وحامية المدينة بشأن مصطفى عبد العال ، عثرنا عليها في دائرة البرق الاسلكي في المدينة المنورة ، وهذا نصها :

البرقيات التي تبودلت بين حكومة جدة وحامية المدينة

المدينة ١ ربيع الأول — قائد المدينة وكيل الأمير مصطفى عبد العال
وصل مكة بالكتب ، صادروا جميع أمواله وأملاكه في الحال علي
جدة ١ (ج ١) الى الملك

نحن لا نشك بأن شحات كاتب ابن سعود بواسطة عبد العال بعد أن قرأنا صورة الكتاب المرسل منه ، ومختوم بختمه الخاص ، وبعد أن حسن بمصادرة أموال مصطفى أخذ جميع صناديقه وذخايره الذي كان وضعه عند مصطفى سابقاً ونحن نريد من الله أن يكون هذا ليس له صحة

قائد المدينة وكيل الأمير

المدينة ١ ج ١ — قائد المدينة — وكيل الأمير

اذا ظهر لكم منه حركة اقبضوا عليه هو ومن يلوذه علي

المدينة ٢٠ ربيع الثاني قائد المدينة وكيل الأمير

قرأنا في أم القرى أن مأمورين المدينة طلبوا الأمان ، وكاتبوا ابن السعود لأجل التسليم الحقوا المسألة وكذبوها علي

جدة ٢٢ ربيع الثاني (كذا في أم القرى) الى الملك

غداً سنرسل برقية للعالم الاسلامي ولابن سعود نفسه نكذبه بأن المدينة ما طلبت التسليم ، وسنختتمها باسم عموم المأمورين والقبائل وأعيان البلاد قائد المدينة

الى الملك

جدة ١٠ ج ١

اليوم كتبنا الشريف شحات كتابا الى ابن سعود ، وإلى النشمي ، وإلى
الصهيدى مصطفى يكذبهم فيه جميعاً بأنه لم يكتب
(نشرنا هذه البرقيات ليعلم الناس أن هؤلاء القوم يعملون العمل ويعرفونه ثم
لا يعتذرون عنه ، بل يميلون للكذب فيه ليماروا على الناس . ومما يدل على
ذلك برقية أرسلها الشريف علي لقائد المدينة ليرسلها الى عمان ليموه على الناس
فيها ، وهذا نصها) :

جده ١٥ ربيع الثاني — وكيل الأمير والقائد وقائد الخط ورئيس الديوان
برقياتكم لشرق الأردن بخصوص إلحاق المدينة الى الشرق العربي تناقلتها
الصحف العربية الاسلامية ، وستضر بموقفنا المالي جداً ، الحقوا المسألة وكذبوها
في هذه البرقية اكتبوها للأخ عبد الله بعمان تبتدىء (كنا سابقاً نظراً للضيق
الذي كنا فيه طلبنا معاونتكم لنا فقط ، والآن الحمد لله العدو انسحب من أمام
خطوطنا ، وقد وصل ٣٥٠ رجل ، ونحن مازلنا مجاهدين ومدافعين عن قبر
الرسول بأرواحنا ، ونبذل الغالي والرخيص في هذا السبيل) عسى ولعل ترتق
ما حصل في الأذهان والأفكار العمومية
علي

المراوغات

لما نشر الشريف علي في الأتحاء الأكاذيب عن المدينة المنورة ، وجاءت
الوفود لرؤيتها أخذ يعمل الأساليب المتعددة لخداعهم في المدينة أيضاً ، وهذا
نص البرقيات التي أرسلها من أجل قنصل ايران

١ ج ١ — قائد المدينة وكيل الأمير . قائد الخط رئيس الديوان

نبشركم ، العدو انسحب من أطراف ينبع ، أرسلوا من يتجسس وعرفونا ،
وأظن أن العرافة رئيسهم توجه لعندكم ، وكذلك محمود ابن سعود توجه لطرفكم ،
بناء على الكتب التي أرسلت لأجل التسليم ، ومعه قنصل لايران وعبد الله الفضل

وهذا الأخير هو عدونا ، فلا تخلوه يختلط بالناس ، ولا يمشي بنفسه ، راقبوه كل المراقبة ، واعرفوا كيف تشتغلوا

علي

٨ ج ١ - المدينة ، الشريف شحات

إجمعوا جميع النخالة والأهالي المظلومين وخذوهم الى القنصل الايراني ويحكوا له كل الذي حصل عليهم من الفضائع

ناصر بن علي

جدة ٩ ج ١ - ناصر بن علي

عرضت عليهم جميع الأهالي والنخالة المظلومين فلم يعملوا بمشورتي شحات
(وهذا نص البرقية التي أرسلها الشريف علي لمنع دخول وفد جمعية الخلافة الهندي الى المدينة المنورة)

٨ ج ١ قائد المدينة ، وكيل الأمير

بلغنا أكيداً أن وفد جمعية الخلافة الهندية وصل رابع ، ومنها لمكة ، ومنها سيتوجه لطرفكم ، فاذا وصل وأراد دخول البلدة ، فاطلبوا منه هل جبتوا أمر من الحكومة الهاشمية ، فاذا مامعهم أمر فلا تدخلوهم ، وإذا قالوا : معنا قولوا لهم تفضلوا ، لأن هذا الوفد هو عدونا ، وقريباً سيصل جدة وفد آخر هندي ضد هذا الوفد فلا يهكم ذلك

علي

دور الشدة

ومن تاريخ ١٠ جمادى الأولى بدأت المشادة بين حامية المدينة والشريف علي ، وهناك خرج الشريف علي عن جميع الحدود ، فأباح في الحرم المدني المقدس السلب والنهب ، وبيع المجوهرات ، وهذا نص البرقيات التي عثرنا عليها في هذا الصدد ننشرها للتاريخ بحروفها وأغلاطها :

جدة ٥ ج ١ - إلى الملك

نحن لا يهمننا لا ابن السعود ولا السعود بنفسه ، إنما الذي يهمننا هو الأرزاق للجند ، الجند بعد ما انتهت من تخريب البيوت بالخارج بدأت تنهب بيوت الداخل وعدتونا بارسال الطيارة بالدراهم المتيسرة ، الى الآن لم نزلها

أرأ ، دبروا وارسلوا لنا الدرام ولو يبيع إحدى البواخر ، وترون منا ما يصركم
رئيس الديوان قائد المدينة

المدينة ١ ج وكيل الأمير قائد المدينة
ج جاوبوا ولد السعود بأشد ما يمكنكم حتى لا تجعلوا له باب للخاهرة معكم
قطعيًا ، وهكذا يقطع أمه منكم
علي

جدة إلى الملك ١٠ ج
تأ كد لدينا أن محمد ولد السعود واجه أحد من أهل المدينة في دابته وأحكوا
له قضية يبيع مجوهرات الحرم ، ولكن تداركنا الأمر وكذبناها أمام القنصل
الایراني ، بالطبع أم القرى ستشرها يكون معلومكم
قائد المدينة
جدة ١٣ ج إلى الملك

امضوها وخلصونا

فهمنا انكم اتم الذين مؤخرين انتهاء المسألة بسبب عدم امضائكم المعاهدة
للا تكلز انقضى الأمر ولا بقي في اليد حيلة ووقعنا في الذي نخشاه . الجنود
ما عندهم أرزاق الا ثلاثة أيام. التحويل لا يمكن أخذه من البلدة. العدو الذي جانا
قبل مدة لم يزل باقي هنا ينتظر الدرام ، وقصارى القول أنه اذا للغد لم ترسلوا
الطيارة في الساعة السادسة سنفاوض العدو عزت عمير ، عبد المجيد احمد

المدينة ١٣ ج ١ — وكيل الأمير قائد المدينة قائد الخط رئيس الديوان
ج باكر الثلث تحيكم الطيارة، هل تريدون انتحاري
علي

جدة ١٤ ج إلى الملك

تزييداً لقوة معنوية الجيش وتنشيطا لهم وإرهاها بالعدو لا بد من ارسال
الطيارة الى المدينة ، ولو تحوم مؤقتا وترجع حالا ، لا بد من ذلك ، وليس لدينا
غير هذا
عبد الله بن عمير

المدينة ١ ج ١ — رئيس الديوان

ج . لعدم وجود البنزين عندنا لا يمكننا ارسالها الا بعد عشرة أيام لدينا

نحضر لها البنزين في الباخرة مع ذلك سأجهد أنا والطيارين في ذلك
علي

المدينة ١٤ ج ١ — رئيس الديوان

برقياتكم أمس وملحقاتها أزعجتني للغاية ، ما أدرس عليك يا عبد الله ، الحال واقف
معانا بالمرّة من شهر وزيادة ، وأنا أتثبت لقرض برهن أو يبيع أملاك فلم تتوفّق ،
الأجانب محتجين بأنهم على الحياد ، لولا اعتمادي عليك ما أطلعنك على هذا
تبصر بالأمر أنا في حيرة بسبب إرسال الطيارة ، قلت لكم يعموا الغضب
والفضة التي بالحرم قتلوا (١) لما نحتاج فهل بقي احتياج بعد ما تقولوا الى الغد الساعة
السادسة إن لم تروا الطيارة فمن نفاوض العدو . الحالة التي أنتم بها تجهز لكم
عمل كل أمر ، انهبوا واكسروا ولا تهددوني بمثل هذا ، الحالة التي نحن فيها لا تقل
عن حالتكم ، ارحموني دخيلكم ، اصبروا مقدار عشرة أيام حيث يصلنا دراهم
من سيدنا نرسل لكم منها
علي

المدينة ١٧ ج ١ وكيل الأمير ، قائد المدينة

بلغنا من نجاب ورد اليوم من مكة أن ولد السعود محمد توجه من طرفكم
إلى رابغ ، حققوا وعرفونا
علي

جدة ١٧ ج ١ الى الملك

ج ولد ابن سعود هنا قائم بتخريب وتجميع العربان ، والتضييق علينا
قائد المدينة
وكيل الأمير

جدة ١٧ ج ١ الى الملك

ج كررت الشرهه علينا وبالنتيجة تقول كلوا المحرمات فلا بأس ولكن فيها
مضرة ولا نرى منكم إلا اشارة الاهانة بحيث صرحنا للعالم الاسلامي ولا حصلت
فائدة وهذه من جملة إشارات ماعرضنا لكم ولا عاد فينا صبر بعد ذلك ونحن
بدنادولة مستقلة وأنتم استقليتم بها في أول الوقت فكيف تشرهوا علينا في الآخر

رئيس الديوان

قائد الخط

قائد المدينة

والقائد

وعزت

وعبد الله

المدينة ١٧ ج ١ وكيل الامير والقائد وعزت وعبد الله

ج لولا غلامك وغلاء من أنتم بجوارده واعتقد أنكم تقولوا اني ما شرهت عليكم وأكل المحرمات مباح عند الضرورات مع هذا ما قلت كالأحرام وأما الإهانة منكم ولو صدر مني شيء فبرقياتكم أمس تجعلني مثل المجنون أقول ولا أدري عن الذي أقوله وله الحمد الذي ماضيت شعوري الغاية هي أن بعد الله نتم استنادي اشتغلوا شغل العقال ونحن ندبر الذي ييسره الله ونرسله لكم أما تحويل وأما بالطيارة واستعينوا بالله والصبر والشدائد لا بد لها من فرج ومثلكم يعرف كل شيء وأما شرهتي كما تقولوا في مخابرة الأجناب فأنتم أعرف بذلك فإذا فكروا تعرفوا محذورها وقد حررنا على شحات في لزوم تأدية الدراهم لكم مع استشارتكم في تديرها ولا تقصروا في جهدكم بشيء وأيضا أمرنا ناصر يؤكد عليه في ذلك هل استلم الحوالة من الخجا يكفي مالفية يا مسلمين علي

جدة ١٧ ج الى الملك

من يشك في ثباتنا الذي نوهتم عنه يبرقيانكم المتعددة نحن لانزال محافظين على عهدنا ووعدنا حتى نفقد موجودنا ولكن الدرجة وصلت اللحم وبعد كل هذا هل عندكم أمل ؟ نحن نريد منكم تأمين معيشة الجند الذي منذ ثلاثة أيام محروم الطعام هل رأيتم من يصبر على هذا ؟ وهل كان هذا بمساعدة الأمة التي تنصرونها ، أم بحسن تدبيرنا ودرائتنا ، أين الوزراء الذين قلدهم الأمور ؟ أين الوكلاء ؟ أين رجال الدولة ؟ أين الذين أوعدوك المعاونة عند الشدائد ؟ أين الذين أشاروا عليك بتطويل المواعيد ؟ هذا يومهم اجمعوهم ان استطعتم يفكروا في أمرنا لأنك تعلم بأن دوام الملك موقوف علينا والله ثم والله نكتب لكم هذا ونحن على ثقة بأن اليوم هذا هو آخر عهدنا بكل صراحة نقول إذا لم تتوافقوا مع الذين زاحموكم وأوقعوكم بهذا الموقف الحرج وتتوسلوا بتخليصنا إذا كان مرادكم حياتنا وحياة البلاد والافئدة بالنتيجة يأخذ الجليل وهذا واقع لا بد منه . تحاويلكم رفضوها . شحات يجاوبكم دبرونا اليوم والانسلم عليكم عبد الله عمير عزت عبد المجيد احمد فأجابهم الشريف علي على هذه البرقية برقية حماسية يطلب منهم الصبر والجلد

وأعقب الشريف علي هذه البرقيات بالبرقية الآتية :

المدينة ١٧ وكيل الأمير والقائد ورئيس الديوان وقائد الخط

لم تجيبوني على برقياتي لأعلم أي ذنب جنيته لتعذبي بهذه الصورة ليس لي
رغبة أو مطمع سوى حفظ كيان البلاد وشرفها ولكن هذه بلية قدرها الله وهو
عالم بالسرائر وبالأعمال وأملئ انكم تسعوا في حفظ شرف البلاد بمهما كانت
الحال وأما الحياة التعيسة والدليلة فالله لا يحكم بهاعلينا . كونوا على يقين عند أول
حركة تعملوها تكونون سبب ضياع حياتي وبعده أنتم والبلاد وأنا خصيكم يوم
القيامة وأطالبكم بضياع ديني (؟؟) علي

وفي أثناء هذه الزوبعة من البرقيات يرسل الشريف شاكر من ينبع للشريف
علي البرقية الآتية :

جدة ١٧ ج الى الملك

استرحم صدور الامر في ارسال تحويل باقي المرتب من ارز وسمن وبن
وأيضاً ارسال شيء باسم المملوك خاصة وارزاق الفداوية والحروب شاكر

دور تسليم

ولما تيقن رجال حامية المدينة أن لا فائدة من اطالة القول مع الشريف علي
وقد بلغ منهم الضيق . بلغه قرروا التسليم فبعث قائد المدينة عبد المجيد وعزت
مدير الخط كتاباً الى سمو الأمير محمد يطلبان ملاقاته وانهما سيخرجان الساعة
الرابعة من صباح الجمعة في ١٨ جمادى الأولى من المدينة ويطلبان من يستقبلهما
فاجاب سمو الأمير طلبتهما وأرسل اليهما خيالة استقبلتهما ولما حضرا بين يدي
سموه فاوضاه في التسليم على شرط اعطاء الأمان لجميع الجنود والضباط والاهلين
واعلان عفو عام عما مضى وانهم في قابل ذلك يسلمون المدينة وما فيها . وفي
صباح السبت دخل الأمير ناصر بن سعود وعبدالله الفضل وعزت قائد الخط
الى المدينة مع فريق من الجنود فاستلموا قلعة سلم وما فيها من ذخائر وعتاد
ووضعوا فيها قوة عسكرية ثم صروا بجميع المراكز العسكرية والملكية للحكومة

فاستلموها ووضعوا في كل منها قوة من الجيش النجدي ولم يأت مساء السبت حتى كان جنودنا قد انتهى من استلام كل شيء في البلدة وأمن الناس أجمعين وفي صباح الأحد تحرك ركاب سمو الأمير بجنوده وراياته قاصداً المدينة فوصل دائرة البرق حيث تواً فيها ثم سار تواً لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى فيه ثم أتى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) ثم رجع قاصداً بمواساة الأهلين وقد استحضر من رابع ثلاثة آلاف كيس دقيق وارض لتوزع على الأهلين ولدينا تفاصيل كثيرة عن هذا الفتح ضاق النطاق عنه فترجته لفرصة أخرى إذا احتاج الأمر إليه . إه

(ثم نشرت الجريدة في هذا العدد البلاغ العام الذي أذاعه السلطان عقب فتح المدينة المنورة . وهذا نصه)
(٢)

استسلام جدة وبه تم الاستيلاء على الحجاز

(صدر العدد الثاني والخمسين من جريدة (أم القرى) القراء في جدة في ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥) مفصلاً لما ذكر وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عام

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى اخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى

(١) المنار : هذه هي السنة التي لم يكن الصحابة يزيدون عليها . فأما صلاة الركعتين فمعروفة والأمر بها مرفوع وأما السلام فروي عن ابن عمر (رض) انه كان يأتي قبر النبي (ص) فيقول السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا أبا بكر . السلام عليك يا أبت . وينصرف

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فاني أحمد الله اليكم وحده الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، واهنتكم وأهنيء نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر ، وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم ، وارجو من الله أن ينصر دينه ويهيئ كلمته ، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبني هداية

اخواني : تفهمون أنني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة اهله وأمن الوافدين اليه اطاعة لأمر الله قال جل من قائل (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال تعالى (ومن يرد فيه بالحجارة بظلم ندقه من عذاب أليم)

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من اقصاه إلى اقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة واتعابها ولما من الله بما من من هذا الفتح السلمي الذي كنا نتظره وتوخاه أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد ، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو وإني أبشركم — بحول الله وقوته — أن بلد الله الحرام في اقبال وخير وأمن وراحة واتي إن شاء الله تعالى ساذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والأطمئنان لها

لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء في العمل فاوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته ، فانه من تمسك بالله كفاه ومن عاداه — والعياذ بالله — باء بالخيبة والخسران . إن لكم علينا حقوقاً ولنا عليكم حقوقاً فمن حقوقكم علينا النصيح لكم في الباطن والظاهر ، واحترام دمايتكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة . وحقنا عليكم المناجحة والمسلم مرآة أخيه ، فمن رأى منكم منكراً في امر دينه أو دنياه فليناصحنه فيه ، فان كان في الدين فالمرجع إلى

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون لذلك اطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة ، وأنى أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الاهواء التي ينتج عنها افساد الأمن في هذه الديار ، فاني لأراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً . وليحذر كل انسان أن تكون العبرة فيه لغيره . هذا ما يتعلق بامر اليوم الحاضر . وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها

وأتى أسأل الله أن يعيننا جميعاً وبوقتنا لما فيه الخير والسداد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
عبد العزيز بن عبد الرحمن
تحريراً بجدة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الفصيل آل السعود

كيف تم تسليم جدة

﴿ بين الهجوم والوجوم ﴾

يعلم الجميع ما كان من عظمة السلطان واختياره خطة الحصار على خطة الهجوم لانتهاء هذه القضية ونشرنا مرات عديدة أن السبب في ترجيح هذه الخطة هي الرغبة في حقن الدماء وخشية أن يسبب الهجوم فوضى في البلدة تنتج اصابة الابرياء بما لم تكسبه ايديهم

ولكن في المدة الأخيرة تراءى للناس أن الفوضى ستقع في البلدة هجم الجيش أو لم يهجم للانحلال الذي أصاب حكومة جدة في مالياتها ونظامها ، ولما رأى عظمة السلطان ذلك بعث مناشيراً للجند في جدة يحذرهم من عاقبة التمادي في الباطل ثم أقام ينتظر النتائج ، ولكن لم يتوسط شهر جمادى الاولى حتي وصل الى القيادة العليا أن قسماً من رجال الحول والطول في حكومة جدة يتآمرون على احداث الفوضى في البلدة ونهبها والاخلال فيها ، ولما وصل هذا الخبر وتحقق

أمره تقريباً رأى عظمة السلطان أن ما كان يخشاه سيقع ، وأن الحزم يقضي بتعجيل الهجوم قبل أن تذهب الفوضى بالبلد وأهلها فامر مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادى الأولى القوة التي وصلت جديداً من الديار النجدية ، وخيست في الأبطح أن تتحرك إلى الرغامة وأمر فريقاً من الجيش الذي بدأ في المسير إلى ينبع أن يعدل عن طريقه ويرجع إلى جبهة جدة وأصدر أمره العالي لأخيه سمو الأمير عبدالله ونجده سمو الأمير فيصل أن يكونا على قدم الاستعداد للعمل . وفي ظهر الأربعاء ركب عظمة السلطان سيارته الخاصة ومشى إلى الجبهة وقرر القيام بالهجوم يوم الجمعة

﴿ مفاوضة التسليم ﴾

ولكن لم تبلغ السيارة السلطانية بحرة حتى شوهد في الطريق سيارة قادمة من جدة وشوهد فيها المنشي احسان الله أحد موظفي دار الاعتماد البريطانية في جدة يحمل من سعادة المعتمد الكتاب الآتي نصه :

جدة في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
السعود سلطان نجد

بعد الاحترام : مراعاة للإنسانية ولاجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز أكون مسروراً اذا تفضلتم عظمتمكم بالمواقفة على مقابلي بالرغامة غداً يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى
وكيل قنصل جوردن

ولما اطلع عظمة السلطان على هذا الكتاب أرسل لسعادة المعتمد البريطاني
الجواب الآتي :

الرغامة في ٣٠ جمادي الاولى سنة ١٣٤٤

من عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني
المستر جوردن المفخم

تحية وسلاما : اتشرف بأن اخبر سعادتك بأني تناولت كتابكم المؤرخ
١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ وفهمت ما تضمنه . حالا حضرنا في (العرضي) لمقابلة
سعادتك في المحل الذي يخبركم به المنشئ احسان الله . هذا وتفضلوا فائق احتراماتي

الحتم السلطاني

وفي الساعة الرابعة من مَهار الخميس وصل المعتمد البريطاني الى مقر عظمة
السلطان واخبره بأن الحكومة البريطانية لا تزال على موقفها الحيادي في قضية
الحجاز ، ولكن بالنظر لما عليه الموقف الحاضر في جدة ولعرفتي بمحبتكم للسلم
وراحة المسلمين وحقن دمائهم وحقن دماء الاجانب تقدمت اليكم بناء على طلب
الشريف علي وحكومته في التسليم وأن توسط في تقديم هذه الشروط لغاية انسانية
بحثة ليس إلا

فاجاب عظمة السلطان على ذلك بانني ممنون في هذا على شرط أن تكون
الشروط موافقة لنا فاجاب المعتمد بأن الشروط نعرضها عليكم حتى اذا وافقت
رغباتكم يمكنكم قبولها ، وبعد أن اطلع عظمة السلطان عليها قبلها مبدئيا بعد
ادخال شيء من التعديل عليها وهذا نصها

﴿ اتفاقية التسليم ﴾

- (١) بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن
السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحريين والاشراف وأهالي جدة
عموما والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم
- (٢) يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال جميع اسرى الحرب الموجودين
بجدة إن وجد

- (٣) يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه
- (٤) يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطائرات وخلافه وجميع المهمات الحربية
- (٥) يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بان لا ينجروا أو يتصرفوا في أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها
- (٦) يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرسل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد بأعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم
- (٧) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بمجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه
- (٨) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقى جميع موظفي الحكومة الملكيين في مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بامانة
- (٩) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك علي الحق في أن يأخذ معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك ائتمويله وسجانيده وخيوله
- (١٠) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلا من الموروثة ولا تشمل على الأملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكا على الحجاز
- (١١) يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء
- (١٢) جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل ورشدي والرفعتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يصرح إن لم الأمر للباخرة رفعتين أن تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع
- (١٣) يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بان لا يبيعوا أو ينجروا أو يتصرفوا في أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللشاشات والسنايك وخلافه

(١٤) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة بعالیه الا بما يختص بتوزيع النقود

(١٥) يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام وهم : عبد الوهاب . ومحسن وبكري أبناء يحيى قزاز وعبد الحمي بن عابد قزاز . واحمد وصالح أبناء عبد الرحمن قزاز . واسماعيل بن يحيى قزاز . والشيخ محمد صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي أبناء محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي أبناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد احمد السقاف وعوائل وأموال جميع المذكورين آنفاً

(١٦) إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الاحوال يخالف أو يقصر في تنفيذ أي مادة من المواد المذكورة بعالیه ، فإن السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية

(١٧) يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي أن يكفعا عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات

وفي عصر الخميس ١ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤ أمضى عظمة السلطان هذه الاتفاقية وفي الساعة السادسة ليلاً من هذا المساء أمضاها الشريف علي واعتبرت نافذة من ذلك الوقت

الشريف علي في البارجة

وقد مضى يوما الجمعة والسبت بكل هدوء في جدة وأخذ الضباط والجنود فيها يستعدون للتسليم ، وكان المنتظر أن الشريف علياً يغادر جدة يوم الثلاثاء ولكن ترتيب التنظيم للتسليم قد يصعب مع وجوده لذلك تقرر سفره من البلدة وأن يقيم في السفينة التي تقسله الى عدن ريثما يتم وسائل الانتقال الذي تمحده لنهايتها يوم الثلاثاء وفي الساعة الرابعة من صباح الاحد ٤ جمادي الثانية ركب زورقا بخارياً الى البارجة البريطانية (كارن فلاور) ثم لحق به الشريف شاكر وكتابة عبدالله رشيد وبعض نفر من خدمه

الاستلام

وفي مساء الأحد عاد المعتمد البريطاني إلى الرغامة وأخبر عظمة السلطان بأن الشريف علياً قد أقام في البارجة البريطانية ، وأنه قرر السفر إلى عدن ، ومنها إلى العراق حيث يقيم فيها نهائياً

وأنه (أي المعتمد) يرى أن وظيفته في التوسط تنتهي في صباح الغد ، ويقدم لعظمة السلطان رئيس الحكومة المؤقتة ، وهو القائم مقام عبد الله زينل ورئيس القوة العسكرية الضابط صادق بك ، فشكر له عظمة السلطان سعيه

وفي صباح الاثنين قدم إلى المقر العالي المعتمد البريطاني ، ومعه رئيس الملكية ، ورئيس العسكرية ، فدخل سراح عظمة السلطان ، وكان فيه كثير من الضيوف ورجال الخاصة ، وبعد أن استقر بهم المجلس قال سعادة المعتمد ما يتخلص بأن المهمة الانسانية التي سعى لها ، وهي التوسط في حقن الدماء قد انتهت ، وإني أقدم بصورة رسمية رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسئولين أمام عظمتكم ، فأجاب عظمة السلطان شاكرًا مثنيًا على همه المعتمد الذي بذلها في هذا السبيل ثم رجع المعتمد البريطاني إلى جدة ، وأقام الرئيسان يتذاكران مع عظمة السلطان في الترتيب الذي رتب من أجل ضبط جميع ممتلكات الحكومة والأشياء التابعة لها .

وانقضى ذلك النهار باستقبال الوفود التي قدمت من جدة لتهنئة عظمة السلطان بما أتم الله على يديه ولقد كان في جملتهم الأشراف والعلماء والأعيان وفيهم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد نصيف والشيخ قاسم زينل وكثير ممن لم تحضرنا أسماؤهم وفي جملتهم بعض رجال ديوان الشريف علي وكبار الموظفين عندهم والكل كان مسروراً ومستبشراً بانقضاء هذه الأزمة على هذا الشكل السلمي الذي حققت فيه الدماء وقتعت فيه السبل

وفي صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية أمر عظمة السلطان خالد بك الحكيم وحسن بك وقتي وعبد العزيز العتيقي ويوسف ياسين مدير هذه الجريدة بالدخول

إلى جدة والمباشرة باستلام المهمات العسكرية وترتيب انفاذ الاتفاقية التي وضعت من أجل الجنود وضباطهم والنظر في الحالة العامة بالأجمال ، ولقد سارت هذه الهيئة في سيارة خاصة ودخلت جدة الساعة الثالثة والنصف صباحاً ، وفي تلك الساعة كانت الدارعة التي تقل الشريف علياً تهباً للرحيل ، وقد نزل إليها فيما بلغنا بعض الوجهاء وقناصل الدول فودعوه على ظهر الباخرة ورجعوا ، وقد أقلعت البارجة من ميناء جدة الساعة الرابعة من النهار

دخول عظمة السلطان

وفي صباح الأربعاء ٢ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤ تلقى فريق من جنود المشاة ورهط من خيالة الحرس السلطاني الخاص بقيادة سمو الأمير عبد الله أخي عظمة السلطان الأمر بالمسير من المقر العالي إلى الكندرة للانتظار فيها ، لاستقبال عظمته حين دخوله إليها ، وقد أعد فيها سرادق خاص لاستقبال المستقبلين ولما كانت الساعة الرابعة بلغت سيارة عظمة السلطان بالقرب من الأسلاك فنزل عن سيارته وامتطى ظهر فرسه ، وسار بموكبه المهيّب حتى وصل أمام السرادق المنسوب ، حيث كان الناس من كافة الطبقات وقواً ينتظرون ، فلما نزل عن ظهر جواده رفع العلم النجدي على باب السرادق ، وأخذت المدفعية بإطلاق مدافع التحية ، فأطلقت مائة مدفع ومدفع ، وقد جلس عظمته في صدر السرادق ، ومن ورائه سمو أخيه الأمير عبد الله ، وبعض أمراء البيت السلطاني وفريق من آل الرشيد وبعض خاصته ، ولما استقر بعظمته المقام استأذنه القائم مقام بتقديم معتمدي الدول وقناصلهم فأذن ، وكانوا معتمد دولة بريطانيا العظمى ، ومعتمد دولة السوفيت ، وقنصل إيطاليا ، وقنصل فرنسا ، وقنصل مصر ، ووكيل قنصل هولندا ، ووكيل قنصل إيران ، وكان معهم مندوبوا الشركات الأجنبية في جدة ، ولما استقر بهم المقام نهض قنصل إيطاليا ، وتكلم باللغة العربية ما ملخصه : إنه بالنظر لآتي أكبر القناصل سناً أتقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم هذه البلدة بهذه

« المنار : ج ٩ » « ٨٧ » « المجلد السادس والعشرون »

الطريقة السلمية ، التي حققت فيها الدعاء ، وتمنى لكم السعادة والهناء دائماً .
فأجابه عظمة السلطان باتي لم أبطي . في الأعمال الحربية إلا انتظاراً . لهذه
النتائج السلمية ، وإني أشكر سعادة المعتمد البريطاني ، وأعرب عن سروري
لحضرات القناصل جميعاً ، وأشكرهم على الرغبة التي أبدوها في موقف الانقلاب
الآخر ، حيث تمّ بسلم كامل حسب الرغبة والمطلوب ، وإن شاء الله تعالى
سيكون الحال في الحجاز مما يسبب الراحة لجميع أهل الحجاز وجميع الوافدين
إلى هذه الديار المقدسة

ثم تكلم القائم مقام وشكر قناصل الدول لمساعدتهم له في الانقلاب الأخير ،
ودارت بعد ذلك أحاديث خصوصية . ثم قدّم عظمة السلطان أخاه سمو الأمير
عبد الله لحضرات القناصل وقال : إن (فيصلاً) تأخر في المقر لبعض تدابير
عسكرية ، وبعد أن تناول الحاضرون القهوة وكؤوس المرطبات ودعوا عظمة السلطان
وانصرفوا مودعين بمثل ما استقبلوا به من الحفاوة .

ثم دخل الضباط العسكريون فوجاً بعد فوج وعظمته يستقبلهم بوجه طلق
وثر بسمام وبعد ذلك تقدم علماء البلدة وأعيانها فقابلهم أحسن استقبال وأفاض
عليهم من أحاديث العذبة وكلامه الجميل . وقد دام وقت الاستقبال ما يقرب من
الساعتين وأمضى عظمة السلطان يومه وليلته في (الكندرة)

وفي صباح الخميس ٨ ج ٢ قرر عظمته الدخول إلى البلدة فدخلها ونزل في بيت
العالم السلفي الفاضل الشيخ محمد نصيف ، ولما وصل المنزل هرع الناس أفواجا
أفواجا للتحية والسلام عليه ، وقد ألقى بين يديه الشاب الأديب حسين نصيف
خطاباً موجزاً جميلاً ، ثم قام بعده الأديب الفاضل الشيخ محمود شلهوب فتكلم
عن الحجاز وحاجاتها نصيح فيه ووعظ ، ثم قدم تلاميذ مدرسة الفلاح بنشيد
يحيون فيه عظمة السلطان ، وتقدم خطيباً منهم بخطاب تحية جميل ، وقد شكر
عظمة السلطان الجميع على ما أظهروه من الحفاوة والتكريم

كتاب الصحة

تأليف
زعيم الهندوس الأكبر
مهااتما غاندي

ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي *

مقدمة

إني مهتم بمسئلة الصحة منذ عشرين سنة اهتماماً خاصاً ، حتى إني في زمن إقامتي بانكلترا كنت أقوم بنفسي بأعداد طعامي وشرايبي . ولذلك أتجرباً على القول بأن تجاربي في هذه المسئلة مما يصح الاعتبار به . وقد حصلت بتلك التجارب على نتائج نهائية جمعتها في الصفحات التالية للقراء

لقد صدق المثل القائل (الوقاية خير من العلاج) فإن الابتعاد من المرض بمراعاة قوانين الصحة أسهل وأسلم من مداواة الأدواء التي لا تصيبننا الا لجهلنا وعدم مبالاةنا بتلك القوانين . فعلى هذا يجب على سائر الناس أن يعرفوا قواعد الصحة معرفة صحيحة . وهذا هو الغرض من تسويد هذه الصفحات لتكون بيانا لتلك القواعد ، هادية الى الطرق المثلى لمعالجة الأمراض الكثيرة الوقوع

قال ملتون : ان الذهن هو الذي يقلب الجنة جحيماً والجحيم جنة ، لأن الجنة ليست في مكان فوق السموات العلى ، ولا الجحيم في الدرك الأسفل من الارض^(١) وقد أشار الى هذا المعنى بعينه المثل السنسكريتي القائل « تتوقف

* (للمترجم مقدمة غير مقدمة المؤلف سننشرها بعد

١٥ المنار : إنما يضح هذا القول دون تعليله من بعض الوجوه في نعيم الدنيا وعذابها فإن للاذهان والتصورات تأثيراً عظيماً فيها وأما نعيم جنة الآخرة وعذاب جحيمها فن عالم الغيب الذي هو أعلى من ذهن ملتون وعلمه فليس له أن يحكم فيه

عبودية المرء وحريته على حالته الذهنية « هكذا الصحة والمرض منوط . أمرهما بذهن الإنسان نفسه . فالمرض لا يكون نتيجة لأعمالنا وإهمالنا وتقریطنا فقط ، بل لشعورنا وميولنا ، وأفكارنا النفسية أيضاً . وقد قال قائل من مشاهير الأطباء « الناس يموتون جزعاً من الأمراض ، كالجدري والهيضة والطاعون ، أكثر مما يموتون بهذه الأوبئة نفسها » لقد أصاب القائل في قوله . فإن مما لا ريب فيه أن الجبان أكثر ما يلقي حتفه قبل أجله^(١)

ان الجهل بقواعد الصحة علة من العلل الأساسية للأمراض . فكثيراً ما نمزع ونضطرب من مرض تافه جداً ، ثم نزيده خطراً وشدة لجهلنا به وبأسبابه وطرق علاجه ، وهذا الجهل نفسه يسوقنا الى اتخاذ التدابير الخرقاء أو الالتجاء الى المتطببين الدجالين . ما أعجب هذه الحالة ! ولكن ما أصدقها ! فإن علمنا بالأشياء القريبة منا أقل من علمنا بالأشياء البعيدة ، فما أقل مانعلمه عن قرينتنا التي ولدنا فيها ، والتي نعيش فوق أرضها وتحت سماءها طول عمرنا . ولكننا نستطيع أن نعيد عن ظهر القلب أسماء أنهار انكلترا وجبالها . ما أشد رغبتنا في معرفة أسماء النجوم المتلاثلة في السماء ، على حين إتنا قلما نبالي بمعرفة الأشياء التي يحتوي عليها بيتنا . ان حب المراسح والألعاب الصبائية المتكلفة قد ملك قلوبنا . ولكننا قلما نخطر في بالنا أن نجعل نظرننا في هذا الملعب الأكبر الذي تلعب فيه الطبيعة أمام أعيننا لعبها الذي هو فوق كل جد ؟

نحن لا نستحي مطلقاً من جهلنا الخلل بينية جسننا ، وكيفية نشوء العظام والعروق والأعصاب ونموها ، وكيفية دوران الدم وتحوله الى الفساد ، وكيفية سريان الأفكار الخبيثة والأهواء الشيطانية الى قلوبنا . بل ما هو أعجب من كل ذلك كيفية قطع ذهننا للمسافات الشاسعة ، والأزمان الطويلة (اللانهائية) بينما الجسم لم يزل ساكناً الى غير ذلك من العجائب التي تحير الأبواب ! أجل ،

(١) يعني أجله الطبيعي الذي كان مستعداً له بحسب قوة بنيته لا الاجل المكتوب له عند الله تعالى أي أجل الجبان الذي يجني على نفسه من حيث يظن انه يحافظ عليها

لا شيء أقرب إلينا من جسمنا ، ولكن ربما لا يوجد شيء نجهله أو نعرض عنه مثل ما نجهل ونعرض عن جسمنا

يجب على كل واحد منا أن يزيل هذا النقص المحزني ، ويرى من أكبر وظائفه المحيطة عليه أن يعلم شيئاً من الحقائق الأساسية المتعلقة بجسمه . كذلك يجب أن يدخل هذا القسم من التعليم في مدارسنا ويجعل إجبارياً . إن حالتنا الآن لمحة جدياً ، فانه إذا أصابنا جرح خفيف أو حرق طفيف ، فانا لا نعرف ما نفعل إذا ، وإذا شاكنا شوكة في قدمنا تقعد متحيرين لا ندري بم نقشها ؟ وإذا لسعنا ثعبان عادي فلا تسأل عن جزعنا وفرعنا ! أجل ، إن هذه الحالة المحزنة ، لو تدبرها نجد لنختنق حياء وخجلاً . ومن يزعم أن جميع الناس عامتهم وخاصتهم لا يمكن أن يعرفوا هذه الأمور فزعمه باطل ، وإني أقدم الصفحات التالية إلى جميع أولئك الذين لا يحبون المعاذير ، بل ينشدون المعرفة والعلم والعمل إني لا أزعم أن الحقائق التي أودعتها في هذا الكتاب لم يسبق إليها أحد قبلي ، ولكن سيجد القراء فيه لباب كتب كثيرة في هذا الموضوع ، فإني ما أقدمت على التأليف إلا بعد درس هذه الكتب درساً وافياً ، وبعد المرور على سلسلة من التجارب الجدية الشخصية . وعدا هذا فإن قرأني الذين ليس لهم سابق معرفة بالموضوع سيدخلون من التحير والارتباك في تمحيص الحق من الآراء المتضاربة المتناقضة التي شحن بها الأطباء كتبهم ، فينما يقول كاتب : إن الماء الساخن يجب استعماله في حالة خاصة ، إذا بالآخر ينقض قوله زاعماً أنه يجب استعمال الماء البارد فيها . ولكني قد درست هذه الآراء المتناقضة درساً وافياً بكل تنبيه وبقظة حتى أمكنتني أن أوكد قرأني أنه يحسن بهم الاعتماد على أفكاري الخاصة لقد تعودنا دعوة الأطباء حتى في أخف الأمراض ، وإن عجزنا عن دعوتهم عملنا بإشارات المتطبلين الجاهلين . وما ذلك إلا لأننا قد خدعنا بخداع فظيع ، فأصبحنا نعتقد أنه لا يمكن شفاء المرض إلا بالدواء . إن هذا الوهم لشر الأوهام ، وهو العلة لأكثر متاعب النوع البشري ومصائبه . نعم يجب معالجة الأمراض التي تعتر بنا ، ولكن ليس (بالأدوية) التي لا يقتصر أمرها على عدم الفائدة ؛

بل قد تكون ضارة أيضاً . ان انكباب المريض على العقاقير والأدوية حماقة لا تقل عن حماقة الذي يحاول تنظيف البيت بتغطية الاوساخ المتراكمة فيه عوضاً من إزالتها ، فكما ازداد عناية في تغطيتها تزداد هي عفونة وتنناً ، وهكذا تغطية الامراض بالأدوية في الجسم الانساني

ان المرض ليس الا (إنذاراً) من الطبيعة بأن الاوساخ قد تراكت في جزء من أجزاء البدن ، فمن الكياسة إذاً أن نترك الطبيعة تزيل الوسخ بنفسها ^(١) لا أن نحول بينها وبين وظيفتها بتغطية المرض بالأدوية . ان الذين يستعملون الأدوية انما يخافون صعوبة وظيفته الطبيعية . مع أنه من السهل جداً أن يعينوها في مهمتها برعاية القواعد الأولية اللازمة للصحة ، كالصوم الذي يمنع تراكم الوسخ ، وكالرياضة المتعبة في الهواء الطلق التي تزيل بعض الاوساخ وتخرجها في صورة العرق . وإن هناك أمراً هو رأس الأمور وعمادها في جميع الأحوال وهو أن نظل دائماً ضابطين لعقلنا وشعورنا

لقد جربنا أن قارورة واحدة من الدواء اذا دخلت مرة في البيت لا تخرج منه أبداً ، بل لا تزال تدعو وتجلب من أخواتها قوارير أخرى . لقد وجدنا جماً غفيراً من الناس يشكون أمراضاً طول عمرهم مع شدة شغفهم بالأدوية وتهاقهم عليها ، قترام يقرعون اليوم باب هذا الطبيب ، وغداً يجرّون وراء ذلك الطبيب ، وهكذا يقضون أعمارهم في البحث عن نظامي يعالجهم ويشفيهم من أوصابهم ، ولكن هيهات أن يفوزوا بيفيتهم وينالوا الصحة والعافية لقد صدق جوستيس اسطفان Justice Stephen في قوله : « ان من العجب العجائب أن يعالج الأطباء الأبدان التي يجهلون بها بالعقاقير التي قلما يعرفون حقيقتها ! » وقد أيد عدد من أعظم أطباء الغرب هذا الرأي نفسه فاعترف الدكتور استلي كوبر stlei Cooper مثلاً بأن علم الأدوية أكثره تخرص محض وقال الدكتور جوهن فيوربر

(١) المنار : الاولى أن يقال أن يساعد الطبيعة أي المزاج على ازالة ذلك ويدخل في هذه المساعدة الحمية والتدفئة في محلها - وكذا الادوية - ولكن بحسب التروبي في استعمالها وعدم الاسراف فيه والاتكال عليه

Sir John Feorbes « ان معظم الأمراض تشفى بعوامل الطبيعة أكثر من شفاؤها بالأدوية » وقال الدكتور باكر Baker والدكتور فرائق Frank ان عدد الذين يموتون بالأدوية أكثر من عدد الذين يموتون بالأمراض « وقد توسع الدكتور موزونغود Mosongood . حتى قال : « ان ضحايا الأدوية أكثر من ضحايا الحروب والجذوب والأوبئة بمجموعها »

وكذلك مما قد جرت به عادة أكثر الأطباء في بلاد ازدادت فيه الأمراض انتشاراً على قدر عددهم ^(١) قد قويت الرغبة في الأدوية هذه الأيام وازدادت ازدياداً عظيماً حتى ان أحقر الصحف السيارة أيضاً قد أصبحت تعتقد أنه اذا لم يسعدها الحظ بإعلانات أخرى ، فإنها لا بد من أن تفوز بإعلانات الأدوية لقد قيل لنا في كتاب حديث عن الأدوية المسجلة بأن فرويت سولت ^(٢) Fruit — Solts وغيره من المسهلات التي يبلغ ثمنها من روبيتين الى خمس رويات لا تكاف أصحابها الا بضعة مليات ! فلا عجب اذا بالغ أصحابها في اخفاء طرق تركيبها هذه المبالغ الشديدة .

وعلى هذا نحن نؤكد لقرائنا بأنه لا حاجة لهم أصلاً الى الأدوية والأطباء وكذلك تقول للذين لا يتجرؤن على مقاطعة الأطباء والأدوية مقاطعة تامة : تثبتوا وتصبروا وتبصروا ، واستغنوا عن الأطباء ما استطعتم ، وان اضطررتم وقدمتم كل حيلة ، فالحذر كل الحذر من المتطيين ، بل عليكم بطبيب حق تتبعون أوامره بكل دقة ، ولا تراجعون طبيباً غيره الا باذنه . ولسكن اعلموا وتذكروا دائماً وقبل كل شيء بأن الشفاء بيد الله تعالى وحده لا في يد الطبيب .

موهن داس كرم شندغاندي

« ١ » المنار : لعل هذه التجربة وهمية فان كثرة الاطباء ليست سبباً طبيعياً ولا عقلياً لا انتشار الامراض وكثرتها بل المعقول انها سبب للعلم بما لم يكن يعلم منها فيظن غير المدقق انهم سبب لها فان كان بعض الامراض أو المرضى يزيد بمجهل بعض الاطباء فلا شك في أن بعضاً آخرهم سبب قضاؤه

« ٢ » أي ملح الفواكه

القسم الاول

{ في الصحة وأسبابها وفيه تسعة أبواب }

الباب الاول

{ الصحة }

ان من يأكل ويشرب كثيراً ، ويمشي ويتنقل هنا وهناك على ارادته ولا يضطر الى الطبيب بحسب عادة صحيح الجسم ، سليم البدن . ولكنك اذا دقت النظر قليلا في هذا الحسبان ظهر لك سقمه . فانه قد شوهد كثير من الناس يأكلون كثيراً ويغدون ويروحون بحرية ، وهم في الحقيقة مصابون بأمراض خفية . وقد ينخدع هؤلاء الناس أنفسهم بحالتهم فيزعمون أنهم أصحاء من كل الوجوه ، وذلك لعدم مبالاتهم بأمر الصحة وبمعرفة صبيحة والحقيقة أنه قلما يوجد في هذه الدنيا الواسعة انسان صحيح تمام الصحة بمعنى الكلمة — لقد قيل حقا : ان الصحيح تام الصحة إنما هو ذلك الذي يملك عقلا صحيحا كاملا في جسم صحيح كامل . وذلك لأن الانسان ليس الا الروح وأما الجسد فبمنزلة الظرف للروح^(١) ان العلاقة بين الروح والجسد قوية جداً ،

(١) المنار : إنما يصح هذا باطلاقه على بعض المذاهب وأما عندنا فاطلاقه من باب « الحج عرفة » أي ركنه الامم الاعظم عرفة . وكذلك الروح هي معظم الانسان ولبه وجوهره ولكن الجسد ركن متمم لحقيقة الانسان ولولاه لكان ملكا أو شيطانا . وبه صار أجمع منهما للحقائق الكونية ومتصرفا في المخلوقات بأنواعها . ولو كان الجسد كالظرف للروح كما قال أو كالقفص للمصفور كما قال بعض الصوفية باعتبار آخر لكان انسانا بدونه وليس كذلك بل يكون بدونه روحا لا إنسانا . وتمثيل المؤلف بالوردة وما ذكره بعده أشد انطباقا على ما قلناه

(٢) الصواب ان جسم الوردة المكون هو الذي يمد بجسد الانسان لا اللون فانه عرض له

حتى انه اذا أصيب أحدهما بشيء تأثر به الآخر حالا ، لناخذ الوردة مثالا :
إن مكان اللون من الوردة مكان الجسد في الانسان ^(١) ومكان الرائحة فيها . مكان
العقل أو الروح فيه ، ولا أحد يؤثر الوردة الصناعية على الوردة الطبيعية ويجب
استبدالها بها ، وسبب ذلك ظاهر ، وهو أن العطرية التي هي روح الوردة
لا يمكن إيجادها في الوردة الصناعية . وهكذا نحن نفضل الانسان الذي يملك
روحا كبيرا طاهرا وأخلاقا كريمة عالية ، على الرجل الذي لا يملك الا جسما
قويا مفتولا العضلات . لا ريب أن الجسد أيضا ضروري كالروح بحيث لا يمكن
الاستغناء عن أحدهما ، ولكن الروح أهم بكثير من الجسم على كل حال . فعلى
هذا لا يصح أن يوصف الانسان العاقل من الأخلاق الطاهرة بالصحة التامة
مهما يكن قوي الجسم . وذلك لان الجسم الذي يحمل روحا مريضا وخلقا سقما
لا يكون الا مريضا بنفسه . فالأخلاق الطاهرة على هذا هي الأساس الحقيقي
للصحة الحقيقية . والأفكار الخبيثة والأهواء الشيطانية ليست الا أنواعا
وأشكالا مختلفة للمرض .

لقد تطورت هذه العقيدة في حزب من الناس بأوربا ، حتى طفقوا يقولون
إن التقي النقي صاحب الروح الطاهرة البريئة لا يمرض أبداً ، وإن كل من
يمرض يبرأ بتطهير روحه ، فانها اذا طهرت قويت بنيتها واشتد جسمه . إن هذا
الرأي حق لا غبار عليه ، وإن المصلحين في الشرق قد بالغوا في العمل به .
ولكننا على كل حال نستنتج منه : أن تطهير الروح خير وسيلة لنيل الصحة ،
وأن الصحة لا يمكن المحافظة عليها إلا بالمحافظة على طهارة الروح

إن الغضب والحقد واللؤم من أمارات المرض . وقد قال بعض الأطباء :
إن السرقة وغيرها من العادات القبيحة أمراض بالحقيقة ^(٢) فقد وجدوا في
انكلترا نساء من الأسر المثيرة تدخل المحال التجارية فتسرق منها ما تصل

« ١ » الصواب ان جسم الوردة الملوّن هو الذي يمد كجسد الانسان
لا اللون فانه عرض له (٢) المراد أعراض أمراض نفسية وعقلية

ليه يدها ، فعدوا سرقتها هذه مع غناها وثروتها نوعاً من الجنون . وكذلك يوجد آنام لا يستريحون الا أن يشاغبوا ويشاجروا ، فهذا أيضاً نوع من المرض . واذا تفكرنا على هذا التهج جزمنا بأن الصحة الحقيقية لا يتمتع بها الا من كان شخصاً أيداً ^(١) قوي الأساطين ؟ وثيق الأركان ، ليس بسمين سمناً مفرطاً ، ولا هزيل هزالاً شديداً ، سليم الأسنان والعينين والأذنين ، نظيف الأنف طاهره من الخاط ، نظيف الفم ، يعرق جلده بسهولة ، سليماً من التث ، وهو فوق ذلك قابض على أزمة عقله ومشاعره بكل قوة . ان الفوز بمثل هذه الصحة صعب جداً ، وان فزنا بها مرة ، فالمحافظة عليها أصعب

ان السبب الجوهرى الذي يحول بيننا وبين الصحة الحقيقية هو ضعف صحة آبائنا وأجدادنا . وقد قال كاتب شهير : ان تكن حالة الآباء حسنة فحالة أولادهم لابد من أن تكون أحسن وأعلى منهم . فان كان هذا القول صحيحاً ، فيضطر الذين يقولون بأن الدنيا تتقدم الى تغيير رأيهم . إن المتمتع بالصحة التامة لا يخاف الموت ، وإن جزعنا وفزعنا من الموت لدليل قاطع على أننا لسنا بأصحاء كما ينبغي . لأن الموت ليس إلا انقلاباً كبيراً في حياتنا ، فينبغي أن نعدّه خيراً ونافعاً لنا بحسب سنن الطبيعة ^(٢) وإن من الواجبات الصريحة على كل واحد منا أن ينشد الصحة التامة . وهذا هو ماساقنا الى البحث في الأوراق التالية عن الطرق التي توصلنا الى مثل هذه الصحة ، وعن الطرق التي تضمن لنا بقاءها ودوامها اذا فزنا بها

(للبحث بقية)

« ١ » الايد كسيد القوي الشديد من آديتيد ايدا
(٧) ذكرنا هذا المعنى في مرثية لنا نظمناها في أوائل طلب العلم قلنا في أولها
ان المنية غاية الميلاد والنمى مثل المهد للأولاد
وان الله قد خلق الخلائق للبقاء بعد النما وزبارة الاحاد
والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد
(ومنها)

وانظر لموت الناس بالعين التي تنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدأنا وهذا تمنا طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما نخذ بالاعتبار به والاستعداد

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

والتنازع بين الشرق والغرب

تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٥٨٥

(٦)

﴿ تقاليد السياسة الاستعمارية ، والجامعات العربية والدينية والشرقية ﴾

إن للأوربيين تقاليد في السياسة والاستعمار قد جمدوا عليها ، وإن لم فيها حججاً داحضة قد ألفوها ، لا يزالون يلوكونها بالسنتهم ، وتقطر سمومها من أفلاهم ، وهم لا يشعرون بأنها لا تصلح لهذا الزمان ولا تروج فيه كما راجت في أزمنة لا تشبهه ، كأنهم على سعة علومهم واختبارهم لم يشعروا بما طرأ على الشعوب والأمم من التبديل والتحويل ، وما تنقلت فيه من الاحوال والاطوار ، فهم بالجمود على التقليد يقعون فيما يفرون منه ، وينقضون ما بنوا ، وينكثون ما قتلوا ، إنهم يخافون عاقبة كل اجتماع في الشرق تستفيد به شعوبه وماله من تظاهرها على دفع الظلم والضييم عنها ، وتعاونها على الارتقاء في أسباب الحرية والعمران ، فانكثرة وفرنسة تخشيان الجامعة الاسلامية والجامعة العربية وهما اللتان تسعيان في تكوينهما بدون تنبه منهما ولا شعور ، وهما اللتان بثتا في بلاد الشرق فكرة الجامعة الوطنية بالأقوال ، فلما استمسك المصريون والسوريون بعروتهما لم يجدوا من رجال الدولتين إلا المقاومة

إن أوربة لم تتحول مع الزمان عن السياسة الصليبية بقدر ما تحولت عن الديانة الصليبية ، فبهذه السياسة انتزعت من الدولة العثمانية الممالك الأوربية التي أكثر سكانها من النصارى ، وبعد الفراغ من العمل « للأكرليات » المسيحية تصدت لحقوق الاقليات ، فكانت انكثرة أول من أطمع الشعب الأرمني بتأسيس دولة مسيحية له في الأناضول بين أنياب الأسد التركي وبرائنه ، وقد كان هذا الشعب

أسعد الشعوب العثمانية في دولة آل عثمان ومحل الثقة لدى سلاطينهم ووزرائهم وأغنيائهم ، كان هو الذي يدير مالية الدولة بوزراء من أفرادهم ، وكان هو الذي يتولى شؤون الوزارة الخارجية اذ كان أكثر سفراء الدولة منهم أيضاً . وكان سياسة أوربة تعجبون من هذه الثقة ويعدون لها من جهل الدولة : صرح بذلك أكبرهم شأناً في عصره وهو البرنس بسمارك لأحمد مختار باشا الغازي وقال له أنا لا يمكنني أن أعد رجلاً أرمنياً ممثلاً عندي لدولة اسلامية يعد سلطانها خليفة نبي الاسلام ! وقد أفسد الانكليز الأرمن بهذا الاغواء ، وحرموهم من تلك السعادة والهناء ، حتى جعلوهم من أشقى شعوب الأرض على ذكائهم ونشاطهم واستعدادهم لكل حياة هنيئة إلا تأسيس ملك من أقلية ضعيفة بين دولتين حرييتين - دولة الترك ودولة الروم - فقتل الترك مئات الألوف من رجالهم الخونة وغير الخونة ومن نسايتهم وأطفالهم أيضاً ، لأن الشر اذا وقع لا يقف عند حدود العدل ، والانتقام بعد الاحنة والحق لا يراعى فيه شعور الرحمة ، وأجلوا الألوف الكثيرة من ديارهم فزقوهم كل ممزق ، وصاروا آلة الشر والعدوان لغيرهم ، كما فعلت السياسة الفرنسية فيمن آوتهم الى سورية منهم ، فهي تسلحهم وتغريهم بقتال ثوار السوريين الذين يسكنون بلادهم ويشاركونهم في خيراتها ، وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل هم يقتلون النساء والأطفال أيضاً وينهبون كل البيوت التي يقدرون على نهبتها ...

كذلك خلقت انكلترة في العراق أقلية نصرانية من بقايا الاشوريين وسلجنهم وأطمعتهم بتأسيس ملك لهم في العراق لتجعلهم أعداء وخصوماً للمسلمين من العرب والكرد لا للترك وحدهم ، فاذا رسخ فيهم تغير هذه السياسة الخادعة فربما تكون عاقبتهم شراً من عاقبة الأرمن لأنهم أقل منهم عدداً وبأساً وذكاء وعلماً ، فخير لهم أن يكونوا كقبط مصر مع مسلميها من أن يكونوا كالأرمن مع الترك ، وأنى لهم ذكاء القبط وعلمهم بدسائس أوربة التي تتجر بالمسيحية والمسيحيين وأما فرنسة فان سياستها في كاثوليك سورية معروفة والمعروف لا يعرف . وقد كان أول قائد من قوادها ولته أمر سورية بعد الحرب - وهو الجنرال غورو - قد ذكر السوريين في أول صوت رفعه فيهم بأنه من سلالة الصليبيين ، وكان

أول عمله تقسيم البلاد الى ممالك دينية مذهبية ، وقد جرى على ذلك وتابعه من جاء بعده : دولة مسيحية ودولة اسلامية ودولة درزية ودولة علوية ، كل ذلك في القسم الشمالي من سورية التي هي وطن واحد يسكنه شعب متحد اللغة والعادات والمرافق لا يمكن أن تستغني فيه دويلة من هذه الدويلات الصغيرة الحقيمة عن الأخرى ، وهم يبدلون كل مأوتوا من دهاء ومن سلطان لا يقاع الشقاق بين طوائف هذه الدويلات ، فاذا تقرب اليهم فرد أو أفراد من أهلها بكلمة نفاق تؤذن بحب الاقتراق وكرهه الاتحاد ترتفع بنقلها أصواتهم ، وتهتف بها صحفهم وبرقياتهم ، حتى تعم الخافقين ، وأما أصوات الأحزاب والجماعات والصحف التي تعبر عن الرأي العام في طلب الاتحاد الوطني ، وكرهه الاقتراق الديني والطائفي والسياسي ، فكلموا سمعوا منها صوتاً أسكتوه ، واذا وصل شيء منه الى أوربة كذبوه ،

ان يسمعوا الخير أخفوه وان يسمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا .
ان أهالي سورية غير مرتاحين ولا راضين بالسكان طرداء الأ زمن في سورية لأنهم يزاحمونهم في رزقها الذي لم يعد يكفيهم بركة عمران الانتداب — وان المسلمين يسيئون الظن في هذا الاسكان ما في معناه بنظر آخر إذا كان الفرنسي لا يبالون بهم فيه لضعفهم ، ولا يحسبون حساباً لعطف أبناء جنسهم راخوان دينهم عليهم لجهلهم — فلا ينبغي ان يغفلوا عن كونه قد يكون سبباً من أسباب التهمة التي يشكون منها ولا يدرون أنهم يشكون مما يفعلون

فيا ليت شعري كيف يغفل الفرنسي والانكليز الذين يهتدون في سياستهم واستعمارهم بفلسفة التاريخ وعلوم النفس والاجتماع عن نتائج أعمالهم في اللهب بالجامعة المسيحية ووجوب حماية المسيحيين وتأسيس الممالك لهم ، مع ذم الجامعة الاسلامية والظعن فيها ؟ وكيف يقاومون جامعة الجنسية العربية ويخشون عاقبتها في سورية ثم يمنعون السوريين من النهوض بالجامعة الوطنية ؟ أم يحسبون ان مسلمي سورية وهم الاكثرية العظمى فيها يرضون أن تسلبهم فرنسة كل حق من حقوق الحياة الاجتماعية والسياسية وطنية كانت أو جنسية أو دينية ، وأن يعدوها مع ذلك مصلحة لشؤونهم فيخضعوا لها طوعاً ، ويطرونها مدحاً ، ويسبحون بحمدها بكرة وأصيلاً ؟ وأن

يرضى أبناء جنسهم واخوانهم مسلمو أفريقية وآسية منها بذلك ويعدون دعوة الجامعة الإسلامية عبثاً لاحاجة اليه ، لأن جميع الشعوب الإسلامية في غنى عنها. بعدل المسيطرين عليها وانصافهم ، أ بما ادعته فرنسة من صداقتها وحباها للمسلمين عند إظهارها الرضا والارتياح لتعيين خليفة تركي تنحصر سلطته فيما لا يفهمه من أمور الدين ؟

ان دهاقين السياسة الاستعمارية هم الذين علموا الشرقيين ما كانوا يجهلون من واجبات فطرتهم وحقوق أممهم وملهم وأوطانهم الجامعة ، فعملوا بعد جهل إذ كانوا قد فقدوا العلم ، ولكنهم لم يعملوا بعلمهم هذا إذ كانوا قد فقدوا المهمة والعزيمة الرافعة الى العمل — فهم الآن يسوقونهم الى العمل سوقاً ، بل يدعونهم اليه دعا ، كما فعل الترك بتعليم العرب العصبية العربية ثم دفعوهم الى النهوض بها وهم لا يشعرون ، فكل ما أتهم به ساسة أوربة أهل الشرق — من جوامع وطنية وقومية ودينية وشرقية عامة — كان باطلاً فأصبح حقاً ، هم خلة ودخلوا ، وهم يربونه جهلاً منهم وحقاً ، فقد حباحبوا ، ثم مشى مشياً ، وهم يأبون عليه إلا أن يعدوا عدواً ، وسعدو طوعاً أو كرهاً

كلما صرخ مكلوم أو صاح مظلوم من جورهم واضطهادهم له في قومه وعقر داره استعدوا عليه أوربة كلها والولايات المتحدة الاميركية أيضاً : بالغرب من الشرق ! ان الحضارة الغربية على خطر ، ان نصارى الشرق على خطر ، ان سيادة الجنس الأبيض في الشرق على وشك الزوال ، ان المسلمين يريدون حكم القرآن ، فالغوث الغوث ، هذا آن التناصر والتظاهر ، هذا وقت التحالف والتكاتف ... كما قالوا في مسألة الريف المغربي واتهام الأمير محمد عبد الكريم باحياء منصب الخلافة ، ولم يستحيوا من جعل ثورة سورية اسلامية أيضاً . بل هم يقولون ذلك لجعلوها اسلامية ، ولو أراد الثوار جعلها جنسية أو إسلامية لوجهوا دعوتها إلى جميع العرب المجاورين لهم ولا سيما الوهاية أولى العصبية الدينية الحقيقية ، ولو استنصروهم في الدين بأدلة الدين لنصروهم ، ولعجزت السياسة ان تحول دون نصرهم لهم ، ولكنها كانت الطامة الكبرى على المتعصبين على الاسلام والمسلمين من أهل وطنهم ، ولظهر لفرنسة

أن هذه السياسة العتيقة لم تعد صالحة لهذا الزمان ، وإن مودة المسلمين الصحيحة خير لها في سورية ولبنان .

(٧)

السلطان الديني بين الاسلام والنصرانية

قضي عليّ الاستطراد أن أكتب هنا كلمة وجيزة في هذه المسألة بعد أن كنت أنوي ترك الالمام بها فأقول :

من المعلوم من الدين بالضرورة عندنا أن الاسلام دين سيادة وسلطان وتشريع ومن المعلوم عن أوربة وأعوانها في الشرق ذم الجمع بين الدين والحكم ووجوب الفصل بين الدين والسياسة ، ووجوب نسخ الجامعة الدينية بالجامعة الوطنية ، وقد راجت هذه الدعاية الأوربية في الشرق العربي بأقلام محرري الجرائد العربية من أبناء وطننا السوريين واللبنانيين المسيحيين ، حتى صارت من المسلمات عند الجماهير من المسلمين في سورية ومصر وغيرها من البلاد العربية . دغ إلقاء بذورها وغرس فسيلها في المدارس العصرية في الشرق كله من مسيحية ودرسية . حتى في البلاد التركية والایرانية ، وقد بلغ من أخذها بالتسليم في مصر أن بعض مسلمي الاسكندرية كانوا أنكروا على المنار بعض ما كتبه في شأن الدولة العثمانية وسلطانها فرغبوا إلى الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أن يكلمني في ترك مناقشت السياسة في المنار لأنها مجلة دينية ، فقال لهم وإذا قال لي إن الاسلام دين سياسة فماذا أقول له ؟

نعم راجت هذه الدعاية في البلاد الاسلامية ذات الحكومات الاسلامية من عربية وعجمية فكان الغبن والغرم فيها على المسلمين والغبن لغيرهم ، وقد بلغ من تأثيرها أن تجر أرجل من اللادينيين معهم متخرج في الازهر وقاض في محكمة شرعية على تأليف كتاب مستقل في الدعوة باسم الاسلام إلى جعل الحكومة فيه « لادينية » وانكار التشريع الديني والامامة الاسلامية العظمى ، والبطعن فيها ، وأيدت في ذلك أكثر الجرائد التي تسمى إسلامية كالجرائد الافرنجية سواء .

بثت الدعاية إلى الحكومة اللادينية في مصر كما بثت في الدولة العثمانية وصرح
بعض الملاحدة عندنا بالدعوة إلى التصريح بذلك في الدستور المصري قبل أن يفعل
الترك ما فعلوه بخلافتهم ، ولا فرق بين الفريقين كما قلنا من قبل إلا أن اللادينيين
من الترك هم قواد الجيش وأصحاب السيوف والمدافع ، وأن اللادينيين من المصريين
لا قوة لهم إلا في ألسنتهم وأقلامهم ، لأن القوة الحربية في مصر في يد الانكاز
وخدمهم ، وهم رداء هؤلاء اللادينيين لأنهم يعملون لهم في ظلهم ، ولولاهم لفضى
عليهم الرأي العام الاسلامي على ضعفه ، وهم لا يشكون أن سيقضون عليه
وأما تأثيرها العملي في سورية فكان أول مظاهره نجوم الافكار « اللادينية »
في المؤتمر السوري العام الذي قام بأمر استقلال سورية ووضع القانون الاساسي
لها ، ثم في الدولة التركية بالغاء خلافتها ، ثم تشريعها الاسلامي حتى في الأحكام
الشخصية وإبطال محاكمها الشرعية وتعليمها الديني ، ثم اضطهاد كل من يدعو إلى
الدين الاسلامي أو يدافع عنه ...

هذا وإننا قد خبرنا بأنفسنا أن سياسة نصارى سورية ولبنان الوطنية قد
تغيرت لنا منذ أوائل العهد بالحرب الكبرى إذا اعتقدوا أن الدولة العثمانية ستخسر
نفسها أو بلادها العربية (على أقل تقدير كما يقال) وقد عقدنا في مصر اجتماعات
كثيرة للبحث في مستقبل البلاد السورية علمنا أنهم يطلبون (أولا) تأسيس دولة
مسيحية في سورية ولبنان (وثانيا) حماية دولة مسيحية قوية لها ولسائر البلاد السورية .
ثم جرى العمل على هذا بعد الحزب فرأينا جميع المساعي دينية يقودها رجال
الدين المسيحي ، فكان غبطة بطرك الموارنة هو النائب السياسي عن لبنان الصغير
ثم عن لبنان الكبير ، حتى حملوه على السفر إلى فرنسا المرة بعد المرة على ضعفه
وعتي شيخوخته ، ولا يزال كذلك . ورأينا فرنسا قد ضمت إليه من بلاد
سورية ذات الاكثية الاسلامية جميع سواحلها المجاورة له ، وجزء أعظما من
داخليتها العامرة ، وراعت في ذلك أن يكون أكثر مجموع أهله من النصارى
لتكون السلطة في أيديهم . ورأينا بعد هذا كله يسرون في انتخاب المجلس
التمثيلي للبلاد على قاعدة عدد الطوائف الدينية ، ويسمونها « الطائفية »

اتقلب الوضع وانعكست القضية، فكما اشتد استمساك النصارى بالسياسة الدينية أعرض المسلمون عنها واستمسكوا بالسياسة اللادينية حتى إن بعض علماء المسلمين الشرعيين ومنهم مفتي الشام رضوا بان يكون أعضاء لادارة التعليم اللاديني ونرى الجرائد الاسلامية تستنكر كل عمل في الحكومة يفرق فيه بين أبناء الوطن باختلاف أديانهم ومذاهبهم ، فقد نال الاجانب ماسعوا له من حل رابطة المسلمين الدينية وصرفهم عن تشريعهم وسلطانهم باقناعهم أن الجامعة الوطنية خير لهم من الجامعة الدينية، حتى اذا ما قنعوا قلوبهم وبعض أعوانهم من نصارى الوطن لهم ظهر المجن، قال الفرنسيون والانكاز هم الذين يمنعون السوريين بالقهر أن يكونوا أمة بالوطنية، وأن تكون لهم حكومة وطنية ، اللهم الا حيث تكون الغلبة وعزة الكثرة المسلمين وحدهم ، فينشد يقررونهم على أن يساووا الاقلية الصغرى، بل أن يعطوها اكثر مما تستحق أضعافا الفرنسيين أعطوا صنائعهم وربائبهم نصارى جبل لبنان ما هو أكبر وأعظم من جبلهم من بلاد الاكثرية الاسلامية بالرغم من أنوف أهلها ، ولم يرضوا أن يجعلوا بقية سورية الحمديّة دولة واحدة لثلاث تكون أكبر من « لبنان الكبير » فجعلوها دولا متعددة بحسب المذاهب، حتى حاولوا جعل الدويلة التي خصوها باسم سورية دولتين دمشقية وحلبية ، لأن السواد الأعظم من سكانها هم أهل السنة ، وطالما أغروا أهل حلب بطلب الاستقلال ، ويزعمون أنهم بذلك يراعون رغبة أهل البلاد وحرّيتهم لأن فرنسا أم الحرية وحاميّتها ، يعني بشرط أن تكون لغير المسلمين ، أو لغير مصلحة المسلمين ، ثم تدعي مع هذا أن العداء بين الطوائف الدينية في سورية هو من مساوئها الراسخة ولا علاج له إلا خضوع الجميع لسلطان فرنسا العادل الذي يقيم ميزان القسط بين الجميع ، والحق أن فرنسا لو أرادت أن يتفق السوريون أو لو تركت السوريين وشأنهم لاتفقوا ، إلا أن تغري بينهم دولة أخرى مثلها كانكثرة ، ولا ينجح الاغراء حيث تكون الكثرة الساحقة للمسلمين كما هو ظاهر في مصر وفلسطين وسورية الداخلية . وقد حققنا هذه المسألة منذ ٢٩ سنة في مقال طويل في التعصب نشرناه في السنة الأولى من المنار

أنا لا أريد بكتابة هذا الآن الانتقاد المحض على عمل فرنسة فانه لا فائدة فيه ، ولا إعلام مسلمي سورية به فانهم يعلمون من تفصيل ما أجملت مالا أعلم ، واعتقادهم في فرنسة أسوأ فاتي والحق أقول قد سمعت من بعض كبراء دمشق قبل نكبتها ان المسلمين يعتقدون ان فرنسة وانكاثرة متعارفتان على إبادة مسلمي سورية وفلسطين وجعلها للنصارى واليهود . فكيف يكون رأيهم بعد تلك وما جرى فيها وبعدها من الاهوال ، وتقتيل النساء والاطفال ؟ ولا اقصد به إعراءهم بنبذ سلطانها المسمى بالانتداب فانه من تحصيل الحاصل ، فهم يصارحونها بذلك . وليس بعد الثورة الحاضرة التي جاءت بعد ثورات كانت دونها خفاء حجة . وانما أريد به إقامة الحجة على رجال فرنسة الذين تولوا والمتولين الآن لأمر سورية بأن المسلمين يعتقدون أن كل خلاف وشقاق في البلاد ففي يد فرنسة إزالته بالحق والعدل سبق أن قلت لموسيو رويرو دوكيه على عهد الجنرال غورو في شهر مارس سنة ١٩٢٠ ضمن لي النصارى وأنا على ضعفى أضمن لك المسلمين أو المحمديين كذفة ولا استثنى الدروز ، وقلت مثل هذا في هذه الأيام ^(١) لموسيو جوفنيل المفوض السامي الجديد لسورية ، وقلت مثله فيما بين ذلك لسعادة سفير فرنسة المفوض في مصر ليلغه ، وإني اذكر به من سمعه مني ، وأبلغه لوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات الفرنسيين ، وكل منهما تطلع على جميع ما يكتب في المنار عن فرنسة وتعلمان أن المنار لسان صدق لالسان دعاية وقتن ، فعسى أن يظهر لأحد من المطلعين على حجتنا خطأ سياستهم الماضية فيبحثوا عن التخرج فيجدوه

بل شرحت للأول في بيروت وللآخر في مصر الوسيلة الوحيدة التي يمكن لفرنسة أن ترضي بها أهل سوية كافة بالحق والعدل والمصلحة المتبادلة ، وتربح بها مودة الامة العربية والشعوب الاسلامية أيضاً ، وقد قال لي موسيو رويرو دوكيه على غلوفي الاستعمار ووضعه لأساس التفريق والشقاق في البلاد : ان هذه الخطة معقولة قابلة للتنفيذ لا خيالية ، ولكن تحتاج الى درس مع العقلاء في صفة تنفيذها ، واحب أن نعود إلى البحث فيها . أقول ولكن حال سفري دون ذلك ، وسأينها في الفصل الأخير من هذا المقال بعد الكلام على سياسة موسيو دي جوفنيل . (للكلام بقية)

(١) بدأت بكتابة هذا المقال منذ أشهر واقتضت الحال تأخير نشره

مبايعة أهل الحجاز لسلطان نجد

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، يَسْئَلُكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

سبحان الذي يغير ولا يتغير ، ولا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ،
سبحانه من حكم عدل ، يملئ للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ، قد أقر أهل
حرمه وحرم رسوله من ذلك (المنقذ) الجبار ، والمرأى المختار ، ومن سلالته
المحانلين ، وجعل العاقبة للمتقين

وردت انباء الحجاز في الشهر الماضي بأن أهله قد نصبوا السلطان عبدالعزيز
آل سعود ملكاً عليهم ، وكنا كالجهور نتوقع من رويته تأخير القطع في شأن حكومة
الحجاز إلى أن ينعقد المؤتمر الاسلامي الذي دعا إلى عقده في مكة أو يظهر اليأس
منه . ثم علمنا من الأبناء الرسمية وغير الرسمية التي وصلت الى مصر أن أهل الرأي
في مكة وجدة أحبوا أن يكون أمر تعيين الحاكم العام في بلادهم لهم دون غيرهم
من أهل الأقطار الاسلامية الذين لا يعنيه من أمر الحجاز الا النظام الذي يحفظ
به الامن والعدل في البلاد وتسهيل سبل المناسك والزيارة في الحرمين الشريفين
وهو ما يجب أن ينظر فيه المؤتمر أولاً ، ويليه ما يحب أهل الفضل والخيرة من
المسلمين أن يخدموا به الحجاز من نشر العلم ووسائل العمران . ولذلك الح هؤلاء
على السلطان بأن يقبل مبايعتهم له واحتجوا عليه بما صرح به مراراً من جعل
تقرير مصيرهم واختيار حاكمهم لهم فتمنع وطلب ارجاء ذلك ، فعلم به زعماء
النجديين وأهل الحل والعقد فيهم من العلماء والقواد فجاؤه وأقاموا عليه الحجة
بوجوب قبول مبايعة أهل الحجاز له لئلا يذهب جهادهم في تطهير الحجاز من رجس
الظلم والاحاد عبثاً ، بل أذكروه عاقبة الامتناع بحديث « لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق « - رواه الامام احمد وغيره بهذا اللفظ وورد بلفظ آخر في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن - فلم يسعه إلا الاجابة لانه ليس بالمستبد دونهم ، كالطواغيت الذين أدال الله له منهم

واننا نقدر أهم الوثائق الرسمية والتاريخية في ذلك تقلا عن العدد ٥٥ من (ام القرى) المكية ، الذي صدر بمكة المكرمة في ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٢٦ كما نشرنا مثلها في مبايعة الملك حسين بالملك ثم بالخلافة ، مع العلم بأن هذه البيعة اختيارية كان يرى المبايع تأجيلها ، وتلك اجبارية كان تقرر في السر ولم يكن أحد يشك في قتل من يمتنع عنها

صورة البيعة المكتوبة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبأيتك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على أن تكون ملكا على الحجاز ، على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله . وأن يكون الحجاز للحجازيين . وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه . وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم وقد رفعوا مع كتاب البيعة الكتاب الآتي

كتاب كبير مكنى للسلطان

حضرة صاحب العظمة السلطانية أيده الله تعالى المعروض إلى عظمة السلطان الموفق المعان أنه قد اجتمع الداعون الموقعون أدناه من أهل الحل والعقد بمكة المكرمة وتذاكروا في الأمر وقابلوا بارتياح كل ما جرى بين عظمتكم وبين الهيئة المتمثلة في مجلسكم العالي صباح أمس من

خيرة الأهلين ، وبمناسبة اهتمامهم بذلك ، ومزيد بشرهم به ، سارموا جميعاً إلى تقرير عقد البيعة على المنوال المسطور أعلاه ، راجين أن ينزل ذلك من رغبات عظمتكم منزلة القبول ، وان تتفضلوا بتتويجه بالاشارة السلطانية ليكمل لهم مقصدهم الوحيد بحصول رضائكم العظيم ، مسترحمين الانعام بتعيين وقت عقد البيعة عند البيت العظيم ، والله يديم بالتوفيق أيام دولتكم

١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

عبد القادر الشيبى . حسن عدنان . محمد المرزوقي ابو حسين . محمد سعيد
ابو الخير . عبد اللطيف عالم . محمد شرف رضا . محمد على كتي . حسين بن
عبد الله العطاس . عباس عبد العزيز المالكي . عبد الرحمن الزواوي . محمد
صالح قطب . عبد العزيز ريس . عمر جان . احمد مفتي . عبد الرحمن بشناق .
صالح شطا . بكري قزاز . عبد الله حموده . عبد الله احمد زواوي . عمر علي
بوقري . محمد عرابي . سجينى عايش ريس . محمد نور عقيلي . عيدروس بن عقيل
السقاف . عمر احمد فقيه . محمد فقيه . محمد نور فطاني . صدقه عبد الجبار . عبد الله
باسلامه . احمد امين سراج . محمود شلوب . عبد الرحمن محمد ياسين . محمد علي خوير

توقيع السلطان على صورة البيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن الرحمن آل فيصل الى إخواننا الموقعين أسماءهم
سلام عليكم — وبعد فقد أجبناكم إلى ما طلبتم ، ونسأله سبحانه وتعالى

المعونة والتوفيق للجميع في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

الختم الكريم

حفلة البيعة

بعد أن أدى الناس صلاة الجمعة يوم ٢٥ جمادى الثانية هرعوا إلى مكان الحفل عند باب الصفا من المسجد الحرام، حيث فرشت الطنافس، وأعد مجلس خاص لعظمة السلطان، وأقيم منبر أمام مجلسه لخطيب البيعة، ولم تأزف الساعة السابعة والثلاث حتى أقبل الموكب السلطاني المهيّب، وأخذ عظمة السلطان مكانه فنادى المنادي (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ثم اعدلى المنبر الشيخ عبد الملك مر داد الخطيب وتلى الخطاب الآتي « الحمد رب هذا البيت المعظم، وأشكر الله على ما أنعم به علينا وتكرم، سبحانه وتعالى من علينا بنعم لا تحصى، ومنن لا تستقصى، أبدل خوفنا بالأمن العام، وأمرنا بالتآلف والتعاقد والوئام، فأحمده جلّ وعلا حمد عبد يعرف مقدار نعمته، وأشكره شكر من تداركه الله بإزالة تقمته

أيها الاخوان : إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بالأمن بعد الخوف، وبالرخاء بعد الشدة، وقد انتشعت عنا غمة الحروب والعناء، وأقبلت علينا بفضل الله عز وجل أوقات المسرة والهناء. وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته، وتعطف علينا هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة، الواجبة علينا بعد طلبنا لها من عظمته، وها أنا أذكر صورة البيعة مع القبول حرفياً « وتلاما نشرناه قبل هذا —

ولما وصل الخطيب إلى تلاوة نص البيعة باشرت قلاع مكة بإطلاق المدافع إعلاناً لتلك البيعة فاطلقت مائة مدفع ومدفع، وما انتهى الخطيب من خطبته حتى هرع الناس أفواجا أفواجا مزدحمين للمبايعة، ولولا رجال الحرس الخاص والشرطة يوقفون الزحام وينظمون سير المبايعة، لأودى الزحام بغير قليل من الناس، وقد كان ترتيب المبايعين على الشكل الآتي :

الأشراف . فشيخ السادة . فالوجهاء والأعيان . فالمجلس البلدي . فأهل المدينة المنورة . فأهل جدة . فبقية خدم الحرم، فالمطوفون والزمازمة، فمشايخ

الجواهر ، فأهل الحرم ومشايخ الحارات . فأهل المحلات
وقد دامت حفلة المسجد الحرام ما يقرب من الساعة ، والناس يمرون
ويبايعون ، وبعد ذلك مشي جلالة الملك إلى البيت الحرام ، فطاف به شبعاً ،
وصلى في المقام ، ثم شرف دار الحكومة فجلس في سرادقها ، واكتظت بالناس
على رحبها ، ولما استقر بالحاضرين المقام نهض الشاب الأديب حسن قابل وتلا
خطاباً ذكر فيه خلاصة تاريخية عن الأطوار التي مرت على الحجاز قبل رحيل
الترك عنه إلى يومنا هذا . ثم عرض بما كان عليه الحال في العهد السابق ، وأن الحق
هو للحجازيين في تقرير مصيرهم ، وأن لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً
على صيانة الحجاز من الداخل والخارج ، وأن الرجل الذي يستطيع القيام بهذا الأمر
هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، وأنه بالنيابة عن أهل جدة يمد يده مبايعاً
وطلب من عبد الله رضا أن يقوم ويبايع عن أهل جدة بملكية الحجاز
ثم قام حضرة الفاضل بكر ناظر فتكلم كلمة تناسب المقام ، وتلاه الشاب
الناشيء شاكر بن محمد عامر الزبيدي فألقى خطاباً كان له وقع حسن . وتبعه
حضرة الفاضل صدقه منصور فتكلم موجزاً تاريخ العلاقات بين أفراء جزيرة
العرب ، وما أدى (إليه) النزاع الذي كان بين الحجاز ونجد إلى أن وفق الله الكريم
بفضله ، وتوحدت الكلمة بين البلدين . ثم أثنى على همه جلالة الملك بما هو أهله
ثم تكلم عبد الرحمن بشناق بصوت جهوري مخاطباً جلالة الملك بأن الله
ما أعطاك هذا العطاء إلا لأنك سائر في مرضاته ، ودعا الله للامة بالتوفيق .
ثم تكلم صديقنا الشيخ عبد العزيز العتيقي ، فذكر طرفاً من سير الامة زمن
السلف الصالح ، ولزوم الاستمساك بذلك الحبل المتين ، ليرجع للمسلمين
ما كان لهم من عز وسؤدد ،

خطاب ملك الحجاز بعد البيعة

ولما انتهى الخطباء من خطبهم أقبل جلالة الملك على الحشد المجتمع بوجهة
الطلق ولسانه العذب ، فحمد الله بما هو أهله ، وسأله المعونة على الاعمال ، ثم

انطلق انطلاق السيل يعظ ويرشد ويدعو للاعتصام بكتاب الله ، وإلى التوحيد الخالص ، بأسلوب يسترعى الأسماع ويأخذ بالألباب . ثم قال :

« أوصيكم بتقوى الله في جميع أعمالكم ، أوصي الجميع بالتقوى ، كل يجب أن يتقى الله في عمله ، التاجر في تجارته ، والصانع في صنعه ، والموظف في وظيفته ، أسمع خطباءكم يقولون : هذا امام عادل ، وهذا كذا . فكل رجل مهما بلغ من المنازل العليا إذا لم يكن يخشى الله ويطلب مرضاته فلا أثر له ولا لعمله . فتى تركت الشهوات ، وهجرت المحرمات ، وعبدنا الله على بصيرة ، لا قينا الخير كله . وهل جاء البلاء للناس إلا من اتباع شهوات النفوس التي فيها خراب الدين والدنيا ؟ لذلك أدعوكم إلى الدين ، واتباع آثار السلف الصالح ، وأن تتخذ الصراحة في القول ، وأن تترك الرياء والملق في الحديث . ومتى اتفق الامراء والعلماء ، كل واحد منهم يستر على صاحبه . فالأمر بمنح المراتب ، والعلماء يدلسون ويتملقون ، ضاعت أمور الناس ، وفقدنا — والعياذ بالله — الآخرة والاولى . إنه لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم ، والعلماء وأعوانهم ، واتي والله لا أود أن لا أكون في هذا المقام فانه لاحول ولا قوة الا بالله »

« ان الأمر والحمد لله قد استتب في البلاد على أحسن حال ، ولم يبق لأحد حجة في النكوب عن العمل الصالح ، ولينصرف كل انسان لاصلاح عمله »

« ان التمدن الذي فيه حفظ لديننا وأعراضنا وشرفنا فرحبا به وأهلا . وأما

التمدن الذي يؤذينا في أدياننا وأعراضنا وشرفنا ، فوالله لو قطعت منا الرقاب ،

وزهبت فيه العيالات ، لم نرضخ له ولم نعمل به

« اني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان ، وإن لكم علي عهد الله وميثاقه أتني أنصح لكم كما انصح لنفسي واولادي وعائلي ، احبكم في الله واعاديكم فيه » اهـ

وقد تعالت الأصوات من الحاضرين « جزاك الله خيراً جزاك الله خيراً »

وقد كانت القهوة العربية تدار على الحاضرين حيناً بعد حين ، ثم انصرف

الناس من مجلسهم فرحين مسرورين اهـ

الجامعة الإسلامية والجامعة الشرقية

الكتاب الثاني

(للشيخ أبي الحسنات الذروي رحمه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الفاضل الجليل ، والعالم الكامل النبيل ، أمتع الله المسلمين بطول بقائه سلاماً سلاماً

أما بعد فقد وصاني كتابكم ، ووقفت على ما كتبت فيه من حقيقة الأمر ، ولاح لي المنهاج الذي أشرت إليه بكلمة « وما كل أمر يمكن إعلانه » وهكذا كان قد يخطر ببالي أحياناً ، فالحمد لله على ما صدق ظنوني ، وما أوردتم فيه من كلمة السيد المرحوم الأفغاني نعمة الله بغفرانه ، التي قالها في المغفور له السلطان عبد الحميد خان ، فإني على خبرة منها ، ومن سعيه وبذل جهده في سبيل جمع كلمة الأمة المرحومة تحت اسم الخلافة الإسلامية على ذلك السلطان ، حتى كان أقنع كثيراً من مجتهدى الشيعة بالمساعدة على ذلك . وأيضاً إني على خبرة بما كان لسعيه وعمله هذا ضياعاً وخسراناً بما كان أصيب به السلطان المرحوم في أواخر عمره من ما ليخوليا ووسواس . ولو سلمت كما حررت من الاتحاديين الذين جاؤا بعده كانوا شرا منه ، فالسلطان إن كان سلا في رثة الدولة . فالأتاحاديون كانوا أشد منه وطأة عليها ، حتى ذهبوا بقوتها وأسباب بقائها ، لو لم يجعل الله تعالى رجلاً من الدولة حفاظاً لها . ولكن مع هذا كله ليس لنا أن تقطع الأمل ، وتترك العمل ، فان عدم نجاح العمل لا يثبت لنا إلا تقصيراً في جهدنا ، ولا يظهر لنا إلا تقصيراً في سعيينا . فعلينا أن نجهد بكل الجهد ، ونبذل كل الوسع مرة بعد أخرى ، حتى نفوز بالأمل ، ونتجح في العمل . وكيف يمكن التنبؤ والزمان قد قلب بما هو خير لنا وأحسن ، فان القرن الماضي قد مضى ، وكانت الأمة المسلمة في نوم غفلتها ، ونجم هذا القرن وهي في نقطة لاسنة معها ، وحركة لا فتور فيها

نعم كان بدأ السيد المرحوم بعمله دعوة المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية في زمان كانت الأمة فيه نائمة غافلة ، فمضى أكثر أيام حياته في اتخاذ الوسائل إلى تنبيهها ، وتهيئة الأسباب لايقاظها ، حتى توفاه الله تعالى قبل أن يتم العمل . ومع ذلك لايجوز أن يقال إن السيد المرحوم قد خاب في أمله ، وخسر في عمله . فان هذه كلمة كذب لا تحملها الأرض والسماوات ، وإني على يقين ولا أزال عليه — أن صلصلة الوحدة الاسلامية التي تسمع في عصرنا هذا هي من الجرس الذي دقه السيد المرحوم ، وما وصقتم لي من ضعف الأمة ، وجهل الحكومات الاسلامية الذي يحول دون السعي ونجاح العمل . فهذا الحائل والعائق أيضا قد ذهب به الزمان . فانظروا إلى الأمة ليس فيها شيء من ضعف النباهة والاحساس ، والحكومات الاسلامية ما بقي فيها الجهل (؟) عن الأحوال والأحوال . الأمة قد شعرت بحاسة الأخوة الدينية ، قترى القيام بها من الواجب ، وهي تسعى لها . والحكومات الاسلامية قد علمت بمضار التشتت والافتراق ، قترى ارتباط بعضها مع بعض من اللازم ، فكل واحدة منها تسير سير التعاون والوفاق ، حتى صار أمر خدمة الأمة على من يريد أن يخدمها في هذه الأزمان هونا ، والطريق اليها سهلا

وما كتبتم في أمر الاتحاديين والكماليين ، فان يكن الأمر كذلك ، ولكن ليس لنا الآن أن نقول في هذا الشأن قولا مفصلا ، وأقول بالاجمال : من أعرض من الاتحاديين أو الكماليين ونأى بجانبه عن مصلحة الأمة المسلمة ونصوص الدين ، فله ماله وعليه ما عليه — الأمة المسلمة لا تشترك بعمله ، ولا تكون عوناً له إلا فيما يهمها من أمر دينها . نعم اني أعلم أن بعض زعماء الاتحاد والترقي كالغازي أتور باشا حفظه الله تعالى وأدام له السلامة قد غلب عليه الاتحاد التوراني ، وهو يجهد في سبيله ، ويبذل له مافي وسعه ، فان كان ذلك الاتحاد تابعا للاتحاد الاسلامي ، وموافقا له ، فتكون الأمة المسلمة بأجمعها ساعداً له وعضداً . وهكذا الكماليون ان كانت تشتمل مساعيهم على مشروع الاتحاد الاسلامي ومصلحة

الدين ، فالأمة بأموالها وأنفسها تتعاون بهم ، وتكون أنصاراً لهم ، وإن نبذوه وراءهم وهجروه ، فالأمة تنبذهم وتهجرهم

وما كتبتم في الكمالين من إلقائهم منصب الخلافة الإسلامية ، وجعلها عبارة عن رياسة روحية بابوية ، فنحن مسلمو الهند لسنا على علم بصدقه كما هو يروى ويقال (١) ومسلمو الهند ، بل ومسلمو العالم لا يرضون أبداً بجعل منصب الخلافة منصباً روحياً محضاً كمنصب البابا

ومن ذا الذي يعلم الكتاب ويعرف أصول الشريعة يرضى به ويستحسنه ؟ - ولا نحال كيف يمكن لمصطفى كمال باشا وحزبه أن يرتكبوا هذا الخطأ الكبير ديناً وسياسة ، وهو يضرهم كما لا يضر غيرهم أحداً ، فإن هذا الإلقاء يذهب بشرف الدولة التركية بين الدول الإسلامية ، وبمكائنها العليا في نفوس المسلمين قلبية . هل أرادت الأمة التركية أن تضع حمل الخلافة عن كواهلها فانه ثقل عليها ؟ هذا أمر لم أظنه بالاتراك ، ولم أجده مؤمناً به في الهند أحداً (٢) وأما ما ذكرتم من أطماع المسلمين مصطفى كمال باشا صانه الله تعالى وحزبه ، بأنهم يوافقونهم على كل ما يفعلون ، وإن كان مخالفاً للمصلحة ونصوص الدين ، فليس بشيء ، فإن المسلمين لا يتعاونون بهم على ما يخالف الشرع ونصوص الدين أبداً ، لأن روحهم الدينية تنفر عن مثل هذا التعاون ، قال الله عز وجل (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان)

و كنت كتبت وفقاً لما وعدتكم قبل ذلك مقالة في مسألة الجامعة للمسلمين وطريق الوصول إليها ، والأخذ بها ، و كنت هممت بأوسالها اليكم اذ ألقى الي كتابكم قبل الأس ، و وجدت فيه ذكر الجزء التاسع للمنار في البريد الآتي (؟) فيه إشارات إلى شيء من المشروع الذي أوردتم ذكره في الكتاب ، فأحببت أن أرسل مقالتي المذكورة بعد مطالعة (المنار) والوقوف على رأيكم في هذا الشأن وأما ما سألتوني عن رأيي في الطريق الذي يمكن أن تتعاون به مع جمهور مسلمي الهند على تنفيذ المشروع الجليل ، وكيف السبيل إلى اطلاعهم على تفصيله المبهم ؟ فاني أنا بنفسني أظهر لكم ما أرى بعد مطالعة المشروع . وأما طرحه على

جمهور المسلمين ، واستحصل تعاونهم عليه ، وسبيل اطلاعهم على تفصيله .
فان كان المشروع محتويا على الظواهر ليس لها الخفايا . فالسبيل اليه بنشره في
الجرائد الهندية بعد ترجمته بالاردوية ، حتى يراه ويطالعه زعماء المسلمين وخواصهم
ثم بعد ذلك يسأل عنه ، وماذا يرون فيه ؟ فان وقع عندهم موقفاً حسناً فيسهل
الى يتم أن العمل . ففي هذا السبيل ان شئتم وأذنتموني فأترجم مشروعكم بالليل
بالأردوية فأرسله الى الجرائد ، ونسأل عنه رأي من هو أهل الرأي من المسلمين
في الهند ، وأيضاً اني لفادر على أن أترجمه بالفارسية ، وأرسله الى جرائد
أفغانستان ، وان كان المشروع لم يفذه مثل هذه الأعمال ، فبينوا لي ما هو يفذه
وأي سبيل عندكم الى تنفيذه ؟ وما ترون طريق عمله وكيف تقصدونه

وأما استئذانكم بنشر ما كتبت وأكتب في هذا الشأن فما كان لازماً .
الأمر اليكم والخيار لكم ، فانشروا منه ما شئتم ، وبأي رجل من الهند لست
بعربي ولا صحبت عربياً ، فأرجو أن تسودوا وتصلحوا . اوقع في العبارات من زيغ وفساد
فتقبلوا مني أحسن التحية

أنا العاجز أبو الحسنات الندوي أحد رفقاء دار المصنفين

شبلي نزل أعظمكده (الهند)

(المنار) رحمه الله وأثابه فقد كان من خيار المصالحين وقد توفاه الله تعالى
قبل أن نتمكن من اجابته الى كل ما سأل

باب الانتقاد على المنار

وهب به منه وكعب الاحبار

بيننا في الجزء الأول ما رأيناه كافياً في اثبات جرح كعب الاحبار والرد على
المتقصد الذي ذهب الى أن جرحه يشين السنة المحمدية (برأها الله وأغناها عن
كعب الاحبار وعن وهب بن منبه أيضاً)

وأما وهب بن منبه فقد كان تابعياً عابداً ، ولم يتهم في شيء من دينه الا

بالقول بالقدر ، وذكروا عنه أنه رجع عنه ، وقد ضعفه عمر بن الفلاس ، واغتر به الجمهور لأن جل روايته للأسرائيليات ولم يكونوا يدققون النظر في تقدها تدقيقهم في نقد روايات أصول الدين وفروعه ، وقلما كان أحد من رجال الجرح والتعديل يعرف شيئاً من كتب أهل الكتاب ليصح حكمه على الرواة عنها ، على أن البخاري رحمه الله تعالى لم يرو عنه حديثاً في صحيحه مرفوعاً ولا قصة اسرائيلية ، ولا مسألة علمية ، وإنما روى عنه أثراً واحداً وهو ما حدث به عن أخيه همام عن أبي هريرة من قوله : ليس أحداً كثر مني حديثاً إلا عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب ولأى كتب . ولم ينفرد به وهب بل تابعه عليه معمر عن همام فلا يصح أن يعد وهب من رواة صحيح البخاري الذين ائتمنهم على سنة الرسول (ص)

هذا وإن ما نقلوه عنه من الرجوع عن عقيدة القدر لرمي له بعقيدة الجبر المحض وهي شر منها ، فكانوا بذلك كمن يغسل الدم بالبول ، وهو مع ذلك يدل على كذبه فيما يرويه عن كتب الأنبياء عليهم السلام ، فقد ذكروا عنه أنه قال : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها « من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر » فتركت قولي اه من تهذيب التهذيب ومقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر

أقول (أولاً) إن كتب الأنبياء التي بأيدي أهل الكتاب لا تبلغ هذا العدد (ثانياً) إننا تصفحنا أشهرها فلم نجد هذا القول فيها ، ولا رأينا أهل الكتاب ينقلونه في مجادلاتهم في هذه المسألة

(ثالثاً) إن هذا القول باطل قطعاً بدليل الآيات الكثيرة في القرآن ، المثبتة لمشيئة الانسان ، كقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * لمن شاء منكم أن يستقيم * اعملوا ما شئتم * فأذن لمن شئت منهم * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وفي معنى الآيات أحاديث كثيرة أيضاً . ولا ينافي هذه الآيات قوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) بل يقررها ويؤكدها إذ هو صريح في أن الله تعالى شاء أن يكون للبشر مشيئة خلقها لهم فيما خلقه من صفاتهم وخواصهم وقواهم .

(رابعاً) إن وهباً قد انتقل من بدعة القدرية الى بدعة الجبرية التي هي شر منها وأضر ، وأدهى وأمر ، فهي التي أمتت قلوب المسلمين وهمهم التي فتحو بها البلاد ، ودكوا بها الأطواد ، وأرضتهم بالذل والهوان ، وتعبدتهم للظلمة منهم ، ثم للمستعبدين لهم من غيرهم . إن المشيئة هي أعظم الصفات التي يتفاضل بها بعض البشر على بعض ، وإن عقائد الاسلام وعباداتها كلها مبنية على صحة المشيئة ، ومريية لقوة الارادة ، التي أعمل الجبرية فيها معاول التأويل لهدم الاسلام بهدمها . وقد فعلت في إضعاف المسلمين ما لم يفعله جميع أعدائهم منذ وجدوا الى هذا اليوم . وإنما راجت دسائسها بما كانت تنفثه مواءمات العبياد الجاهلين أو الخادعين الدسائسين من سموها القتالة ، أي أن الانسان لامشيئة له ولا إرادة ، وإنما هو كالريشة الملقاة تقلبها الرياح باختلاف مهابتها ، وأن هذا هو المراد بالقدر الوارد في الكتاب والسنة ، وقد بينا بطلان ذلك مراراً . وأن التقدير هو النظام والسنن التي اقتضتها الحكمة الالهية في الخلق

هذا وإن عمدتنا في جرح رواية وهب ماجاء به من الاسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو آفتها كروايات كعب فيها . وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثا فيها من الخرافات ، وبما أدخلها فيها من العتائد الباطلة ، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة

ونكتفي في هذه وهي شرها بما نقله الحافظ ابن كثير عنه في تفسير قوله تعالى (وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون : هو من عند الله . وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) قال : قال وهب بن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فاتها محفوظة ولا تحول ، رواه ابن أبي حاتم

(قال ابن كثير) فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية

ففيه خطأ كبير ، وزيادات كثيرة ، ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير
المعرب المعبر^(١) ونهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد . وأما ان غنى
كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء » اه
أقول : ان ابن كثير قد علم من حال كتب أهل الكتاب ما لم يكن يعلم
أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد وابن معين والبخاري ومسلم الذين لم يروا هذه
الكتب كما رأها ، ولم يطلعوا على ما بينه المطاعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها
ومخالفتها لما تقطع به من اصول الايمان بالله ورسوله الخ كابن حزم وابن تيمية
استاذهم ، ولو علم اولئك ما علمه هؤلاء من ذلك لآزموا بأن وهباً كان كذاباً
غاشاً للمسلمين بصلاحيه ، ولم يقبلوا له رواية قط . كما كانوا يجزمون بجرح من
يقول في الدين بدون مازعه من كون التوراة والانجيل اللذين في ايدي اهل
الكتاب كما انزلها الله تعالى لم يتغير منهما حرف واحد . وان تحريفهم لهما انما
كان في تأويلهما ، وفي نسبة بعض المسائل التي ليست فيهما اليهما ، أي كما يفعل المبتدعون
في الاسلام والمتعصبون للمذاهب في تأويل القرآن والحديث لا ثبات بدعهم
ومذاهبهم . وكما اراد ابن كثير عفا الله عنه ان يلتمس لو هب تأويلات كتاويلات
متعصبي المذاهب لمشايخهم . ولو نقل هذا القول عن جهمي أو معتزلي أو شيعي
لقطع هو وأمثاله بخروجه به من الملة — فهذا التأويل بديهي البطلان ، لأن كل
أحد يجزم بأن وهباً يتكلم عن التوراة والانجيل الموجودين في الأرض لا عن
اللوح المحفوظ ، ولا عن علم الله عز وجل ، وعن كلامه الذي هو صفة من صفاته
— ولو أردنا أن نجتمع من تفسير ابن كثير وحده ما فيه من الاسرائيليات وغيرها
عن وهب نفسه وعن صنوه في روايتها كعب الاحبار ، وننتقدها لألفنا في ذلك
كتاباً خاصاً ، مع العلم بأن ابن كثير رحمه الله تعالى يحترس مما لم يحترس غيره
منها . وأما اذارجعنا الى كتب القصاصين والمفسرين الذين جمعوا كل ما سمعوا فافاننا
نجد هناك العجب العجيب ! والذي يقال فيه : إنه لا تلبس عليه ثياب . ويا حسرتنا
على من يظنون ان سنة النبي المختار ، تزول الثقة بها بجرح وهب وكعب الاحبار اه
(١) وفي نسخة مكتبة الازهر: المعبر المعرض . وامل مراده بالمعبر العبري أي العبراني

فؤاد بك سليم

خسرت سورية في ثورتها الحاضرة قائداً من أكبر قوادها تدبيراً وبلاء فيها ، وفي الحركة العربية الأخيرة من أولها إلى آخرها ، بل خسرت الأمة العربية رجالاً كان يرجى أن يكون من أكبر رجالها في هذا الطور الانقلابي تأثيراً بعلمه وعمله ، وعقله وأدبه ، ولسانه وقلمه ، رب السيف والقلم ، شهيد الوطنية الصادقة ، صديقنا فؤاد بك سليم ، أصابت رأسه المفكر شظايا قذيفة من مدافع الفرنسيين في المعركة فقضت عليه قبل أن يتم ما كان يلقيه على جيش الثورة وقواده من الأوامر والنواهي الحربية فيها ، فلما ذاع نعيه اضطربت له مصر كما اضطربت له سورية ، وأبنته جرائد القطرين ورتناه شعراؤهما ، ولم تتناوب أقلام الكتاب المختلفي المذاهب والمشارب الرثاء والتأين بمثل ما كتبت فيه إلا في أفراد معدودين من كبار الزعماء . واهل ذلك يجمع في سفر خاص يكون ذكرى وقدوة للنابتة العربية في نهضتها القومية الحاضرة كان فؤاد سليم مغمولاً مجهولاً قدره باقامته في شرق الأردن إلا عند أصدقائه ، فكان كنود الأمير عبدالله الحجازي له باخراجه منها جزاء له على إنقاذه إياه من الهلاك ، وإلجائه إياه إلى الأيواء إلى مصر ، من حسن حظ الفقيد وحظ أمته ، اذ عرفه فيها على عزائه كبار العقلاء والكتاب ، وأعجبوا بما نشره في أشهر جرائدها من المقالات السياسية والاجتماعية الدالة على نضوج فكر ودسعة علمه وسداد رأيه لم تكن دموعي عند فقد الكواكبي والزهرراوي أشد حرارة من دموعي على فؤاد ، و كنت أرجو له مستقبلاً عظيماً في نهضة الأمة العربية ، وقد يتعجب قراء المنار إذا قلت إني كنت أرجو أن يكون من أقوى أنصاري في الإصلاح الديني والأخلاقي ، وفي مقاومة تيار التفرنج المفسد للعقائد والأخلاق ، وللأبدان والأرواح ، وفي السعي لاعادة طائفة الدروز العربية الباسلة إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، مع المحافظة على روايتها وتكافلها ومزاياها الشريفة الموافقة لأصول الاسلام ، وإقناع نابتها وزعمائها الأذكياء ماعدا ذلك من تعاليم الباطنية كان من دسائس الجوس وكيدهم للعرب لسلب ملكهم انتقاماً منهم على إسقاطهم لدولة الجوس ودينهم . فالبلاد كانت أحرج إلى عقل فؤاد ورأيه منها إلى سيفه فرحمه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الألباب)

١٣١٥

(يؤتي الحكمة
من يشاء ومن
يؤتي الحكمة
فقد أوتي خيراً
كثيراً ، وما
يذكر الأولو
الألباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ شعبان سنة ١٣٤٤ هـ ٢٣٨١٣٤٤ برج الحوت سنة ١٣٠٥ هـ ش ١٤ مارس سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

(الاستخفاف بآيات الله وما عظم الله أمره . ودعوى رؤية النبي (ص) في اليقظة)

(٣٨ و ٣٩) من صاحب الامضاء في الجزائر

ما قولكم في كاتب يكتب في الجرائد تحت عنوان « النفخ في الصور » والامضاء « إسرائيل » هل ينطبق عليه ما ذكر الشيخ (القاضي) عياض في كتاب الشفاء في مفتاح فصل من فصول آخر الكتاب ولفظه :

« وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه - أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته - إلى أن قال - وهذا كفر لامرية فيه » اهـ قلت أليس التمثيل بالنفخ في الصور وامضاء إسرائيل عليه السلام بعض ما عظم الله من ملكوته ؟ أفيدوا الجواب، ولكم الأجر والثواب، من منزل الكتاب، الذي جعله الله حكماً بين العباد إلى يوم المآب

ثم نذكر لكم سخافة وحديث خرافة ذكرها الشيخ عيش في فتاويه في باب الأصول من كتابه ذلك فقال : إن الشعراني نقل عن علي الخواص أن الأئمة المجتهدين لا يثبتون حكماً إلا إذا شاوروا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة، وأنهم معصومون من الخطأ، إلى غير ذلك مما لا يقبله الشرع ولا العقل . وان السيوطي ذكر عن نفسه كما في ورقة بخطه أنه رأى النبي (ص) خمساً وسبعين مرة يقظة، حسبما تقفون على ذلك في كتابه الموماً إليه في باب الأصول

ثم إننا لما أنكرنا ذلك وكتبنا فيه نقداً في بعض الجرائد هنا قام بعض من يزعم أنه على علم ما . فأنكر علينا انكارنا على من يدعي رؤية النبي (ص) يقظة بعد وفاته بثمانمائة سنة . إلى غير ذلك مما تقفون عليه من المدهشات بل المخزيات

والآن نطلب منكم عملاً بالأصول وقواعدها وانتصاراً لطريقتنا الإصلاحية السلفية أن تشيروا إلى ذلك في عدد من أعداد المنار المقبلة وذلك يكون خدمة للعلم والفتة الصحيح إذ لا تتقرر الأحكام الشرعية بما ذكر (الزواوي)

﴿ جواب المنار ﴾ اننا لم نطلع على شيء مما كتب في بعض جرائد الجزائر بالعنوان والامضاء المذكورين ، فنعلم هل هو صريح فيما أراده القاضي عياض رحمه الله من الاستخفاف أو الاستهزاء بالله أو بآياته ، أو بما عظم أمره من ملكوته بما يدل على ذلك دلالة واضحة . وهو قد ناط بالحكم بالكفر بقصد الكفر والاستخفاف ، أو بالتكرار الدال على ذلك ، فان نص عبارته فيما جزم بأنه كفر « فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه ، واستخفافه بحرمته وربه ، وجهله بعظيم عزته وكبريائه ، وهذا كفر لامرية فيه . وكذلك ان كان ما أورده يوجب الاستخفاف والنقص لربه » اهـ

والمدار في الحكم بالكفر في أمثال هذه الأقوال على دلالتها القطعية على الاستخفاف والاستهزاء الذي لا يصدر من مؤمن عادة أو قصده ذلك . فاذا كان الناس يفهمون من عبارات ذلك الكاتب الاستهزاء بالقيامة وملك الصور استهزاء من لا يؤمن بهما فلهم أن لا يعاملوه معاملة المؤمنين ، ولكن بعدان ينصحوا له برفق بان يرجع عن ذلك ويتوب إلى الله منه ، وأن يقبلوا قوله إذا قال انه لا يقصد به ما فهموه من الدلالة على الاستخفاف أو الاستهزاء ويحتجوا عليه بأن فهمهم ذلك منه كاف في وجوب تركه . وإن كان الناس لا يفهمون هذا مما يكتبه بل يفهمون أنه يقصد الوعظ وبأسلوب مؤثر يذبه الاذعنان فلا وجه للقول بكفره مطلقاً . وهناك صورة ثالثة وهي أن تختلف افهام الناس فيما ذكر ، وحينئذ يتجه أن يكون ما يكتبه معصية لا كفراً ، والغالب على ظني أنه لا يقصد الكفر ولا يعتقد أن ما يكتبه محظور شرعاً ، ولكن يجب عليه والحالة هذه أن يراعي ما يفهم الناس من كلامه ، ولا يقف موقف التهمة عند من يستنكر ذلك ، وأرجو ان يترك ذلك اذا بلغه هذا وصح حين ظني فيه فهذا ما أتجه عندي في مسألة الاستفتاء دعوى التلقي عن النبي (ص) بعد وقائه

وأما ما نقله الشيخ عlish عن الشعراني عن علي الخواص من استشارة الأئمة المجتهدين للنبي (ص) يقظة في كل حكم أثبتوه ، ومن القول بعصيتهم ، فها من الباطل الذي لا يقبله إلا الخرافة الجاهل ، فالمسلمون قد اجمعوا على عدم عصية

العلماء المجتهدين ، وصرحوا بجواز الخطأ عليهم ، إلا أن بعض الشيعة قد قالوا بعصمة بعض الذين خلوا من أئمة أهل البيت كالأئمة الاثني عشر عند الامامية ، وقد كان المجتهدون يقولون القول ثم يظهر لهم انه خطأ فيرجعون عنه ولو لم يثبتوا حكماً إلا بالتلقي الصحيح عن النبي (ص) لما رجع أحد منهم عن قول قاله في اثبات حكم أو فقيه ولما أوصى من أوصى منهم (كالشافعي) بأن من صح عنده حديث يخالف قوله فليتبع الحديث ويضرب بقوله عرض الحائط ، وكتب الشمراني مشحونة بالخرافات وقد أطال القول في هذه المسألة في كتابه (الميزان) وسيأتي ما فيه

هذا وإن أولئك المجتهدين لم يدع أحد منهم هذه الدعوى بل كانوا يستنبطون الأحكام من أدلتها ويتناظرون فيها ، ويرد بعضهم قول بعض بالدليل ، ولم يدع أحد منهم العصمة ولا ادعائها لم أصحابهم ومؤيدو مذاهبهم بل اعترفوا بأنهم يخطئون وإن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا النبي (ص) كما كان يقول مالك ، ولو صحت الدعوى لكانت أقوالهم كلها على تعارضها وتناقضها كنصوص الكتاب والسنة ، والواقع أن أكثرها اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب وهذا معني وصقهم بالمجتهدين . والصحابة كانوا أعلم بدين الله من أئمة الفقه ، ولم يقل أحد بعصمتهم ولا بأنهم كانوا يرون النبي (ص) بعد موته ويستفتونه فيما أشكل عليهم والروايات في اختلافهم وتشاورهم فيما اختلفوا فيه في عهد الراشدين كثيرة ، ولو كان كبار الصحابة والتابعين الذين نقلوا إلينا القرآن والسنة يرون النبي (ص) في اليقظة ويتلقون عنه الأحكام لعرف هذا عنهم الخواص والعوام ، ولما وقع المسلمون فيما وقعوا فيه من الاختلاف العلمي والعملي

ثم إن الذين ادعوا أنهم يرون النبي (ص) في اليقظة ويسألونه عن الأحاديث المروية عنه وعن الأحكام والحقائق يختلفون في كل ذلك اختلافاً يدور بين النفي والاثبات ، والحلال والحرام ، والكفر والإيمان ، فكيف يمكن أن تصح دعواهم ؟ روي عن السيوطي أن النبي (ص) أخبره أنه ليس في جامعه الصغير حديث موضوع أي مكذوب عليه (ص) وروي عن غيره أنه سأل (ص) عن عدة أحاديث من هذا الكتاب فأنكرها ، وصرح بأنه لم يقلها ، وهي من غير الأحاديث التي قال رجال الحديث كالمناوي وغيره بوضعها

ومن مفسد هذه الدعوى أنها فتحت للدجالين باب الفساد في هذا الدين وبث العقائد الباطلة المخالفة لنصوص القرآن القطعية الدلالة والمجمع عليها في الملة، دعى مخالفتها للأحاديث الصحيحة عند جميع حفاظ السنة، وتجد الكثير منها في كتب المتصوفة كالشيخ أحمد التيجاني الذي ضل بطريقته الألوف والملايين من أهل إفريقية ولا سيما الجزائر، ولولا أن في كتب بعض المشهورين بالولاية والعلم كالشعراني إثباتاً لهذه الدعوى بدعوى أخرى هي ما يسمونه بالكشف لكفى المسلمون هذا الشر المستطير

لقد كان الضرر والفساد لهذه الدعوى كبيرين ولم نر لها أدنى فائدة توازي أدنى غائلة منها، وعلماء أصول الدين وعقائده وأحكامه متفقون على أن الكشف والالهام ليس من أدلة الشريعة ولا يثبت به حكم ولا تقوم به حجة. قال في جمع الجوامع وشرحه: لعدم ثقة من ليس معصوماً من الأولياء بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان فيها، وأهل السنة لا يقولون بعصمة أحد في إلهامه وغيره إلا الأنبياء عليهم السلام كما تقدم

وأما مسألة رؤية النبي (ص) في اليقظة أي رؤية روحه الشريفة القدسية، متشكلة بصورته الكاملة الجسدية فقد اختلف العلماء فيها، فنفاها قوم، وأثبتها آخرون ممن يدعونها أو يصدقون من ادعواها من الصوفية، ومن الثقة من قال بإمكان حصولها في حال بين النوم واليقظة، ونظم بعضهم هذا الرأي بقوله:

ومن يدعي في هذه الدار أنه يرى المصطفى حقاً فقد فاه مشنطاً

ولكن بين النوم واليقظة الذي يحاول هذا الأمر مرتبة وسطى

ويجد القارىء هذا البحث في المواهب اللدنية وشرحها، وفي الأبريز، وفي بحث الكرامات من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وغيرها. وقد كنت قرأت هذا وغيره، وكتبت في المسألة بحثاً طويلاً في كتاب (الحكمة الشرعية في المحاكاة بين القادرية والرفاعية) الذي ألفته في أثناء طلبي للعلم بطرابط الشام ويعمل النفاة لرؤية اليقظة ما روي عن بعض كبار الصوفية من ادعائها، ومنهم الأتقياء العدول، والعلماء الفحول، الذين يجلون عن تهمة الكذب

والاقتراء — يعللون ذلك بأنهم هؤلاء لم يفتروا تلك الدعوى اقتراء ، وإنما كان ما يروونه نوعاً من المثال ، يتجلى عند استغراق الفكر في الخيال ، على حد قول الشاعر

يمثلك الشوق الشديد لناظري فأتق إجلالا كأنك حاضر

ولكن كبار الصوفية على إثباتهم للرؤية الخيالية يقولون : إن لهم رؤية أخرى هي جمعية روحية تكون في حال التجرد من الجسم المادي الكثيف ، والانسلاخ من سلطان الحس ، فهي مشاهدة الروح للروح في شكل الجسد ، ولا تتوقف على فتح العينين ولا على وجود النور بل هي تكون مع عدمهما أكثر ومن الفرق بينها وبين الرؤية الخيالية — أن الذي يتمثل في الخيال هو ما نقش في مركز التصور لما كان شاهده هذا الرأي أو تخيله ، فهو يختلف باختلاف الأشخاص كالأحلام ، والرؤية الروحية ليست كذلك ، وآية صحتها إنها لا تتضمن أخذ شيء عنه ينافي القرآن أو غيره من أصول الشريعة أو فروعها القطعية .

وقد ذكر صاحب الأبريز عن شيخه الدباغ من أمثلة الرؤية الخيالية جزاراً في مدينة فاس مات ولده فوجد عليه وجداً عظيماً ، فتمثل له وهو يمشي مع الجزارين في السحر يقصدون المذبح ، وصاريتكلم معه ، حتى نبهه أحدهم فافقه سائلاً إياه عما سمع منه ؟ فأخبره أن والده كان يمشي بجانبه ويكلمه

وأعرف امرأة بلهاء في بلدنا كانت دائماً تخادب الموتى ممن لهم شأن كبير عندها كأخ لها مات شاباً ومن غيرهم وهذا نوع مما ينقل في هذا العصر عن الروحانيين في بلاد الأفرنج كلها

وربما أعود إلى التوسع في هذه المسألة ، وما يتعلق بها مما يسمى اليوم باستحضار الأرواح

وجملة القول أن رؤية الأرواح على القول بصحتها إنما تقع في حالة غيبة عن الحس والادراك العقلي ، ومتى عاد صاحبها إلى الحالة الطبيعية يكون كالمستيقظ من النوم ، فلا يوثق بضبطه لكل ما رآه ، وهي لا تثبت بها حكم شرعي ، ويجب القطع بطلان كل ما ينقل في هذه الحالة عن روح النبي (ص) أو غيره من الأنبياء والمؤمنين مخالفاً لما ثبت شرعاً أو وجوداً بدليل قطعي والسلام

﴿ مسألة صفات الله تعالى وعلوه بين النفي والاثبات ﴾

﴿ جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾

رحمه الله تعالى

فصل

فاذا تبين ذلك فوجوب اثبات علو الله تعالى ونحوه يتبين من وجوه
(أحدها) أن يقال إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام
السابقين والتابعين بل وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات علو الله
على عرشه بأنواع من الدلالات ، ووجوه من الصفات ، واصناف من
العبارات ، تارة يخبر انه خالق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى
على العرش . وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع ، وتارة
يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه كقوله تعالى (بل رفعه
الله اليه * إني متوفيك ورافعك إلي * تمرج الملائكة والروح اليه) وقوله
(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وتارة يخبر بنزولها منه
أو من عنده كقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق * قل نزله روح القدس من ربك بالحق * حم ، تنزيل الكتاب
من الرحمن الرحيم * حم ، تنزيل من الله العزيز الحكيم) وتارة يخبر بأنه
الاعلى والاعلى كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) وقوله (وهو العلي العظيم)
وتارة يخبر بأنه في السماء كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف
بكم الارض ؟ أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) فذكر السماء
دون الارض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى

(وهو الذي في السماء آله وفي الارض آله) وقال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » وقال للجارية « ابن الله ؟ قالت في السماء » قال « اعتقها فانها مؤمنة »

وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض ويخبر عن عنده بالطاعة كقوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) فلو كان موجب العناية معنى غاما كدخولهم تحت قدرته وشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته ، بل مسبحا له ساجدا وقد قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك رداً على الكفار والمستكبرين عن عبادته ، وأمثال هذا في القرآن لا يحصى الا بكلفة ، وأما الاحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصىها الا الله تعالى فلا يخلو اما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله نفسه وعلى خلقه هو الحق أو الحق نقيضه اذ الحق لا يخرج عن النقيضين واما أن يكون نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية ، ثم تارة يقولون لا فوقهم ولا فيهم ، ولا داخل ، ولا خارج ، ولا مبين ، ولا محايث ، وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان ، وفي المقالتين كليهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه

فاما أن يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه ، فان كان نفي ذلك هو الحق ، فعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط لانصا ولا ظاهرا ، ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، لائمة المذاهب الاربعة ولا

غيره ، ولا يمكن أحدا أن ينقل عن واحد من هؤلاء انه تنى ذلك أو
اخبر به : وأما ما نقل من الاثبات عن هؤلاء فاكتر من أن يحصى أو يحصر ،
فان كان الحق النفي ذون الاثبات - والكتاب والسنة والاجماع انما دل على
الاثبات ولم يذكر النفي اصلا - لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا
بالحق في هذا الباب ، بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال
والخطأ المناقض للهدى والصواب

ومعلوم أن من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله اوفر حظ من
قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

فان القائل اذا قال هذه النصوص اريد بها خلاف ما يفهم منها ، أو
خلاف ما دلت عليه ، أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه ، وانما اريد
بها علو المكانة ونحو ذلك كما قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع ،
فيقال له فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق (به) باطنا وظاهرا
بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه ،
فان غاية ما يتصور انه تكلم بالحجاز المخالف للحقيقة ، والباطن المخالف للظاهر ،
ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن
بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي ، فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي
بين للناس ما نزل اليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه ، كان
عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد لاسما
اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله ، فان عليه أن ينههم عن أن يعتقدوا
في الله مالا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ، ولو لم يخاطبهم بما يدل

على ذلك ، فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلم على ذلك الاعتقاد الذي
 تمول النفاة هو اعتقاد باطل ؟ فاذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا
 كلام أحد من السلف والائمة ما يوافق قول النفاة اصلا ، بل هم دائما
 لا يتكلمون الا بالاثبات ، امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الاثبات ،
 وان يكون النفي هو الذي يمتدونه ويمتدونه ، وهم لم يتكلموا به قط
 ولم يظهروه ، وانما اظهروا ما يخالفه وينافيه ، وهذا كلام مبين لا مخلص
 لاحد عنه لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام



مذاهب متفلسفة القرامطة في الصفات

أما المتفلسفة القرامطة فيقولون ان الرسل كلوا الخلق بخلاف
 ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون ، وربما يقولون انهم كذبوا
 لاجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات ، وان
 كان في نفس الامر باطلا . وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر
 الواضح قول متناقض في نفسه ، فانه يقال لو كان الامر كما تقولون
 والرسول من جنس رؤسائكم ، لكان خواص الرسل يطاعون على ذلك ،
 ولكانوا يطلمون خواصهم على هذا الامر ، فكان يكون النفي مذهب
 خاصة الامة واكلامها عقلا وعلماء وعرفاء ، والامر بالعكس ، فان من تأمل
 كلام السلف والائمة وجد أعلم الامة عند الامة كأبي بكر وعمر وعثمان
 وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
 وأبي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله
 ابن عمرو وأ. ثلهم هم أعظم الخلق اثباتا . وكذلك أفضل التابعين مثل

سعيد بن المسيب وامثاله والحسن البصري وامثاله وعلي بن الحسين وامثاله وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين . بل النقول من هؤلاء في الاثبات مجبن عن اظهاره كثير من الناس ، وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري ما يروى أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله ، فاذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الفرقة بالله ، تأولوا ذلك على ما جاء من الاثبات ، لان ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين والتابعين لهم بإحسان ، بخلاف النفي فإنه لا يؤخذ عنهم ، ولا يمكن حمله عليه

وقد جمع علماء الحديث من النقول عن السلف في الاثبات ما لا يحصى عدده إلا رب السموات ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد إلا أن يكون من الاحاديث المختلفة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم

ومن هؤلاء من تمسك بمجملات سمعها ، بعضها كذب وبعضها صدق ، مثل ما ينقلونه عن عمر أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان : كنت كالزنجبي بينهما ، فهذا كذب باتفاق أهل العلم بالاثار ، وبمقدور صدقه فهو مجمل ، فاذا قال أهل الاثبات كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته ما نقل عنهما كان أولى من قول النفاة انهما يتكلمان بالنفي ، وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبثنته فيكم وأما الآخر فلو بثنته لقطعتم هذا البليوم — فإن هذا حديث صحيح لكنه مجمل قد جاء مفسراً أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم والفتن ، ولو قدر أن فيه ما يتعلق

بالصفات فليس فيه ما يدل على النفي بل الثابت المحفوظ من أحاديث أبي هريرة كحديث آتيانه يوم القيامة وحديث النزول والضحك وامثال ذلك كلها على الإثبات ، ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد في النفي من جنس قول النفاة

مذهب الجهمية في الصفات

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون ان القرينة الصارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل ، فاكفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة ، فيقال لهم (أولاً) حينئذ اذا كان ما تكلم به انما يفيد مجرد الضلال وانما يستفيدون الهدى من عقولهم ، كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ، ولم ينصب لهم أسباب الهدى ، وأحاطهم في الهدى على نفوسهم ، فيلزم على قولهم ان تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضررتهم . ويقال لهم (ثانياً) فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الاثبات الذي هو اظهر في العقل من قول النفاة ، مثل ذكره الخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الامور التي تعلم بالعقل أعظم مما يعلم نفي الجهمية ، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الاثبات ، فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو اخفى وأدق وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده ومن نسب هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم قاله حسيده على ما يقول

والمراتب ثلاث ، اما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما . ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل ، وهما يعرف بالعقل ان الاثبات لم يسكت عنه بل بينه ، وكان ما جاء به السمع موافقاً للعقل ، فكان الواجب فيما ينفيه العقل ، ان يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل ، واذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه اسلم للامة

أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات، وأراد منهم أن لا يستقدوا إلا
النفي، ليكون مجرد عقولهم تعرفهم به فإضافة هذا إلى الرسول صلى الله
عليه وسلم من أعظم أبواب الزندقة والنفاق

ويقال لهم (ثالثاً) من الذي سلم لبح أن العقل يوافق مذهب النفاة
بل العقل الصريح إنما يوافق ما أثبتته الرسول، وليس بين المعقول الصريح
والمنقول الصحيح تناقض أصلاً، وقد بسطنا هذا في مواضع ينافيها أن
ما يذكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
وإنما هو جهل وضلال تقلده متأخروهم عن متقدميهم، وسموا ذلك عقليات،
إنما هي جهليات، ومن طلب من تحقيق ما قاله أئمة الضلال بالمعقول
لم يرجع إلا إلى مجرد تقليدهم، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل
تقليداً لأن توهموا أنه عالم بالعقليات، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون
معه، حيث قال (فاستخف قومه فأطاعوه) قال تعالى عنه (فاستكبر هو
وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم اليبالا يرجعون) فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة هم من
المقبوحين) وفرعون هو إمام النفاة ولهذا صرح بحقوق النفاة بأنهم على
قوله، كما يصرح به الاتحادية من الجهمية من النفاة، أذ هو الذي أنكر الله
وكذب موسى فيه وأنكر تكليم الله لموسى قال تعالى (وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب * أسباب السموات والأرض فأطلع إلى الله
موسى وأني لأظنه كاذباً) والله تعالى قد أخبر عن فرعون لئلا أنكر الصائم
وقال (وما رب العالمين) وطلب أن يعتمد ليطلع إلى الله موسى، فلم يكن

موسى اخبره أن الهه فوق لم يقصد ذلك ، فانه هو لم يكن مقراً به ، فاذا لم يخبره موسى به لم يكن اثبات العلو لامنه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام . فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ما قصده من التلبيس على قومه ، بأنه صعد الى اله موسى ، ولكن صعوده اليه كنزوله الى الآبار والانهار ، وكان ذلك اهون عليه ، فلا يحتاج الى تكلف الصرح

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما عرج به ليلة الاسراء ووجد في السماء الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ثم في الثالثة يوسف ثم في الرابعة ادريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى (١) ثم عرج الى ربه وفرض عليه خمسين صلاة ثم رجع الى موسى فقال له ارجع الى ربك فاسأل التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك ، قال فرجعت الى ربي فسأله التخفيف لامتي ، وذكر انه رجع الى موسى ثم رجع الى ربه مراراً فصدق موسى في أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى في ذلك والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أثمة الضلال . وأهل السنة والاثبات موافقون لآل ابراهيم أثمة الهدى وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين) وجعلناهم أثمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وابتاء الزكاة وكانوا لنا خاشعين) وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين

(١) الظاهر أنه سقط من هذا الموضع أنه وجد موسى في السماء السادسة وابراهيم في السابعة

الصحة

تأليف

زعيم الهندوس الاكبر

مهرانما غاندي

ترجمة

الاستاذ الشيخ عبد الرزاق

المليح آباري



الباب الثاني

الجسم الانساني

الكون مركب من خمسة عناصر: التراب والماء والهواء والنار والأثير^(١) وكذلك الجسم الانساني الذي هو مثال مصغر للكون . ولذلك يحتاج الجسم الى قدر متناسب من جميع هذه العناصر: التراب النقي ، والماء النقي ، والنار أو النور النقي ، والهواء النقي ، والمكان الطلق . فان حصل نقص أو زيادة في القدر الضروري من هذه الأشياء فالمرض واقع لا محالة

الجسم مكون من الجلد والعظام والدم واللحم . فالعظام هي التي تكون الهيكل الجسدي ، إذ لولاها لما أمكننا أن نتصب أو نتحرك أو نمشي ، وهي التي تحمي الأجزاء اللينة الرخوة من الجسم . فالجمجمة تحمي الدماغ ، والاضلاع تحمي القلب والرئتين . وقد أحصى الأطباء العظام في الجسم الانساني فوجدوها تبلغ ٢٣٨ عظاما . إن ظاهر العظام كما لا يخفى صلب ، وباطنها رخو مجوف ، وهي متصلة بعضها ببعض بطليقة من النخاع التي يصح أن نعتبرها عظاما رخوة .

(١) المنار : جرى المؤلف هنا على رأي فلاسفة اليونان والهند والعرب في العناصر وزاد « الأثير » وهو عند علماء هذا العصر بالكون أصل العناصر ومنشأ الوجود ولكنه مفروض فرضا غير ثابت علماء يعلمون به كل ما يدل على وجود الخالق سبحانه من نظام العالم وأطواره

والأسنان كذلك تعد من العظام ، وتظهر اللبنة منها في الطفولية ثم تسقط وتتحلها الأسنان الثابتة التي اذا سقطت لا تحل محلها أسنان جديدة . تنبت الاسنان اللبنة في فم الطفل من ستة الى ثمانية أشهر من عمره غالبا ، ولا تزال تنبت الى أن يبلغ من العمر سنتين أو سنتين ونصف سنة . وأما الاسنان الثابتة فتنبت من السنة الخامسة حتى تستكمل بين سبع عشرة وخمس وعشرين سنة من العمر وأما الأضراس فتظهر بعد جميع الأسنان

نجد اللحم في بعض الأماكن من الجسم صلباً مطاطاً ، هذه هي الأعصاب ، وهي التي تسهل لنا بسط أيدينا وقبضها ، وتحريك فكينا ، وتغميض عيوننا . ثم هي التي تؤدي لها أعضاؤنا الحساسة وظائفها

إن البحث التام في الهيكل الجسدي ليس من أغراض هذا الكتاب . ثم إن الكاتب نفسه ليس على علم تام به حتى يوفي البحث حقه . ولذلك تقتصر هنا على البحث في الأعضاء الرئيسية من الجسم

إن أهم أجزاء البدن المعدة ، فانها لو وقفت عن عملها ولو دقيقة من الزمن فسرعان ما يتداعى الجسم كله . إن وظيفة المعدة إنضاج الطعام وهضمه وتهيته الغذاء للجسم . فالعلاقة بينها وبين الجسم كعلاقة القاطرة بالقطار . ولكن الحمل الذي نحمله عليها عادة أثقل من أن يتحمله أقوى حيوان ضار . إن العصارة المعدية التي تتولد في المعدة تساعد على هضم الأجزاء المغذية من الطعام وتفرز الحشالة من طريق الأمعاء في شكل البول والبراز . ويوجد في الجنب اليسر من الجوف البطني الطحال ، وفي الأيمن من المعدة الكبد الذي وظيفته تنظيف الدم وإفراز الصفراء التي هي نافعة جداً للهضم

يوجد في الجوف الذي تحيط به الأضلاع القلب والرئتان ، ومكان القلب بين الرئتين ، ولكنه مائل الى اليسار أكثر منه الى اليمين . وعظام الصدر كلها ٢٤ عظما ، وضربات القلب يمكن الحس بها بين الضلع الخامس والسادس . والرئتان متصلتان بالقصبه الهوائية ، فالهواء الذي نستنشقه يصل الى الرئتين من طريق هذه القصبه الهوائية ، وهو الذي ينظف الدم . إن من الضروري

جدّ آ التنفس من المناخر لامن القسم لكي يصل الهواء من طريق المناخر الى الرئتين ساخناً . ولكن كثيراً من الناس يجهلون ذلك فيتنفسون بالفم فيتضررون به ضرراً بليغاً . إن الفم للأكل والشرب لا للتنفس الذي هو وظيفة الأنف يتوقف جميع أعمال الجسم ونشاطه على دورة الدم ، لأنه هو الذي يهيئ الغذاء للجسم ، وينتقي الأجزاء المغذية من الطعام ويفرز الفضلات من طريق الأمعاء وهكذا يحافظ على حرارة الجسم . لا يزال الدم في دورة وجريان في سائر الجسم من طريق العروق والشرايين وضربات النبض إنما هي نتيجة لدورة الدم إن نبض الشاب النافع الصحيح الاعتيادي يبلغ نحواً من ٧٥ مرة في الدقيقة . ونبض الاطفال أسرع من هذا ، كما أن ضربات نبض الشيوخ بطيئة إن الآلة الاساسية لتنقية الدم إنما هي الهواء . فانه اذا عاد الى الرئتين بعد دورته الكاملة في الجسم . عاد غير طاهر أي مشتملاً على عناصر سامة ولكن (الاكسجين) الذي نشتنشق من الهواء ينفذ فيه فيطهره وينقيه ، كما أن (النيتروجين) يجذب السموم ويخرجها بالزفير . وهذا العمل لا يزال جارياً ليلاً ونهاراً بلا انقطاع . وبما أن الهواء يؤدي وظيفة مهمة جداً في الجسم . يحسن بنا أن نفرّد له باباً مفصلاً

الباب الثالث

الهواء

قوام حياة الانسان ثلاثة أشياء : الهواء والماء والغذاء . أما الهواء فأهمها جميعاً ، ولذلك خلقه الله بمقدار عظيم جداً ، وبثه في كل مكان ليحصل عليه جميع الناس بلا ثمن . غير أن المدنية الحاضرة قد جعلت حتى الهواء النقي غالباً لا ينال الا بالثمن . وذلك لأننا نضطر للحصول عليه الى أن نذهب خارج المدن وهذا يقتضي شيئاً من النقطة . فسكان بمبائي مثلاً يجدون الهواء النقي في (ماتهرن) وأجسين منه في تلال (مالابار) ولكنهم لا يستطيعون أن يذهبوا الى هذه الاماكن

بدون إنفاق المال . ولذا يصعب القول بأن الهواء النقي ينال مجاناً في العصر الحاضر كما كان الحال في العصور القديمة

وسواء وجدنا الهواء مجاناً أو بثمن فإننا لاغنى لنا عنه البتة . لقد رأينا أننا أنما أن الدم يدور في الجسم حتى يصل الى الرئتين ، وبعد أن يتطهر فيها بالهواء يعود الى دورته ثانية . فنحن نخرج الهواء الفاسد بالزفير ، ونستنشق الاكسيجن من الخارج بالشهيق وهو الذي يطهر الدم ، وهذا العمل للزفير والشهيق يسمى التنفس ولا يزال مستمراً دائماً ، وعلى استمراره وحده تتوقف الحياة . إن الغريق يموت لأنه لا يستطيع في داخل الماء أن يخرج الهواء الفاسد ، ويستنشق الهواء النقي . وأما الغواص الذي يغوص في الماء ويبقى فيه زمناً ، فذلك لأنه يحمل معه ما يسمى (بجهاز الغواص) فيتنفس بأنبوبة يتصل أحد طرفيها بالجهاز ويبقى الآخر فوق الماء فهو يحصل بهاءلى الهواء النقي ، ويستطيع أن يبقى في الماء وقتاً طويلاً . لقد أثبتت التجارب أن الانسان لا يمكن أن يعيش بدون الهواء أكثر من خمس دقائق . وكم نسمع بالأطفال الذين يموتون في أحضان أمهاتهم ، فإن الأم الجاهلة تضم الطفل الى صدرها ضمّاً شديداً حتى ينقطع عنه الهواء فيختنق في مكانه ! وبهذا تعلم شدة حاجة الانسان الى الهواء ، وإنا على كل حال نجده بدون أن نبحث عنه هنا وهناك خلافاً للماء والغذاء فإننا لا نجدهما الا بالبحث والسعي . إن التنفس في الهواء الفاسد مكروه ومستقبح مثل شرب الماء الكدر ، وأكل الطعام الوسخ ، ولكننا تعودنا أن تنفس في الهواء الفاسد ، الذي هو أكثر فساداً من الشراب والطعام . نحن كلنا بالحقيقة عبيد انظواهر ، فكل منا راه ونحس به نهتم به أكثر بكثير مما لا نراه ولا نحس به . وبما أن الهواء مما لا يرى بالعين فلذلك لا نبالي بمعرفة الفساد الذي يجلبه علينا الهواء الفاسد . نحن نشمئز من تناول الطعام الذي أكل منه انسان غيرنا ، وشرب الماء الذي أفسده غيرنا بادخال شفثيه فيه ، حتى إن أولئك الذين ليس لهم حس من التقزز أو الكراهة لهذا يستنكفون أن يأكلوا ويشربوا النقي . هما جاعوا وعطشوا ، بل يفضلون الموت على أن يفعلوا ذلك ، ولكن ما أقل أولئك الذين

يفهمون حق الفهم أن الهواء الذي يستنشقه قد يكون أكثر الأحيان فاسداً مسموماً بما يجبه الآخرون فيه بتنفسهم ، وليس بأحسن حالا من القمي . وما يتعجب منه أن الناس يتجالسون وينامون مجتمعين ساعات طويلة في حُجر ضيقة ويتنفسون في هوائها القتال الذي تد أفسدوه هم وأصحابهم ! ما أسعد حظ الانسان في أن الهواء خفيف ومنبث الى هذا الحد وصالح للنفوذ من أضيق المنافذ ، حتى اذا غلقت الابواب والنوافذ بقي ينفذ الى الداخل من بعض المنافذ الضيقة ، التي تبقى على كل حال بين الجدران والسقوف ، لكيلا يتنشق المجتمعون في الحجرة المغلقة الهواء المسموم بالتنفس فيه فيموتوا خنقاً . إن الهواء الذي نخرجه بالزفير يمتزج بالهواء الخارجي ، ويتطهر ثانية بعمل الطبيعة المستمر في كل وقت يتيسر لنا الآن أن نعرف السبب الذي أضعف صحة هذا العدد العظيم من الرجال والنساء ، وما هو الا الهواء الفاسد الذي قد قضى على صحة ٩٩ في المائة من الناس . فالسل وحى اللق وسائر الأمراض العفنة يسببها الهواء الفاسد ، فأحسن طريقة لتقاء الأمراض المكث والعمل في الهواء الطلق الذي لا يباريه في المعالجة وشفاء الأمراض أي طبيب مهما يكن نطاسيا حاذقا . إن السل يعرض من مرض الرئتين الذي ينشأ من التنفس في الهواء الفاسد ، ومثلها مثل القاطرة التي يوضع فيها الفحم الردي فتخرج من وظيفتها وتغير سيرها . ولذلك قالت الأطباء : إن أسهل العلاج وأنجعها للمسؤل هو البقاء في الهواء النقي طول ٢٤ ساعة لنعلم أننا لا نتنفس من طريق الرئتين فقط بل كذلك يدخل بعض الهواء في أبداننا من طريق المسام التي لا تعد ولا تحصى في جسمنا

إن من الضروري جدا معرفة الطريقة التي يمكن لنا المحافظة بها على نقاء الهواء وصفائه . يجب أن يعلم كل صبي بمجرد بلوغه سن التمييز قيمة الهواء النقي وأنا أسر غاية السرور اذا اهتم قرأني بمعرفة الحقائق البسيطة حول الهواء وعملوا بها وعلموا أولادهم ما علموه وما عملوا به

ربما كانت المراحيل والمباول التي لم تبين على أسلوب صحي سبباً جوهرياً لفساد الهواء ، وقليل من الناس من يعرف الأضرار الجسيمة التي تجلبها هذه

الأماكن . إن أحقر الحيوانات كالكلاب والسنائير تحفر بأظفارها حفراً تقضي فيها حاجتها وتغطي البراز بالتراب . فالأماكن الخالية من المراحيض الصحية الحديثة الطراز ينبغي أن تقلد فيها الكلاب والسنائير

يجب أن توضع صفيحة أو يبنى حوض في شكل كنيف ويملاً بالتراب الجاف أو الرماد لتغطية البراز بعد الفراغ من الحاجة ، فإذا فعلنا ذلك فلا تبقى هناك رائحة قبيحة ، ولا يتسلط الذباب على القاذورات فينقل ذراتها إلى أجسامنا . إن من لم يفقد حاسة الشم بتأولم يعود شم الرائحة الكريهة يعرف شدة العفونة التي تتصاعد من البراز وما شاكلة من الأوساخ التي تترك مكشوفة في الخلاء نحن قد نقىء إذا تصورنا وتخيلنا أن طعامنا يمزج بالقاذورات ولكننا نلفظ الهواء المملوء قذارة وعفونة بلا مبالاة ناسين هذه الحقيقة الثابتة وهي أن الأمرين كليهما في درجة واحدة من القبح ، ولا فرق بينهما إلا أن الأول محسوس ومشاهد والثاني ليس كذلك .

يجب أن نهتم أشد الاهتمام بنظافة المراحيض ومجاري المياه نظافة تامة . نحن نستحي من أن ننظف مراحيضنا بأنفسنا مع أن الأخرى بنا أن نستحي من استعمال الكنف الوسخة . هل يعيننا أن ننقل بأيدينا المادة التي خرجت من بطوننا أنفسنا ، ولا يشيننا أن نستخدم غيرنا لنقلها . ياللعجب كيف لا نستحي من هذا العمل المعيب ! ليس هنالك أي مبرر لجهلنا عمل تنظيف الكنف وتعليمه لأبنائنا ، يجب نقل المواد القذرة وإلقاؤها في حفرة عميقة قدر ذراع ثم تغطيتها بتراب كثير ، وإن كنا متعودين على الذهاب للحاجة في الخلاء فلكذلك يجب أن نحفر حفرة بأيدينا أو أرجلنا ونغطيها بعد قضاء الحاجة بالتراب كذلك نحن نفسد الهواء بالبول في كل مكان بدون أي تمييز ، ينبغي أن نقلع عن هذه العادة الوسخة من أصلها ، إذا لم يكن لدينا مكان معد لهذا الغرض خاصة فلنذهب إلى أرض جافة بعيدة عن البيت فنبول فيها ونغطي البول بالتراب لا ينبغي إلقاء القاذورات في حفرة عميقة جداً ، لأن هذا يمنع حرارة الشمس من النفوذ إليها ، وكذلك هي تتسرب إلى باطن الأرض فتفسد مياه

الآبار والأنهار والعيون المسلوكة في أعماقها

وكذلك عادة البصق بلا مبالاة في الأفنية والممرات عادة قبيحة جداً . إن البصاق سيما بصاق المسلول شديد الخطر . لأنه يحتوي على الجراثيم السامة التي تطير في الهواء فيستنشقها الآخرون فينتشر المرض . يجب أن تكون المباشق في داخل البيت ، وإن اضطررنا إلى أن نبصق ونحن مارين في الطرق فلنختار له المكان الذي يوجد فيه تراب جاف فيتشرب البصاق ولا يحدث منه ضرر . لقد أوجب الأطباء أن يبصق المسلول دائماً في المصقة المحتوية على أدوية مطهرة . لأنه وإن يبصق على الأرض الجافة ، فإن جراثيم مرضه تصعد وتنتشر في الهواء مع الغبار . وعلى كل حال فإن البصق في كل مكان بلا تمييز عادة قبيحة قذرة ، كما أنها خطيرة .

يلقي بعض الناس الحبوب والأطعمة والخضراوات وغيرها من المواد التي فسدت في كل مكان يتفق لهم . هذا أيضاً يفسد الهواء ويجعله سبباً للأمراض ، ولو أنهم دفنوا هذه الوساخات في الأرض لسلم الهواء من الفساد ، ولا استفادوا سماداً جيداً . والحاصل أنه لا ينبغي إلقاء أي مادة فاسدة في العراء حرصاً على سلامة الهواء . إن هذا الاحتياط لسهل جداً نستطيع العمل به إذا اهتمنا بأمر الصحة أدنى اهتمام .

لقد علمنا الآن أن عاداتنا القبيحة هي التي تفسد الهواء ، ورأينا الطريقة التي يمكن بها المحافظة على نظافته . وهانحن الآن نبحث في كيفية التنفس .

ذكرنا في الباب السابق أنه يجب التنفس بالأنف لا من طريق الفم ، ولكن الذين يعرفون هذه الطريقة الصحيحة للتنفس قليل من الناس ، فقد تعودوا العادة التي تحدث ضرراً بليغاً وهي التنفس بالفم . لأن الهواء إذا كان بارداً واستنشق بالفم أحدث الزكام وأبح الصوت ، ثم فوق هذا هو يوسع المجال لذرات الغبار المنتشرة في الجو للدخول في الرئتين : وهذا كما لا يخفى يحدث ضرراً عظيماً . ويمكنك أن ترى ذلك في لندرة مثلاً في شهر نوفمبر ، فالدخان الذي يتصاعد من مداخن المصانع الكبيرة يمتزج بالضباب الكثيف فيكون خليطاً أصفر يحتوي على

ذرات صغيرة جداً من الهباء يمكن مشاهدتها في بصاق الذين يتنفسون في هذا الهواء بالفم . وللتحرز من ذلك ترى هناك كثيراً من النسوة اللاتي لم يتعودن التنفس بالأنف وحده يضعن على وجوههن شيئاً مثل النقاب يؤدي وظيفة الغربال لهذا الهواء الفاسد . وانك لو فحصت هذا النقاب فحصاً دقيقاً لوجدت فيه أيضاً ذرات هذا الهباء . مع انه لا حاجة إلى مثل هذا الغربال لأن الله سبحانه قد وهبنا جميعاً من لدنه غربالاً طبيعياً داخل أنفنا أحسن من هذا الغربال الصناعي . فالذي يتنفس بالمنابر ينظف هذا الغربال نفسه ويغريبه ، وكذلك يسخنه أثناء سيره قبل الوصول إلى الرئتين . ولذلك يجب على كل الناس أن يتعودوا التنفس بالأنف وحده . وهذا ليس فيه أدنى صعوبة إذا أخذنا على أنفسنا أن نغلق الفم إغلاقاً محكماً في جميع الأحيان إلا عند التكلم .

والذين تعودوا ترك أفواههم مفتوحة دائماً يمكنهم التخلص من هذه العادة القبيحة بربط عصاية على الفم عند النوم ليضطروا إلى التنفس بالأنف وحده ، وأما في اليقظة فيجب عليهم التنفس في الهواء المطلق كل صباح ومساءً نحو عشرين مرة ، كل إنسان يستطيع أن يتمرّن على هذه الرياضة الخفيفة السهلة بدون أي كلفة ، ثم يرى بنفسه كيف يتقوى صدره ويتسع بسرعة عجيبة ! وإنك لو قست الصدر قبل البدء في هذه الرياضة ثم قسته بعد شهرين منها تتعجب من اتساعه الكبير في هذه المدة الوجيزة ، مع أنه ليس فيه أدنى غرابة فإن الانسان يضطر أثناء الرياضة إلى التنفس الشديد السريع ، وهذا ما يؤدي إلى اتساع الصدر هو السر في رياضة « ساندو دومبل » Sandou's Dumbbell

فاذا علمنا كيفية التنفس يجب أن نحرص كذلك على استنشاق الهواء النقي طول النهار والليل ، لقد تعودنا عادة قتالة ، وهي حبس أنفسنا طول النهار في البيت أو الإدارة ، ومبيتنا في حجرة ضيقة مغلقة الأبواب والنوافذ ، ينبغي أن نبقي في الهواء المطلق أكثر ما نستطيع ، وعلى الأقل أن ننام في الرواق أو في الساحة تحت ضوء القمر ، والذين لا يستطيعون ذلك عليهم أن يتركوا أبواب الحجرة مفتوحة في سائر الاوقات ، ان الهواء غذاؤنا مدة الأربع والعشرين ساعة من

اليوم والليلة ، فلماذا نحن نخاف منه ؟ إن من الخرق أن نتوهم أن استنشاق النسيم البارد يحدث الزكام والبرد . لا ريب أن الذين أفسدوا رئاتهم بعادتهم القبيحة من النوم في الحجر المغلقة أبوابها وبما يصابون بالبرد إن غيروا عادتهم فجأة . ولكن مع ذلك لا ينبغي لهم أن يخافوا من البرد ، لأنه إن أصابهم لا يلبث أن يزول قريباً . لقد شيدت البيوت للمسولين في هذه الأيام بحيث يدخل فيها الهواء النقي كل وقت ، نحن كلنا نعرف تلك الداهية الدهماء من الأوبئة التي لا تزال تعاودنا معشر الهنود في كل آونة وحين . وقليل منا من يعرف أن هذه الأوبئة ليست إلا نتيجة لافسادنا الهواء ثم استنشاقنا إياه على فسادته وسمومه . لنعلم أن الهواء النقي إن استنشق بالطريقة العلمية يفيد حتى ضعاف البنية جداً . إننا إن نحافظ على نقاء الهواء ، وتعود استنشاق الهواء النقي وحده ، فأننا بلا ريب نحمي أنفسنا من كثير من الامراض الخبيثة المعدية

إن كشف الوجه في أثناء النوم ضروري كضرورة النوم في الهواء المطلق ولكن قد تعود كثير من الناس أن يغطوا وجوههم أثناء النوم فيستنشقون الهواء المسموم الذي يخرجونه من أجوافهم ولو لم يكن بعض الهواء يدخل إليهم من منافذ الغطاء لما اتوا اختناقاً في مكانهم ، غير أن هذا الهواء القليل لا يكفي لبقاء الصحة . إن كنا نغطي الوجه خوفاً من البرد فينبغي أن نكتفي بغطاء الرأس بطرف من الثوب أو أن نلبس طاقية (أو كوفية) النوم ، ولكن يجب أن يبقى الأنف مكشوفاً في جميع الأحوال والاقوات

إن الهواء والنور مرتبطان ارتباطاً شديداً ، ولذلك يحسن بنا أن نقول هنا كلمة في قيمة النور أيضاً : إن النور ضروري للحياة كضرورة الهواء لها ، ولذلك وصفت جهنم بأنها مظلمة حالكة . إن المكان الذي لا ينفذ إليه النور لا يمكن أن يكون نقي الهواء ، فأننا إذا دخلنا حجرة مظلمة نشم حالاً رائحة الهواء الفاسد بشدة ، ولا نستطيع أن نرى شيئاً في الظلام ، فهذه الحقيقة نفسها تثبت جلياً أن الله تعالى أراد منا أن نعيش ونعمل في النور . إن الطبيعة قد هيئت من الظلام في الليل القدر الذي نحتاج إليه ، ولكن تعود مع ذلك كثير من الناس الجلوس

والنوم في السرايب تحت الأرض حيث لا يصل النور والهواء حتى في أحر الأيام وأورها ، إن أولئك الذين يحرمون أنفسهم من الهواء والنور تجازيهم سنن الطبيعة جزاء وفاقا ، فيصابون بنحافة الجسم ، واصفرار الوجه ، وقبح المنظر

يصف كثير من أطباء الغرب الآن لمرضاهم الاستحمام الهوائي والاستحمام الشمسي بدلا من الأدوية ، وقد شفي ألوف من المرضى بتعرضهم للهواء والشمس بدون أن يستعملوا أي دواء ، فلذلك يجب علينا أن نترك جميع أبواب بيوتنا ونوافذها مفتحة دائما ليدخل فيها النور والهواء بكثرة

رب سائل يسأل : إذا كان الهواء والنور ضروريان الى هذه الدرجة فلماذا لا يبدو الضرر اليين على أولئك الذين يعيشون ويشغلون في الخجر المظلمة ؟ إن الذين تدبروا في المسألة مليا لا يسألون هذا السؤال . يجب أن يكون مطمح أنظارنا المثل الاعلى من الصحة ، والوصول اليه بجميع الوسائل المشروعة ، لا مجرد العيشة كيفما أمكن ، ولقد ثبت بطريقة لا تحتمل الريب أن قلة الهواء والنور تجلب الامراض ، ولذلك ترى سكان المدن أضعف من سكان القرى ، قضية مطردة ، وما ذلك الا لأن نصيب سكان المدن من الهواء والنور أقل من نصيب سكان القرى . فالهواء والنور على هذا من أعظم لوازم الصحة ، فيجب على كل واحد أن لا يتهاون في أمرهما ، بل يتذكر دائما كل ما قلناه في المسألة . ويعمل بموجبه بأقصى ما يستطيع

(للكلام بقية)

التربية

التي يكون بها الانسان انسانا ، والجماعة الكبيرة أمة

للاستاذ الامام

ملخص خطاب ألقاه في اعتقال الجمعية الخيرية الإسلامية سنة ١٣١٤ هـ

إن الجمعية لم تأخذ على عاتقها أن تساعد كل عائلة فقيرة في الأمة لأن ذلك فوق استطاعتها ، بل وضعت لها قانونا اتفق عليه جميع أعضائها، وهو قد اشتمل على شروط معينة يجب أن تراعيها الجمعية عند إعانة من تريد إعانته من الفقراء، ثم جعلت كما قدمت أهم مقصد لديها إصلاح حال الناشئين من أولئك الضعفاء المساكين بالتربية والتهذيب ، إذ الواجب علينا أن نعتني قبل كل شيء بما تعني به الأمم الأخرى الناجحة قبل غيره ، وهي لم تعتن بشيء أكثر من التربية وتحسين أخلاق العامة ، وهما نحن أولا، نرى فساد الأخلاق عامًا ومصائبه مشاهدة للجميع

إذا رأينا مجالاً للفخر افتخرنا بآبائنا وأجدادنا الأولين، وإذا حاسبنا أنفسنا رجعنا بالملامة والذم على آبائنا الأقربين، وفي ذلك الفخر كبير العار ، وفي هذا اللوم عظيم اللوم . لاننا نحن قد أهملنا وقصرنا وأضعفنا أهم ركن وهو التربية . أهملنا فتركنا ذلك الفخر التالذ يذهب هباءً منثوراً . فلم تدارك من آثاره شيئاً، وزدنا الطينة من إهمال أسلافنا الأقربين بلة باهمال آخر فقوضنا ما كان باقياً من آثار ذلك الفخر ، فكان لنا ذلك العار ، وهذا الشنار

ان الانسان لا يكون إنساناً حقيقياً الا بالتربية، وليست هي الا عبارة عن اتباع الاصول التي جاء بها الانبياء والمرسلون من الاحكام والحكم والتعاليم . وهي عبارة عن السعادة الحقيقية . تعلم الانسان الصدق والامانة ومحبة نفسه فاذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه . إذا تربى الانسان أحس في نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه، ولكن نحن في

وسط لا يحس فيه أحدنا الا بأنه شقي بوجود غيره ، وقد ذهبت الثقة بيننا أدراج الرياح ، وخلفتها الشكوك والريب والظنون الأثيمة المولدة للوساوس والأوهام ، ولا شقاء المرء أعظم من وجود ضميره في مثل هذا الشقاء والحسبان
واكن لو كنا مترين لا نبث فينا احساس واحد يؤلف بين شعورنا وحاجاتنا
وحينئذ يحس كل فرد منا بأن عليه وظيفة يؤديها لنفسه ولغيره

ان بلادنا ليست بلاد الجوع القتال ، ولا بلاد البرد القارص الميت ، ولا بلاد الشقاء التي لا ينال الانسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الأليم . بل نحن في بلاد رزقها الله سعة من العيش ، ومنحها خصوبة وغنى يسهلان على كل عايش فيها قطع أيام الحياة بالراحة والسعة . ولكنها وبالأسف مُنيت مع ذلك بأشد ضروب الفقر : فقر العقول والتربية

ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم وتقدر المغارم على المخالفات هي التي تربي الأثم وتصلح من شؤونها . فان القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات . وأما القوانين العامة المصلحة فهي نواويس التربية المالية لكل أمة

ونحن على نموذج هذه التربية قد جرينا في خطة التعليم بمدارس الجمعية الخيرية ،^(١) ونتمنى أن يصبح هذا النموذج يوماً ما عاماً بين جميع أفراد الامة المصرية . وإذا لم توجد التربية على مثل هذا النمط فلاحياة للامة ولا سعادة

إن العلم الحقيقي هو الذي يعلم الانسان العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من أفراد جامعته ، فهو إذاً يعلم الانسان من هو ومن معه ، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة هي ما يسمونه بالاتحاد

وسنة الله في خلقه ان توجد الروابط في العائلات و(تنتقل) منها الى الفروع ومنها الى الاصول القومية ومنها الى مجموع الامة التي هو منها . اذاً فلا بد من الوقوف على كنه هذه الروابط ومعانيها ، واذا تمكن هذا العلم من نفس الانسان تعلم كل شيء ، وبحث عن طرق النجاح في كل شيء ، ولكن كيف يوجد الاتحاد مع هذا

(١) كذا كان يريد رحمه الله ولكن لم يتم له ما يريد ، لقلة الرجال وقلة المال

لفساد الذي نشاهده عاما في أخلاق الامة - وقد انعكست آية الوجدان فاذا الانسان أجنى ماله الاقرب فالقريب فالبعيد فالأبعد ؟

ألا ان الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع وأوراق و جذوع وجذور هي الاخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين اذا أرادوا الاتحاد أن يربوا أنفسهم تربية اسلامية حقيقية ليحسوا تلك الثمرة ، وبغير ذلك كل أمل باطل ، وكل الاماني أحلام أو أوهام ، وكل احتجاج بغير سعي عجز

الناس في كل الامم أ كفاء في التمثيل ولا تقص في الدنيا الا من جهة العقول والأخلاق وهي لا تكل الا بالتربية ، وما وراء ذلك من العلوم لا يثبت فينا غير اللقطة والهديان وان الجمعية الخيرية الاسلامية قد شرعت في طريقة ابتدائية للتربية ، ولديها أمل أن تصل الى الطريقة الانتهاية طريقة العمل ، لا طريقة العلم المعيبة التي ترى مثلها في الذين يأتون البنا كأساتنة عندما نعلن عن حاجتنا لمعلمين وليس لديهم ما يؤهلهم للتربية والتهديب . ولست أقول ذلك قدحا في طريقة التعليم الجارية بين ظهرانينا ، ولكنني أقول بالاجمال انها غير ملائمة لمنهاج جمعيتنا التي تحسب ان تصلح شؤون الناشئين من الطبقات النازلة

نحن نتمنى تربية بناتنا فان الله تعالى يقول (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية . فكان بذلك ترك البنات يقرسهن الجهل وتستهيبن الغباوة من الجرم العظيم

انظروا إلى المرأة حين تقول لابنها مثلا اذا أرادت أن تمنحه شيئا : خذ هذا وأخفه عن الأعين حتى لا يراك أخوك . فكم من تقيصة علمته بمثل هذا القول ؟ علمته ثلاث خصال هن الموبقات المهلكات : الأثرة والدناءة والسرقة . وربما ترضيه بانكار ما أعطته اذا سأله أخوه ، فتعلمه بذلك أقبح خصال السوء والفساد وهو الكذب ، وقد لا يتعلم الطفل عند ما يراد تمرينه على النطق والكلام غير ألفاظ السباب والشتائم القبيحة ، فيشب الطفل متعوداً على أن تلفظ شفتاه كل كلام قبيح ، لا يعياً بماذا ينطق ولا يبالي بما يقول

وانني أذكر حديثاً شريفاً أو اثرأ بمعناه هو : ان الرجل لينطق بالكلمة لا يرى لها بالا فيهوى بها في النار اربعين خريفاً^(١)

فتأملوا في فظاعة الاخلاق التي يشب عليها ابناء وبنات العامة من الامة ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة الا بالتربية الكاملة الشاملة للابناء والبنات وان النساء الجاهلات والرجال الجاهلين لا يمكن أن تكون من بينهما امة ولا جمعية وعلى الخصوص اذا أصبحت العلائق والروابط الطبيعية مهددة بين الناس كما نشاهده بيننا الآن ولقد استنتجت بالاستقراء منذ كنت قاضياً في احدى المحاكم الجزئية ان نحو (٧٥) في المائة من القضايا بين الأقارب بعضهم مع بعض بما لم يحمل عليه غير التباغض وحب الوقعة والنكابة ، فهل من المعقول أن يكون الفساد في العلائق الطبيعية الى هذا الحد من التصرم ، وتتسائل عن تصرم العلائق الوطنية ؟ هل يمكن بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العائلات أن نبحت عن الروابط للجامعة الكبرى . أو ليس هذا كمن يطلب الثمر من أغصان الشجر بعد ما جذ أصولها وجذورها ، وقطع أوصال عروقها ، وغادرها قطع أخشاب يابسة

اللهم ان كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لاصلاح شؤون الناشئين بالتربية المثقنة المهدبة ، ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الاخلاق الفاضلة . وكلما زدنا في سبيل ذلك سعياً توفر لدينا حب تعضيد هذه الجمعية ونمت ثروتها فأدت وظيفتها للامة كما ينبغي . ونسأل الله أن يصلح ما يبتنا من فساد ، وان يوفقنا جميعاً إلى ما به نجاحنا وفلاحنا وسعادتنا . اهـ

(المنار) في هذا الخطاب حجة على المفسدين المقطعين لروابط الامة بدعوتها الى ترك الزي الوطني وتقليد الافرنج حتى في لبس البرنيطة وحرية الفسق والفجور

(١) روي هذا المعنى في عدة أحاديث أقربها إلى هذا اللفظ « ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار » رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً بسند صحيح . ومنها ما رواه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً ليتضحك القوم وانه ليقع بها أبعد من السماء »

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

﴿ أو التنازع بين الشرق والغرب ﴾

٨

موسيو هوفنيل وسياسه

من أساليب السياسة الأوربية التي صارت معروفة بين جميع الباحثين في الشرق أن الجرائد والشركات البرقية تخفي عن الشعوب ما يأتيه رجال الاستعمار من المنكرات ، وأن تبدل سيئاتهم حسنات ، خوفاً من حملات الأحزاب المعارضة للحكومة ، ومن انتقاد مستقلي الفكر أو أنصار الفضيلة ، وقلما تصل إلى الرأي الأوربي العام أو الخاص بدولة استعمارية حقيقة ماترقق به البلاد من المظالم والمآثم ، إلا أن يكون المبلغ لها لسان ثورة عامة أو قريية من العامة في تعذر انكارها. لهذا أقول لكل من يسألني عن رأيي في ثورة سنة ١٩١٩ على الإنكليز في مصر : ان أكبر فائدتها تكذيب رجال الإنكليز والجرائد المشايعة لهم في دعوى اغتباط جميع المصريين ولا سيما الفلاحين بالسلطة البريطانية في بلادهم وإعما المتبرمون والطاعنون فئة قليلة من المتطرفين أصحاب الأهواء الشخصية أو الحزبية

كذلك كان من تأثير ثورة سورية الحاضرة وما كان من التخريب والتدمير في دمشق أن علم الشعب الفرنسي بالأجمل شيئاً يشين سمعة فرنسا وصيتها ، ويحملها خسائر تنوء بها خزينتها ، ولم تعد دعاية شركات هافاس البرقية ، وخلافة جرائد الاستعمار الفرنسية تستطيع إخفاء هذه الفضائح أو تأويلها ، فارادت الحكومة الجمهورية تدارك هذا الخطر الملصق بسلطة المندوب السامي العسكري (الجنرال سراًي) الذي أوبقه الكائدون له من قومه حتى حملوه على ما فعل في دمشق وغيرها ، فأخرجته من سورية واستبدلت به مندوباً من أذكي رجال

السياسة لديها ، وهو موسيو جوفنيل الكاتب الصحفي والعضو الفرنسي في جمعية الأمم ، عسى أن تفعل السياسة ما لم يفعل الحديد والنار ، وتغني الكياسة ما لم يغن الدرهم والدينار ، وماذا فعل جوفنيل ؟

شغل نفسه زمناً طويلاً في درس المسألة في باريس ، ثم بمعالجتها في لندن ، ثم بدرسها في مصر ، ثم بدرسها في سورية ، وسمع فيها أقوال الصادقين والمناققين ، وغلاة التعصب الديني والطائفي من اللبنانيين ، ثم بمعالجتها في فلسطين ، ثم بمعالجتها في انقرة عاصمة الترك ، وقد مرت بضعة أشهر على ندبه لهذه المعالجة على إثر الفظائع التي اقترفت في دمشق ، فاهتز لهولها الشرق والغرب ، ولم تزد نيران الثورة إلا اشتغالا ، ولم تزد البلاد إلا خرابا ، ولم يزد المشاقون فيها إلا شقا ، ولم تزد فرنسا إلا خساراً لملها ولرجالها ولصيتها ، ولماذا ؟

انه أعد لمعالجة المسألة مالا يحتاج اليه ، ولا يتوقف علاجها عليه ، والعلاج الوحيد نصب عينيه ولكنه لم يره ، وبين يديه ولكنه لم يمس ، وكان يجب أن يعول عليه وحده ، بيد أنه فكر في كل شيء دونه ولم يفكر فيه ، فكر في أن إرضاء الانكليز ضروري ، وفي أن إرضاء الكاثوليك ضروري ، وفي أن إرضاء الترك ضروري ، وفي أن إرضاء ابن السعود ضروري ، ولم يفكر في إرضاء السواد الأعظم من أهل سورية المسلمين السنيين ، والشيعية ، والدروز ، والعلويين ، ومعتقلي المسيحيين . وإنما قدر ودبر وفكر في وسائل التفريق بينهم ، وفكر في التهديد ، وفي الوعد والوعيد ، نعم انه وعد وأوعد : وقال ما عندي إلا السلم لمن يريد السلم ، ولا الحرب إلا لمن يريد الحرب ، وانه يجب على الثوار أن يلقوا السلاح ويستسلموا بدون قيد ولا شرط ، واتي أمنح . . . وأمنع . . . وأعفو وأفصح ، وأضر وأنفع ، وأمن بالحياة ، وأأمن على الأرواح ، وفاته انه لا يوجد سوري ولا شرقي ، يصدق قول سياسي أوروبي ، وإن الذين يذلون أنفسهم ونفائسهم في سبيل الحرية والاستقلال ، ولم يبالوا برؤية دورهم وقصورهم كدارمر الاطلال ، لا يرغبون في حياة ذليلة يمن عليهم بها مستعمر أجنبي منا ، ويمنع إياها أن صدق هبة وفضلا ، ولعنة الله على من يحب مثل هذه الحياة

الانذار ولن يكونوا الامن أخساء الانذار ،

كان مثل موسيو جوفنيل فيما ذكرنا من سعيه ، كمثل صاحب الكنز مع الخضر في المبالغة في طلبه فقد حكي في أساطير الاولين أن الخضر (عليه السلام) مرّ برجل فلاح فقير يجهد نفسه في أرض يصلحها للزراعة فقال له : علام هذا التعب الكبير ، الذي لا يأتي إلا بريح صغير ، والثروة واسعة بين يديك وأنت لا تدري ؟ قال : ماهيه ؟ وأين هيه ؟ قال : إن في أرضك هذه كنزاً قريب المنال يعنيك ويعني ذريتك من بعدك . قال : أين هو ؟ أين هو ؟

قال الخضر : خذ هذه القوس المعلقة في جدارك وضع فيها سهماً وألقه أمامك ثم احفر حيث وقع يظهر لك الكنز ،

فلما ولّى قام الرجل وأخذ القوس ، فرأى وترها ضعيفاً غير مشدود ، فألقاه ، والنمّس لها وتر أجديداً شده أحكم الشد وأخذ سهماً ففوقه وألقاه وحفر حيث وقع فلم يجد شيئاً . فظن أن السبب تقصيره في الرمي ، فأخذ سهماً آخر ونزع في القوس أشد النزع ورمى فبلغ سهمه مكاناً أبعد من الأول فحفر فلم يجد شيئاً ، فقال : لعل الكنز في غير هذه الجهة التي ذكرها الخضر فما زال يرمي ويحفر حتى حفر جوانب الأرض البعيدة كلها وترك المكان القريب الذي أمامه وهو الذي أشار إليه الخضر

فلما عاد الخضر من سياحته مرّ به فإذا هو قد أعيا من التعب ويئس من الكنز وعاد إلى عمله الأول ، فقال له الرجل قد غششتني وأتعبتني زمناً طويلاً في الرمي والحفر وأنا لم آل جهداً فقد غيّرت وتر القوس وأحكمت شده مراراً وفعلت وفعلت كما ترى

فقال الخضر انك فعلت كل شيء . إلا الذي قلته لك . أنا قلت لك خذ هذه القوس المعلقة وضع فيها سهماً وألقه أمامك واحفر حيث تقع تجد الكنز ، وانت لم تفعل هذا ثم أخذ الخضر القوس وكانت قد عادت كما كانت من كثرة الاستعمال ورمى بها سهماً من غير شد ولا جهد ، ولا إغراق في النزع ، وقال للرجل احفر ههنا ، فحفر فلم يلبث أن ظهر له الكنز بأقل عناء

إن موسيو جوفنيل لم يهدم ناصحاً صادقاً كالخضر ، وإن للانسان خضراً

من وجدان الحق والعدل هو أخلص نصحاء من خضر الأولياء والقديسين الذي يتناقل كثير من المسلمين والنصارى اخبار ظهوره لبعض الناس واسعاده لهم ، وموسيو جوفنيل وهو لم يزيل بين نصيحة الصادقين ، وخديعة المنافقين ، كان بما اشتهر من ذكاء قريحته وسعة تجربته جديراً بأن يفضل نصيح هذا الخضر الذي يُهينهم له المرة بعد المرة : دع الأهواء السياسية، وتقاليد الدولة الاستعمارية . وابعث في هذا الوطن السوري ذي التاريخ المجيد ، تاريخ الأنبياء المرسلين والشهداء والصالحين ، وحضارة العرب الأمويين ، وملك نور الدين وصلاح الدين عن ذلك الكنز الذي به سعدوا وأسعدوا العباد ، وبه عمروا البلاد ، فهو يغنيك عن كل ما بذلت من الجهد ولا يغني عنه بشيء .

ذلك الكنز المدفون ، والسر المصون ، هو الحق والعدل ، وتبادل المنافع بالتراضي ، حق سورية في الحرية القومية والاستقلال الوطني الذي يجب ان يتساوى فيه الفرنسي والسوري ، وان تكون الثورة في طلبه على حكومة أجنبية ، أشرف منها على حكومة وطنية ، — والعدل في الحقوق بين جميع الملل والنحل على سواء بدون تفرقة بين الأولياء والأعداء ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي ولا يحملنكم بغض قوم واحتقارهم على ترك العدل فيهم بل اعدلوا فالعدل أقرب للتقوى (واتقوا الله إن الله خير بما تعملون) أي عالم ومطلع على دقائقه وخفائيه —

لقد كان ينبغي لموسيو جوفنيل ان يعلم ان مسلمي سورية الشمالية غير راضين عن أعمال الانكليز في سورية الجنوبية (فلسطين وشرق الأردن) ولا غافلين عن خطرهم على العراق ، وأنهم فوق ذلك غير آمنين منهم على الحجاز وسائر جزيرة العرب ، وان يعلم أن جمهورية اقرة التركية، صارت ابعدهن جمهورية فرنسة عن الأمة العربية ، لطمعها في أهم بقاع العراق وسورية . مع قطعها لرحم الاخوة الاسلامية . فهذه فرصة سانحة لفرنسة اذا أرادت ان تتودد إلى العرب والمسلمين بما يناسب الطور الجديد الذي دخل فيه الشرق تودداً صحيحاً لا كيد فيه ولا خداع ، لا كإظهار التودد أخيراً لملك الحجاز وسلطان نجد ، ولا كإظهار التودد قبله للخلافة

التركية ، وأعني بهذا التودد أن تسبق إلى عقد اتفاق مع سورية جارة الحجاز ونجد ، وأول قطر فتحه الصحابة ، ومهد الحضارة لأول سلطنة (امبراطورية) عربية اسلامية ، على قاعدة الاستقلال المطلق والتعاون المتبادل ، ألا فليتذكر موسيو جوفنيل أن الشرق قد استيقظ ، وأن صداقة ثلاثمائة مليون ونيّف فيه أنفع لفرنسة من صداقة ثلاثمائة ألف كاثوليكي في لبنان وأن العدوان على ثلاثة ملايين من المسلمين في سورية ، وسلب استقلالهم ، وتخریب ديارهم يسوء ثلاثين مليوناً من المسلمين الخاضعين لفرنسة وهم يدينون دين الاسلام ويتكلمون كالسوريين بلغة القرآن ، كما يسوء ثلاثمائة مليون مسلم في سائر أقطار الشرق ، وإذا كان لم يعرف هذا فلا يصعب عليه أن يبحث عما كتبت الجرائد الهندية في كارثة سورية . ان سياسة إثارة العصبية والعداء بين المسلمين والنصارى في سورية كانت معقولة ولم تعد اليوم معقولة ، فإذا تركتها فرنسا رضي نصارى سورية ولبنان بحقهم حينئذ أن يزيدوهم على حقهم والمسلمون لا يأبون عليهم وأما العداوة فلا خير فيها لهم ولا لفرنسة وحسبها خسارة ستة مليارات أو أكثر في سورية وخسارة صيت فرنسا الادبي والمدني كتبت جل هذا المقال منذ عدة أشهر ، وها أنا ذا أختتمه ، ولم يبد من الرجل ما يدل على اهتدائه الى حل عقدة سورية ، فكيف يرجى منه أن يتنكر لفرنسة سياسة جديدة تيجي بها مجدداً ، وتسابق الشعوب التي كانت وراءها فصارت أمامها ؟ لوفقه موسيو جوفنيل هذه الحالة ، واتهز هذه الفرصة ، لا يمكنه أن يقنع وزارتي المستعمرات والخارجية في باريس أنه لا يزال في الامكان السير في سورية على سياسة جديدة تصلح بها ما افسده من قبله من المفوضين والمندوبين العسكريين وتكون لفرنسة بها المنزلة العليا لدى الامة العربية وجميع شعوب المسلمين فقد زالت زعامة المسلمين من الترك وعادت الى اهلها العرب ، وستدخل في طور نظامي جديد تكون به قوة كبيرة لمن يصادقها ، وبلاء عظيم على من يناوئها ، واذن لترك التهديد والوعيد ، والاتكال على النار والحديد ، وسلك هذا المنهج الجديد قبل أن يسبق دولته الى هذه السياسة تلك الدولة التي ما زالت تسبقها في كل ميدان ، من قبل ظهور نابليون الكثير الى الآن .

نكبة سورية

وما قيل في اعانة منكوبيها

قد كتبت في المسألة السورية من المقالات ونظم فيها من الشعر وألف من الرسائل بما يتألف منه عدة أسفار ، وإن من أبلغ ما نشر من اثر نداء رجل مصر وزعيمها الأكبر سعد باشا زغلول ونداء جمعية الرابطة الشرقية ، وقصيدتا احمد شوقي بك وخير الدين أفندي الزركلي ، وقد نشرنا القصيدة الأولى في الجزء الثامن . وانا ننشر هنا النداء والقصيدة الثانية هنا تخليدا لهما :

نداء دولة الرئيس سعد باشا لمصر للاغاثة ائمتها سوريين

« سوريا ، التي تربطنا بهار وابط وثيقة من تاريخ ، ولغة ، ودين ، وعادة ، وجوار ، نزلت بها هذه الأيام حوادث هائلة ، تقشع من هولها الأبدان ، وتوازل جائحة تتخلع من بشاعتها القلوب ، وشروور من أقطع ما يرتكبه انسان ضد انسان !!! منكرات ارتكبتها اعمال حكومة الانتداب ضد محكوميههم الآمنين ، فأرهبوا الكثير من أرواحهم البريئة ، وأراقوا الغزير من دمائهم الطاهرة ، وحرقوا كثيرا من قرايم ويوتهم ، وعفوا كثيرا من آثار مدينتهم الفاخرة ، ورموا الجم الغفير من نساءهم ونشمووا العدد العديد من أطفالهم ، وصيروا كثيرا من السكان بلا سكن يؤويهم ، ولا غطاء يغطيهم ، ولا خبز يتبلغون به !!! وبهذه الآثام أذلوا شعبا كان عزيزا ، وأسلموه للعدم والشقاء ، وأفهموا الناس جميعا ان حكومة الانتداب لم تقم على مازعموا لمصلحة المحكومين ، بل لمصلحة الحاكين^(١) ووصموا اسم فرنسا المجيد ، في الغرب وفي الشرق ، وصمات لا يمحوها إلا انزال أشد العقاب بهم ، وترك البلاد دلا هلها يحكون أنفسهم كما يشاؤون

(١) المنار انما يصح هذا إذا أريد بالحاكين الموظفون الفرنسيون من عسكريين وإداريين ، وأما دولة فرنسة نفسها فقد كان كل ما عمل في سورية بخلاف مصالحها

وإنا معاشر المصريين نشعر في قلوبنا بكل عطف على إخواننا المصريين ،
ونرتي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ، ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل
ما في الامكان ، مما يخفف من بلاهم ، ويلطف من آلامهم ، ونرى أن هذا أيسر
ما يجب للجار على الجار ، وأقل ما يساعد به الانسان أخاه الانسان »

سمر زغلول

بيت الامة في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ (٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥)

قصيدة شاعر الشام

الأهلُ أهلي والديارُ ديارِي	وشعاروادي (النيريين) شعاري
ما كان من ألمٍ بجلتق نازل	واري الزناد ، فزنده بي واري
إنَّ الدَّمَّ المَهْرَاقَ في جنباتها	لدي وإنَّ شفاها لشفاري
دَمِي لما مُنيتَ به جارِ هنا	ودمي هناك على تراها جاري

يا وارض البرق أطمئن وناجني	إن كنت مُطلعاً على الأسرار
ماذا هناك فإنَّ صوتاً راعني ؟	والصوتُ فيه جفوةُ الازعار
النارُ مُحْدِقةٌ بجلتق بعد ما	تركت « حمة » على شفير هار
تنسابُ في الأحياءُ مسرعة الخطى	تأتي على الأطلال والأعمار
والقومُ منغمسون في حماها	فتكاً بكلِّ مبرأ صبار
الطفلُ في يدي أمه غرضُ الأذى	يرمى وليس بخائض لغمار
والشنيخُ متكئاً على عكازه	يرمى ، وما للشنيخ من أوزار
صبرت دمشقُ على النكال ليالياً	حرُمَ الرقاد بها على الأشفار
لهني على المتخلفين برحبها	كيف القرارُ ولات حين قرار
يتربعون الموت في غدواتهم	واذا نجوا فالموت في الأسفار
لا يعلمون أني سواد دُجنَّة	هم مُهدِّ أم في بياض نهار
ألوابلُ المذرارُ من حسم الظي	متواجلٌ كالوابل المذرار

والظلمُ مُنطلقُ اليدينُ مُحكمٌ ياليتَ كلَّ الخطيبِ خطبُ النارِ

أعجالتُ السُّمارِ ، ضاحكةٌ بهم
أمعاهدُ الأدبِ الطريفِ ثكلته
أمَّ القصورِ نواعماً رباًها
أمَّ الجنانِ الكاسياتِ رياضها
أمَّ الحياةِ ، وللحياةِ نعيمها ،
زهوُ الحضارةِ أنتِ مطلعُ شمسهِ
وبحِ الحضارةِ كيف يمتحنُ أسماها
همَّ أو ردوكِ وأصدروكِ على صدَى
همَّ أخرجوكِ فأخرجوكِ مهبجةً
طالتُ لياليكِ الثلاثُ وإنما
وإذا الظلامُ عتاً تبلجُ فجره
ما أتهارِ قصرُ في حمالكِ مُمرِّدٌ
مادَّ مروكِ همُّ ولكن دَمروا
تجلوا عليكِ موائبين وما لهم
ما ينقمون عليكِ إلا أنهم
فاذا المنازلُ وهي شاحخةُ الدُّرى
وإذا المدينةُ (تَدُمرُ) أو (ينوى)

ضحكُ الهوى : ما حلَّ بالسُّمارِ؟
غضُّ الصبا ككتفحِ الأزهارِ
ما للقصورِ دوائرُ الآثارِ
حلَّ السنا ما للرياضِ عواري
هل في دياركِ بعدُ من ديارِ؟
أفتقتدين وأنتِ دارُ بوارِ
متكالبون على الضعافِ ضوارِ
فشقيتِ في الأبرارِ والأصدا
فصرختِ فيهم صرخة الجبارِ
في مثلهنَّ يلوحُ نهجُ الساري
ظلمُ الحوادثِ مطلعُ الأنوارِ
إلا ليرفعُ فيكِ قصرُ فخارِ
ما كان فيكِ لهم من (استعمارِ)
ثارٌ ، وثُرتِ وأنتِ ربةُ ثارِ
شهودكِ غيرَ مقودةٍ لصغارِ
منهارُ أطلالِ على منهارِ
أقراضُ عمرانِ ورسمُ دمارِ

قمَّ سائلُ الأجيالِ يا ابنِ نسيجها
فأعلَّ عيرةً مجتلي صفحاتها
إنَّ الشعوبَ لتستفيقُ إذا انتدشت
أرأيتَ كيف طغى الفرنجُ وأوغروا
أرأيتَ كيف استهتروا بمطاميرِ

واستوح غامض سرَّها المتواري
في ما تحاهُ الدهرُ من أسطارِ
والصحو غابةُ نشوة الاسكارِ
صدَّرَ الأسنَّةُ أيما إيفارِ
فيها المصارعُ أيما أسسَهتارِ

الشرق بين قوتهم وضعيفهم
وبنوه بين وعيدهم ووعودهم
لأن آمن فانت بين مكافح
وانظر إلى الآلاف من بسلامتهم
من كل مغوار صليب عوده
الواثبين إذا يقال : تأهبوا
إن أنصفت أيام (ذي قار) لنا
طارت بألباب الفرنجة صيحة
واستهدفوا الأبطال في حجراتها
هموا بمضطرب القذائف كل ذي
ستروا بضرب الآمنين فرارهم

غضبت لسورية الشهيدة أمة
ورعت لها ذمم الوفاء فلم يضع
لله والتاريخ والدم والأسنى
تأبى الجماعة أن تهون لغاصب
وإذا العرى أنفصت تولى أهلها
في مصر تطنى غلة الأمصار
عهد تسلسل في دم الأعصار
حق وللآمال والأوطار
والفرْد موقوف على الأقدار
ضمير المفسر بخطبه الكبار

يا ابن (الكنانة) ما الجراح دوامياً
المشترين ديارهم بدمارهم
أنفوا حياة الشاء كل عشية
هلاً نظرت إلى الشام فانها
نأت بحمل نكوبها فتقلقت
ليس الجوار إذا عدلت بمقنع
في الشام إلا في طسلى الأحرار
وهم يروون به رباح الشاري
وضحى تعيث بها يد الجزار
ترنو اليك بشاخص الأبصار
موجباً بأطفال هناك صغار
يأبى الشقيق عليك حق الجار

فهر الريبه الزركلى

البدع والخرافات وَلِنَبَأُ لَيْدٍ وَلِإِعْتَابِكَا

الطريقة التجانية

للشيخ الفاضل الفيروز صامب الامضاء

هي طريقة تنسب لاحمد التجاني وهو نسبة لتجان بلدة من بلاد المغرب توفى سنة ١٢٣٠ هـ وهو مبتدع غرر بضعفاء العقول حتى اعتقدوا أنه من الاولياء الكبار ، وقد أتى بمخالفات للدين ، وقضايا وأحكام غير شرعية ، وادعى أنه تلقاها من الرسول يقظة — كذبا وزورا — وقد تصفحنا أكثر الكتب التي ألفها أصحابه وأيدها أتباعه ، وادعوا جميعاً أنها عن لسان الشيخ ، فوجدنا فيها ضلالا وإلحاداً ، وزيفاً وعناداً ، تحت على التفرقة بين المسلمين ، وتحض على التمسك بأقوال شيخهم مع العلم بمخالفتها لأقوال سيد المرسلين ، وكم قرأنا فيها من نزغات مبكيات ، وأضاليل وترهات ، تتلاشى أمام العقل ، وتصير هباء عند من يعرف النقل ، ويروج هذه الاضاليل ، ويعمل على نشر هذه الأباطيل ، قوم لاخلاق لهم ، ولا معرفة عندهم ، يتعصبون للبدعة ، ويهدمون السنة ، وهم غرسوا من إحن ، ودبروا من فتن ، لهدم صرح الدين ، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره ، فتفطن الناس لهم ، وفحصوا مبادئهم ، وحذروا الجمهور من ضلالهم

وأشهرهم (احمد بن بابا الشنقيطي) ومحمد بن عبد الواحد النظيفي المراكشي في المغرب ، وفي القطر المصري محمد الحافظ وبدر عبد الهادي سلامه : وقد ألف الثاني ^(١) كتاباً سماه (الطيب الفائح ، في صلاة الفائح) هو غاية في الضلال ،

(١) أي محمد النظيفي

٧٧٠ زعم التجانية أن ركعتين مبتدعتين تكفران المكتوبة المنار : ج ١٠ م ٢٦

ونهاية في الوبال ، وألف بدر عبد الهادي سلامه كتابا سماه (النفعة الفضلية) وهو شر من سابقه ، وادعى أنه نقله من كتبهم الصحيحة ، وعن آرائهم الرجيحة ، ويعلم الله أن أقوالهم زور وبهتان ، وداعية إلى الأثم والعدوان ومرادنا أن نبين شيئا مما في هذه الكتب ، وأن نسطر قليلا من الكثير الذي فيها من الكذب ، ليحذر الناس منها ، ويعمل العقلاء على مقاومتها ، والأمر بإحراقها فضلا عن هجرها ، فمافي كتاب النفعة الفضلية (ص ١٨٦) تحت عنوان (تكفير الصلاة الفائتة) مانصه : في كتاب الجامع من صلى أربع ركعات قبل العصر يوم الجمعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مرة ، وسورة الكوثر خمس عشرة مرة ، فإذا سلم استغفر الله عشراً ، وصلى على النبي بصلاة الفاتح خمس عشرة مرة ، كانت كفارة للصلاة الفائتة ، وعن عليّ (رض) ولو خمسمائة سنة ، ومن صلى بها ولا قضاء عليه إن كان في صلاة أيه وأمه كانت كفارة لها) اهـ

لمثل هذا يذوب القلب من كد إن كان في القلب اسلام وإيمان متى سمعتم يامعشر المسلمين أن ركعات مبتدعات ، تكفر ما على الانسان من الصلوات المكتوبات ؟ أليس هذا هدم الركن الذي لم يبق سواه ؟ وليت شعري لماذا يجهد المصلي نفسه بإداء الصلوات الخمس في الحضر والسفر ، والبرد والحر ، وهو يصدق بهذه (الفائدة المنكرة ، والبدعة المحرمة ، والضلالة المحررة) إن هذا المقر على هذه الفائدة والحماكي لها ، والمعتقد بها ، يريد أن يقول : دعوا الصلوات واهجروها ولا تقرروها ، فهذه الفائدة فيها الكفاية : أليست هذه غواية ؟ وفي الضلال نهاية ؟ إن الرجل لا يستطيع أن يصرح بذلك فأشار بفائدته إلى ما يكره قلبه وما اخترعه خياله ، ولكن لم تخف مكيدته ، وقد بانّت خطيئته ، ومن جهله وعدم حسن عقله ، إسناد هذه الضلالة إلى عليّ رضي الله عنه بغير سند ، وأن أذن طالب العلم يجزم بأنها لا تصدر من مسلم فضلا عن صحابي ، فضلا عن أمير المؤمنين ، وأقضى المسلمين ، وربيب الرسول (ص) وصهره ؟

ولقد كان يرى الرسول (ص) والصحابة (رض) يحافظون على الصلاة حتى

عند اشتداد الملحمة ، وفي وقت الحرب الضروس ، فحسف (بدر عبدالمهدي) بكذباته التي في فائدته وقد أسقطتها ومنها عرفنا قبح سريرته ، وخبث طويته ثم لم يكتف بجعله هذه الركعات المحدثات مكفرة لما على الشخص من الفوائت بل قال (ان لم يكن عليه فوائت كانت كفارة لو الله) كأنها فوق الحج الذي ليس له هذه القوة ، وفوق سائر العبادات التي ليس لها هذه المزية ، سبحانهك اللهم (إن هذا إلا إفك اقترأه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً) مع العلم بأن الصلاة التي ذكرها لم ترد عن الرسول (ص) ولم يقل بها أحد من رجال المذاهب المعتمدة فهي على ذلك بدعة منكرة وفرية بلا مزية : وقد قرر فقهاء الحنفية والشافعية ، ورجال الشريعة الاسلامية ، ان تكرير سورة واحدة في ركعة مكروه وخلاف السنة : فكيف يدعي هؤلاء الضالون أن لها هذه المزية : مع أنها بدعة دينية ، ونكل الكلام في مسألة تكفيرها لفوائت الوالدين الى الاستاذ الرشيد

وفي الصفحة الثالثة من الكتاب المذكور مانصه : عدم زيادة الاولياء الاحياء والاموات . قال شيخنا هذا شرط عندنا فمن أخذ وردنا لا يزور أحداً من الاولياء الاحياء ولا الاموات أصلاً وقال أيضاً قال لي سيد الوجود (ص) مسألة أغفلها الشيوخ وهي أن كل من أخذ عن شيخ وزار غيره لا ينتفع به ولا بذلك الغير أصلاً اهـ

يريد الرجل أن يجعل من عاهده سلعة يتجر بها . ويتحكم في رقاب من اتبعه باثارة هذه الفتنة المخالفة للسنة : فقطيعة الاولياء عنده أمر مقرر ، وواجب محرر ! حتى لقد قال في (ص ١٢٠) (اياك ان تنظر الى مافي جواهر المعاني ان المريد له أن يزور الاولياء الاموات ، فان الشيخ قد رجع عن ذلك قال شيخنا : كل من أخذ وردنا فلا يحل له ان لا يزور وليا لاهيا ولا ميتا) . وفي (ص ٦) « من زار وليا وقصد تبركا او مددا دنيويا فليس من أهل هذه الطريقة لقول النبي لشيخنا : اذا مر اصحابك باصحابي فليزوروا وهم فقط اهـ وهذا القول مخالف لآيات القرآن والسنة المتبعة في ولاية المؤمنين ولا حديث الزيارة المشهورة

ثم يأتي بعد هذا (احمد التجاني وأتباعه) ويأمرون بمقاطعة أولياء الرحمن ،

والبعد عن ساحة أهل العرفان كأنهم لم يقرأوا القرآن ، ولم يعرفوا هدي الرسول عليه الصلاة والسلام ، (فقس قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومما يثبت حق شيخهم دعواه أن النبي قال « مسألة أغفلها الشيوخ » الخ مع أننا نعرف آدابه العالية (ص) ومزاياه الغالية ، هذه سقطة للتجاني لا ننساها له وكيف يغفل السلف الصالح عن الحكم في هذه المسألة وقد شهد لهم الرسول وزكاهم وتداولتها كتبهم وشرحها الرسول قبلهم ، وعلمهم الحق ، وتركهم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيه تبيان كل شيء وهل يعقل أن قول النبي بعد وفاته يخالف قوله في حياته (ص) أيتصور أن ما بلغه للناس كان غير حق فلما انتقل تبين له الهدى ولم يخبر به إلا التجاني وتابعيه ؟ ويترك أصحابه صلى الله عليه وسلم ومؤيديه ؟ إن هذا يؤدي إلى الطعن في عصمته ، وأمانته بل هو القدر في نبوته . وفي كل ما جاء به ، وليت شعري إذا لم يصح بلاغه لنا (ص) في حياته وهو المعصوم أصبح تقل التجاني وهو المنغمس في خطيئته ، الغارق في ضلالته (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقول هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)

اننا ان تركنا التعرض لدعوى الاجتماع بالنبي ومكالمته والتلقي عنه فربما يثرس الملحد بقول بعض المتأخرين (بإمكان الاجتماع) ولكن يعلم هذا الكذاب (أن جميع العلماء اتفقوا على أن كل من حكى عن الرسول (ص) شيئا يخالف ما روي عنه فهو ضال وفي كفره خلاف أن تعبد الكذب .

ولقد اجتمعت بمحمد الحافظ أحد ممثلي هذه الطريقة وكلمته في مسائل كثيرة من أضاليلهم وانتقلنا إلى التكلم في مسألة الزيارة فقال اننا نمنع زيارة الاستمداد من الأولياء ونامر بزيارتهم كما كان الرسول يفعل وهذا رأى الوهاية . فقلت له كتبكم تنطق عليكم بانكم لا تريدون هذا بدليل ماسبق من أقوالكم في هذه المسئلة وتصريحكم مرة بمنع الزيارة للنفع الدنيوي ومرة بالنفع الآخروي على انكم قلتم في صحيفة ٧١ من الكتاب المذكور : من الآداب ان يأس المرید من وصول مدد اليه من غير طريق روحانية شيخه وأن يعتقد انه أكل

الاولياء وان لا يشرك معه أحدا في مرتبة محبته اه هذا مع أن من البدع التي نص عليها الشاطبي في الاعتصام المغالاة في الشيوخ واعتقاد بعض الناس ان شيخه أكل الاولياء ، على انكم صرحتم باخطر وأشنع وأقبح وأفزع مما ذكر قلم في ص ٢١ من الكتاب المذكور: اذا جمع الله الخلق ينادي مناد يا أهل الموقف احمد التجاني هو ممدكم في الدنيا : وقلم غير مرة ان شيخكم ممد للعالم من نشأته الى نهايته . وكيف يعقل هذا ؟ ألم يكن شيخكم صغيرا يقول على نفسه ويزيد في هوسه ؟ أيمد غيره وهو أحوج الناس الى من يزيل عنه أقداره ؟ ثم إن الله قال في شأن الاولياء (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فلا تثبت لهم الولاية الا بعد خلقهم وتكليفهم . فبهت وتحير وزمجر وكشر عن أنياب قلت عند رؤيتها (أذكرني فوك حمار أهلي) وعلمت ان الرجل يريد أن يفهم العوام انه وهابي ليكرهوا الوهابيين فكشفت لهم حاله ، وبينت حقيقته ، فعلم الناس ما دبره ، وفهموا خبره ، وكادوا يودون به

ولهم في ص ٢١ من الكتاب المذكور أيضا « جميع الاولياء من عصر الصحابة الى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا » هذا الضال اى احد التجاني من اندال القرن الثاني عشر يريد ان يقول انه أفضل من السلف الصالح الى غير ذلك من الاوهام التي لا تحمد ، والخزعبلات التي لا تعد . وقوم هذا شيخهم . وذلك كلامهم أبعد الخلق عن الدين

ومن وقاحته ، وقد كتبه أتباعه في بيان فضل طريقته أنه قال فيه أيضا (ص ٢٠) « قدماي على رقبة كل ولي من لدن آدم إلى النفخ في الصور » وليس لهم أن يقولوا قد قال الشاذلي والجيلي مثل ذلك ، أما أولا فلأن هذا ليس بدليل (ثانيا) هما لم يقولوا « من لدن آدم إلى النفخ في الصور » وإنما أشارا الى تفوقهم على اولياء عصرهما . وهؤلاء التجانية يعتقدون أنهم خير خلق الله على الاطلاق ، وشيخهم كذلك ، بل قالوا في (ص ٢٣) من الكتاب المذكور « كل من أحب الشيخ ومات عليها — ومن شرطها محبة اتباعه وعدم أذاهم — ضمن له جده صلى الله عليه وسلم أن يموت على الأيمان ، ويخفف الله

عنه سكرات الموت ، ولا يرى في قبره إلا ما يسره ، ويؤمنه الله تعالى من جميع عذابه وتخويفه من الموت إلى المستقر في الجنة ، وتغفر له كل ذنوبه ، وتؤدي تبعاته ومظالمه ، ويظهر الله تعالى في عرشه ، ويدخله في أول الزمرة الأولى الجنة عدن ، ولا يموت حتى يكون ولياً قطعاً . هذا باخبار النبي للشيخ مشافهة ، وأما من أخذ ذكراً ينال ما تقدم ويزيد بأن أبويه وأزواجه يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب مالم يصدر منهم سب للشيخ ، قال لي سيد الوجود: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ، ولا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولم يستثن الصحابة إلا بالنسبة لأصحابه فقط ، وأما هو فقد قال: قدماي الخ وفي (ص ٢٦) (من أفراد هذه الطريقة من إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الشيخ يدخل أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب) وفي (ص ٢٨) « صاحب لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحاً إذا تاب بعدها » وفي (صفحة ٢٩) « كل من عمل عملاً لله يعطي الله الواحد من هذه الطريقة أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل »

واذكر عند قراءة هذه المبكيات قوله تعالى في شأن اليهود والنصارى (بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

وقد افتننت هذه الطائفة بصيغة صلوات محدثة مخترة حتى قالوا في كتابهم المذكور (صفحة ٣٢) « شرط قراءتها أن يعتقد أنها من كلام الله تعالى » وفي كتابهم (الورد السائح) (صفحة ٢٤) أنها بمنزلة القرآن لأنها من كلام الله تعالى وليست من تأليف مخلوق . وفي جواهر المعاني أن ثوابها أكثر من ستة آلاف ختمة باخبار الرسول لشيخهم يقظة . وقالوا أيضاً في فضلها في صفحة ٣٠ من (كتاب النفحة الفضلية) لو عاش العارف ألف ألف سنة كان ذاكرها عشر مرات أكثر منه ثواباً ، وإذا صدر من العبد ما يحبط العمل فاتها هي لا تحبط . ومن قرأها مرة غفرت له كل ذنوبه لأنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة وهي تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر ، ومن القرآن ستة آلاف مرة

وسائر الكتب الآلهية. اه ثم سرد خرافات وضلالات وأرقاما حسابية كأنه يبين أكبر ميزانية كانت في العالم ، ثم قال هذا ثواب قارئها ، ثم اعتدوا مرة ، أخرى كعادتهم فقالوا في ص ٢٥ من الكتاب المذكور « في الأذكار اللازمة للطريقة صيغة من صيغ الاسم الأعظم ، ومن أخذ هذه الصيغة بسند متصل كان له نصف الثواب الكبير الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم » اه وترك المجال لمولاتنا الحكيم في ايراد ما يلزم على هذه المسائل ، فقد -والله- بلغ السيل الزبى ، وكادت أعصابي تتوتر أسفا مما جرى ، وكفى في الزوايا من خزايا ... قبح الله الضلال وخذله

ومن مخازيهم أن نفت الشيطان في قلب شيخهم فاشترط على أتباعه « أن من شرائط صيغة الفاتح أن يعتقد القارئ أنها من كلام الله وأن النبي عين ذات الله » وقد سئل شيخهم عن معنى ذلك فقال في ص ٣٣ من النفحة : أن النبي كالمرآة تراءى فيها الذات « اه ولهم فيه أيضاً ص ٧٦ : من آداب المرید أن يحمل كلام شيخه على ظاهره ولا يتأوله . ولو عاملناهم بهذا القانون في مسائلهم السالفة وخصوصاً في هذه المسألة لكانوا تارة ملحدین ، وأخرى فاسقين ، وآونة ظالمين (ألا ساء ما يحكمون) وبئس ما يعملون (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) ليت شعري كيف يقولون إن النبي كالمرآة تراءى فيها الذات ، وهو تأويل باطل لا يؤيد باطلا

ويجول في ذهني أن القوم (قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فخرّفوا وحرّفوا واجتمعوا مع شيخهم على الشيطان ، وقالوا عليه إنه نبي الرحمن ، فوقعوا في الدرك الأسفل وهذا أقل ما يمكن أن يقال في شأنهم (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

وفي صفحة ٤٥١ من كتابهم (الطيب الفاتح) أن شيخهم « بلغ غاية نهاية الأولياء من نشأة العالم إلى النفخ في الصور سواء أولياء الأمة المحمدية وغيرها » وفيه أيضاً ص ٢٥ « إن الله صلى على النبي بصيغة صلاة الفاتح » ثم بعد ماضوا

في فضل صلاة الفاتح اتخذوا صيغة أخرى يتعبدون بها وسموها جوهرة الكمال منها (اللهم صل على صراطك التام الأستقم) يقولون إن النبي (ص) أمر شيخهم بأن يصلي عليه بها ، وقد تسكمت معهم كثيراً أن هذا كذب من الشيخ بين لأن النبي (ص) عربي وأفصح من نطق بالضاد (والاسقم أخذه من استقام لا يصح) لأن أفعل شرطه أن يصاغ من فعل ثلاثي فلا يصاغ من رباعي الا أفعل قليل يجوز مطلقاً ، وقيل يمنع مطاقاً ، وقيل يجوز إن كانت الهمزة لغير النقل حتى قال الموضح (وشدّ على كل قول ما أتقاه وما أملاه) الخ ، وأما السداسي فلا يصاغ منه أفعل (كأسقم من استقام) باتفاق ، فشيخكم لجهله باللغة نسب إلى النبي ما بلغكم كعاداته في أمور الدين ، فبهت القوم وانصرفوا على ذلك

ولهم في ص ٩١ من الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني أن النبي قال لشيخهم « كل من أطعمك أو أحسن إليك دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب » ويظهر أن الشيخ كان نهماً جشعاً لا يقبل أحد أن يطعمه فهوّن على الناس ذلك بأن خطر أكلته وإن كان كبيراً ألا أن جزاءه النجاة من النار نعوذ بالله من الجهل والكذب . وفيه أيضاً بعد هذه الصحيفة (أن ثواب صلاة الفاتح كبير من قرأها كان له ثواب سبعين نبياً كلهم حمل السلاح وجاهد)

الى سيدي صاحب المنار

بما عرفناه فيكم من الاخلاق الحميدة . . . والهمة الهاشمية ، نرجو العمل على إطفاء شعلة هذه الضلالة ، والسلام عليكم ورحمة الله

محمود محمود المصري

سنة ثانية فصل ثاني ، بالقسم العالي

﴿ المنار ﴾ ان شعلة هذه الضلالة لا تطفأ برسالة تنشر في المنار ، ولا بمجرد بيان ما فيها من الكذب على الله ، ومن شرع لم يأذن به الله ، وهو إشراك بالربوبية ، وتكميل تقص يدعى للملة الحنيفية . وما هي شعلة بل شعبة من شعب نار جهنم ، يأوي اليها عشاق الخرافات ، ومتبعو الشبهات ، وعبيد الشهوات ، يحسبونها ظلاً ظليلاً ، وأن لهم فيها مقبلاً ، الى أن يأخذهم الله أخذاً ويلاً

(يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتنا ليتني لم آخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) هنالك يكونون ممن قال الله تعالى فيهم (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) لعصيانهم قوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء ، قليلا ما تذكرون)

ان هؤلاء الضالين لم يضلهم أشياخهم كالتجاني الدجال ، ومؤلفي ما ذكر من الكتب لترويج بدعته ، ونسخ شرعة الله الحق بشرعته ، ما أضلهم هؤلاء وحدهم ، وانما اشترك في اضلالهم الجمهور الاكبر من ادعياء العلم الشرعي عامة ، وأصحاب المناصب الرسمية خاصة ، الذين هجروا القرآن ، وأعرضوا عن هدي السنة ، وتركوا سيرة السلف الصالح ، وأقروا كل من تنحل طريقته من طرائق التصوف على ما يضع من عبادة ، ويدعي من كرامة ، حتى دعوى رؤية الرسول صلوات الله وسلامه عليه في اليقظة أو المنام ، وتلقى الاذكار والاوراد والبشارات عنه وكذا العقائد والاحكام ، وان كانت مخالفة لما جاء به من كتاب الله المتواتر وما صح من سنته بالاسانيد الصحيحة وما أجمعت عليه الامة في الصدر الاول وليس الدجال التجاني أول من كذب على الرسول وراجت أكاذيبه بشبهة ثبوت الكرامة لصالح الملة ، بل سبقه الى ذلك رجال من مبتدعة التصوف كانوا أوسع منه علما ، وأنصح لسانا وقلما ، وقد رد عليهم من هم أعلم منهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعبد الله تعالى ، وأنفع للناس ، ولكنهم لما لم يدعوا لانفسهم تلك الدعاوى العريضة طعن المتأخرون في دينهم وتجنبوا كتبهم ، كما كان شأن اكثر حملة العلم في مصر وغيرها في كتب شيخ الاسلام ابن تيمية المصلح الكبير ، وقد كان هذا الافتتان بالدجل والخرافات ، واشتراك شيوخ العلم في الموالد المشهورة على ما فيها من الفواحش والمنكرات ، والبدع والاضلالات ، سببا لفشو الكفر والاحاد في نابتة المدارس العصرية وطالما جاهد المنار الدجل والدجالين ، ورد عليهم بالحجج والبراهين ، ولا يزال يهدم ما بنوا من قواعد وأساطين ، ولكن

أكثرهم لا يقرءون المنار ، وقلما يوجد في قرائه أحد يخدع بالدجل . وأما الإصلاح العام ، فلا ينتشر الا بتأسيس دولة تقيم عمود الاسلام ، وترد المسلمين الى التعبد بما تعبد الله الناس به في كتابه وعلى لسان رسوله ، وتمنعهم من قراءة كل ما استحدثت التصوفة من أوراد وأحزاب وصلوات كما يفعل الوهابيون في منعها حتى أقلها ابتداء للصيغ كدلائل الخيرات . فحسبنا كتاب الله وأذكاره ، وما أثبت حفاظ السنة من أذكارها المجموعة في مثل كتاب الحصن الحصين والاذكار للنووي ، نعم انه يوجد في بعض ما اخترعه الصوفية ما لا يخالف النصوص ، ولكن المآثور خير منه ، وإقراره يقتضي قبول غيره مما هو مخالف لها ، ومنه ما ادعى مبتدعوه انه موحى به من الله تعالى ومتلقى عن رسوله (ص) في البقعة ، كما رأيت في رسالة الفاضل الازهري عن كتب التجانية ، ومن ذا الذي يميز بين الموافق للنصوص وقواعد الشريعة والمخالف لها فالفتنة لا ترتفع الا بمنعها كلها . ان الدجال التجاني بل الجاني على الاسلام والمسلمين ، وأمثاله من التصوفة الخرافيين ، قد رأوا دعوى الكرامات انجح الوسائل لتأسيس المجد الدنيوي أي الجاه الذي هو ملك القلوب والمال الذي هو ملك الأعيان ، فتوسلوا بها فوصلوا الى ما وصلوا اليه من اتخاذهم آلهة يعبدون ، واربابا يشرعون فيتعبدون ، ولولم يسكت لهم علماء الشريعة على منكراتهم لما وصلوا في إفسادهم الى هذا الحد : حد طبع الكتب المفسدة للعقائد ونشرها بين المسلمين ، وعدلها من كتب الدين ، بل يوجد في كبارهم من هم أشد خضوعا للخرافات من العوام ، وقد أخبرني الثقة ان أحد كبار علماء الازهر نظم قصيدة يشكو فيها للسيد البدوي سعاية بعض أعدائه لاغضاب أمير البلاد عليه ويطلب منه اتقاذه من شر هذه السعاية وارضاء قلب الأمير عليه .

كان يجب على علماء الأزهر ان يؤلفوا جمعية دائمة لنقد الكتب التي تنشر بين الناس ولا سيما الكتب التي تمس الدين وتخالف عقائده أو آدابه وأحكامه وتبين للناس مافيه من ضلال وتخذرهم منه ، ولكننا نجد الكثيرين من المنسويين الى الأزهر يدافعون عن أمثال هذه الكتب وأهلها ، ويردون على

المصلحين الذين ينكرون عليها ، ولا يزال بعضهم يصد عن كتب شيخ الاسلام ابن تيمية ويطعن فيمن يسمونهم الوهاية ، فاذا لم ينهض الأثر لمكافحة الدجل والخرافات ، وتحذير المسلمين من بضائع معامل (فابريكات) الكرامات ، فستكون عاقبته وعاقبة أهله في مصر ، كعاقبة معاهد الدين ورجال الشرع في الترك .

انباء الحجاز

بيعة أهل الحجاز وسبب قبول السلطان لها

(جاء في العدد ٥٦ من جريدة أم القرى الذي صدر بمكة المكرمة في
درجب الماضي ما يأتي)

جاءنا من ديوان جلالة الملك أنه بعد إعلان بيعة أهل الحجاز وردت
عدة برقيات من جهات متعددة تسأل عن صحة ما وقع وعن أسبابه فأرسل الجواب
على تلك الأسئلة بما مآله :

(ج) إعلان أهل الحجاز ملكيتنا على الحجاز صحيح ، أما العهود المتكررة للعالم
الاسلامي فلم نخلفها وقد دعونا العالم الاسلامي دعوات عامة وخاصة متكررة فلم
يصل جواب من أحدهم في تلبية دعوتنا ومع ذلك فانتنا على استعداد لقبول آراء
العالم الاسلامي في كل شأن له مساس براحة الحجاج والزوار ورفاهيتهم وأجراء
أعمال الخير في الحجاز

واما السرعة في أمر النداء بملكيتنا على الحجاز فكنت أود من صميم قلبي
أن لو تأخر ذلك ولكننا الجئنا إلى ذلك مضطرين فأن أهل الحجاز قاموا قومة
رجل واحد يلزمونا بقبول البيعة فطلبنا منهم التريث ريثما يجمع المسلمون أمرهم
فأجابوا بأنك أعطيتنا الحرية في اختيار حاكم لنا وهذا حق لنا لا يشاركنا فيه
أحد ونحن لا نبغي بك بدلا

ومع ذلك توقفت في الجواب فبلغ أهل نجد توقفي فقامت قيامتهم علي

وأعلنوا لي أن حربهم في الحجاز لم يكن الا لحفظ استقلال الحجاز ومنع تدخل أي أجنبي فيه ولتكون كلمة الله هي العليا وليعمل في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله ولتأمين الطرق ومنع الاخلاد في الحجاز : وهذا ما وعدتنا به وإن توقفك عن قبول البيعة يجعلنا نعتقد بأنك لم تقا تل إلا لاغراضك ولا تسعى لاستقلال الحجاز، وانك اذا لم تقبل البيعة فقد فعلت معصية ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فإزاء هذا الموقف الحرج الذي يتوقف عليه أمن الحجاز في الحالة الحاضرة واستقرار الأمر فيه لم أجد بداً من تلبية مادعيت اليه وإلا كانت فتنة لا تعرف نتائجها . قبلت متوكلاً على الله واني لا أزال على عهدي برعاية المسلمين من الحقوق المشروعة في هذه الديار المقدسة والله ولي التوفيق (أم القري ع ٥٦)

اعتراف الدول الأوروبية

بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

اعتراف السوفيت

ورد على جلالة الملك بتاريخ ٣ شعبان من معتمد وقنصل جنرال حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بمجدة الكتاب الآتي صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها الأتخم بعد التحية والتوقير

استناداً على أمر حكومتي أشرف ان أبلغ جلالتيكم أن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بموجب المبدأ الأساسي نحو استقلالية وحرية الأمم واحتراما لأرادة أهل الحجاز التي ظهرت في مبايعتهم لجلالتيكم ملكاً للحجاز تعترف بجلالتيكم ملكاً للحجاز وسلطاناً لنجد وملحقاتها فعليه حكومة السوفيت تعهد نفسها في الحالة المناسبة ال يامية والملائمة مع حكومة جلالتيكم وختاماً تفضلوا يقبل عظيم توقيراتي واحتراماتي ٣ شعبان سنة ١٣٤٤ ١٦ فبراير سنة ١٩٢٦ معتمد وقنصل جنرال حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيت بمجدة

كريم حكيم

اعتراف بريطانيا

وقد أعقب اعتراف حكومة السوفيت اعتراف الدولة البريطانية وقد أخبر
جلالة الملك بخبره سعادة معتمد الحكومة البريطانية بصورة شفاهية عند زيارة
جلالته للبارجة الحربية

وفي صباح أول مارس ورد من نائب معتمد وقنصل بريطانيا بجده وكيل
القنصل لجلالة الملك الكتاب الآتي

١٤٦ م — ٢٤٣٠

جدة في أول مارس سنة ١٩٢٦

جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد

بعد إبداء عظيم الاحترام . أتشرف بأن أخبر جلالتيكم اني قد كلفت
من قبل حكومة جلالة ملك بريطانيا أن أعرف جلالتيكم بأن حكومة جلالة
الملك تعترف الآن بجلالتيكم ملكا على الحجاز . على انه يقتضي لي أن أضيف
على ذلك انه بينما تعترف حكومة جلالة الملك بسلطتكم على الحجاز تدوم على
اعتبارها أن أسلوب الحكم في الاماكن المقدسة الاسلامية وجميع المسائل الدينية
المتعلقة بذلك هي من المسائل التي تختص بالمسلمين فقط والتي لا يجب على حكومة
جلالة الملك أن تبدي رأيا فيها كما وانها لا ترغب في ذلك . وتفضلوا بقبول فائق
التحية وعظيم الاحترام

نائب معتمد وقنصل بريطانيا بجده

وكيل قنصل جوردن

اعتراف فرنسا

وقدم مساء الثلاثاء ١٧ شعبان سعادة قنصل فرنسا في جدة الى القصر
العالي بجدة وأخبر جلالة الملك بانه تلقى برقية من حكومته تأمره أن يبلغ جلالة
الملك بأن حكومة الجمهورية الفرنسية الفخيمة تعترف بجلالته ملكا على الحجاز
ولم يصلنا حتى صدور هذه الجريدة الكتاب الرسمي المتضمن اعتراف
حكومة فرنسا الخطي ومتى وصلنا نشرناه في حينه (أم القرى ع ٦٣)

مآدب ملك الحجاز وخطبه فيها

مأدبة جدة الرسمية

أدب جلالاته مأدبة رسمية في جدة دعا اليها معتمدي الدول وقناصلها وقائد البارجة (كارت فلاور) الانكليزية الراسية في جدة زيارة وكبار ضباطها ورؤساء المحلات الاجنبية ووفد الخلافة الهندي ومصالح الحكومة ووجهاء الأهالي وبعد تناول الطعام وشرب القهوة العربية ألقى نائب جلالاته عبد الله بك الدملوجي خطاباً وثني عليه جلالاته بخطاب ملكي ، وقد أجاب معتمد دولة إيطاليا عن خطاب جلالاته باسم معتمدي الدول لأنه أقدمهم عهداً في البلاد حسب الأصول . وهذا نص الخطب الثلاث كما نشرت في العدد ٥٧ من جريدة أم القرى المؤرخ في ١٥ رجب سنة ١٣٤٤ الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٢٦

خطاب نائب مملكة الملك

يا صاحب الجلالة

استمنحك الاذن في أن أقدم لحضرات المدعوين خالص الشكر لتليتهم الدعوة إلى هذا المنزل العامر هذه الدعوة التي مشترك آثراً جميلاً في النفوس يدعو لتوطيد العلاقات الودية الثابتة بين الجميع أيها الأفاضل الكرام . إن هذا الاجتماع الذي يعد الأول من نوعه بعد الانقلاب الأخير سيكون له بحول الله أجمل وقع في مجرى الأحوال في الأيام المقبلة ، واني انتهز هذه الفرصة لأكرر على مسامع حضراتكم ما طالما صرح به مولاي جلالة الملك أيده الله عن نواياه في هذه الديار المقدسة التي لا يمكن أن تتبدل ولا تتغير في ساعة من الساعات مهما كلف أمر القيام بها من المشاق والصعوبات أيها الأفاضل : ان الأمن في هذه الديار هو الأساس المتين الذي ستدعمه الحكومة بيد من حديد فلا تجعل بحال من الأحوال بحول الله وقوته سبيلاً

للأخلاق فيه ، ولذلك يستطيع كل مسلم من أي بلد كان أن يصل إلى هذه الديار المقدسة ويحج فيافيها وقفارها وهو آمن مطمئن لا يجد من يروعه مادام محافظاً على النظمات وأوامر الحكومة المحلية .

ثم إن العدل المطلق ستطبقه الحكومة على جميع الناس كافة من أي نوع كانوا بغير تمييز أو محاباة ، وإن الشرع الاسلامي هو الأساس الذي تستقي منه الأحكام في هذه الديار لتكون نبراساً عاماً لكل ذي وجدان حر ، وذو نظر نقيب ليعلم من ذلك أن الاسلام دين عدل يزن الحق بقسطاسه المستقيم ، فالديار مفتوحة لكل انسان مستعد للرضوخ لأحكام هذه الشريعة المطهرة . واسأل الله أن يجعل أعمالنا أصدق من أقوالنا . وفي الختام انتهز هذه الفرصة لتقديم الشكر لكل فرد من أفراد حضرات الافاضل الذين لبوا دعوتنا هذه والسلام

خطاب مهرة الملك وبيانته الدولي

نعم إن ماتكلم به الدكتور عبد الله بك الدملوجي هو حقيقة غايتنا في هذه الديار المقدسة ، وتلك هي خطتنا التي وطننا النفس على السير عليها . واني أنتهز هذه الفرصة الجميلة لأبدي لضيوفنا الكرام ، وعلى الأخص معتمدي الدول وقناصلها المحترمين بعض مايجول في خاطري من آمالي وتمنياتي

ان هذا الوطن المقدس يوجب علينا الاجتهاد فيما يصلح أحواله ، واننا جادون في هذا السبيل قدر الطاقة ، حتى تتم مقاصدنا في هذه الديار ويكمل للمسلمين جميعاً راحتهم وأمنهم ، وتتم لجميع الوافدين لمنازل الوحي المساواة في الحقوق والعدل

ان للدول الاجنبية المحترمة علينا حقوقاً ، لهم علينا أن نفي لهم بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود (إن العهد كان مستولاً) وإن المسلم العربي ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهداً أو ينقض وعداً . وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه . إن علينا أن نحافظ على مصالح الاجانب ، ومصالح رعاياهم المشروعة نحافظنا

على أنفسنا ورعايانا ، بشرط أن لاتكون تلك المصالح ماسة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي . تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها ، وسنحافظ عليها ما حيننا إن شاء الله تعالى

وأما حقوقنا على الدول ففيما يتعلق بهذه الديار نطلب منهم أن يسهلوا السبل الى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين . ثم إن لنا عليهم حقاً فوق هذا كله ، وهو أهم شيء يهمننا مراعاته ، وذلك أن لنا في الديار النائية والقصية إخواننا من المسلمين ومن العرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم^(١) فان المسلم أخو المسلم ، يحسن عليه كما يحسن على نفسه في أي مكان كان . واني أؤكد لكم بأن المسلمين عموماً والعرب خصوصاً كالأرض الطيبة كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتاً حسناً ، وإن المطر الذي نطلبه هي الأفعال الجميلة المطلوبة من الحكومات التي لها علاقة بالبلاد التي يسكنها إخواننا من العرب ومن المسلمين ، وإن الأرض الطيبة هم المسلمون عامة والعرب خاصة . ولي الأمل الوطيد بأن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الاسلامية والعربية لاتدخر وسعاً بأداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم . وفي الختام أسأل الله أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا ، وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصالح

خطاب قنصل ايطاليا الدولي

آني اشكر جلالة الملك بالنيابة عن القناصل ، وبالنيابة عن الجالية الاوربية لما تفضل به علينا من دعوتنا لمائدته الملكية ، وللاشرف الذي حصل لنا بهذه الليلة السعيدة المسرة .

آني اشكر جلالتم على ما أبدىتموه من مقاصدكم الحسنة نحو هذا القطر وبالاخص عما قصدتموه من راحة البلاد من كل الوجوه ، وهذا مما يسر جميع

(المنار) لم نسمع في هذا العصر عن ملك مسلم ولا خلفاء الترك مطالبة الدول الاوربية بحفظ حقوق المسلمين في بلادهم ولكن هذا الملك العربي المسلم يطالبهم بحقوق العرب عامة وحقوق المسلمين كافة

الدول التي نحن نمثلها ، والتي يهمها أمور الاماكن المقدسة الاسلامية ، ونحن نفتخر بأن نهني جلالتم وتندعو لكم بالتوفيق التام في الخطة التي رسمتها لراحة هذه البلاد ... وبالاختصار فان ماتفضل به جلالة الملك لا تقصر في إبلاغه لحكوماتنا الذين يعرفون حقيقة نيات جلالتم بخصوص هذه البلاد . وإنه معلوم لدى الجميع بان حكوماتنا تحترم وتكرم كافة الأديان كما أنها أيضاً تميل وتحب العرب ، وبالاخص الشعوب الاسلامية من العرب ، ونحن واثقون بان حكوماتنا يبدلون الجهد بقدر الامكان لمساعدة جلالتم فيما يجلب الخير والراحة لهذه البلاد المقدسة. وإتني أكرر آيات الشكر لجلالة الملك على تفضله علينا بهذه الدعوة وهذا اللطف الذي لقيناه من جلالاته في هذه الليلة السعيدة اه

المأدبة الملكية بمكة

وكلام الملك عبد العزيز في الجامعة الاسلامية

جاء في جريدة أم القرى أيضا ان جلالة الملك أقام مأدبة فاخرة في المنزل المعروف (بدار الحكم) دعى اليها من كان في مكة من وفود وعلماء مكة وأشرفها وأعيانها وكبار مطوفيه ورؤساء التجار فكان عددهم ثلاثمائة مدعو و ذكرت الجريدة ان جلالة الملك أقبل عليهم بحدثهم كماداته بما يجيش في صدره من الافكار والحكم ثم استطرد الى الكلام في موضوع الجامعة الاسلامية واعينتها فقال « ان الجامعة الاسلامية هي حياتنا ، هي روحنا ، هي فخارنا ، ولكن كيف تكون هذه الجامعة ؟ وما هي تلك الجامعة ؟ هي أن يجمع المسلمون على أمر جامع لهم ، ولا شيء يجمعهم من غير اختلاف الا التمسك بكلمة التوحيد تمسكا صادقا على علم وبصيرة ، فلا يجوز للمسلم أن يمضي عليه ربع دقيقة من حياته تمر بدون أن يعرف ربه على بصيرة ، فالجامعة الاسلامية هي اجتماع المسلمين على هذه المعرفة الحقيقية لا اجتماعهم في الرتب والوظائف

« ان الجامعة الاسلامية بالمعنى الذي أفهمه وأقرره هو اجتماع المسلمين عامة على محبة الله تعالى وتوحيده وجده وجرف العبادة كلها اليه »

(قالت) واسترسل جلالة في هذا الموضوع وهو يغرف من بحر ويتكلم من قلب مملوء بالغيرة الدينية ومفعم بالألم لتفرق المسلمين وتشتتهم ثم ذكر طرفاً من العادات المبتدعة التي « ما نزل الله بها من سلطان » مما يأتيه بعض الناس خروجاً عن الدين من جمع الأموال باسم المقابر وصرفها عليها ، وأكلها باسم تلك المقابر وما في تلك من الخروج على كتاب الله وسنة رسوله ومخالفته لا جماع المسلمين . وقال : إن أكثر الناس الذين يريدون بقاء هذه البدع المضلة ويحافظون عليها لا يحملهم على ذلك إلا رغبتهم في اكتساب أموال الناس بالباطل . ثم أورد في النهي عن ذلك آيات من كتاب الله وأحاديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ

نظرة في بيعة الحجاز لسلطان نجد

إننا عند ما أنبأنا الشركات البرقية بمبايعة أهل الحجاز لسلطان نجد ، ونصبه ملكاً عليهم استغربنا ذلك وانتقدناه ، وعددناه عجلة من هذا الرجل الذي كنا ربما نتقدم منه طول أناته وسعة صبره ، ورأينا أنه لو تربص بهذا الأمر حتى يجتمع المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه لكان خيراً له ، لأنه أقرب الوسائل إلى اقتناع العالم الإسلامي بصدقه وإخلاصه في تصديده لتطهير الحجاز من ظلم حسين بن علي وأولاده — وبكونه هو الزعيم الوحيد الذي يقدر على حفظ الأمن وإقامة العدل في هذه البلاد وإصلاح شؤونها

وقد كان الشيخ حافظ وهبه مندوب السلطان هنا ، فكشف لنا عن وجه السبب الخفي في قبول السلطان عبد العزيز لهذه البيعة بإطلاعنا على برقية جاءته من السلطان في ذلك ، مصرحة بأنه لما رغب إليه أهل مكة أولاً في البيعة أبي وامتنع من القبول ، وطلب منهم أرجاء الأمر حتى علم زعماء النجديين بذلك فأيدوا طلب أهل مكة ، فاعتذر لهم أيضاً فلم يقبلوا عذره ، بل أنذروه ترك طاعته إذا هو امتنع ، لأنه امتناع من واجب حتم . وذكرنا له في انذارهم

حديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم بهذا اللفظ والشيخان وغيرهما بألفاظ أخرى . وأنه حينئذ لم ير بدأ من القبول . ثم جاءت جريدة (أم القرى) المكية مصرحة بذلك وقد نشرنا عبارتها في هذا الجزء . فعلمنا من هذا وذاك أنه لو لم يقبل لسكان فتنة لا يعلم كنه عاقبتها الا الله تعالى لأن زعماء نجد من العلماء والقواد - وكذا عامتهم - لا يطيعون سلطانهم لأن له قوة من دونهم يستطيع بها اكراههم على الطاعة، ولا يطيعونه كما يطيع غيرهم من قبائل العرب أمراءهم وشيوخهم بالعصبية والاشتراك في المنافع - وانما ميزتهم التي لا مشارك لهم فيها من كل وجه ، انهم يطيعون امامهم تدينًا، لأن طاعته واجبة عليهم شرعًا ، ولهذا ينفرون الى القتال اذا استنفرهم على نفقة أنفسهم ، ويقرب منهم في ذلك أكثر زيدية اليمن لا جميع أهل اليمن مع امامها ، فان أكثرهم لا يطيعون إلا مكرهين ، وقد أمكن للسيد محمد علي الادريسي أن يستميل بالمال كثيراً من الزيدية لطاعته حتى في قتال الامام يحيى في صفوفه .

هذا وان سبب استعجال أهل الحجاز ببيعة السلطان عبد العزيز آل سعود أمران (أحدهما) علم أهل المعرفة والرأي منهم بأنه لا يوجد أحد من شرفائهم ولا من ساداتهم ولا من شيوخ قبائلهم القوية يمكنه ان يقوم بالأمر و يقيم ميزان العدل ويحفظ الامن في هذه البلاد ليعود موسم الحج والزيارة كما كان ، وخيراً مما كان كما يقوم بذلك هذا الرجل بما وراءه من قوة النجديين التي يخشى بأسها عرب الحجاز وغيرهم من أهل جزيرة العرب ، فان الشريف حسيناً كان أقوى زعماء الحجاز بأساً وأشدّهم حزماً وأكثرهم مالا ، وهو لم يستطع ان يؤمن الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فغيره من أهل الحجاز أولى بهذا العجز . فاذا فرضنا أن المؤتمر الاسلامي اجتمع وقرر جلاء السلطان بجنوده من الحجاز فلا يشكون في أن تنفيذه لقرارهم يكون مدعاة للفوضى وقد الامن في الحجاز وامتناع مسلمي الأقطار عن الحج والزيارة وحينئذ يهلك أكثرهم جوعاً ان لم يهلكوا بالثورات والفتن (الأمر الثاني) أن أولاد الشريف حسين وغيرهم قد أيدوا في الحجاز وسورية وفلسطين والعراق ما كان قد انتشر من دعوة العصبية العربية ، والامتناع من قبول

تدخل أحد من الأعاجم في شأن الحكم والسياسة في شيء من البلاد العربية، وكان غرضهم من هذه الدعاية معارضة ما دعا إليه سلطان نجد من اشتراك زعماء جميع الشعوب الإسلامية في تقرير مستقبل الحجاز، وكان من حججهم أن أكثر تلك الشعوب واقعة تحت سيطرة الدول الأجنبية وغير مأمون على رجالها من تأثيرهم. ثم بثت في الحجاز كله دعاية أخص من دعاية الجنسية العربية، وهي دعاية الوطنية التي من مقتضاها أن تكون أمور الحجاز ومصالحه بيد الحجازيين دون غيرهم من العرب، وقد راعوا هذه العصبية الوطنية في مبايعتهم لسلطان نجد، وصرحوا بها في نص صيغة البيعة التي نشرناها في الجزء السابق (٩ : ٢٦) فهذه النزعة الوطنية وتلك العصبية العربية نفروا من تحكيم المؤتمر الإسلامي العام في أمر حكومتهم وحاكمهم، واقتصروا على الانتفاع بقوة سلطان نجد في إقامة الحكم وحفظ الأمن في بلادهم تقديرًا للضرورة بقدرها. وقد رضي بذلك زعماء نجد فكان رضاؤهم دليلًا على إخلاصهم في حربهم لحسين وعلي وعدم طمعهم في جعل الحجاز تابعًا لنجد أو مرتبطًا بها في إدارتها وسياستها، ولو كانت هذه البيعة بمحض القوة — وهي موجودة بغير نكير — لما رضي السلطان ولا رجاله بجعل إدارة الحجاز منفصلة عن إدارة نجد، ومن الدلائل على إخلاص السلطان عبد العزيز عدم قبوله لما عرضه عليه أهل الحجاز من المبايعة بالخلافة. وقد روى رجل من كبار الألمانين كان في جدة أن السلطان قال لهم إن أمر الخلافة لا يعنيكم وحدكم، بل يعني العالم الإسلامي كله، فتنى وجدني الإسلام زعيم يقتنع العالم الإسلامي بزعامته وكفايته في القيام بشؤون الإسلام تعين أن يولد هذا الأمر باقتناع زعماء شعوبهم أنه هو الذي يجب اختياره لهذا المنصب

إن العصبية الجنسية والعصبية الوطنية محرمتان في الإسلام، ولكن المسلمين قد ابتلوا بهما في بلاد العرب والعجم جميعاً، وهما اللتان فرقنا وحدة الإسلام قديماً وحديثاً، وآخر رزايا العصبية الجنسية ما كان من ملاخدة الترك، وسيدوقون من مرارة فعلتهم ما هو أدهى وأمر مما ذاق من قبلهم من الأمويين ومن بعدهم، ولا بد لعلاج هذا الداء من حكمة وروية وصبر، وإن أولى المسلمين بالوحدة

في هذا العصر عرب الجزيرة ثم من يليهم ، وأولى عرب الجزيرة بها الحجاز ونجد ، لشدة حاجة كل من القطرين إلى الآخر مع كون مسكنهما من أهل السنة . ومع هذا رأينا أن من الحكمة فصل إدارة كل منهما من الأخرى إلى أن يتم الاستعداد للوحدة

وينبغي للمخلصين من زعماء المسلمين وأهل الغيرة والرأي منهم أن يقدرُوا ما يعبر عنه أهل السياسة بالأمر الواقع قدره ، ولا يجرمهم ما ينكرون منه على اتباع أهوائهم ، والتعصب لأرائهم ، فإن العاقل الخالص من يحاول الانتفاع في كل حال بحسبها ، وسنكتب مقالا خاصا فيما ينبغي عمله في الحجاز إن شاء الله تعالى

مؤتمر الخلافة

جدد مجلس إدارة هذا المؤتمر في مصر الدعوة إلى عقده ، ووجدت الوقت له فجعله غرة ذي القعدة الحرام من هذا العام ، لقربه من موسم الحج العام ، وأرسل الدعوة الآتية بامضاء رئيسه شيخ الجامع الأزهر ورئيس المعاهد الدينية بالقطر المصري إلى رؤساء الحكومات الإسلامية من ملك وسultan وأمير وإلى رؤساء الجماعات والجمعيات المشهورة — وإلى من عرفت الكتابة العامة للمجلس من أهل الرأي من علماء المسلمين وكتابهم ووجهاتهم في الأقطار المختلفة ، وقد ساوى في هذه الدعوة بين أهل السنة السلفيين كأهالي نجد ، وأهل الحديث في الهند ، والخلفيين في سائر الاقطار ، وبين غيرهم من الفرق الإسلامية ذات الحكومات أو الجماعات الكبيرة كالشيعة الزيدية ، والاثني عشرية ، والاباضية من معتدلي الخوارج ، مع العلم بأن للزيدية إماما من أنفسهم ، وبأن الاثني عشرية يقولون بأن الإمامة لمحمد المهدي ابن الإمام حسن العسكري الغائب عن العيان ، المنتظر ظهوره في كل آن ، وللعلم بأن بعض الشعوب الإسلامية قد خرج

أمر الحكم فيها من يدها ، وبأن الحكومات الاسلامية المستقلة حريصة على عدم خضوعها لخليفة ينصب في غير بلادها

أصاب المجلس في تعميم الدعوة ، وتوجيهها إلى جميع فرق أهل القبلة - بل قيل أنه وجهها إلى امام الاسماعيلية ، وما هم من أهل القبلة - فان منصب الخلافة الذي يراد البحث فيه إن كان خاصاً بالسواد الاعظم من حيث الحكم والدولة ، فان النظام الذي يجب وضعه مما ينبغي أن يشترك فيه جميع أهل القبلة ، وبراؤوا فيه حقوق الجامعة العاملة للعلة ، وإخاء الاسلام الروحي الذي لا يختلف بسبب الكثرة والقلة . فان التنازع على هذا المنصب في القرون الاولى قد كان بسياسة دخيلة أراد بها مبتدعوها التفريق وصدع الوحدة الاسلامية لما رآب لهم فيها ، وقد تم لهم ما أرادوا من التفريق ، ولكن لم ينالوا به تلك المآرب التي أرادوها . وقد زالت تلك الفتن وجهلت الجماهير ما كان من مقاصد أهلها ، ولكن الاختلاف والتفرق الذي أحدثته مازال يفتك بالاسلام والمسلمين ، وانحصرت فائدته في خصومهم الساعين في القضاء على دينهم ودنياهم ، فصار من الواجب أن يراعى في نظام الخلافة جمع كلمة المسلمين على وقاية الاسلام مما يساوره في هذا العصر من دعاة الخاد والاباحة ، ثم من دعاة الملل أو البدع المستحدثة ، ووقاية المسلمين من غوائل العصبية الجنسية والوطنية ، فان في الامكان قيام كل قوم في كل وطن بما يرتقون به ويعمرون أوطانهم مع المحافظة على عقائد الدين وآدابه الواقية من شرور الخاد والاباحة ، وعلى المودة بين اخوانهم في الدين من الاقوام المقيمين في أوطان أخرى ، وجعل ماذكر من جمع الكلمة على الوقائتين والمحافظة بنظام يشترك في وضعه مندوبون يمثلون الجميع ليتمكن تنفيذه . وبهذا يكون منصب الخلافة معقد الارتباط بين جميع المسلمين الخاضعين لاحكام الخليفة الحكومية وغير التابعين لها .

نشرت الدعوة إلى عقد المؤتمر في الموعد الذي ضرب له فارتاح لها جماهير المسلمين الذين كانوا متفقين على اقتراح هذا المؤتمر ، وتصدى للصدع عنها المناقذة فيها فريقان من محزبي الجرائد والكاتين فيها (أحدهما) فريق الملاحدة

واللادينيين الذين يثون في مصر دعوة الكفر ، والجكومة اللادينية (وثانيها) فريق الذين يظنون أن دعاة المؤتمر من كبار العلماء وغيرهم يريدون جعل الخلافة في مصر ، وهم يرون أن جعلها في مصر — وأعلام الجيش البريطاني مرفوعة فيها ونفوذ الدولة البريطانية مسيطر عليها — جناية على الاسلام والمسلمين ، وقد اتفقت جرائد الوفد المصري أو السعدي ، وجريدة السياسة التي هي لسان الحزب الحر الدستوري ، على استنكار عقد هذا المؤتمر بمصر وإنكار أهلية كبار علماء الدين للدعوة اليه ، وعلى أن مثل هذا الأمر السياسي الخطير من حقوق مجلسي الشيوخ والنواب المصريين ، كما اتفقت على أن جعل الخلافة في مصر يضرها ولا ينفعها

نحن لا نريد مناقشة هؤلاء الكتاب ، ولا من وراءهم من زعماء الأحزاب ، ولكننا على اعتقادنا أن مسألة نصب خليفة للمسلمين برضاة السواد الاعظم منهم ما أتى أوانها ، ولا مهدت سبلها ، نرى الدعاة إلى عقد المؤتمر لهم حق الدعوة ولن دونهم أيضا لأنها دعوة إلى أمر مشروع ومصلحة عامة ، ولكن ليس لهم وحدهم حق الفصل فيها . وهم لم يدعوا هذا الحق . بل دعوتهم برهان على عدم دعواهم . ونرى أنه ينبغي لكل من قدر على إجابة دعوتهم أن يجيبوها . وأن فوائد عقد المؤتمر التي لا يمكن المراء فيها هي البحث في نظام الخلافة وفوائده . وبيان أحوال الشعوب الاسلامية ووسائل استفادتهم منه . وأهمها أشرنا اليه آنفا من الوقايتين والمحافظةتين . والراجع عندنا أن مؤتمر هذا العام لا يتمكن من النظر في اختيار الخليفة مطلقا . بل نشك في قدرته على وضع نظام الخلافة وتقريره في عشرة الايام المحددة لاجتماع المؤتمر وقد اقترحت جريدة الاتحاد التي هي لسان الوزارة المصرية الحاضرة والبلاط الملكي تأجيل انتخاب الخليفة إلى مؤتمر آخر يعقد في غير مصر وليتدبر العقلاء والزعماء عاقبة فشل هذا المؤتمر وليعلموا أنه عار عظيم عليهم ومبطل للثقة بالدعوة إلى مؤتمر آخر وهو ما لا بد منه . فعليهم بالحزم والاقدام . وطرح الوسوس والأوهام . فقد ثبت ان في مصر من الحرية لاقامة هذا المؤتمر واستقلال جميع من يحضره بابداء آرائهم فيه بدون محاباة ولا مراعاة لغير المصلحة العامة

نص الدعوة الرسمية لحضور مؤتمر الخرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد أبي الفضل شيخ الجامع الازهر الشريف ورئيس المؤتمر
الاسلامي العام للخلافة بمصر
الى حضرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فاني أحمد الله اليكم ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الداعي إلى الله
بأذنه ، وعلى آله وصحبه الذين جمعوا كلمة المسلمين ، وأظهروا شأن الدين ،
خصوصا الخلفاء الراشدين

ثم آمهي اليكم أنه لا بد أن يكون قد وصل الى علمكم مقررته الهيئة العلمية
الدينية الاسلامية الكبرى بالديار المصرية يوم الثلاثاء ١٩ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ
(٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ م) في شأن الخلافة، بعد أن حدث من الاثراك ما حدث في امرها
وانا ملحقون بكتابنا هذا صورة مقررته الهيئة العلمية المشار إليها ، وقد
تضمنت المادة الرابعة عشرة منه انه من الضروري أن يعقد مؤتمر ديني اسلامي
عام يدعى اليه ممثلو جميع الامم الاسلامية للنظر في أمر الخلافة من الوجهة العلمية
الدينية ، وأن يكون عقد المؤتمر برياستنا في مدينة القاهرة في شهر شعبان سنة
١٣٤٣ هـ (مارس ١٩٢٥ م)

وبعد ذلك ألقنا مجلساً إدارياً للمؤتمر فاهتم بإرسال ذلك القرار الى الامم
الاسلامية ، وبدعوة ممثليها الى حضور المؤتمر العام ، واتخذ لذلك وسائل كل وسائل
الكتب الخاصة والنشر في مجلة المؤتمر وفي الصحف السيارة ، وسعى في هذا الامر
جهده ، ونشر قرار الهيئة العلمية بالسنة مختلفة في الجهات الاسلامية

وبعد ذلك جدت أمور لها اتصال بالحال الاسلامية العامة . وأهمها ما كان
في جزيرة العرب من الاضطراب والحرب ، ووردت اقتراعات من أهل الرأي

والمكانة في العالم الاسلامي ، فكان من اللازم النظر في ذلك بما يلائمه وقاه بحق الاسلام والمسلمين

فاجتمع المجلس الاداري للمؤتمر برياستنا يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٧ يناير سنة ١٩٢٥ م) ونظر في هذه الشؤون فراها تتطلب تريثا وسعة في الوقت تتجاوز الموعد المحدد لعقد المؤتمر ، فقرر تأجيله سنة مراعاة لتلك الاعتبارات ، ومحافظة على الصلة بين المسلمين ، وعلى جمع كلمتهم في أمر الخلافة ، وانتظاراً لأن يحضر المؤتمر أكثر عدد ممكن من ممثلي الشعوب الاسلامية وقدر المجلس أن هذه الفرصة الزمنية تسع انجلاء الحوادث التي غشيت جزيرة العرب ، وانقضاء الحرب من بلاد الحجاز ، وإنها من أم البلاد الاسلامية التي ينبغي أن تمثل في المؤتمر ، وتسع معالجة الاقتراحات الواردة ، ومعالجة غير ذلك من الامور

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في بلاد الحجاز اجتمع المجلس الاداري للمؤتمر برياستنا يوم الاربعاء ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤ هـ (٣ فبراير سنة ١٩٢٦ م) واطلع على الاجابات الواردة من الامم الاسلامية بالاشتراك في المؤتمر ، وقرر أن يعقد المؤتمر الاسلامي العام للخلافة في مدينة القاهرة ابتداء من يوم الخميس أول شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هـ (١٣ مايو سنة ١٩٢٦ م) ثم قرر أن تنتهي جلسات المؤتمر يوم السبت ١٠ شهر ذي القعدة (٢٣ مايو) المذكورين وقرر أن توجه الدعوة العامة والخاصة الى الأئمة الاسلامية ليحضر المؤتمر ممثلوها ممن يقع الاختيار عليهم من أهل العلم والرأي والمكانة .

فالاسلام يدعوكم الى حضور المؤتمر . وغيرتكم الدينية تحتم عليكم ذلك ، إن هذا المؤتمر أول مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه المسلمون ليؤدوا فريضة النظر في أم شؤونهم الدينية ، وإب في ذلك لتشييداً لدعائم الاسلام ، ورأيا لمصداق المسلمين ، فكل مسلم غيور على دينه يهمله أن يحضر المؤتمر الاسلامي للعام ويتغلب على ما عسى أن يعترضه من المشقات في سبيل الله والدين

ان في حضور المؤتمر الاسلامي العام لمظهر أعظم لاتحاد المسلمين وان تباعدت أقطارهم ، وتحقيقا لقوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) وقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

فترجو أن يأتينا منكم خطاب أو برقية في وقت قريب بحضوركم أو حضور من يقع الاختيار عليه من المندوبين للاحتفاظ بحكمكم في التمثيل ، كما نرجو تعيين زمان الحضور الى القاهرة

إن النظر في أمر الخلافة أو الامامة العظمى ، والأخذ بالشورى مما يدعو اليه الدين الاسلامي ، وقد جاء في المادة الثانية عشرة من قرار الهيئة العلمية الدينية الاسلامية الكبرى (إن منصب الخلافة له في نظر الدين الاسلامي ونظر جميع المسلمين من الأهمية مالا يعدله شيء آخر لما يترتب عليه من إعلاء شأن الدين وأهله ، ومن توحيد جامعة المسلمين ، وربطهم برباط قوي متين . فالواجب على المسلمين أن يفسكروا في نظام الخلافة ، وفي وضع أسسه على قواعد تتفق هي وأحكام الدين الاسلامي ، ولا تتجافى عن النظم الاسلامية التي رخصها المسلمون نظما لحكمهم)

فننتدعوك بلسان الدين الى حضور المؤتمر الاسلامي العام (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

نسأل الله أن يحقق رجاء المسلمين ويمدحهم بمعوتته ، ويذلل لهم الصعاب ، ويسر لهم السبل حتى يحضر ممثلهم المؤتمر الاسلامي العام ، ويشهدوا الله ورسوله والمؤمنين على أنهم قاموا بما أمر الله ، ولم يخشوا في الله لومة لائم اللهم فاشهد أننا قننا بما فيه الخير والصلاح ، وبيدك التوفيق والنجاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الجامع الازهر

ورئيس المؤتمر

(الختم)

رجب سنة ١٣٣٤

فبراير سنة ١٩٢٦

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ المصحف الشريف ، طبعة الحكومة الاخيرة له ﴾

كانت المصاحف الشريفة تكتب كالكتبة الأولى التي كتبها بعض كبار أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرها أهل الحل والعقد وأمر الامام الأعظم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في عهد خلافته بتوزيع نسخ منها على الأقطار ليعتمد عليها في الحفظ والنسخ ويسمى المصحف العثماني الرسمي المذكور بالمصحف الامام ، لأن المسلمين كانوا يأخذون عنه ما ينسخون من المصاحف في كل قطر ، واشترط العلماء المقرءون في القراءات المعتد بها أن تكون موافقة لرسم هذا المصحف فما لا يوافقه لا يعد من القرآن المتواتر الواجب الاتباع ، ولما ضعفت اللغة العربية بكثرة دخول الاعاجم في الاسلام اضطر المسلمون إلى نقط المصاحف وشكلها لأجل ضبط القراءة وعدم الغلط والتحرير فيها ممن لم يتلق القرآن من المقرئين الحافظين

ثم استحسن بعض الناس في القرون الوسطى أن يغيروا من رسم المصحف الامام ما يشبه فيه القارىء غير المتلقي عن القراء فيكتبوه بما استحدثوا من قواعد الرسم ففعلوا ، وأكثر ماغيروا يدخل في باب واحد وهو زيادة حرف المد في الممدود كالعالمين ومالك ، والكتاب ، وأبصارهم ، وغشاوة ، ويخادعون ، وطفياتهم ، والضلالة ، وظلمات ، والكافرين ، وأبصارهم ، والثمرات ، وضادقين ، والاشهار وأزواج — وأمثال ذلك مما يكثر حذف الالف فيه من رسم المصحف الامام . وهذه الأمثلة التي أوردناها هي من سورة الفاتحة ، وربع الحزب الأول من سورة البقرة ، فصاروا يكتبون ذلك كله بالالف . وقد ترك أكثرهم ألفاظاً أخرى أبعد عن قواعد الرسم مما ذكر لندرتها كالباقان رسمها في المصحف بألف قبلها واو هكذا (الربوا) وكذا كلمة العلماء في قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وكالصلاة والزكاة فانهما فيه بالواو هكذا (الصلوة الزكاة) وجرت مطابع الاستانة وأكثر مطابع مصر وغيرها على هذا التغيير ، وكان ينبغي أن يذكر في آخرها تنبيه يبين فيه ذلك في المصاحف المطبوعة

والمخطوطة . وقد بقي في مصر وبعض بلاد الاعاجم من يستمسك باتفاق العلماء على وجوب اتباع رسم المصحف المأثور عن الصحابة (رض) ويحافظون على ذلك خطاً وطبعاً ومنه المصحف المعروف بمصحف أبي زيد والمصحف المعروف بمصحف المليجي من مطبوعات مصر ، والأول أصح وأضبط ، وأما مصاحف الاستانة فلم ترم منها شيئاً من ذلك ثم إن الحكومة المصرية عنت بطبع مصحف لم يطبع مثله في بلاد الاسلام . وقد ذكرنا في ترجمة المرحوم حقني بك ناصف خبر اللجنة التي ألفت لتحرير رسمه على أصح الروايات المدونة في الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ، ولضبطه وتصحيحه وشكله وعد آياته ووضع علامات الوقف له . وقد آتت اللجنة عملها وكتبت ياتها له وأمضته في ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧ وكانت حروفه كلها قد جمعت في المطبعة الأميرية الشهيرة ببولاق ، وقرئ كله مراراً كثيرة في عدة سنين حتى تمت الثقة بأنه خال من الغلط خلواً تاماً ، ثم طبع في مصلحة المساحة بالجيزة سنة ١٣٤٢ وطبع بيان اللجنة في آخره . وهو جدير بأن يعول عليه العالم الاسلامي كله . وقد طبع منه نسخ كبيرة على ورق سميك ، وطبعت نسخ أصغر منها على ورق رقيق كأحسن ما طبع في الاستانة بل خير منها . ولكن النسخ المطبوعة المعدة للبيع في مخازن وزارة المعارف لا تزال قليلة لا تفي ببعض الحاجة فعسى أن تزداد لتكفي حاجة مصر وسائر البلاد وقد بينت اللجنة في التعريف الذي وضعته لهذا المصحف الشريف المأخوذ التي اعتمدت عليها من الكتب المصنفة في الرسم وضبط الشكل ، والعد والتجزئة والتعريب ، وبيان المكي والمدني ، ومواضع الوقوف وعلاماتها ، وسجديات التلاوة حتى السكتات التي يوجبها حفص الذي يقرأ مسلمو الشرق كاهم على روايته وانفرد هذا المصحف بأشكال من الحركات والحروف للضبط والوقف والاداء الموافق لقواعد فن التجويد فصلته اللجنة في بيانه . ومما لم أستحسنه من هذه الاصطلاحات إغفال بعض الحروف من علامة السكون للدلالة على الادغام — وكذا الاخفاء — من تجويد الاداء وتشديد الحرف المدغم فيه ، فإن أكثر القراء في هذه المصاحف لا يقرؤون بيان اللجنة لهذه الاصطلاحات ، وأكثر من يقرؤها من العوام لا يفهمون المراد منها ، فكان الأولى أن يكون الشكل كاملاً على المعهود في سائر المصاحف ويزاد عليها الشدة الدالة على الادغام منفردة كما في بعض المصاحف الهندية ، وكذا علامة الاقلاب .

تقرير الدكتور فخري

(طبيب الجلد والأمراض التناسلية عن انتشار البغاء والأمراض التناسلية بالقطر المصري ، وبعض الطرق الممكنة اتباعها لمحاربتهما)

رفع الدكتور تقريره هذا سنة ١٩٢٤ لحضرة صاحب الجلالة الملك ، وحضرات أصحاب السموّ الأمراء ، وحضرات أصحاب الفضيلة العلماء ورؤساء الدين ، وجميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية بالقطر المصري

تكلم فيه عن البغاء الرسمي وغير الرسمي بمصر القاهرة ، وتعرض فيه لبعض إحصائيات عن عدد العاهرات الاجنبيات والوطنيات بمصر ، وقال إنه بأسف جد الاسف لعدم عناية مصلحة الصحة برقابتهن بطريق جدي يخفف من أضرارهن ، ويقف تيار العدوى بالامراض الجلدية والتناسلية التي فشت في هذه الامة البائسة أن أهملت دينها ، ونسيت كرامتها وشرفها ، ولا سيما العاهرات الاجنبيات ذوات الدرجة الاولى ، فانهن لا يخضعن لنظام الكشف الطبي على ما فيه من نقص فاحش ، فاصبحن شراً مستظيراً وخطراً كبيراً

والذي يقف على تقرير الدكتور يشعر بالالم الشديد مما وصلت اليه حالة البلاد الادبية والصحية من الانحطاط والتدهور وحسب القارىء أن يرى من احصائيات الدكتور أن عدد (من عرف من) المصابين بالامراض الجلدية والتناسلية في عام واحد سنة ١٩٢٠ بسبب البغاء الرسمي وغير الرسمي (٨٢٠٢٠٠) ثمانمائة وعشرون ألفاً ومائتان . وقد ألقى الدكتور — في أدب وصراحة — باللائمة على النظام المتبع في رقابة العاهرات بمصر ، وقارن بينه وبين نظم الدول الاخرى ، وطلب من الحكومة بالحاح العناية برقابة هذه الطائفة كي يخفف ضررها . وللدكتور في وصف أضرار العاهرات كلمات مؤثرة تشف عن وجدان صادق ، واحساس شريف . اذ يقول وهو يصف العاهرات ذوات الدرجة الاولى « فبعضهن يحترفن حرفة التمثيل أو الرقص أو الخدمة في بعض محال التجارة أو القهاري والبارات وغيرها من الأعمال

« وفي ساعات فراغهن ينتشرن كجيوش الجراد في أنحاء العاصمة ليلقين شبا كهن على شبيبة البلاد ورجالها وكولها ، ولهن من جمال شكلهن وسحر عيونهن الجنسي الوراثي أسلحة قوية للفتك بغفول الطائشين ! ولهاجة قلوب

من يتعطشون للجمال الاوربي الخلاب ، ولهن من خروجهن على رقابة البوليس نوع من الكرامة يسحر كثيراً من الرجال الذين تعودت نفوسهم أن تمتج كل ماله علاقة بالعاهر الرسمية . هذه هي الافى صاحبة صولجان الامتيازات ، وتلك هي عقرب مصر الذي يتغذى من دماء أبنائها ، ويسمم حياة رجالها ، ويقتل مستقبلها تحت ستار نوع من الانظمة لو وجهت له عناية قليلة لقل شره ، وضعفت مصيبتة » اه (ص ١٢ و ١٣)

ثم تكلم الدكتور على الاسباب التي تحمل على انتشار البغاء ، وأهمها وجود المواخير المصرح بها في القطر ، وإهمال الرجال زوجه وصرفه الوقت الطويل في المقاهي وأما كن الطرب واللهو ، وترك دور التمثيل الساقط يدخلها الشبان والنساء بدون رقابة ، وكثرة الزواج الاجباري مع جهل الآباء بمصير بناتهم وبنيتهم ، ومثله في ذلك الزواج النفقي ، واختلال حال البلد الاقتصادية ، ونقص برامج التعليم ثم تكلم على طرق مقاومة البغاء وقال : لا بد فيها من وضع حد للرجل ، لأنه شريك للمرأة في ذلك الفساد ، فإذا ضيق على العاهر وترك الرجل وشأنه لا يعدم بجبروته امرأة أخرى يفسدها حتى تصير عاهراً ، وهكذا . ولا بد من رفع المستوى الاخلاقي ، وتعاون رجال الدين والتربية مع رجال السلطة في تنمية روح الفضيلة في نفس الناشئين ، ومنع المواخير الرسمية . ويرى الدكتور كما يرى غيره ممن بحثوا نظام العاهرات أن منع البغاء دفعة — وان كان فيه شيء من الضرر — الا أنه أخف ضرراً من هذه الفوضى التي وصلت اليها حالة البلاد ، ويطلب من جميع الهيئات التعاون على منعه

واني أشكر الدكتور فخري غيرته الشديدة على حالة البلاد الصحية والخلقية واخلاصه لمهنته ، وقيامه بما توجب عليه . ولو أن كل طبقة تقدمت لحكومة البلاد بما لديها من ضجيج وما يتفق مع عملها لتحسنت الحالة ، ونهضنا بأمتنا نهضة مباركة

محمد العدوي

﴿ المنار ﴾ ان في هذا التقرير من العبر أعظم مما اختار الاستاذ المقرظ منه بل كله فوائد وعبر لمن يريد أن يعتبر ، وأين المعتبرون ؟ ان التقرير يثبت لنا أن جل رزايا فاحشة البغاء ، سببها التفرج ، حتى إن تقليد نساتنا للاوربيات

في طرز الازياء (الموضه) هي أكبر أسباب البغاء السري الوطني . ومع هذا نرى كتابنا ومنتحلوا الفلسفة والتجديد فينا دائبين على ترغيب النساء والرجال في السير في هذا التقليد الى آخر حدوده بلبس (البرنيطة) ليجهزوا على هذه الامة في أجسادها وأرواحها وأموالها

﴿ خاتمة المجلد السادس والعشرون ﴾

باسم الله وبحمده نختتم المجلد السادس والعشرين من المنار ، وهو المحمود في كل حال ، وفي بدء كل أمر ذي بال ، وختام ، ولا نزال نحن والمشترون في المنار على ما وصفنا في خواتيم السنين الماضية من تقصير ، يقصرون عمداً في الأداء والوفاء ، فنقصر اضطراراً في المضاء ، ونقصر عمداً في الاقتضاء والتقاضي ، وفي أمثال العوام « المال السائب — أي الميسب — يعلم الناس الحرام » وقد كان من عاقبة تقصيرنا في المطالبة ، وترك الأمر الى أريحية المشترين وديانتهم ، وعدم محاكمة الماطلين منهم ، أن رأينا غرائب من الدناءة والطمع من أغنيائهم ووجهائهم ، منها أن غنياً مترفاً من أصحاب القصور الفخمة ، والمركبات الكهربائية ، والخدم والوصائف من الافرنج والبرابرة ، طلب بعد تكرار المطالبة وصلاً باشتراك المجلة عن سنين لم يدفع فيها شيئاً فأعطيه ، فأخذه وضرب موعداً قريباً للدفع ولم يدفع فيه ، ثم ضرب موعداً آخر فموعداً آخر فموعداً آخر — وقد مرت السنون على هذه المواعيد العرقوبية ، وهو لا ينكر الوصل ، ولعله لو قوضي الى المحكمة لأنكره ، أو دفع المال تفادياً من المحاكمة

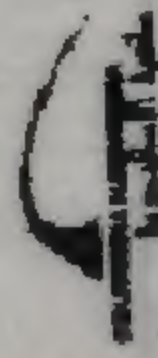
وأعجب من أمر هذا الغني الضعيف في العلم والدين وشرف النفس والبيت امر غني آخر معدود من علماء الدين المؤلفين ، ومن السادة العلويين ، مطل ولوى عدة سنين ، ثم أعطى قليلاً مما عليه وأكدى ، ثم قال لجابي المجلة بعد سنين أخرى إنه يجب أن يعفى من الاشتراك الماضي والمستقبل لعلمه وشرفه (!!) فان كانت هذه آيات العلم والشرف وثمراتهما ، فلا بد أن تكون آيات ضدتهما وهما الجهل والخسة وثمرتهما في النفس — الوفاء وأداء الحق ، ومساعدة نشر الدين والعلم ، والترفع عن مثل هذا السؤال ، واستثقال حمل من الرجال ، وإذاً يكون الجهل أفضل من العلم ، وخسة الانساب أفضل من شرفها (١١) كلا بل كان حرمان منتحلي العلم الديني

وحاملي شهادات الاسباب من التربية الدينية العالية، سببا لضياع ما كان لسلفها من الاحترام والمكانة ، اذ كانوا أكرم الناس وأعزهم أنفساً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظمها ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تبجها قد شرحنا في الجزء الرابع من هذا المجلد الذي صدر في آخر المحرم أنواع الاعمال الكثيرة التي تزامم اشتغالنا بتحرير المنار ، وقد زادت بعد ذلك عما ذكر فيه نوعاً أو نوعين ، ثم سافر بعد صدوره بشهر أو شهرين وكيل الادارة الى سورية فمكث بضعة أشهر فزادت صنفاً أو صنفين ، حتى اضطررنا الى تأخير بعض الأجزاء عن موعدها ، ثم استعنا الله تعالى على تدارك هذا التقصير حتى جعلنا خاتمة هذه السنة سلبخ رمضان كالتي قبلها

وقبل تمام هذا الشهر نفسه يتم لنا ما كنا شرعنا فيه ووعدنا به في خاتمة المجلد السابق من توسيع المطبعة وإدارتها بقوة الكهرباء، فتوفر الأسباب لإنجاز طبع المنار وسائر مطبوعاتنا بالسرعة والاتقان . وسيكون أكبر همتنا في المجلد السابع والعشرين موجهاً الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا في هذه الأيام في تعميم دعوتهم الى هدم العقائد ، والتجربة على الفواحش والردائل ، وتقطيع الروابط المليية والقومية ، وإعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية ، وجميع الفتن المادية حتى البلهشية ، والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التي يثبتها أهل الطرق التي تسمى صوفية ، وما ولدته من البدع الحديثة كالسيحية القاديانية ، وكل هذا من قبيل الهدم . ثم الى تأييد دعوة الإصلاح ، وتجديد أمر الاسلام ، بالرجوع في عقائده وعبادته الى القرن الاول ، والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر ، وهذا هو البناء المطلوب ، ولعله لا يتم إلا في جزيرة العرب ، كما أشارت اليه الاحاديث النبوية

وإتينا نكل الى دين قرائنا ومروءتهم وشرفهم أمر الوفاء لنا بتسديد قيمة الاشتراك في وقتها ، ومساعدتنا على جهادنا بكتابة المقالات ، وانتقاد ما يرون من الخطأ فيما ننشره (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) والله ولي المتعاونين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين



Bibliotheca Alexandrina



0551749